

القسم الثانى
تحقيق النص

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله
خير من نطق بالعربية ، وأفصحهم لسانا ، وأوضحهم بيانا ، وبعد ،

فإن تحقيق الكتب المخطوطة ونشرها ضرب من التأليف أمام الحقائق
التي ترد في تلك الكتب محرقة ، فيقوم المحقق بتحريرها وتحقيقها ، مستشيراً
في ذلك مرجعاً ومرجعاً ، ولا يخفى ما في ذلك من المجهود المُضني في تصويب
الكلمات المحرقة وردّها إلى أصلها الصحيح ، وشرح المستغلق من الألفاظ ،
والتبريف بالأعلام التي ترد في الكتاب يحيط بها جو من النموض ، وتحقيق
الحوادث التاريخية والجغرافية بالرجوع إلى مظانّها ، وتحرير الشعر وحمّة
نسبته إلى قائله بالرجوع إلى دواوين الشعراء وكتب الأدب والتاريخ وغيرها
ليتأدّى الشعر سليماً صافياً ، مع الإشارة إلى رواياته المختلفة .

وغير خاف أن في تحقيق هذه الدخائر ونشرها إذكاء لنار قد تحمدت وليس
ينبغي لها أن تحمد ، وإذاعة لنور قد خبا وليس ينبغي له أن يخبو ، وإنطافا
لألسنة قد أمسكت وليس ينبغي لها أن تمسك . فإن كلّ أمة تعتمد في
في استيفاء مآثرها ونحسين مناقبها على ضرب من الضروب ، وشكل من
الأشكال ، وربما يذهب الأديب وتبقى كتبه ، ويذهب العقل ويبقى
أثره ، ولولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها ، وخلّدت من عجيب حكمها
ودوّنت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنها بها كل
مستغلق علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيراً ، وأدرّكنا ما لم نكن ندركه إلا

(ب)

هم؛ لقد خُصَّ حفظنا من الحكمة ، وضمف سبينا إلى المعرفة ^(١) ؛ وإني اُعتدت
إلى أثر خالد من آثار السابقين قُت بتحقيقه ما أمكن ، ووضعت بين يدي القارىء
حتى يلمس مدى الجهد الذى لاقيته فى سبيل تحقيقه ، وتوثيق نصوصه ،
وهو « كتاب بديع القرآن » لزيد الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر
المعروف بابن أبي الإصبع المدوانى ، وسوف أنكلم فى هذه المقدمة عن فصلين:
الفصل الأول عن النسخ التى اعتمدت عليها فى مقابلة وتحقيق نص الكتاب ،
والثانى عن الطريقة التى سرتُ عليها فى تحقيقه ، وأسأل الله التوفيق والسداد
فى القول والعمل .

الفصل الأول

سوف أتكلّم في هذا الفصل عن النسخ التي اعتمدتُ عليها في تحقيق كتاب « بديع القرآن » مبيناً فيه كلّ نسخة ومميزاتها ووصفها، وسبب تقديمها على غيرها، وسأذكر هذه النسخ بالترتيب حسب استعمالها في التحقيق، مبتدئاً بالأصل الذي اعتبرته أما لهذا الكتاب :

الأصل

هذه النسخة مصوّرة على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ١٢٢١، وهي مصوّرة عن النسخة المخطوطة والمحفوطة في مكتبة مدينة استانبول تحت رقم ١٧١ في ٩٨ ورقة ومقاسها ١٨ X ٢٥ ومسطرتها ٢٥ سطراً، ولقد قمت بتصويرها على الفوتوستات، وجعلتها أصلاً لهذا الكتاب للاعتبارات الآتية :

أولاً : قدّم خطّها، حيث جاء في آخرها هذه العبارة (تمّ كتاب بديع القرآن الحميد وعدة أبوابه مائة باب وثلاثة أبواب، وتمّ بتمامه كتاب (البرهان في إيجاز القرآن) ، ونسخت على يد الناسخ عبد الغني بن الحسين بن يحيى الجزريّ المسمريّ القرشيّ، وذلك بمدينة دمشق في العشر الأخير من شهر جمادى الأولى من شهر سنة ٦٩٥) أي بعد وفاة المؤلف بنحو أربعين عاماً .

ثانياً : كونها تامّة الأنواع البديعيّة التي تحدّث عنها المؤلف في كتاب « بديع القرآن »، وإن كان بها خرم ترتّب عليه عدم ورود تلك الأنواع البديعيّة فيها، وهي : (١) الانسجام ، (٢) براعة التخلّص ، (٣) جزء يسير من أوّل باب البسط .

ولمّا هي المبيضة التي حرّرها ابن أبي الإصبع أو أخذت عنها .

ثالثاً : كتّيب على اللوحة الأولى من هذه النسخة هذا العنوان (كتاب بديع القرآن الحميد ، للشيخ زكيّ الدين عبد العظيم بن أبي الإصبع رحمه الله)

ولا شك أن وجود هذا العنوان بخط ناسخ النسخة في هذا التاريخ القديم لدليل قوى على أن المؤلف سماه (بديع القرآن) ليثبت فيه أسرار الإيجاز في القرآن ، ثم يلى عنوان هذه النسخة عدّة تعليقات يرجع زمنها إلى القِدم ، وهذا ما رجح لدى أن أقدم هذه النسخة على غيرها ، وأجعلها أصلاً أعتمد عليه ، لكاملها من حيث الأنواع ، وقِدَمِها من حيث الخط ، وهى وإن كانت لم تَخُلْ من بعض أخطاء وتحريفات ، إلا أن ذلك يمدّ نافها بمقارنتها بغيرها من النسخ .

وهناك خلاقات بينها وبين غيرها من النسخ الأخرى في المقدمة ، وفي بعض العبارات التى لا تؤدّى إلى اختلاف المعانى ، مما جعلنى أرجع ذلك إلى النسخ ، وعلى كلّ فالنسخة جيّدة الخط ، كاملة الأنواع ، وإن كانت العبارة الأخيرة فيها تقول : « إن ما بها مائة باب وثلاثة أبواب ، ولكن الحقيقة أن النسخة تحتوى مائة باب وتسعة أبواب ، وهذا الخلاف مما لا شك فيه راجع إلى الناسخ ، لأنه نقل هذه النسخة عن غيرها من النسخ التى ربما تكون هى السوذة وفيها نفس الخاتمة التى توجد ونحتم بها جميع النسخ .

نسخة (١)

هذه النسخة مصوّرة على الميكروفلم بالجامعة العربية تحت رقم ٩٤٣ عن النسخة المخطوطة والمحفوطة بمكتبة (فليج على) باستنبول تحت رقم ٤١ وعدد أوراقها ١٨٥ ورقة ، مقاسها متوسط ، ومسطرتها ١٥ سطرا ، وهى مكتوبة بخط متوسط الحجم ، يرجع نسخها إلى القرن السابع ، وقد كتبت عليها إدارة إحياء المخطوطات بالجامعة العربية ما يفيد أنها مكتوبة في عهد المؤلف ، ولعلّ الدافع لها على هذا الحكم ورود عبارة في أوّل المقدمة اعتمد عليها رجال الإدارة في هذا الحكم ، وهذا نص العبارة : « قال الشيخ الإمام الفاضل الأوحى زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن ذى الإصبع العدوانى طول الله مدته ، ورفع في الدارين درجته » وهذه

(هـ)

المبارة الأخيرة « طوّل الله مدته » هي التي أوحى إلى رجال المخطوطات بالجامعة العربية بالحكم السابق ، ولكن ما المانع أن تكون هذه النسخة قد أخذت عن نسخة أخرى كتبت في عهد المؤلف ، والناسخ نقل هذه العبارة دون أن يتحرى الصواب وهي وإن كان خطهما يرجع إلى القرن السابع ، إلا أنه لا يمكن الإثبات القطعي بأنها كتبت في عهد المؤلف ، وخاصة فإنها مجهولة الناسخ ، وهذا ما جعلني أقدم عليها نسخة (مدينة) « الأصل » لأنها مكتوبة في القرن السابع أيضا ، ومملومة الناسخ ، وتضارِعها في الخط والورق والمداد .

وقد كتب عنوان هذه النسخة (البرهان في إعجاز القرآن) ولكنها مُختمت بالخاتمة التي ختم بها الأصل السابق ، وهذه النسخة تحوى من أنواع البديع مائة نوع وثلاثة أنواع فقط ، وتنفص عن الأصل ، وباقي النسخ ستة أنواع هي : (١) باب الموازنة ، (٢) التسميط ، (٣) الطاعة والمصيان ، (٤) التفصيل ، (٥) الإلجاء ، (٦) التفريق والجمع . كما أنها تخالف الأصل والنسخ « د ، ت ، س » في المقدمة ، وهذا الخلاف لا يؤدي كذلك إلى تغيير في المعنى ، ثم يتكلم في مقدمة هذه النسخة بما يفيد أن « بديع القرآن » مفرد من « بديع الكلام الموسوم بتحرير التحبير » والحقيقة أن من يطالع هذا النص يلبس معارضته للنصوص التي تقول بأنه تنمة (البرهان) ثم يورد في وسط المقدمة فهرسا لأنواع البديع الموجودة في كتاب « بديع القرآن » وتظهر احيدة في عبارة هذه النسخة ، كما يوجد اختصار وإطناب في عباراتها ، ويبدى أن هذا الاختصار ، وذلك الإطناب لا يفسران بالمعنى المقصود ، مما يدل على أن ناسخها عالم له دراية واسعة ، بالأدب والبلاغة ، كما يظهر على اللوحة الأولى منها عدة تمليكات وقراءات وتبدو على صفحاتها تصحيحات لاحظتها أثناء التحقيق ، ولعل هذه النسخة هي المسودة لكتاب « بديع القرآن » البيضاء للأصل السابق ، وليس هذا بغريب على المؤلف ، فهذا صنيعه في كتاب « تحرير التحبير » إذ له مسودة مختصرة انتهى إليها تحرير الكتاب .

(و)

نسخة (ب)

هذه النسخة التي رمزت لها بالحرف (ب) مصورة أيضا على الميكروfilm بالجامعة العربية تحت رقم ٨١١ و ٨١٢ ، عن نسخة مخطوطة ومحفوظة بمكتبة (لاله لي) باستنبول تحت رقم ٧٧٧٥ مقاسها متوسط ، ومسطرتها خمسة عشر سطرا ، وهي معنونة أيضا بعنوان (البرهان في إعجاز القرآن) ومما لا شك فيه أنني بعد مراجعتي لهذه النسخة أيقنت أنها مأخوذة عن النسخة (أ) لأنها تتفق معها في المقدمة والمنوان والفهرس الموجود بها ، ولكن المباشرة التي أوهمت رجال المخطوطات بالجامعة العربية استبدلت بـ (رحمه الله) مما جعلتهم يحكمون عليها بأنها استنسخت في القرن السابع ، وهي مثل النسخة السابقة ، غير معروفة الناسخ ولا تاريخ النسخ ، كما أنها تتفق معها في عدد الأبواب التي وردت فيها ، إلا أن النسخة (ب) قد زادت عن النسخة (أ) ثلاثة أنواع كتبت على الهامش ، ولعل هذه الزيادة من فعل قارى لهذه النسخة لأن الخط مخالف لخط الأصل الذي كتبت به النسخة ، فلمل القارى زاد هذه الأبواب من نسخة أخرى كاملة الأنواع . والأبواب التي كتبت على الهامش هي : (١) الموازنة ، (٢) التسييط ، (٣) الطاعة والمصيان) وقد لاحظت على هذه النسخة أن كاتبها قد أثبت أسماء السور التي منها الآيات موضع الاستشهاد على الهامش ، كما أنه يثبت بعض الزيادات التي تنقصها هذه النسخة والنسخة (أ) عن باقي النسخ على الهامش ويبدو ذلك جليا واضحا في (التلخيص) ، (حسن البيان) ، (الاستقصاء) كما أنني لاحظت في هذه النسخة أن تذكر أبوابا في الفهرس الموجود في المقدمة ولا تذكرها في الأصل كما هو الحال في باب (الطاعة والمصيان) ، (وحسن الاتباع) أو يكون المكس ، هو ألا تذكر أبوابا في الفهرس ثم تذكر في أصل النسخة ، كما هو الحال في باب (التشكيك) ، أو أن مكانه في الفهرس يفاير مكانه في الأصل ، كما هو الحال في باب (التنظير) ، ولكنها تختلف في الخاتمة حيث تختم بقوله : (تم كتاب بديع القرآن المجيد بحمد الله سبحانه وحسن فضاله ، وصلواته على خير خلقه وآله ، وعدة أبوابه مائة باب

(ز)

وثلاثة أبواب ، كما أنه يوجد في آخرها مقابلةٌ على الأصل المنقولة عنه ، وبآخرها ختمٌ كتب فيه وقفية هذا نصها (هذا وقف سلطان الزمان الغازي سلطان سليم خان ابن السلطان مصطفى خان عفا عنهما الرحمن) والنسخة الأصلية المخطوطة التي صورت عنها هذه النسخة مكتوبة بخط واضح ، وقد طفت عليها الأرضة في أولها ، ولهذا آثرت تقديمها على ما يأتي بعدها من النسخ لقدم خطها الذي يرجع إلى القرن السابع الهجري .

نسخة (د)

هذه النسخة رمزت لها بالحرف (د) نسبة إلى دار الكتب المصرية مقاسها ٢٢ × ١٦ ومسطرتها ١٩ سطرا بقلم معتاد ، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٠ بلاغة ، وقد كتبت بخط محمد بن أحمد بن شيبان ، وفرغ من كتابتها في الثامن عشر من شهر المحرم سنة ٧٠٧ هـ وهي مجلدة مع نسخة مخطوطة لكتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز للرازي) وفي أول هذه المجموعة بعد إيراد اسم كتاب الرازي ، ورد هذا الاسم للكتاب « وفيه أيضا بديع القرآن الذي هو تنمة الإيجاز لابن ظافر رحمه الله » وهي ٢٥٣ ورقة .

وفي أول نسخة « بديع القرآن » فهرس لأبواب الكتاب ، وعدة الأبواب الواردة في هذا الفهرس ١٠٩ ولكن ورد في (ص ٢) من المقدمة أن عدد هذه الأبواب ١٠٨ وفي آخر النسخة وردت هذه العبارة (تم كتاب بديع القرآن على يد العبد الضعيف محمد بن أحمد بن شيبان في ثامن عشر المحرم سنة سبعم وسبعمائة في المدرسة الضيائية) ، كما يوجد في آخرها مقابلةٌ هذا نصها (قول لله الحمد وصح بعض الصّحة) وعلى كلّ فالذي لاحظته على هذه النسخة الخط الجيد ، والعبارة الصحيحة ، مما يدلّ على أن ناسخها كان من العلماء الذين لهم صلة وثيقة بعلوم البلاغة .

(ع)

نسخة (ت)

هذه النسخة مخطوطة ومحفوطة بمكتبة الرحوم أحمد تيمور تحت رقم ٢٦٠ تفسير تيمور ، مقاسها ٢١ × ١٤ ومسطرتها ٢٣ سطرا وقد كتبت بخط جميل ، ونسقت تنسيقا بديما ، بالصفحة الأولى منها تملك هذا نصه : « تملكه أقرالورى لرحمة ربّ المالين السيد محمد زكى حميد باشا زاده ، أناله الله تعالى فى الدارين مراده ، وختم له ولأسلافه ولجميع المسلمين بالسعادة ، بحرمة محمد صاحب الشفاعة ، صلى الله عليه وعلى آله ومحبيه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ، والحمد لله ربّ المالين سنة ١٢٩٣ هـ لتسمة خلت من شهر رجب الفرد » .

وكتب بأعلى هذا النص فى نفس الصحيفة العنوان الآتى (كتاب بديع القرآن لابن أبى الإصبع رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٦٥٤) ومقدّماتها تختلف فى بعض العبارات عن سائر النسخ ، ولعلّ ذلك راجع إلى تصرف الناسخ كما قلت سابقا ، كما أنها تجمع مع الخط الجميل التصحيف والتحريف الواضحين فى بعض العبارات ، وفى آخرها خاتمة هذا نصّها : (تمّ بديع القرآن العزيز بمون الله سبحانه وتعالى وأنا الفقير السيد عثمان محمد الفارضى عفى عنه) كما يوجد فى آخرها ترجمة قصيرة للمؤلف منقولة عن كتاب (المنهل الصافى) لابن تفرى بردى صاحب (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، وفهرس للأشواى البديمة الموجودة فى النسخة وعددها ١٠٩ ولكن ورد فى الصحيفة الخامسة من المقدمة أن عدد الأبواب ١٠٨ وهذا خلاف الواقع ، إذ أن الأشواى الموجودة فعلا فى النسخة ١٠٩ .

نسخة (س)

هذه النسخة مخطوطة بقلم معتاد سنة ١٣٩٦ هـ ومحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٦ تفسير فى ١٥١ ورقة ومقاسها ٢٢ × ١٦ ومسطرتها ٢١ سطرا وخطها واضح ، ولكنه قليل الجودة ، وقد كتب على الصفحة الأولى منها ما نصه : (مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية ومضافة

(ط)

في ٢٣ يولية سنة ١٨٨٣ م) وبعد ذلك في نفس الصحيفة عنوان الكتاب كما يأتي (كتاب بديع القرآن تأليف زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد الواحد ابن ظافر البندادي ثم المصري المتوفى سنة ٦٥٤ هـ) كما كتب بهامش الصفحة الأولى بجانب العنوان هذه العبارة : (تنمة الإعجاز) ومقدمتها كقائمة نسخة (د) كما أنها تتفق معها في كثير من الأشياء حتى في التحريف والتصحيح الوجودين فيها ، مما يدل على أنها مأخوذة عنها ، كما وجد في آخر المقدمة ما يفيد أن عدد الأبواب ١٠٨ ، ولكن أبواب النسخة مرقمة وآخرها ١٠٩ وهو الواقع وقد كتب في آخرها ما نصه : « تم بديع القرآن ، في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المعظم من أحد شهور سنة ١٢٩٦ من هجرة نبيه الكريم صلى الله عليه وعلى أصحابه أفضل الصلاة وأتم التسليم » .

الفصل الثاني

بعد أن بيّنت النسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب سأخذ في هذا الفصل في بيان الطريقة التي سرتُ عليها في التحقيق وهي أني قد اهتمت إلى نسخه التي بينها سابقا ، ما بين مصوِّرة ومخطوطة جهد طاقتي ، وهذه على كثرتها مشحونة بالتصحيف والتحريف ، والإعجام والإهمال ، والحذف والزيادة ، وما إلى ذلك مما جعلني أبذل مجهودا كبيرا في تقويم المَوْج من عباراتها وتصحيح كثير من الأخطاء التي لو بقيت على حالها لظلل الكتاب مشوها ، وحالت دون الإفادة منه ، وبما أن موضوع الكتاب في مجمله ينصب على بيان ما جاء في القرآن الكريم من أنواع البديع ، فإنني سوف أبين ما قُت به أثناء تحقيق لهذا الأثر العظيم :

١ - بذلتُ في ضبطه وخاصة موضع الاستشهاد من آيات القرآن الكريم ما استطعت من قوَى حتى تسهل قراءته ويقىسر فهمه .

٢ - رأيت كثيرا من ألفاظه بحاجة إلى الشرح لغرابتها ، ونادرة وزودها فأثبت ذلك تعليقا في أسفل صفحاته ، راجعا في ذلك إلى كثير من أمهات الكتب الأدبية واللغوية والتاريخية وغيرها . أما ما لم أهتم إلى ضبطه من الألفاظ أو ما لم أستطع تحريره من العبارات - وهو نادر جداً - فقد أشرتُ إليه في ذيل بعض الصفحات .

٣ - لم أدع تفسيراً لبیت ولا رواية فيه إلاّ نهيتُ عليه ، مشيراً إلى المصدر الذي جاء فيه ، أو نقلته عنه ، كما أنني لم أدع تفسيراً للفظ غريب في بیت من أبيات الشُّمر إلا رجعتُ إليه فيما لدى من المظان ، كما أنني نسبتُ كلَّ شعر ورد في هذا الكتاب إلى قائله ، مبيناً الروايات التي ورد بها ذلك الشعر في كل المصادر التي نقلتُ عنها ، وقد ينسب المؤلف بيتاً أو أبياتاً من

(ك)

الشمر إلى غير قائليها ، فأنت الصحيح ^(١) جهد طاقتي .

٤ - وقد نسبت كل نوع من الأنواع البديعية إلى مصدره الذي جاء فيه وجملته كفهرس للكتب التي تكلمت عن هذا النوع ، مبينا الجزء والمصحفة حتى يسهل البحث على الباحث إذا ما أراد أن يعرف شيئا عن نوع من أنواع البديع ، تاركا في ذلك الكتب والمصادر التي تواردت على ذكر نوع من الأنواع مادام التأخر لم يزد على التقدم شيئا .

٥ - كذلك نسبت كل آية من آيات القرآن الكريم استشهد بها المؤلف على النوع البديعي إلى سورتها التي وردت فيها ، مع بيان رقعها منها ، كما أن المؤلف قد لا يلاحظ ترتيبا في الآية ، ويختلط ذلك عليه ، فيقدم أو يؤخر فيها ، فأضع الحق في نصابه ، وأصحح الآية كما وردت في موضعها من القرآن الكريم ^(٢) .

وقد تسقط آية قرآنية من الأصل يستشهد بها ، ولا يتم المعنى بدونها ، بينما وردت هذه الآية في نسخة أخرى غير الأصل ، فأستكملها ، وأشير إلى ذلك في الهامش حتى أورد النص واضحا سليما ^(٣) .

كما أنني نسبت ما ورد في هذا الكتاب من الأحاديث النبوية ، مشيرا إلى المصادر التي وردت فيها .

٦ - وقد قمت بممارسة نصوصه ، مثبتا ما ورد في الأصل في صلب الكتاب ، وما خالف هذا الأصل أثبتته في الهامش ، منبها على ذلك برقم من الأرقام ، اللهم إلا إذا كان ما ورد في الأصل مفسدا للمعنى ، أو أصابه تحريف أو تصحيف من الناسخ ، ولا يمكن إثباته في الأصل مكانه ما ورد سليما في النسخ الأخرى ، حتى يتأدى المعنى سليما واضحا ، كما قد تكون هناك عبارة طويلة

(١) انظر بديع القرآن باب الافتتان عند كلامه على قول الشاعر :

أحبك يا ظلم وأنت مني الخ ...

(٢) انظر بديع القرآن باب الإيضاح آية ٦١ من سورة النور .

(٣) انظر بديع القرآن باب الإيضاح آية ٢٧ من سورة آل عمران .

ساقطة من الأصل يضطرب المعنى بدونها ، في حين أن هذه العبارة موجودة صحيحة كاملة في بعض النسخ الأخرى ، فأضمتها في الأصل ، منبهاً على ذلك في الهامش ^(١) ، وقد يكون النص الذي نقل عنه المؤلف محرّفاً ، أو سقطت منه بعض الكلمات التي تؤدي سقوطها أو تحريفها إلى فساد المعنى ، فأثبت الزيادة ، وأصحح التحريف في الأصل ^(٢) .

٧ - وقد يوجد في الأصل تحريف أو تصحيف يؤدي إلى اختلاف النص وضياح معناه ، بينما يصح هذا المعنى ويتضح في نسخة أخرى ، فأضح الصحيح في الأصل ، وأشير إلى ذلك في الهامش ، حتى يتأدى المعنى ، كاملاً واضحاً ^(٣) كما قد تكون في الأصل زيادة تؤدي إلى اختلاف المعنى ، ويتضح هذا الاختلاف بإسقاط هذه الزيادة حسبما وردت في النسخ الأخرى ^(٤) ، أو قد يكون مكان العبارة أو الكلمة بياض بالأصل ، فيستكمل هذا النقص من النسخ الأخرى ^(٥) .

٨ - وقد يورد الأصل عبارات مكررة ، فأحذف المكرر ، وأنبّه إلى أن الصواب في حذفه ، كما أنني لم أدع خلافاً في قراءة من القراءات إلا انتهت إلى روايتها والمصدر الذي نقلت عنه .

٩ - وأخيراً تمّ بعمل فهرس جامع ، للكتاب يشتمل على موضوعاته التي تكلم عنها المؤلف مرتبة حسب ورودها فيه .

وفهرس للآيات القرآنية التي استشهد بها المؤلف على أنواعه البديمية ، مرتباً على حسب سُور القرآن ، وعلى حسب رقمها في السورة ، واكتفيتُ بذكر رقم الآية ورقم الصحيفة التي وردت فيها الآية .

(١) انظر باب صفة الأقسام من بديع القرآن (هامش) .

(٢) انظر باب هوامش باب الإيجاز من بديع القرآن .

(٣) انظر كلامه على آية ٣ من سورة يوسف باب الإيجاز .

(٤) انظر المكان السابق . (٥) باب العنوان من بديع القرآن .

(م)

حتى تمام الاستفادة من الفهرس . ووضعت فهرسا لقوافي الشعر مرتبا ترتيبا أبجديا ، كما أننى قمتُ بترتيب فهرس القوافي حسب البحور ، فجعلت ماورد من الشعر على وزن بحر واحد مرتبا حسب حركة القافية ، فابتدأتُ بالرفوعة ، ثم المفتوحة ، ثم المكسورة ، ثم الساكنة .

وعملت فهرسا لمراجع المؤلف منفصلا وحده عن مراجع التحقيق ، مبينا في هذا الفهرس المطبوع والمخطوط ، والموجود وغير الموجود القى لم أتمكن من الوصول إليه من هذه الكتب ومؤلفيها ؛ ورتبت هذا الفهرس على حسب اسم الكتاب كما عملت فهرسا للكتب التى استرشدتُ بها فى تحقيقه ، مرتبا أيضا ترتيبا أبجديا ، وبيّنتُ فى هذا الفهرس المطبوع من هذه الكتب وتاريخ الطبع ومكانه ، والمخطوط ورقه وفنه . وفهرسا للأعلام والقبائل التى وردت فى الكتاب ، مكتفيا بذكر الأعلام التى وردت لمناسبة ، وفهرسا للأيام التى وردت فى هذا الكتاب . وأرجو من هذا كله أن يستفيد الباحث ، وألا يجهد نفسه عند الرجوع إليه ، راجيا له التوفيق .

حنفى محمد شرف



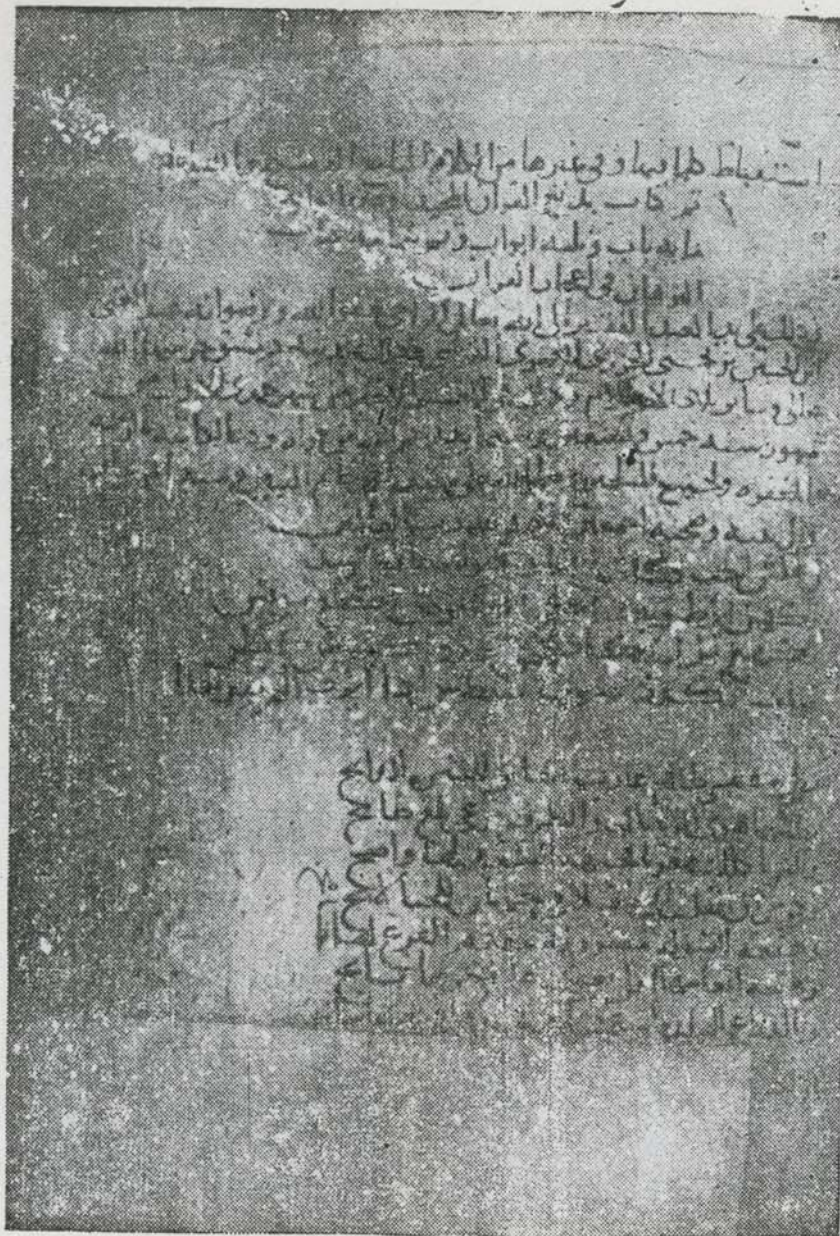
كتاب يدع القراء المحسنين
الشيخ زكي الدين عبد العظيم
أبو أي الأصبغ
رحمه الله تعالى

مأساقتهم المقادير الزمنية
التقريب إلى الله سبحانه وتعالى
السيد علي السباني
بمعاذ الله
والسليمين
أمن

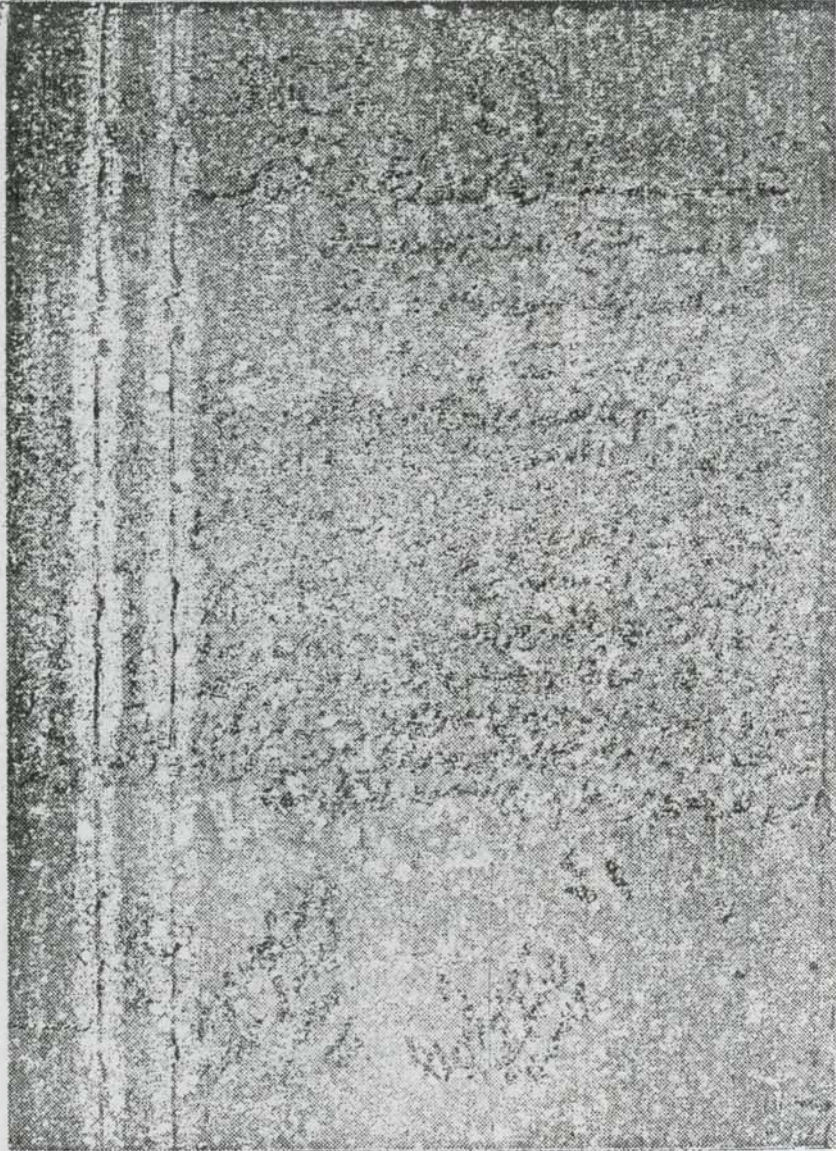
٩

صورة اللوحة الأولى من الأصل

[illegible]



صورة اللوحة الأخيرة من الأصل



صورة اللوحة الأولى من النسخة الرموز إليها بحرف ٥ ١ ٥

المسيرة رفيع المحمل
غفر الله له ولوالديه

بديع القرآن المجيد

لابن أبي الإصبع

٥٨٥ - ٦٥٤ هـ

تقديم وتحقيق

مفتي محمد شرف

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عليه^(١) توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

الحمد لله على ما منّ علينا^(٢) به من معرفة أسرار كتابه ، وكشف لنا عن مكنون فصل خطابه ، وصلواته على خاتم^(٣) أنبيائه وخير أحابيه ، وعلى آله وأصحابه .

- كتاب (بديع القرآن) — الذي هو تتمه للإعجاز^(٤) المترجم (بيان البرهان) أفردته من كتاب^(٥) هو وظيفة عمرى ، وثمرة اشتغالى فى إبان

(١) ورد مكان هذه العبارة فى د ، س « رب يسر وأغن » وفى « ت » « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » . أما فى (ا) و (ب) فإن المقدمة فىهما تختلف عن بقية الأصول . والنص فىهما كما يأتى :
« رب يسر برحمتك » .

قال الشيخ الإمام الفاضل الأوجذ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن ذى الإصبع العدوانى طول الله مدته ، ورفع فى الدارين درجته . الحمد لله الذى أنزل القرآن متشابهاً ، ومحكماً ، وجعل علم البيان إلى معرفة متشابهة سلباً ، أحده على ما علم من التأويل ، وألهم من كشف أسرار التنزيل ، وأصلى على نبيه الجليل ، الذى جاء القرآن على نبوته بأوضح دليل ، وجاء اسمه مكتوباً فى التوراة والإنجيل ، وحسبنا فى ذلك قوله : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل » . هذا بعد أن أجلت فصاحة قوله فيه : « يعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل » فصاحة قوله الملك الضليل (امرئ القيس بن حجر) وقذف بالحق على الباطل فدمغ الأباطيل ، صلى الله عليه وعلى آله خير آل ، وصحبه خير صحب ، وجعلهم خير جبل ، وبعد ، فإن كنت قد عنيت بجمع كتاب ... الخ

(٢) ساقطة من (ت) .

(٣) ساقطة من (ت) .

(٤) كذا فى الأصل . وعبارة باقى النسخ « تتمه الإعجاز » .

(٥) ساقطة من د ، ت ، س .

شبيبتي ، ومباحثي في أوان شيخوختي ، مع كل من لقيته من عقاء العلماء ،
وأذكياء الفضلاء ، ونُبلاء البلغاء في علم البيان ، وكل من له عناية بتدبر
القرآن ، ونظر ثاقب في نقد جواهر الكلام ، ومن له تمييز بين الذهب
والشبه^(١) من نُقود النثر والنظام^(٢) ، جمعتُه من كتاب وكتابين^(٣) ، منها
ما هو مُنفرد بهذا العلم ، ومنها ما هذا العلم داخل في أثنائه « كتنقدي^(٤) »
قدامة « و « بديع ابن المعتز^(٥) » « وحلية^(٦) المحاضرة للحاتمي » « وكشفت
عن « الحالى والعاقل » له الذى أشار إليه في (الحلية) فلم أظفر بمن يعترف
بوقوفه عليه ، إلا ابن منقذ في (بديعه) ، و « الصناعتين^(٧) للمسكرى » « والصدمة^(٨) »
لأبن رشيق « و « تزييف نقد^(٩) قدامة له » و « رسالة الأمدى في الرد^(١٠) »
على قدامة « و الموازنة بين الطائيين^(١١) » له ، و « كشف الظلامة للـسـوـفـقـ

١٠

(١) الشبه بالتحريك : النحاس الأصفر .

(٢) كذا في الأصل ، د ، ت س والذى في ا و ب « وكل نافذ بصير بجواهر
الكلام ، ومخرج بمذقه زبوف النثر والنظام » .
(٣) كذا في جميع الأصول . والذى في ا و ب « من ستة وسبعين كتاباً » .
(٤) كذا في الأصل ، ا ، ب والذى في د ، ت ، س « كتنقد » بدون ياء ، فأما نقد الشعر
فطبوع في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢ هـ وطبع سنة ١٩٤٨ م بتحقيق كمال مصطفى . ونقد النثر
مطبوع في مصر سنة ١٩٣٨ م بعناية وتحقيق الأستاذين القاضين طه حسين وعبد الحميد المبادى .
(٥) طبع في أوروبا سنة ١٩٣٥ م بعناية كراتشفسكى وفي مصر سنة ١٩٤٥ م بعناية
الأستاذ محمد عبد المزمع خفاجى .

(٦) لم أعر على هذين الكتابين فيما لدى من المصادر .
(٧) طبع عدة طبعات آخرها طبعة الحلبي سنة ١٩٥٢ م بتحقيق الأستاذين محمد ابى الفضل
ابراهيم وعلى البجاوى .

(٨) طبع في مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ وهى آخر طبعة له .

(٩) ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم أعر عليه .

(١٠) هى رسالة تبين غلط قدامة في نقد الشعر ، وهى مفقودة .

(١١) طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٩٤٤ م .

- البغدادى^(١) ، والنسك في الإعجاز^(٢) للرماني « والجامع الكبير^(٣) في التفسير » له « والبلاغة^(٤) له « وإعجاز ابن الطيب^(٥) الباقلاني ، ودلائل الإعجاز^(٦) للجرجاني « وأسرار البلاغة^(٧) له ، « والوساطة^(٨) له « وإعجاز ابن الخطيب^(٩) « وشرح أسماء الله^(١٠) الحسنى « له « وتفسيره^(١١) الكبير « والكشاف^(١٢) للزمخشري « وشرح أسماء

- (١) هو كشف الظلامة عن قدامة بن جعفر لموفق الدين عبد اللطيف البغدادى في البديع ، ذكره صاحب كشف الظنون ، ولم أعتز عليه .
(٢) مخطوط ومحموط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٩٨ تفسير تيمور .
(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ولم أعتز عليه .
(٤) لم يذكر في الكتب التي ترجمت له .
(٥) طبع في مطبعة دار السلام بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ وطبع أيضاً بهامش الإتيان للسيوطي ، وطبع أخيراً بتحقيق وشرح الأستاذ السيد أحمد صقر .
(٦) طبع عدة طبعات آخرها طبعة صاحب المنار سنة ١٣٢٠ هـ ، وله تعليقات عليه .
(٧) طبع عدة مرات آخرها طبعة المنار سنة ١٣٢٠ هـ .
(٨) وهم المؤلف في نسبة هذا الكتاب إلى عبد القاهر الجرجاني ؛ ولا أستطيع أن أنسب هذا الخطأ إلى الناسخ لأنني وجدته في جميع الأصول ، علماً بأن الناسخ مختلف ، والصواب أنه للقاضي أبي الحسن علي بن عبيد العزيز الجرجاني التوفي سنة ٣٦٦ هـ وامل الشبهة دخلت على المؤلف من القب (الجرجاني) الذي هو مشترك بين المؤلفين ، ولا تزال مثل هذه الشبه تدخل على كثير من الأعلام إلى يومنا هذا ، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها طبعة الحلبي بتحقيق وشرح الأستاذين أبي الفضل إبراهيم وعلي البجاوي سنة ١٩٥١ م .
(٩) وردت تسمية هذا الكتاب في (١) و (ب) بإعجاز القرآن لفخر الدين الخطيب وهو كتاب (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) ويبحث في علوم البلاغة ، وبيان إعجاز القرآن طبع في مطبعة الآداب سنة ١١٣٧ هـ .
(١٠) مخطوط ومحموط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ مجاميع .
(١١) هو المرووف بمفاتيح القيب ، طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٣٢٧ هـ .
(١٢) قال السيوطي عنه في (نواهد الأبيكار) بعد أن ذكر قدماء المفسرين : ثم جاءت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز ، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة ، ولذا صار كتابه في أقصى درجات الشرف ، وهو مطبوع عدة طبعات .

لله الحسنى لابن أبي البرجان^(١)، «والتفسير^(٢) لابن صمادح»، وتفسير ابن عطية^(٣) و«الوسيط في التفسير^(٤) للواحدى» و«أسباب^(٥) النزول له» و«فوائد^(٦) القرآن للقاضى عبد الجبار» و«أمثال^(٧) القرآن لابن حبيب» و«التمثيل^(٨) والمحاضرة للثعالبي» و«التعريف والإعلام^(٩) للشهيدى» و«الروض الأنف^(١٠)» له، و«الأمثال والحكم من كلام^(١١) سيد الأمم لأبى أحمد العسكري»، و«الأمثال

(١) هو كتاب كبير جمع فيه مؤلفه أسماء الله بما زاد على المائة والثلاثين ، كلها مشهورة وقسم الكلام فى كل اسم على ثلاثة فصول : الأول فى استخراجها ، والثانى فى الطريق إلى مسالكها ، والثالث فى الإشارة إلى التقيد بمحققاتها ، وابن البرجان هذا هو أبو الحكم عبد السلام ابن عبد الرحمن بن محمد الأشبيل المتوفى سنة ٥٣٦ هـ (كشف الظنون) .
(٢) لم أعر عليه فيما لدى من المصادر .

(٣) وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن أبى بكر بن غالب بن عطية الغرناطى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ لم يطبع .

(٤) يسمى بالحرر الوجيز فى تفسير كتاب الله العزيز ، وهذا الكتاب أحد كتب ثلاثة للمؤلف ، الأول (الوجيز) ، والثانى (الوسيط) ، والثالث (البسيط) ، وهو مخطوط ، ومنه عدة أجزاء فى دار الكتب المصرية .

(٥) مطبوع بمصر سنة ١٣١٥ هـ فى ثلاثة مجلدات . وبهامشه (الناسخ والنسوخ) لأبى القاسم هبة الله بن سلام .

(٦) وهو القاضى أبو الحسن عبد الجوار بن أحمد بن خليل الهمداني الإسترابادى شيخ المعتزلة فى عصره ، والمتوفى فى الرى سنة ٤١٥ هـ ولم أعر على هذا الكتاب له ، والذي عثرت عليه هو تنزيه القرآن عن المطاعين له ، فلعلة هو ، وإن كان مشكوك فى نسبته له .

(٧) لم أعر عليه فيما لدى من المصادر وهو ، للإمام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى الشافعى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ .

(٨) ويسمى (التمثيل والمحاضرة فى الحكم والمناظرة) طبعت منه مختارات فقط ، ومنه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٤٩٢ و ٦٠٠ و ٢٠٨٣ و ٢٠٨٣ أدب .

(٩) وهو التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن السهلى الأندلسى المالكي النحوى وهو للتعريف بما فى القرآن من الأسماء والأعلام ، وشرح آية الوصية ، ومنه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب برقم ٤٣٩ تفسير ٣٢ م .

(١٠) هو تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٣٣١ هـ وبهامشه السيرة النبوية .

(١١) هو لأبى أحمد الحسن بن عبيد الله بن اسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ هـ لم يطبع .

- للامهزمزي^(١) « والدلائل للبيهقي^(٢) » و « الأمثال لأبي عبيد القاسم^(٣) »
 ابن سلام « و « أمثال^(٤) الزمخشري « و « كلام بعض العلماء على قوله
 تعالى : « تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » « و « كلام بعض الفضلاء على ما جاء في
 الكتاب العزيز من الاستثناء « و « كلام القاضي بهاء الدين بن شداد رحمه الله
 على سورة الإخلاص « فإنه أستخرج منها ثلاثين فائدة « وما أستخرج
 بعض الفضلاء من الأحكام الستين من حديث « حبيب إلى من دنياكم
 ثلاث « وما أستخرج من الأحكام من حديث « يا أبا عمير ، ما فعل^(٥) [٢]
 التغير « و « الأمثال للميداني^(٦) » « والنصف لابن وكيع^(٧) التذيسى ،
 و « رسالة ابن عباد^(٨) في التنكيث أيضا على المتنبي وماخذه من أبي تمام ،
 وماخذ البحري من أبي تمام « و « نهج البلاغة^(٩) الإمام على عليه السلام ، ١٠

(١) لم أعثر على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر .
 (٢) مخطوط ومحموط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢ حديث وهو لأبي بكر
 أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري الفقيه الشافعي المتوفى
 سنة ٤٥٨ هـ .

(٣) طبع منه قسمان : الثامن والسابع عشر ، ومعهما ترجمتها باللغة اللاتينية سنة ١٨٣٨
 وطبعت كلها في مجموعة التحفة البهية والطرفة الشمية بالآستانة سنة ١٣٠٢ هـ .
 (٤) واسمه (المستقصى في أمثال العرب) ، ذكر فيه جملة من أمثال العرب ، وعنى
 في شرحها بإيراد قصصها ، وذكر النكتة والروايات فيها ، والكشف عن معانيها والإنباء
 عن مضارها ، والتقاط أبيات الشواهد مع الاختصار ، وتجريد الألفاظ عن الفضلات التي
 يستغنى عنها ، وقد رتبها على حروف المعجم ، ومنه عدة نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية
 برقم ١٤٢٣ ، أدب ، ١٠٢ م ، ٧٢ ش .
 (٥) لم أعثر عليه .

(٦) وهو نيف وستة آلاف مثل ، طبع عدة طبعات آخرها طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ .
 (٧) هو في الدلالات على سرقات المتنبي لأبي محمد الحسن بن وكيع الشاعر المتوفى
 سنة ٣٩٣ مخطوط ، ولم يعثر إلا على الجزء التاسع منه في مكتبة برلين .
 (٨) لم أعثر عليها فيما لدى من المصادر ، ولعلها طبعت في مجلة ثقافة الهند .

(٩) هو كتاب مشهور ، وفي نسخته لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه خلاف ليس
 هذا عمله ، وقد طبع عدة طبعات ، كما شرحه عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المعروف
 بابن أبي الحديد الدائمي ، وشرحه أيضاً ميثم بن علي بن علي بن ميثم البحراني (انظر شرح
 نهج البلاغة) .

و « نظم القرآن للجاحظ^(١) والبيان والتبيين^(٢) له » و « الخطب النباتية^(٣) »
 « ودرة التنزيل وغرّة^(٤) التأويل للخطيب » و « تنقيح البلاغة لمحمد^(٥) بن أحمد
 العميدى » و « الفصل والوصل لأبن أبي البرّجان^(٦) » و « شرح الحاسة للتبريزي^(٧) »
 « والبديع له^(٨) » و « شرح الأشعار الستة للسكّري^(٩) » و « شرح^(١٠) المقصورة لأبن
 خالويه » و « القيمة للثعالبي^(١١) » و « أجناس التجنيس^(١٢) له » و « دمية^(١٣) »

- (١) ذكره الباقلاّنى فى إعجازه ص ٧ ، ولكنه غير موجود .
 (٢) طبع عدة طبعات آخرها طبعة سنة ١٩٤٩ م بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
 (٣) ويسمى ديوان خطب ابن نباتة وهو مطبوع فى بيروت .
 (٤) هو للخطيب الإسكافى مطبوع سنة ١٣٢٦ هـ .
 (٥) لم أعتز عليه .
 (٦) كذا فى الأصل و ا ، ب ، د ، س ، والذى فى ت ابن أبى البركات ولكن لم أعتز
 على الكتاب فيما لدى من المصادر .
 (٧) وهو ليحيى بن على بن الحسن بن محمد بن موسى بن الخطيب أبى زكريا الشيبانى
 النحوى اللغوى التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وهذا الكتاب طبع فى مصر سنة ١٢٩٦ هـ
 فى مدينة « بن » سنة ١٨٢٨ م ومعه مقدمة وملاحظات باللفة اللاتينية للأستاذ جورج
 فرناج وفيه أيضاً فهرس لأسماء الشعراء : وفهرس للأماكن ، وفهرس للقوافى .
 (٨) لم أعتز عليه فيما لدى من المصادر .
 (٩) مخطوط وهو لأبى سعيد عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عبد الرحمن بن العلاء
 ابن أبى صفرة السكّرى النحوى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وقيل سنة ٢٩٠ هـ .
 (١٠) وهى قصيدة لابن دريد مدح بها ابن ميكائيل ، ويصف مسيره إلى فارس وتشوقه
 إلى البصرة وإخوانه بها ، وقد شرحها أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد ابن خالويه بن جدان
 الهمداني اللغوى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وهى مخطوطة ومحفوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم
 ١١٧٧ أدب ، ٣٤ ش .
 (١١) وهو كتابه (قيمة الدهر فى شعراء أهل العصر) لأبى منصور عبد الملك بن اسماعيل
 الثعالبي النيسابورى المتوفى سنة ٤٧٩ هـ وقد جعلها ذيلاً لكتاب (البارخ فى أخبار الشعراء
 المولدين) لأبى عبد الله هارون بن على بن يحيى بن أبى منصور المنجم البغدادى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ
 وقد طبع بدمشق سنة ١٢٨٢ هـ .
 (١٢) لم أعتز على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر .

(١٣) هو كتاب فى التراجم يظهر غرضه من تأليفه بما قاله فى أوله : « وقد فهرست
 أسامى الفضلاء ، ثم فرقت عليها نظرى أروّساً وأقلاماً ، وجملت طبقاتها المرتبة أقساماً ، ثم
 أخرجت أقسام طبقات الأسماء على عدد طبقات السماء ، فلكس مقام فى مقال ، ولكل طبقة =

القصر للباخرزي» و «الخريدة»^(١) للمعاد الكاتب الأصهباني ، و «العقود والاعتذار»^(٢) و «محاضرات الراغب»^(٣) و «شرح سقط الزند

= منها رجال ، و هم أزواج ثلاثة : منهم السابقون الأولون ، ومنهم اللاحقون المخضرمون ، ومنهم المحدثون المصريون ، وقد رتب هذا الكتاب على سبعة أقسام :

- ١ — في محاسن شعراء البدو والحجاز .
 - ٢ — في طبقات شعراء الشام وديار بكر وأذربيجان والجزيرة وبلاد المغرب .
 - ٣ — في فضلاء العراق .
 - ٤ — في شعراء خراسان وقبستان وسجستان وغزنة .
 - ٥ — في شعراء الري والجلال .
 - ٦ — في فضلاء جرجان ، واستر اباد ، ودهستان ، وقوس ، وخوارزم ، وما وراء النهر .
 - ٧ — في طبقات من أئمة الأدب لم يجر لهم في الشعر رسم .
- وابتدأ هذه الأقسام كلها بفصل سماه تاج الكتاب ذكر فيه منزلة كتابه هذا بين سائر الكتب وعلو درجته عند الأدباء ، ثم يورد قصيدته البائية المشهورة التي أولها :
- عشنا إلى أن رأينا في المهوى عجا كل الثمور وفي الأمثال عش رجبا
- والباخري ، هو الأديب أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري
- فقتوى مقتولا بمجلس الأنس يباخر في شهر ذي القعدة سنة ٤٦٧ هـ ، وقد ورد في كشف
- الظنون أنه جعلها ذبلا « ليتمة الدهر في شعراء أهل العصر » للشيخ أبيوري وهي مخطوطة
- ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٣٣ ش .

(١) وهي للوزير محمد أبي عبداقه بن أبي الرجاء حامد بن عبد الله بن علي الكاتب الأصهباني الملقب بابن أخي العزيز صاحب تكريت المولود بأصبهان سنة ٥١٠ هـ والمتوفى بدمشق سنة ٥٩٧ هـ ودفن بمقابر الصوفية . وقد ذكر صاحب كشف الظنون أن المؤلف جعلها ذبلا على كتاب (زينة الدهر في عصرة أهل العصر) لأبي المالئ سعيد بن علي المعروف بالوراق الخطير الذي جعله ذبلا على « دمية القصر » ولكن النسخة الموجودة في دار الكتب المصرية ليس عليها ما يدل على ذلك . فلعل صاحب « كشف الظنون » قد اطلم على نسخة أخرى ذكر فيها المؤلف ذلك ، والموجود منها في دار الكتب ستة أجزاء في ستة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة خطية محفوظة بمكتبة باريس الأهلية ومحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٢٥٥ دب وقد طبع منها قسم شعراء مصر بتحقيق الأستاذ أحمد أمين ، الدكتور شوقي ضيف ، الدكتور إحسان عباس . وطبع في دمشق قسم شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل سنة ١٩٥٥ م

(٢) لم أعتز على هذا الكتاب فيما لدى من المصادر على كثرتها ؛ ولعل في هذا الاسم تحريفا ؛ فتأمل .

(٣) ويسمى (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) للعلامة أبي القاسم الحسن ابن الفضل المعروف بالراغب الأصهباني ، أوله : الحمد لله الذي تقصر الأفطار أن تحويه النج .. اختار فيها من نكت الأخبار وعيون الأشعار فصولا في محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء وتحرى فيما أخرجه من كل باب غاية الاختصار ، واعفاء من الإكثار وقد طبع عدة طبعات آخرها سنة ١٢٨٧ هـ .

لابن البَطْلَيْوسِي^(١) و « رسالة الصَّوْلِي^(٢) التي قدَّمها على شعر أبي نواس »
و « رسالته في أخبار أبي تمام » و « شرح الإِشْرَاق^(٣) للبَلَّاذُري »
و « السَّيْل^(٤) إلى معرفة سبيل التَّزْيِيل » و « الْغُرَر^(٥) والدُّرَر للشَّريف
المرتَضَى رَحِمَهُ اللهُ » و تنزيه الأنبياء عليهم السلام^(٦) له « و طيف الخيال له^(٧) »
و كتاب^(٨) الصَّرفَة له ، « وجواهر^(٩) القرآن للغزالي » و إحياء علوم^(١٠)
الدين له « ورسالت^(١١) الخاتمي اللتين عملهما على شعر المتنبي: إحداهما في مأخذه ،

(١) وهى لأبي محمد عبدالله بن محمد المعروف بأبي محمد البطليوسى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ
وقد طبع ضمن شروح سقط الزند التى نشرتها لجنة إحياء آثار أبي الملاء .

(٢) موجودتان فى ديوان أبي نواس رواية الصولى وديوان أبي تمام رواية الصولى
تحقيق وشرح الدكتورين عبده عزام ، و خليل عساكر .

(٣) وردت هذه التسمية هكذا فى جيم الأصول ، ولعله يقصد به أنساب الأشراف
ومنه أجزاء مطبوعة .

(٤) لم أعثر عليه .

(٥) يسمى (غرر الفوائد ودرر القلائد) واشتهر (بأمالى المرتضى) تأليف أبى
القاسم على بن الطاهر بن أحمد بن الحسين بن موسى الحسبى نقيب الطالبين ببغداد سنة ٤٣٦ هـ ،
وقد طبع عدة طبعات آخرها الطبعة الحلية سنة ١٩٥٤ م بتحقيق الأستاذ أبى الفضل
إبراهيم .

(٦) لم أعثر عليه .

(٧) منه نسخة مخطوطة بالأسكوريال وطبع أخيرا سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ م بتحقيق
الأستاذ محمد سيد كيلانى .

(٨) لم أعثر عليه .

(٩) وهو مطبوع تأليف أبى حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام
زين الدين الطوسى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ :

(١٠) وهو مطبوع ويعتبر أوسع كتب الغزالي وأشملها رأيه .

(١١) لم أعثر إلا على الرسالة الخاتمية فى موافقة شعر المتنبي لإسلام أرسطوطاليس
فى معجم الأدباء فى ترجمته ، وعلى الرسالة مفردة مصورة ومخطوطة ومخطوطة بالدار تحت رقم
١٦٨ هـ ؛ أدب وطبع مع التحفة البهية ، أما الرسالة الثانية وهى رسالة له يشرح فيها ماجرى
بينه وبين ابى الطيب من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ، فلم أعثر عليها ولقد دلت الرسالة
الأولى على غزارة مادته وتوفر اطلاعه (معجم المطبوعات اسكريس) .

- والأخرى في مآخذ الجيلة « ووقعة الأدم » له أغنى الحاتمي . و « المجاز للشريف ^(١) الرضى » رحمه الله « والمجاز ^(٢) لأبي عبيدة » « والشفأ ، في تعريف حقوق المصطفى للقاضي ^(٣) عياض » رحمه الله و « شرح ^(٤) حديث أم زرع له » و بديع الحديث الذي تلخصه منه ، وأفرده عنه ، و « الحديقة ^(٥) للحجاري (براه مهمله) ، وهو صاحب المسهب في أخبار أهل المغرب » ، « وقلائد العقيان ^(٦) لابن خاقان » ، و « الفصاحة ^(٧) لابن سنان الخفاجي » و « مقامات البديع ^(٨) »

(١) وهي لأبي الحسن محمد بن الطاهر أحمد بن موسى المعروف بالموسوي قتيب الاشراف بغداد . وطبع أخيراً بعناية وتحقيق الأستاذ عبد الفتى حسن .

(٢) طبع أخيراً بعناية الدكتور فؤاد شركين من استانبول وطبع بمطبعة السعادة .

(٣) طبع هذا الكتاب عدة طبعات آخرها سنة ١٣١٣ هـ وهو للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي المالكي الأندلسي الأصل المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

(٤) لم أعتز عليه فيما لدى من المصادر .

(٥) وهو كتاب في البديع لعبد الباقي بن محمد بن سعيد المتوفى في بالنسبة سنة ٥٠٢ هـ وهو منسوب إلى وادي الحجارة بالأندلس ولم أعتز عليه .

(٦) هو قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، جمع فيه مؤلفه طائفة من شعراء المغرب وجملة من أشعارهم ، وجمعه على أربعة أقسام : (١) في محاسن الرؤساء وانبائهم (٢) في غرر حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء (٣) في لمع أعيان الفضاة ولم أعلام الملوك السراة (٤) في بدائهم نباء الأدباء وروائع فنون الشعراء ، وقد تسكاه على ترجمة كل واحد من هذه الأقسام بأحسن عبارة طبع سنة ١٢٨٣ هـ وكان مؤلفه أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان الأشبيلي الوزير المتوفى سنة ٥٣٥ هـ قدمه للأمير يوسف بن تاشفين .

(٧) وهو للأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبي محمد الخفاجي الحلبي الشاعر الأديب المشهور المتوفى سنة ٤٦٦ هـ طبعت عدة طبعات آخرها بتحقيق الشيخ عبد المتعال الصعدي م ١٩٥٢

(٨) وهو لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف ببديع الزمان المتوفى مسجوما بمدينة هراء وقيل مات بالسكة في يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٨ هـ وهو إحدى وخمسون مقامة أملاها في أواخر مجالته في الجمع وأنشأها على لسان راوية له بسميه عيسى بن هشام وزعم أنه حدثه عن بلع بسميه أبا الفتح السكندى وهو سابق على الحريرى في تأليف المقامات ونسج الحريرى على منواله ، وصرح بذلك في مقدمة مقاماته ، وطبعت هذه المقامات عدة طبعات في الجواثب بالآستانة سنة ١٢٢٨ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٩ م بشرح الشيخ محمد عبده .

ورسائله^(١) ، « مقامات الحريري »^(٢) « والمثل »^(٣) السائر لابن الأثير ،
والوشى^(٤) المرقوم له ، « والإقناع للصاحب ابن عباد »^(٥) ، « وبديع أبي إسحاق »^(٦)
الأجدابي صاحب (كفاية المتحفظ) ، « والعقد لابن عبد ربه »^(٧) ،

(١) طبعت هذه الرسائل ومعها خزائن ابن حجة الموحى سنة ١٣٠٤ هـ كما طبعت في
الاستانة سنة ١٢٩٧ هـ .

(٢) وهى تأليف الإمام الأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري
البصري المولود سنة ٤٤٦ هـ والمتوفى بالبصرة في سكة بني حرام سنة ٥١٦ هـ وهى خمسون
مقامة تحتوى على جد القول وهزله ، ورقيق للفظ وجزله ، وملح الأدب ونوادره ،
يقول فيها :

وشحتها بالآيات ، ومحاسن الكنايات ، ووضعت فيها من الأمثال العربية ، والاحاديث
النحوية والفتاوى الفقهية والرسائل المتكررة والخطب المحيرة والمواعظ المبكية والأضاحيك
المهذبة ، وهى مملأة على أي زبد السروجى ورواية الحارث بن حماد البصري ، وهى مطبوعة
عدة طبعات في مصر وليدن .

(٣) وهو تأليف الامام العلامة أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن
أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المولود
بجزيرة ابن عمر في يوم الخميس العشرين من شهر شعبان سنة ٥٥٨ هـ والمتوفى في بغداد
سنة ٦٣٧ هـ وهو عبارة عن كتاب لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة
الاحكام وجمع فيها ضروريا كثيرة من علم البيان ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة إلا ذكره
ورتبته على مقدمة ومقالتين فالمقدمة تشتمل على أصول علم البيان ، والمقالتان على فروعها : الأولى
في الصناعة النظمية ، والثانية في الصناعة المعنوية طبع بمصر سنة ١٢٨٢ هـ .

(٤) ويسمى الوشى المرقوم في حل المنظوم وبنى تأليفه على مقدمة وثلاثة فصول :
الأول في حل الشعر ، والثاني في حل آيات القرآن ، والثالث في حل الأخبار النبوية وكثير
ما يحيل عليه المثل السائر طبع ببيروت سنة ١٢٩٨ هـ .

(٥) وهو كتاب في العروض للوزير ابن القاسم اسماعيل بن عياد بن العباس بن عياد
ابن إفرس الطالقاني الملقب بالصاحب ابن عياد المتوفى سنة ٣٣٥ هـ مخطوط ومحفوظ بدار
الكتب المصرية تحت رقم ٢ ش

(٦) وهو لأبي إسحاق إبراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي المعروف
بأبي الأجدابي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ صاحب (كفاية المتحفظ) في اللغة .

(٧) وهو الامام الفقيه أبي عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي المولود في اليوم
العاشر من شهر رمضان سنة ٢٤٦ هـ والمتوفى بقرطبة في يوم الأحد الثامن عشر من شهر جمادى
الأولى سنة ٣٢٨ هـ رتبته على خمسة وعشرين كتابا وجعله جامعا لأكثر المعاني التي تجري على
أنواع العامة والخاصة وتدور على السنة الملوك والسوقة ، وحلى كل كتاب من كتبه بشواهد من =

- «ورسالة^(١) القاضي الفاضل رحمه الله في البلاغة»، «وبديع شرف الدين^(٢) التيفاشي»
 «وقد جمع فيه ما لم يجمع غيره، لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها
 فانتقد عليه فيها ما انتقد على غيره، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه^(٣)»
 «وبديع ابن منقذ^(٤)» على ما فيه من التوارد^(٥) والتداخل وتسمية أقسام
 الباب الواحد أبوابا، وضم أنواع المآخذ، وأصناف العيوب إلى المحاسن والاعتداد
 بها في عدة أبواب المحاسن، ومخالفة الشواهد والتراجم، إلى فنون من الزلل،
 وضروب من الخلل، يعرف صحتها من وقف على كتابه، وأنعم النظر فيه، [٢]
 وتدبر جملة معانيه، وإن كان قلما رأيت في هذا الفن كتابا خلا من موضع
 نقد بحسب منزلة واضعه من العلم والدراية، فمن قليل ومن كثير، وكل أحد
 مأخوذ من قوله ومتروك، إلا من عصم الله سبحانه من أنبيائه صلوات الله عليهم
 وسلامه، والسعيد من عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ، وما أبرئ نفسي، ولا أدعى سلامة
 وضي دون أبناء جنسي؛ غير أنني توخيتُ تحرير ما جمعته جهدي، ودققت
 النظر حسب طاقتي ووُسْعِي، فتجنبْتُ التداخل، وتحرست من التوارد،
 ونفخت ما يجب تنقيحه، وسمحت ما قدرت على تصحيحه، ووضعت كل
 شاهد في موضعه، وربما أبقيت أسم الباب وغيّرت مسماه، إذا رأيت اسمه
 لا يطابق معناه، إلى أن جمعتُ من ذلك خمسة وتسعين بابا أصولا وفروعا،

== الشعر تجانس الاخبار في معانيها طبع عدة طبعات آخرها طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
 بعناية المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد أمين وزملائه سنة ١٣٥٩ هـ، سنة ١٩٤٠ م.

(١) لم أعثر عليها .

(٢) لم أعثر عليه .

(٣) العبارة التي بين قوسين ساقطة من الأصل، د، س، ت وقد أثبتتها عن ا و ب .

(٤) وهو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكيلاني

الكلبي الشيرازي الملقب بمؤيد الدولة محب الدين، من اكابر بني منقذ وعلماهم وشجعانهم
 المتوفى سنة ٥٨٤ هـ وبديعة مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٥ .

(٥) في الأصل د، س، «النوادر» وهو تحريف، والتصويب عن ا و ب وت .

فالأصول منها ما انتسب لاختراع الأولان تدوينه ، وهما قدامة بن جعفر الكاتب ، وابن المعتز ، وعدتها ثلاثون بابا بعد حذف ما تواردا عليه منها ، وما تداخل عليهما فيها ، وخمسة^(١) وستون بابا لمن جاء بعدها ، إلى زمني هذا على ما قدمت من الشرائط ، ورأيت أن أضيف إلى ذلك الأصل والمضاف فذلك لآكة أنا مخرج أسمائها ، ومستخرج شواهد ها ، فاستنبطت^(٢) واحدا وثلاثين^(٣) بابا

(١) كذا في الأصل ، د ، ت ، س والذى في اوب « اثنين وستين »

(٢) كذا في الأصل ، د ، ت ، س والذى في اوب « خمسة وثلاثين » وهو تحريف .

(٣) زيادة في اوب هذا نصها « فصار مجموع الأبواب مائة وستة وعشرون بابا يأتي تفصيل ما يختص بهذا الكتاب من اسمائها في مواضعها إن شاء الله تعالى ومن أراد استيعاب جميعها فعليه بالكتاب الجامع لهذا المترجم بتحرير التحرير في بديع الكلام جملة من شعر ونثر على اختلاف أنواعه واتفاق في ذلك من الكتاب العزيز والسنة النبوية مشحون بديع الآيات الفرقانية ، والأشكال العربية ، والفقر الحكيمة ، والأبيات البارة ، والفصول الزائفة ، والأحاديث النبوية ، وكنت وسمته بتحرير التحرير وثلث اختصاره فلم أجد إلى ذلك من سبيل لارتباط بعضه ببعض ، ودعاء الحاجة إلى كل ما فيه ، وتعليق معانيه بمعانيه ، ورأيت أني إذا أفردت الأبواب المختصة بالقرآن كان ذلك اختصارا نافعا تتميز به بلاغة القرآن ، وبديعته ، ويسهل استخراج إعجازه وتقريب طرق إطنابه وإيجازه ، وأكون قد أتيت من ذلك بما لم أسبق إليه فأفردت الأبواب المختصة بالكتاب فكانت مائة باب وستة أبواب وهي : الاستمارة ، الجناس ، الطباق ، رد الأعجاز على الصدور ، المذهب الكلاسي ، التتميم ، الاستطراد ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، حسن التضمن ، الكناية ، المبالغة ، التشبيه ، عتاب المرء نفسه ، حسن الائتلاف ، صحة الأقسام ، صحة المقابلات ، صحة التفسير ، ائتلاف اللفظ مع المعنى ، المساواة ، الإشارة ، الأرداف ، التمثيل ، التمكن ، التوشيح ، الإيغال ، الاحتراس ، المواربة ، التردد ، التعطف ، التفويف ، التسهم . التورية الترشيح ، الاستخدام ، التغاير ، الطاعة والعصيان ، التعليل ، العكس ، القدم ، الاستدراك السلب والإيجاب ، الاستثناء ، التلقف ، جمع المختلفة والمؤتلفة ، التوهيم ، الأطراد ، التكميل المناسبة التكرار ، نقي الشيء بإيجابه ، التفصيل ، التذييل ، حسن النسق ، الانسجام ، براعة الاختصاص ، التعليق ، الإدماج ، الاتساع ، الحجاز ، الإيجاز ، سلامة الاختراع ، الانباع ، حسن الانباع ، التوليد ، التكميت ، الالتزام ، تشابه الأطراف ، التوأم ، التخير ، التدييع ، التمزج الاستقصاء ، البسط ، العنوان ، الإيضاح ، الحيدة والانتقال ، الشماعة ، التهمك ، التندير الإسجال ، الفرائد ، الاقتدار ، الزاها ، التسليم ، الافتنان ، المراجعة إثبات ، الشيء بنفيه عن

لم أُسبقَ في غلبة ظنّي إلى شيء منها ، إلا أن يوجد في زوايا الكتب شيء من ذلك لم أقف عليه ، فأكون أنا ومن سبقني متواردين عليه ، وما إخال ذلك إن شاء الله تعالى . فأضفت ما استنبطت إلى الأصل والمضاف الذي جمعت فصارت الفذلكة مائة باب وستة وعشرين باباً كلها في كتابي الجامع لبيدع جميع الكلام الموسوم « بتجوير التحرير » . ولما فتّح على بعمل الكتاب الذي وسمّته ببيان البرهان في إعجاز القرآن وعلمت أنه لا بدله من تنمة تتضمن ما في الكتاب العزيز من أبواب البديع ، فأفردت ما يختص بالقرآن ، فكان ذلك مائة باب وثمانية^(١) أبواب ، وعند سياقة الأبواب مفصلة تتحرى إن شاء الله تعالى العدة ، وهذا أوّان سياقة الأبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

== غير ذلك الشيء ، الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة والمعنى حسناً ، الرمز والإيماء ، المناقضة ، الانفصال ، الابداع ، حسن الخاتمة ، وأمثلة جميع هذه الأبواب من الكتاب العزيز ، ولم اشترك معه غيره خلا موضوع نادر أذكر فيه البيت والبيتين ، ولعل المواضع التي أذكر فيها ذلك ما تتجاوز العشرة .

(١) كذا ورد هذا العدد في كتاب الأم لبديع القرآن . أما في نسخة أوب فقد ورد عدد الأنواع فيهما مائة باب وثلاثة أبواب وزيد في ب على الهامش ثلاثة أبواب أيضاً ، فلعل هذه الزيادة اثبتتها بعض قراء تلك النسخة . والحقيقة أن الذي ورد في جميع الأصول مائة باب وتسعة أبواب . فليلاحظ .

الباب الأول

وهو باب الاستعارة*

قد اختلف في تعريف الاستعارة ، فقال الرّمانى^(١) : هي تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللّغة على سبيل النّقل . وأبطل ابن الخطيب ذلك من أربعة أوجه :

[٤]

الأول : أنه يلزم أن يكون كل مجاز استعارة ، وذلك باطل .

الثاني : أن تكون الأعلام المنقولة استعارة ، وهو محال .

الثالث : أن يكون ما استعمل من اللفظ على سبيل الغلط في غير موضعه للجهل به استعارة . وهذا الوجه عندي فيه نظر .

الرابع : أن هذا التعريف يعنى تعريف الرّمانى لا يتناول الاستعارة

بحجتها في البيان والتبيين ١ : ١٥٢ ، وقواعد الشعر لثعلب : ٤٧ ورغبة الأمل على الكامل ١ : ١٩٦ والبدیع لابن المستر : ١٩ ، ونقد الشعر : ١٠٤ وجواهر الألفاظ لقدامة : ٥ والوساطة : ٣٤ والمعدة ١ : ٢٣٩ ، والصناعتين : ٢٦٨ وأسرار البلاغة : ٤٧ والنسكت لارمانى : ١٨ ، وبدیع ابن منقذ خط ٢ ، وفتح العلوم : ١٩٦ ، والمثل السائر : ٢١٤ ، وروضة الفصاحة بخطوط : ٢٠ ، والإيضاح للقزوينى : ٤٣ ، وخزانة ابن حجة : ٤٧ ، والبيان للزمكافى خط : ٩ ، والطراز لليعنى ١ : ١٩٧ ونهاية الأرب ٧ : ٤٩ ، وحسن التوسل : ٢٠

(١) النسكت في إعجاز القرآن له ورقة ١٨

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز له : ٨١ ، ٨٢

(م - ٢ - بدیع القرآن ب)

التخييلية^(١)، وقال فخر الدين : والأقرب أن يقال : الاستعارة ذكر الشيء بأسم غيره ، وإثبات ما لغيره له للمبالغة في التشبيه ، ققولنا : ذكر الشيء بأسم غيره احتباس عما إذا صرح بذكر المشبه كقولك : « زيدٌ أسد » فإنك ما ذكرت زيدا بأسم الأسد ، بل ذكرته بأسمه الخاص ، فلا يكون استعارة .

وقولنا : « وإثبات ما لغيره له » إنما ذكرناه ليتدخل فيه الاستعارة التخيلية ، وعندى في هذا الموضع نظر أيضاً . وقال أعنى فخر الدين^(٢) الرازى : ويقال : الاستعارة عبارة عن جعل الشيء الشيء ، أو جعل الشيء للشيء للمبالغة في التشبيه . كقولك : « لقيت أسداً » وأنت تعنى أنك لقيت شجاعاً ، وعندى في هذا الموضع الآخر نظر أيضاً .

وقال ، أعنى فخر الدين : الاستعارة جعل الشيء للشيء ، كقول لييد :

« إذ أصبحت بيد الشمال زمأها^(٣) »

(١) الاستعارة التخيلية هي دائماً تكون في الاستعارة المكنية بإثبات الأمر المختص بالمشبه به .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل قيمة لا تنفع

شبه المنية في نفسه بالسيم في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهي الأظفار التي لا يمكن ذلك الاعتبار في السيم إلا بها فهذه استعارة مكنية وإثبات الأظفار للمنية استعارة تخيلية . هذا تفسير الخطيب القزويني للاستعارة التخيلية .

أما السكاكى : فيقول الاستعارة التخيلية هي أن يكون المشبه المتروك شيئاً وهمياً عضاً لا تحقق له إلا في مجرد الوهم .

(٢) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : ٨٢

(٣) هذا عجز بيت له صدره : * وغداة ربح قد وزعت ورقة * وروايته في القصيدة : « وقد كشفت ورقة » ، « قد أصبحت » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

يريد أنه رب غداة ربح وبرد قد دفعها عن العفاة بنحر الجزر لهم والإطعام وإذكاء النار لدفعهم وقراهم ، وإنما خص الشمال لأنها أبرد الرياح .

ديوانه ورقة ٢٠ مخطوط وم محفوظ بدار الكتب تحت رقم ٤٧ ، أدب

فأثبت اليد للشمال وغرضه المبالغة في تشبيه قدرة الشمال على التصرف باليد . وقلت أنا : « الاستعارة تسمية المرجوح الخفيّ بِأَسْمِ الراجح الجليّ » ، وهذا المعنى وإن كان غير قول فخر الدين رحمه الله تعالى : « هي جعل الشيء للشيء المبالغة في التشبيه » ، لأنك إذا سميت المرجوح الخفيّ بِأَسْمِ الراجح الجليّ « فقد جعلت ما للراجح الجليّ للمرجوح الخفيّ » من الرُّجْحَان والظهور ، فتكون قد بالغت في تشبيه المستعار له بالمستعار منه (فالعبارة الثانية أرسق ؛ وإذا عرفت الاستعارة فأعلم أنها على ضربين ^(١)) : مرشحة ومجردة ، لأن المتكلم إما أن يراعى جانب المستعار (منه ^(٢)) أو المستعار له فقط ، والأول هو الترشيح ، والثاني هو التجريد ، ومثال الأول قول الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ^(٣) ﴾ فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المرأى ١٠ هاهنا ، وهو الذي رشح لفظي الربح والتجارة للاستعارة ^(٤) لما بين الشراء والربح والتجارة من الملاءمة .

ومثال المجردة قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ^(٥) ﴾ فإن هذه الآية لو نظر فيها إلى المستعار وهو اللباس لقليل : فكساها الله لباساً ، ولكنّها نظر فيها إلى المستعار له وهم المفعول بهم (ذلك ^(٦)) وعلى ظاهر ١٥

(١) هذه العبارة التي بين قوسين عن الأصل ، د ، س ، ت وفي ب أخصر وأحسن .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، ا ، ب وهي عن د ، س ، ت ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٣) سورة البقرة آية ١٦ (٤) في الأصل « واستعارة » وفي د ، س ، ت ، والاستعارة وما أنبتاه عن ا ، ب وهو الصواب .

(٥) سورة النحل آية ١١٢

(٦) تكملة عن ا ، ب ، د ، س ، ت

[٥] هذا النظم إشكال قد أجبتُ عنه بعد تقريره ليس هذا موضع ذكره ، وسيأتى في مكانه . وكلٌّ من الاستعارتين ينقسم إلى قسمين : قسم يأتى الكلام فيه على وجهه فلا يفيدُ إلا بعضَ مطلوبات الاستعارة ، ومطلوباتها ثلاثة : المبالغة في التشبيه ، والظهور ، والإيجاز . وقسم يأتى الكلام فيه على غير وجهه ، فيفيد جميع مطلوبات الاستعارة . مثال الأول قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ^(١)﴾ استعيرت الأم ^(٢) للأصل ، فلم تُفدِ هذه الاستعارة سوى الظهور ، لأن الأم أظهر للحس من الأصل ههنا . ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ^(٣)﴾ فإنَّ وجهَ الكلام أن يقال : واشتعل شيب الرأس ، ولو جاء الكلام كذلك لأفاد الظهور فقط دون المبالغة ، (واللفظ الأول يعطى عموم الشيب جميع نواحي الرأس ^(٤)) كما أنك إذا قلت : اشتعلت نار البيت ، صدق ذلك على اشتعال النار في بعض نواحيه دون بقيته ، بخلاف ما إذا قلت : اشتعل البيت نارا ، فإنَّ مفهوم ذلك اشتعال النار على كل البيت بجميع أجزائه ، ومثل هذه الاستعارة قوله تعالى : ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ^(٥)﴾ ؛ ولو قيل : وفجَّرنا عيون الأرض ، لم يعط أن الأرض كلها صارت عيونا ، ويفيد ذلك لفظ القرآن .

(١) سورة الزخرف آية : ٤

(٢) استعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول وحكمة ذلك تشبيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرثيا .

(٣) سورة مريم آية : ٤

(٤) العبارة التى بين قوسين عن الأصل ، د ، س ، ت أما عبارة ا ، ب فهى «لأن اللفظ الأول لا يعطى عموم الشيب جميع نواحي الرأس بحيث لم يبق موضع إلا عمه كما يعطيه لفظ القرآن »

(٥) سورة القمر آية : ١٢

- وتنقسم الاستعارة من غير هذا الوجه خمسة أقسام : استعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس ، وهي الاستعارة الكَثيفة ، واستعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول ، وهي الاستعارة المركبة من الكَثيف واللَّطيف ، واستعارة المحسوس للمعقول^(١) ، وهي ألطف من المركبة ، واستعارة المعقول للمعقول للمشاركة في أمر معقول ، وهي ألطف الاستعارات . مثال الأولى قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾^(٢) فإن أصل الموج تحريك المياه ، فاستعير لحركة أجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة ، ومن هذا القسم قوله تعالى : ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾^(٣) فإن خروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر الأول إلى حين طلوع الشمس أولاً فأولاً أشبه الأشياء بخروج النفس شيئاً فشيئاً ، ومثال الثانية قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَنْهُمْ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾^(٤) فإن المستعار له الريح ، والمستعار منه ذات النتائج ، والمستعار العقيم^(٥) ، وهو عدم النتائج ، والمشاركة بين المستعار له ، والمستعار^(٦) منه في عدم النتائج وهو شيء معقول ، ومثال الثالثة قوله تعالى : ﴿ بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٧) فالقذف والدماغ مستعاران وهما محسوسان ، والحق والباطل

(١) لم يأت القسم الرابع في جميع الأصول ، وهو استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك في أمر معقول ، مع أنه مثل له بقوله تعالى : (إِنَّا لَطَمْنَاهُ فِي الْجَارِيَةِ) . المستعار له كثرة الماء وهي حسبة والمستعار منه التكبر وهو عقل والجامع الاستعلاء المفرط وهو عقل أيضاً .

(٢) سورة الكهف آية ٩٩

(٣) سورة التكوين آية ١٨

(٤) الذاريات آية ٤١

(٥) في الأصل « العقيم » وهو خطأ من الناسخ .

(٦) ما بين قوسين ساقط من الأصل ود ، س ، ت وهو عن ا ، ب .

(٧) الانبياء آية : ١٨

مستعار لهما وهما معقولان ، ومثله ^(١) قوله تعالى : (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أُنِمْأَ
تُفَقُّوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ^(٢)) ؛ فالمستعار الحبل ، وهو
محسوس ، والمستعار له العهد ، وهو معقول ، والمشاركة بينهما في الاتصال ،
لأنَّ العهد يصل بين المعاهد والمُسْلِم كما يصل الحبلُ بين المرتبطين به ، وهو
شيء محسوس ، ومن هذا القسم أيضا قوله تعالى (فَاذْذَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ^(٣))
فالمستعار منه الزجاجة ، والمستعار الصَّدْع ، وهو الشَّق ، والمستعار له عُمُوق ^(٤)
المكلفين ، والمعنى صرَّح بجميع ما أوحى إليك وبَيَّنَّ كُلَّ ما أُمِرَتْ ببيانه
وإن شَقَّ ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثره
التصديع في القلوب ، فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من التقبُّض والانبساط
ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار ، كما يظهر ذلك على ظاهر
الزُّجاجة المصدوعة من المطرقة في باطنها ، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وإلى عظيم
إيجازها ، وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة التي ذكرنا ملخصها
(في ثلاث ^(٥) لفظات) وكذلك أن بعض الأعراب لما سمع هذه اللفظات الثلاث
سجد ، فقيل له : لِمَ سجدت ؟ فقال : سجدتُ لفصاحة هذا الكلام ، لأنه
أدرك منه بديها (من غير ^(٥) تأمل) كلَّ ما أدركناه بعد النظر والروية ، وتقدّم
تحصيل موادِّ النظر في المدة الطويلة ، ومن هذا الموضع تبين لك أن العربَ

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب د وكذلك ، والأول أظهر .

(٢) سورة آل عمران آية : ١١٢

(٣) سورة الحجر آية : ٩٤ .

(٤) في الأصل ، د ، س ، ت (عقول) وما أثبتناه من ا ، ب حيث إنه بصدد تمثيل
استعارة المحسوس للمعقول . ورأى أن المستعار له في (فاصدع بما تؤمر) هو تبليغ الرسالة وهو
عقل والجامع لهما التأثير وهو عقل أيضا .

(٥) الكلمات التي بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

- تبيّنت من أول ما سمعت القرآن أنه غير مقدور للبشر ، فلم تشتغل بالمعارضة ، ولا حدثت نفوسها بها^(١) ، ومثال (الاستعارة) الرابعة قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ^(٢) ﴾ المستعار الطغي وهو (الاستعلاء) المنكر ، والمستعار منه كل مستعل متكبّر متجبر مضر ، والمستعار له الماء ؛ والطغي معقول ، والماء محسوس (والمستعار^(١)) منه محسوس . ومثال الخامسة قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ^(٣) ﴾ فالمستعار السكوت والمستعار له الغضب ، والمستعار منه الساكت ، والمعنى ولما زال عن موسى الغضب ، لأن حقيقة السكوت زوال الكلام ، وحقيقة زوال الغضب عدم ما يدل عليه من الكلام (أو غيره^(١)) في تلك الحال ، وغضب موسى عليه السلام إنما عُرف هناك من قوله ﴿ بَشَرًا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي^(٤) ﴾ فإن ١٠ هذا الكلام كان مقدّمة إلقاء الألواح ، ولما زال الكلام الدال على الغضب حُسنت ، [٧] استعارة السكوت للغضب ، ولا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضى فإن موسى عليه السلام لم يَرْضَ بمعصيتهم ولا يبقائهم على المعصية حتى تحصل التوبة ولهذا أخبر سبحانه عنه بسكوت الغضب دون حصول الرضى ، وهذه الاستعارة أَلطف الاستعارات الخمس ، لأنها استعارة معقول لمعقول للمشاركة في ١٥ أمر معقول . ومن الاستعارة نوع يسمى الاستعارة التخيلية ، وأكثر

(١) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من ا ، ب .

(٢) سورة الحاقة آية : ١١

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٤

(٤) سورة الأعراف آية : ١٥٠ شبه انتهاء الغضب بالسكوت بجامع الهدوء في كل ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السكوت للمشبه . وهو انتهاء الغضب ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب سكت بمعنى انتهى .

(وقوعها^(١)) في الآيات التي يتمسك بها المشبهة^(٢) ، ومنها قوله تعالى :

(نَمْ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ^(٣)) فالمستعار الاستواء ، والمستعار منه كل جسم

مستوى ، والمستعار له الحق عز وجل ، ليتخيل السامع عند سماع لفظ هذه

الاستعارة ملكاً فرغ من ترتيب (ممالكه^(٤)) وتشيد ملكه ، وجميع

ما تحتاج إليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده ، وتدير أحوال عبادته ، استوى

على سرير ملكه أستلاء عظمة ، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر

الإلمية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام

« ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ^(٥) من » « خلق

السموات والأرض وما بينهما ، وإن لم يكن إنَّم سرير منصوب^(٦) »

ولا جلوس محسوس ، ولا استواء ، على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة

مخصوصة ، ومن ذلك قوله : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ^(٧))

فالمستعار البسط ، والمستعار منه يد المنفق ، والمستعار له يد الحق سبحانه وتعالى

اللتان يراد بهما ما هنا التصرف في الملك بالأرزاق ، وذلك ليتخيل السامع

(١) في ١ ، ب وأكثر ما تأتي

(٢) المشبهة صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكلا الصنفين ينقسم إلى أقسام شتى ، وأول ظهور المشبهة صادر عن فرق من الروافض الفلاة ، انظر شرح ذلك مطولا في الفرق في أصناف الفرق من ٢١٤ - ٢١٩ واللعل والنحل .

(٣) سورة الفرقان آية ٦٠

(٤) مكان هذه الكلمة يياض بالأصل . وهي عن باقي النسخ .

(٥) عبارة ١ ، ب « كذلك كان الإخبار بالاستواء على العرش لا يأتي في القرآن كله إلا بعد . الخ .

(٦) عبارة ١ ، ب « حقيقى » وما أنبتناه عن الأصل وبقية النسخ وهو أدق معنى .

(٧) سورة المائدة آية ٦٤

- عند سماع ذلك أن ثم يدين مبسوطتين بالإتفاق، ولا يذان في الحقيقة ولا بسط على ما يدل عليه الظاهر، وإنما جاء الكلام على ما جاء عليه الأزواج، حيث قالت اليهود لعنهم الله : (يَدُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ) فقال سبحانه في الجواب :
- (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا) فخرج هذه الجملة المعترضة بين الكلام والجواب مخرج الالتفات، ثم عاد إلى الجواب فقال : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) فجاء هذا الالتفات بالدعاء عليهم معترضا بين الدعوى والرد بلفظ التمتع في قوله : (مَمْلُوءَةٌ غُلَّتْ) وحصل الرد بعد الدعاء عليهم الشمر بكفرهم من قوله : تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) لأن غل اليد عن الإتفاق لا يقع إلا من أحد^(١) منفقين : منفق فوقه قاهر يأخذ على يديه، ومنفق^(٢) يخاف الفقر فيمسك عن الإتفاق، والحق سبحانه فوق كل قاهر، وغناه لا يخاف معه الإملاق، فيندمج^(٣) في ضمن الرد عليهم ما يدل عليه فتحوى الرد من (التمدح بالملوءة على كل شيء بالنفى الأكبر [٨] كما أندمج في ضمن الدعاء عليهم^(٤)) واستحقاقهم الذم على كفرهم، فحصل من مجموع ذلك ضرب من البديع يقال له الافتتان، وهو جمع الكلام بين فتين متغايرين فصاعدا كهذا الكلام الذي جمع بين هجاء اليهود ومدح الحق نفسه الذي لزم من الرد عليهم، ومن هذا النوع من الاستعارة قوله تعالى : (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ^(٥)) فإن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثم جناحا يخفض، والمراد

(١) كذا في الأصل ، د ، و ، س ، ت والذي في ا ، ب « واحد » .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب « أو آخر » .

(٣) كذا في الأصل ، د ، س ، ت وعبارة ا ، ب « فيكون » .

(٤) العبارة التي بين قوسين اختصرت في ا ، ب اختصارا غير غل بالمعنى .

(٥) سورة الإسراء آية : ٣٤ .

(والله أعلم^(١)) (أَنَّ لَهَا جَانِبَكَ ، وَتَوَاضَعَ لَهَا تَوَاضُعًا يُلْصِقُكَ^(٢)) بالتراب ، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أَنَّ الْجَنَاحَ الْحَقِيقِيَّ فِي أَحَدِ جَانِبِي الطَّائِرِ ، وَأَنَّ الطَّائِرَ إِذَا خَفَضَ جَنَاحَهُ انْحَطَّ إِلَى الْأَرْضِ وَأَصِقَ بِالتَّرَابِ ، وَلَمَّا كَانَتِ الْأَسْتَعَارَةُ تَفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي التَّشْبِيهِ التَّبَسُّتُ بِالتَّشْبِيهِ الْخُضِّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ فَاحْتَاجَتْ إِلَى الْفَرَقِ ، وَهُوَ أَنَّ تَعْلَمَ أَنَّ مِنْ حَقِّ الْأَسْتَعَارَةِ أَنْ يُطَوَّى مَعَهَا ذِكْرُ الْمُسْتَعَارِ (البته ، فَلَا يَعْرِفُ إِلَّا بِدَلَالَةِ الْحَالِ عَلَيْهِ أَوْ فُحْوَى الْكَلَامِ^(٣)) كَقَوْلِهِ زُهَيْرٌ^(٤) (الطويل) :

لَدَى أُسْدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مَقْدَفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمْ
وَمِنْ نَمٍّ يَتَنَاسَى الْبَلِيغَ التَّشْبِيهَ عِنْدَ أَخْذِهِ فِي الْأَسْتَعَارَةِ ، وَيَضْرِبُ عَنْهُ
صَفْحًا ، كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ^(٥) (المقارب) :

وَيَصْمَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجَهْلُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ
وَمِنْ هَاهُنَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ
نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَرَكَهُمْ فِي ظِلْمَاتٍ
لَا يُبْصِرُونَ^(٦) ﴾ فَذَهَبَ الْحَقَّقُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ إِلَى أَنَّ هَذَا تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ

(١) ما بين القوسين ساقط من أ ، ب وهو عن باقي النسخ .

(٢) عبارة أ ، ب يُلصِقُ بِكَ التَّرَابِ .

(٣) كَذَا فِي الْأَصْلِ د ، س ، ت وَعِبَارَةُ أ ، ب « لَهُ وَيُؤَيِّ بِالْكَلَامِ خَالِيًا عَنْهُ الْبَتَّةُ سَالِحًا لِأَنَّهُ يُرَادُ بِهِ الْمَقُولُ عَنْهُ وَالْمَقُولُ إِلَيْهِ لَوْلَا دَلَالَةُ الْحَالِ » .

(٤) شَاكَ السَّلَاحَ ، أَيَّ سِلَاحِهِ ذُو شَوْكَةٍ ، يُرِيدُ شَائِكًا وَالتَّحْدِثُ : التَّخْلِيطُ الْجَمْعُ وَاللَّبْدُ : الشَّعْرُ الْمُرَاكَمُ عَلَى زُبُرَةِ الْأُسْدِ . وَهُوَ يُرِيدُ الْجَمِشَ وَالتَّحْقِيقَ عَلَى الْأُسْدِ .

قَوْلُهُ شَاكَ السَّلَاحَ تَجْرِيدٌ لِأَنَّهُ قَرْنٌ بِمَا يَلَامُ الْمُسْتَعَارَ لَهُ أَعْنَى الرَّجُلِ الشَّجَاعِ . وَقَوْلُهُ مَقْدَفٌ إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ تَرْشِيحٌ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ لَمَّا تَلَامُ الْمُسْتَعَارَ مِنْهُ أَعْنَى الْأُسْدِ الْحَقِيقِيَّ ، وَالتَّرْشِيحُ أَبْلَغُ مِنَ الْإِطْلَاقِ وَالتَّجْرِيدِ ، دُبُونُهُ ط دَارُ الْكَتَبِ الْمَصْرُوبَةُ : ٢٣ .

(٥) دُبُونُهُ ٣٥١ ط بِيْرُوت . اسْتَعَارَ الصُّعُودَ لِمَاوِ الْقُدْرَمِ بَنِي عَلَيْهِ مَا بَيْنِي عَلَى عُلُوِّ الْمَكَانِ

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ آيَةُ : ١٧

لا أستعارة ، لكون المستعار له مذكورا ، وهم المناقون ، وقال من سماء
أستعارة : قد طوى ذكرُ المنافقين في الجملة بحذف المبتدأ ، ونظيره قول
الفرزدق^(١) للحجاج (الكامل) :

أسدٌ على وفي الحروبِ نعامٌ فتخاه تنفير من صفير الصافر

وهذا ليس بشيء ، فإن الكلام في الآية الكريمة قد صدر بأداة
التشبيه ، والضمير المضاف إليه في (مثلهم عائد إلى المنافقين) (والله أعلم
بالصواب^(٢)) .

باب التجنيس

للتجنيس^(٣) أصلان : وهما جناس المزاوجة ، وجناس المناسبة ، تفرع^(٤) فيها

(١) الخبر في العقد الفريد ٣ : ٢٠ ، وتنزيل الآيات ٥٠ : ٧٥ والفتخ : اللينة
الضعيفة ، وهو صفة ذم لها . وتنفر : تجدد وتسرع في الحرب .

(٢) العبارة التي بين قوسين ساقطة من د ، ت ، س والتي في ا ، ب « الله أعلم »
وإذا حولنا بيت الفرزدق إلى استعارة قلنا .

إذا لقيني زأر وزجرج ، وإذا نزل ساحة الحرب حل جناحيه وجفل وفر من صفير الصافر .
* ألف فيه الاصمعي كتابا . البديع لابن المعتز : ٥٥ ، والوساطة : ٤١ ، وجواهر الألفاظ
تحت اسم الاشتقاق : ٤ ، والعمدة : ١ : ٢٢٠ ، والنكت في إعجاز القرآن للرماني : ٣٩
والصناعتين : ٢٢١ ، وسر الفصاحة : ١٨٣ ، وأسرار البلاغة : ٤ . وبديع ابن منقذ : ٦
والتيبان للزمكاني ١٢٢ وروضة الفصاحة : ٢١ ، والمثل السائر : ١٥٢ والإيضاح : ٩١ : ٦
وخزانة ابن حجة : ٢٠ ونهاية الأرب : ٧ : ٩٠ والطرارز لليمني : ٢ : ٣٥٥ وحسن
التوسل : ٤٢ ، ألف فيه الأستاذ على الجندی كتاباً تحت اسم « فن الجناس » .

(٣) الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس . حده في
الاصطلاح تشابه الكلمتين في اللفظ ، واختلافهما في المعنى فائدته وإن لم يذكرها ابن
أبي الأصمعي إلا أني أقول إنه يميل بالسامع إلى الإصغاء فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء
إليها ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للتفسير
تشويق إليه .

(٤) كذا في الأصل وفي بقية النسخ « يتفرع منها » .

عشرة فروع : منها لفظي ، ومنها معنوي ، شاهد الفرع الأول من جناس [٩] المزاوجة اللفظي قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُ سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلَهَا ^(١) ﴾ لأن السيئة الثانية ليست بسيئة ، وإنما هي مجازاة عن السيئة ، سميت باسمها لقصد المزاوجة ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ^(٢) ﴾ سمي سبحانه جزاء الاعتداء (اعتداء) ^(٣) (ليكون في نظم الكلام مزاوجة) ^(٤) ، واشترط المثلية في الاعتداء جرياً على قانون العدل وأمرأ بالإنصاف . شاهد الأصل ^(٥) الثاني وهو ^(٦) جناس المناسبة اللفظي — قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ^(٧) ﴾ . وقوله سبحانه : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ^(٨) ﴾ وفروع التجنيس كلها منقسمة على قسمين : تجنيس تغاير ، وتجنيس تماثل ، فالتغاير أن تكون إحدى (كلمتي ^(٩) التجنيس) اسماً ، والأخرى فعلاً ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ^(١٠) ﴾ ، والتماثل أن تكون

(١) سورة الشورى آية : ٤٠

(٢) سورة البقرة آية ١٩٤

(٣) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من ا ، ب

(٤) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب د لقصد المزاوجة

(٥) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . وفي ا ، ب د الفرع ، وهو أنسب بالسياق

(٦) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب د « ومن »

(٧) سورة الأنعام آية : ٧٩

(٨) سورة الروم آية : ٤٣

(٩) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب د كلمتين

(١٠) سورة التوبة آية : ٣٨

الكلمتان اسمين أو فعلين ، أو فعلا وحرفا ، وهو على ضربين : ضرب تماثل فيه الكلمتان لفظا وخطا ، وضرب لا يتماثلان إلا من جهة الاشتقاق لحسب . مثال الفرع الأول من هذا الأصل قوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾^(٢) ، ومثال الثانى قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَخْشَوْنَ أَنَّهُمْ يُخْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(٣) وهذا الفرع يسمى تجنيس التصحيف ، وهو أن يكون (التَّقَطُّ^(٤)) فيه فارقا بين الكلمتين ؛ ومثال الثالث وهو تجنيس التحريف الذى يكون الضبط فيه فارقا بين الكلمتين أو بعضهما ، قوله تعالى : ﴿ إِنْ رَبُّهُمْ^(٥) رَيْبٌ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَسَكُنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾^(٦) وقوله عز وجل : ﴿ مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾^(٧) وقوله جل اسمه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ﴾^(٨) ومثال الرابع وهو تجنيس التصريف الذى هو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب من مخرجه ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾^(٩)

(١) سورة الواقعة آية ٨٩

(٢) سورة الرحمن آية : ٥٤

(٣) سورة الكهف آية ١٠٤

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س والذى فى « ت » ، « اللفظ » وفى « ب » الذى يكون الضبط « الخ .

(٥) سورة العاديات آية : ١١

(٦) سورة القصص آية : ٤٥

(٧) سورة النساء آية : ١٤٣

(٨) سورة الصافات آيتا : ٧٢ ، ٧٣ . وفى جميع النسخ « فأرسلنا » وهو خطأ والصواب ما أنبتنا

(٩) سورة الأنعام آية ٣٦

ومثال الخامس وهو تجنيس الترجيع ، ويسمى التجنيس الناقص ، وتجنيس التبديل ، وهو الذى يوجد فى إحدى كلمتيه حرف لا يوجد فى الأخرى ، وجميع حروف الأخرى يوجد فى أحدها على استقامتها ، وهو ثلاثة أقسام : قسم تقع الزيادة منه فى أول الكلمة كقوله تعالى : ﴿ وَالتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ﴾^(١) وقسم تقع الزيادة منه فى وسط الكلمة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾^(٢) وقسم تقع الزيادة منه فى آخر الكلمة كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾^(٣) ومثال السادس وهو تجنيس العكس ، وتعريفه أن تكون إحدى كلمتيه عكس الأخرى بتقديم بعض الحروف على بعض ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾^(٤) وبقية فروع التجنيس لم تأت لها أمثلة فى الكتاب العزيز لما يدل عليه نظمها من التكلف والتصنع ، وقد جاءت أصولها كلها فيه ، وكل ما سقناه من أصول التجنيس وفروعه أمثلة القسم المفتى من التجنيس ، وأما المعنوية فمثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾^(٥) مع قوله ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾^(٥) فإن التقدير — والله أعلم — بأنها المكذبون أنتم المكذبون .

(١) سورة القيامة آيتا ٢٩ ، ٣٠

(٢) سورة المائدة آيتا ٧ ، ٨

(٣) فى جميع الأصول « فسكى » وهو خطأ . والصواب ما أثبتته انظر آية ٦٩ من سورة النحل

(٤) سورة طه آية ٩٤

(٥) آيتا ١ ، ٢ من سورة الكافرين

باب الطباق (*)

الطابق^(١) على ضربين : حقيقى ، ومجازى ، وكل من الضربين على قسمين : لفظى ومعنوى ، فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه أسم الطباق ، وما كان كله بألفاظ المجاز أو بعضه سُمّوه تكافؤا ، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد ، فإن كان^(٢) الضدان أو الأضداد لموصوفين والألفاظ حقيقية فهو الطباق إن كان الكلام جامعا بين ضدّين فذّين^(٣) « وإن »^(٤) ، كانت الأضداد أربعة فصاعدا كان ذلك مقابلة ، فالفرق بين الطباق والمقابلة إذا من وجهين : أحدهما أن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدّين فذّين فقط ، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد على الضدّين من الأربعة إلى العشرة .

* بحثه في المدة : ٢ : ٥ وقواعد الشعر ثعلب : ٦٠ : ٦٦ وبيدع ابن المعتز : ٤٧ : ٤٧ وقد الشعر تحت اسم التكافؤ : ٨٥ : ٨٥ وجواهر الألفاظ : ٧ : ٧ والوساطة : ٤٤ : ٤٤ والصناعتين : ٣٠٧ : ٣٠٧ ، وسر الفصاحة : ١٨٨ ، وأسرار البلاغة : ١٤ ، وبيدع ابن منقذ تحت اسم التطبيق : ١٨ والبيان في علم البيان : ١٢٥ والموازنة للأمدى : ٢٥٦ ، ٦٩ وروضة الفصاحة : ٣٦ والفتاح : ٢٤٥ ، والمثل السائر تحت اسم التناسب بين المعاني : ٤٢٩ ، والإيضاح : ٦ : ٦ وخزانة الأدب لابن حجة : ٦٩ ونهاية الأرب : ٧ : ٩٨ ، وحسن التوصل : ٤٩ والطرارز : ٢ : ٣٧٧ .

(١) الطباق : ويسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ وهو الجمع بين معنيين متضادين أى معنيين متقابلين في الجملة ولا مناسبة بين معنى المطابقة لغة واصطلاحاً فإنها في اللغة الموافقة يقال طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حدّ الآخر كما يقال طابق الفرس في جريه إذا وضع رجله مكان قدميه وإن الأثر في المثل السائر يجب لأنّه لا يعرف من أين اشتقت هذه التسمية إذ لا مناسبة بين الاسم ومسماه وقدماه يسميه التكافؤ وهو عنده اجتماع المعنيين في لفظة مكررة . كقولهم

وأظلم الهوجل مستأنسا بهو جل عبرانة عنتريس

(٢) في الأصل ، ا ، ب « كانت » .

(٣) الضدان : ثنية فذ . وهو المفرد (قاموس)

(٤) في ا ، ب « فإن »

والوجه^(١) الثانى أنَّ المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد ، فن أمثلة التكافؤ قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ﴾^(٢) فإنَّ اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز ، هذا إن كان أصل الضلالة إخطاء الطريق المحسوس الحقيقى خاصة ، ولم يكن عاما فى إخطاء كل طريق مستقيم حقيقى أو مجازى ، ويكون الهدى إصابة الطريق المحسوس الحقيقى ، ثم استعملا ٥ فى غيرهما توسعا ، فإنَّ لم يثبت عندى ذلك ، بل هو شئ أدعاه بعض الناس يرد عليه المنع حتى يدلَّ عليه بنقل يُمرى إلى ديوان مشهور من دواوين اللغة ، يصرح فيه بأن أصل الضلالة والهدى ذلك .

ومن شواهد التكافؤ أيضا قوله تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَئًا فَأُخِيْنَاهُ ﴾^(٣) أى ضالا فهدىناه ، فإنَّ الموت والحياة هاهنا مجاز ، وعلى هذا فلا بد أن يأتى ١٠ فى الكلام المتضمن التكافؤ استعارة ، فإن لم تكن فيه استعارة فلا تكافؤ وأما الطباق الذى يأتى بالفاظ الحقيقة فهو على ثلاثة أقسام : طباق سلب ، وطباق إيجاب ، وطباق ترديد ؛ فن الأول قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ ﴾^(٤) الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْفَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا^(٥) وقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦) وقوله عز وجل ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾^(٧) [١١]

(١) كذا فى الأصل ، ا ب . وفى د ، ت ، س ه الثانى »

(٢) سورة البقرة آية ١٦

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٢

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٦

(٥) بعض هذه الآية الذى بين قوسين ساقط من جميع النسخ . وهو عن الأصل -

(٦) سورة البقرة آية ٦

(٧) سورة المائدة آية ١١٦ .

والقسم الثانى من الطباق : وهو طباق الإيجاب ، فمنه قوله تعالى :
 ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَى^(١)﴾ . فأنظر إلى فضل هذا الطباق كيف جُمع إلى الطباق البليغ
 التسجيع الفصيح ، لحيء المناسبة النامة في فواصل الآى .

- وما جاءت المطابقة فيه على انفرادها من هذا القسم ، قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ
 مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ^(٢)﴾ . أى ما تنقص
 وما تزيد .^(٣)

- ومن هذا القسم أيضا ، قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ
 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ^(٤)﴾ . فجمع سبحانه للمؤمنين في هذا الوصف
 بين الفعل والتترك ، إذ وصفهم بالخشوع في الصلاة وترك اللغو ، وهذا كله
 من طباق الإيجاب المعنوى .

- والقسم الثالث من الطباق — وهو طباق الترديد — على ضربين أيضا : سلب
 وإيجاب ، وتعرفه أن يُردَّ^(٥) آخر الكلام المطابق على أوله ، فإن لم يكن
 مطابقا فهو ردّ الأعجاز على الصدور . ومن أمثلة الموجب منه قوله تعالى :
 ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ
 شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٦)﴾ فجمعت هذه الآية الكريمة

(١) — سورة النجم : الآيات ٤٣ — ٤٥ .

(٢) سورة الرعد آية ٨ .

(٣) كذا في الأصل . وفي بقية النسخ « وما تنقص الأرحام وما تزداد » والأول أنسب .

(٤) سورة المؤمنين آيتا ٢ و ٣ .

(٥) كذا في الأصل ، د ، ت ، س والذي في ا ، ب « وأن ترد »

(٦) سورة البقرة آية ٢١٦ .

(م — ٣ بديع القرآن ب)

بين المقابلة وبين^(١) طباق السلب المعنوي ، فالمقابلة جاءت من صدره في قوله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾ ؛ فقابل الكراهية بالحبة ، والخير بالشر . والطباق المعنوي في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . لأن تقدير المعنى فيه : والله يعلم وأنتم تجهلون .

وقد جاء للطباق قسم غير ما تقدم ذكره ، وهو ائتلاف الطباق والتكافؤ في كلام واحد ، لحي أحد الضدين أو أحد المتقابلين حقيقة والآخر مجازاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَرَبَّى الْأَرْضَ حَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ^(٢) ﴾ . فهو د الأرض واهتزازها ضدان لأن الممود سكون خاص ، والاهتزاز هاهنا حركة خاصة ، وهما مجازان ؛ والرَبو والإنبات ضدان ، وهما حقيقتان^(٣) . وإتاما قلنا ذلك لأن الأرض تَرْبُو حالة نزول الماء عليها ، وهى لا تُنْبِت^(٤) فى تلك الحالة ، فإذا انقطعت مادة السماء وجفّ الهواء رطوبة الماء حَمَد ، الرَبو وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء ، وتَشَقَّقَتْ وأنبَت . فصدر الآية تكافؤ ، وما قابله فى عَجْرُها طباق . وفيها مع التكافؤ والطباق إرداف ، وهو ضرب من البديع^(٥) ، سياتى

(١) فى ا و ب « وهو » وهو تحريف .

(٢) سورة الحج آية ٥

(٣) فى الأصل « حَتِيقَان » وهو تحريف وما أُثبتناه عن بقية النسخ إذ هو المناسب بالسياق .

(٤) فى الأصل وهى تربو « وبه يحصل التناقض وما أُثبتناه عن باقى النسخ » .

(٥) كذا فى الأصل ، ا ، ب . وفى د ، ت ، س « وهو من باب البديع » وما أُثبتناه أدق .

- هذه كره و بيانه للعدول عن لفظي الحركة والسكون الحقيقيين إلى أردافهما^(١) من لفظي الممود والاهتزاز ، لما في لفظ الإرداف من الملاممة للمعنى المراد ، ليأتى لفظها معنويًا بالاختلاف . لأن الممود يراد به الموت ، والأرض في حال عطشها من الشئ والنبات موات ؛ فكان العدول إلى لفظ الممود المعبر به عن الموت أولى من لفظ السكون . والاهتزاز المجازي مُشعر بالعطاء ، كاهتزاز المدحوح للمدح ، فلاجل ذلك عدل عن لفظ الحركة العام إلى لفظ الحركة الخاص ، لما يشعر بأن الأرض ستعطى عند سقيها ما يرضى من نباتها بتنزل الشئ لها منزلة ما يسترها فاهتزت لتشعر بالعطاء ، فقد ظهرت فائدة العدول إلى لفظ الإرداف لما يعطيه من هذه المعاني التي لا يعطيها لفظ الحقيقة . وقد جاء نظم هذه الآية مع ما تضمن من التكافؤ والطباق والإرداف والاختلاف بمنعوتها بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب ، حيث تقدم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الرّبو ، ولفظ الرّبو على الإنبات لأنّ الله إذ نزل على الأرض فرّق أجزاءها ، ودخل في خلاها ؛ وتفرّق أجزاء الجواهر الجادية هو حركتها حالة تفرّق الاتصال ، لأنّ انقسام الجوهر يدلّ على انقسام قسمة أو أحدهما عن حيّزه ، ولا معنى للحركة إلا هذا فالاهتزاز يجب أن يذكّر عقيب السقي ، كما جاء الرّبو بعد الاهتزاز ، فإنّ التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة إلى حاله قبل ذلك ، وهذا هو الرّبو بعينه . وقد تقدّم شرح كون الإنبات إنما يكون بعد الرّبو وجفاف رطوبة الماء وعود التراب إلى حاله ونشقه ، فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بمحصل حسن الترتيب ، واقترن بذلك حسن النسق لتقدّم كل ما يجب أن يكون معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً . والله أعلم .

* * *

(١) كذا في الأصل ، د ، ت ، س . أما ا ، ب فقيهما « ردهما » .

باب رد الإعجاز على الصدور*

ويسمى التصدير، وهو عبارة عن كل كلام يبين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً، أو معنوية نادراً، تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام. وقد قسمه ابن المعتز^(١) ثلاثة أقسام:

- ٥ فالأول ما وافق آخر كلمة في الكلام آخر كلمة في صدره، أو كانت مجانسة لها كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَانَ بِاللَّهِ شَهِيداً^(٢)﴾
- والقسم الثاني ما وافق آخر كلمة من الكلام أول كلمة منه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ^(٣) إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾؛ وكقوله سبحانه [أيضاً^(٤)]: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ^(٥)﴾.

والثالث ما وافق آخر كلمة من الكلام بعض كلمات صدره حيث كانت،

* يحتمل في بديع ابن المعتز: ٩٢، تكام عنه ابن رشيق تحت اسم التصدير، العمدة ٢: ٤، الصناعتين: ٢٨٥، البيان للزمخشري: ١٣١، روضة الصفا للرازي: ٣١، الفتح: ٢٢٨، وتكام عنه ابن الأثير تحت اسم التجدير وجماله نوعان: ١٥٢، الإيضاح ٦: ١٠٣، نهاية الأرب ٥: ١٠٩، خزنة ابن حجة تحت اسم التصدير: ١١، حسن التوسل: ٥٢.

(١) البديع له: ٩٣.

(٢) سورة النساء آية ١٦٦.

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ت وهي آية ١٦٨ من سورة الشعراء.

(٤) سقطت هذه الكلمة من أ.

(٥) سورة آل عمران آية ٨.

كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ^(١) ﴾ ، وكقوله سبحانه أيضا : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ^(٢) ﴾ . وكل هذه الأقسام من الضرب الأول الذي رابطته لفظية .

وأما مارابطته معنوية فبني قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ^(٣) ﴾ ؛ فإن معنى صدر الكلام بتقاضى معنى عجزه .

والفرق بين هذا الضرب من التصدير وبين التسميم أن تقاضى هذا الضرب معنوى ، وتقاضى التسميم لفظى .

* * *

١٠ باب المذهب الكلامى

الذى ذكره ^(٤) ابن المعتز أن الجاحظ سماه هذه التسمية ، وزعم أنه لا يوجد منه شيء فى القرآن . والكتاب الكريم مشحون به ، ومنه قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه أفضل الصلاة ^(٥) والسلام : (وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ ^(٦)) إلى قوله « تعالى ^(٧) » (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ^(٨)) . وتعريف هذا

(١) سورة الأنعام آية ١٠ (٢) سورة الإسراء آية ٢١

(٣) سورة المائدة آية ١٠٥

* قيل أن أول من اخترعه الجاحظ فى بديع ابن المعتز ١٠١ ، الصمدية تحت باب التكرار ٢ : ٦٣ ، الصناعتين : ٤١٠ ، الإيضاح : ٦٦٠ ، خزائن ابن حجة . ١٦٥ ؛ بهايه الأرب ٧ : ١١٤ ، حسن التوسل : ٥٥

(٤) البديع له س ١٠١

(٥) هكذا فى الأصل . والذى فى د ، ت ، س « عليه السلام » أما « عبارة »

« ١ » فهم هكذا ؛ ومنه قوله تعالى : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه . فقط .

(٦) سورة الأنعام آية ٨٠

(٧) هذه الكلمة ساقطة من د ، ت ، س

(٨) سورة الأنعام آية ٨٣

الباب هو^(١) أن تقول: إنه احتجاج التسكلم على ما يريد لإثباته بحجة تقطع المماند له فيه على طريقة أرباب الكلام ، ومنه نوع منطقي تُستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة ، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أوّل سورة الحج إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْقِيَنَّ مَنْ فِي الْقُبُورِ^(٢)﴾ خمس نتائج تُستنتج من عشر مقدمات ؛ وسياقها مفصلة على الترتيب : قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾. لأننا^(٣) قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه سبحانه أخبر بزلزلة الساعة معظماً لها ، وذلك مقطوع بصحته ، لأنه خبر أخبر به من ثبت صدقه عن ثبوت قدرته ، منقول إلينا بالتواتر ، فهو حق ، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلا الحق ، فالله هو الحق . وأخبر سبحانه أنه يحيي الموتى ، لأنه تعالى أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر ، وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأهوال التي فعلها الله سبحانه من أجلهم ، وقد ثبت أنه قادر على كل شيء ، ومن الأشياء إحياء الموتى ، فهو يحيي الموتى ، وأخبر أنه على كل شيء قدير ، لأنه أخبر أنه يم^(٤) الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم بعذاب السمير ، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير ، [١٤] فهو على كل شيء قدير . وأخبر أن الساعة آتية لا ريب فيها ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب ، إلى قوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا^(٥)﴾ ؛ وضرب سبحانه لذلك مثلاً^(٦) بالأرض الهامدة التي ينزل عليها

(١) لم يظهر من هذه الكلمة في الأصل غير حرف « الواو » وقد أثبتناها عن ١ ، ب .

(٢) سورة الحج آية ٧

(٣) كذا في الأصل ، ا ، ب . أما في د ، ت ، « لأنه »

(٤) كذا في الأصل ، ا ، ب ، د ، س وعبارات . أنه من يقيم الشياطين ومن يجادل

فيه بغير علم يذقه عذاب السمير .

(٥) سورة الحج آية ٥

(٦) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . وفي ا ، ب « مثلاً » .

- الماء قهتز وترَبُو وتُنْزِت من كل زوج بهيج ؛ ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأَوْجَدَه بالخلق ، ثم أعدمه بالموت ، ثم يعيده بالبعث ، وأوجد الأرض بعد العدم ، فأحيها بالخلق ، ثم أماتها بالمحل ، ثم أحيها بالخضب ، وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع الشاهد على المتوقع الغائب حتى انقلب الخبر عياناً صدق خبره في الإتيان بالساعة ، ولا تأتي الساعة إلا يبعث من في القبور ،
- ٥ إذ هي عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات المجازاة (فالساعة ^(١)) آتية لا ريب فيها ، وهو سبحانه يبعث من في القبور . وقد ساق الزماني في إعجازه المترجم (بالثبوت ^(٢)) ، وفي تفسيره (الجامع الكبير) — في الضرب الخامس من باب المبالغة من الإعجاز — إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ^(٣) ﴾ ؛ وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَخْوَنُ عَلَيْهِ ^(٤) ﴾ ؛ وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ^(٥) ﴾ ؛ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءَ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ^(٦) وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ يلزمه أن ^(٨) هؤلاء ليسوا بآلهة ، فهم حصب جهنم . وكذلك ملزوم ^(٩) الآية التي
- ١٥

(١) هذه الكلمة ساقطة من « ت » .

(٢) النكت في إعجاز القرآن له ص ٩٧

(٣) سورة الزخرف آية ٨١

(٤) سورة الروم آية ٢٧ (٥) سورة الأنبياء آية ٢٢

(٦) سورة الأنبياء آيتا ٩٨ و ٩٩

(٧) في « ب » و « م » وهو خطأ .

(٨) كذا في د ، ت ، س . والذي في الأصل يلزمه هؤلاء وهو خطأ . وعبارة

« ب » « ملزومة لكن » .

(٩) كذا في ا ، ب والذي في الأصل ، د ، ت ، س « وكذلك يلزم » وهو تحريف .

قبائما ، تقديره : لكنهما ما فسدنا ، فليس فيهما آلهة إلا الله . ومن ذلك قوله :
 ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي نَمِّ الْخِلْيَاطِ ^(١) ﴾ . وجه أستنتاج
 النتيجة في هذه الجملة من المقدمتين ، أن يقال : الكفار لا يدخلون الجنة
 (أبدا ^(٢)) حتى يلبغ الجل في خرم ^(٣) الإبرة ، والجل لا يدخل في خرم ^(٤) الإبرة
 أبداً ، فهم لا يدخلون الجنة أبداً . لأن تطبيق الشرط على مستحيل يلزم منه
 استحالة وقوع للشروط . ونظائر هذه الآيات من هذا الباب قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ^(٥) ﴾ ؛ فإن هاتين ^(٦) الآيتين
 تضمنتا نتيجة من مقدمتين صادقتين . وبيان ذلك أنا نقول : عطية الكوثر
 تعدل جميع العطايات ، وإنما قلنا ذلك لأن الشكر على مقادير النعم ، وقد أمر
 الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقابل هذه النعمة بجميع العبادات البدنية والمالية
 شكراً عليها . وكل عطية كان الشكر عليها جميع العبادات ، لأنه
 صلى الله عليه وسلم أمر بالصلاة والتحر ، والصلاة جامعة لجميع العبادات (فهي
 تعدل ^(٧) جميع العطايات . وإنما قلنا : إن الأمور به جميع العبادات) البدنية ،
 لجمعها بين القيام والقعود ، والركوع والسجود وقراءة القرآن ، والأذكار ،
 والصمت عن غير ذلك من الكلام ؛ وتحريم الطعام والشراب والبقاء على
 الطهارة الكاملة ، والخضوع والخشوع ، والدعاء والأبتهاال يحرم ؛ فيها ما يحرم
 على الصائم من الأكل والشرب والجماع والرفث ^(٨) وجميع الحركات والسكنات

(١) سورة الأعراف آية ٤٠ .

(٢) ساقطة من الأصل . وهي عن جميع النسخ .

(٣) كذا في الأصل ، ا ، ب وفي د ، ت ، س « خرق » وهو بمعناه .

(٤) سورة الكوثر ١ ، ٢ .

(٥) في ا ، ب « هذين » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، ولا يستقيم الكلام إلا بها . والتصويب عن ا ،

ب ، د ، ت ، س .

(٧) الرفث والجماع كلاهما بمعنى واحد .

- الخارجة عنها ، فهي جامعة لفضيلتي الصلاة والصيام ، وأعمال الظاهر وأعمال الباطن . ثم أمر عليه السلام مع الصلاة بالنَّحْر ، ولا يخلو من أن يراد به الحج الجامع بين العبادتين ، أو يراد به مطلق النَّحْر الذي يدخل تحته (نحر^(١)) الهدى في الحج والنحر للضيَّفان ، وافتقاد الجيران ، والإطعام في الأزْمان^(٢) . فقد تبين أنه سبحانه أمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — بجميع العبادات شكراً • على عطية الكوثر ؛ فدل ذلك على أن عطية الكوثر تعدل جميع العطايات . وإنما كانت لهذه العطية هذه المزية : لكونه — صلى الله عليه وسلم — أُعْطِيَ بها الفضل والفخر على جميع الأنبياء — صلوات الله عليهم — حيث تسأل الأمم أنبياءهم في الشفاعة لهم ليرووا من العطش الأكبر ، فيعتذرون عن ذلك بما ورد عنهم في حديث الشفاعة الصحيح المشهور ، فلا تجد الأمم حينئذ من يشفع لها • ولا يسقيها سوى نبيِّنا (محمد^(٣)) — صلى الله عليه وسلم — فيكون له الفضل يومئذ على جميع الأنبياء . فألحظ ما تضمنته هاتان الآيتان على قصرهما من الإشارة التي دلت بالفاظها القليلة على معانٍ لو عبَّر عنها بألفاظها الموضوعة لها بطريق البَسْط للمأت الطوامير^(٤) . ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ^(٥) إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ^(٦) ﴾ . وترتيب المقدمتين ١٥ في هذه الكلمات ، والنتيجة أنا نقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ،

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . وهي في باقي النسخ .

(٢) في ب « الأزمان » وهو تصحيف .

(٣) سنن ابن ماجه ٢ : ٢ . ٣ . طبع مصر سنة ١٣١٣ هـ .

(٤) ساقطة من ا ، ب .

(٥) الطوامير : جمع طومار ، وهي الصحيفة (تاج العروس) .

(٦) أخلد إلى الأرض : ركن إليها .

(٧) سورة الأعراف آية ١٧٦ .

ولول شاء الله رفع بلعام^(١) بآياته، لمنعه من الأنسلاخ منها؛ (ولسكنه سبحانه لم يشأ ذلك فخلق بينه وبين الأنسلاخ^(٢)) ، فلم يرتفع ، وكل من لم يرتفع هو مُخَلَّدٌ^(٣) إلى الأرض . والله أعلم .

باب الالتفات^(٤)

فسره قدامة^(٥) بأن قال : هو أن يكون التكلم آخذاً^(٦) في معنى ، فيعترضه بما شك فيه ، أو ظن أن راداً رده عليه ، أو سائلاً سأل عنه أو عن سببه ، فالتفت قبل فراغه من التعبير عنه ، فإما أن يحل شكه ، أو يؤكد ويقرره أو يذكر سببه^(٧) . ومثاله قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتُوبُوا النَّارَ^(٨) ﴾ ؛ وقوله سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي

(١) بلعام بن باعوراء : بعث إليه ملك مدين ليدعوه إلى الإيمان ، فأعطاه وأقطعاه فاتبع دينه وترك دين موسى ، ففيه نزلت هذه الآية المتقدمة وماجدها (الجامع لأحكام القرآن ج/٧ : ٣١٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) ما بين قوسين ساقط من ت . وهي في الأصل وبقي النسخ .

(٣) مخلد : من أخذ ، أي لزوم (اللسان) .

(٤) الالتفات : مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله . ومن شماله إلى يمينه . وفائدته العامة أن المتكلم إذا انتقل بكلامه من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أدخل في القلوب عند السامع وأحسن لنشاطه ودافعا لإصغائه .

† بحثه في العمدة ٤٤ : ٢ ، الكامل ج ٢ : ٣ ، ورغبة الأمل ٦ : ١٢٨ ، بديع ابن المعز ١٠٦ ، نقد الشعر ٢٨٧ الصناعتين : ٣٩٢ التبيان لأزملكاني ١٢٧ روضة الفصاحة ٤٢ بديع ابن منقذ ٦ ، المفتاح ٢٢٧ ، اللؤلؤ السائر : ٢٥٤ ، خزانة ابن حجة : ٥٩ ونهاية الأرب ج ٧ : ١١٦ ، حسن التوسل : ٥٦ ، الطراز ٢ : ١٣١ .

(٥) نقد الشعر له / ٥٣ طبع الجوائب ١٣٠٢ هـ .

(٦) كذا في أ ، ب ، ت ، وبقي النسخ « آخذ » وهو خطأ .

(٧) كذا في الأصل ، ت ، وهي ساقطة من أ ، ب ، والذی فی د ، س ، شبهه .

وهو تصحيف .

(٨) سورة البقرة آية ٢٤ .

- سَوَاتِكُمْ. وَرِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ^(١) . فإنه سبحانه وتعالى — في الآية الأولى — أراد أن يضمن آية التحذير ضرباً آخر من الإعجاز ، بإخباره عن وقوع ما لم يقع بعد مَنْ عَجَزَ مِنَ الْعَرَبِ عَنْ مُعَارَضَةِ سُورَةِ الْقُرْآنِ ؛ ليكون جريانُ هذا الخبر الصادق على لسان نبيه ، حتى إذا وقع كان علماً على صدقه ، فرد للكذابين ، وثبت المؤمنين — فقال : ﴿ وَانْ تَفْعَلُوا ﴾ قبل أن يتم الكلام الأول بقوله ^(٢) : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾ ؛ وكان تأخير هذه الجملة ممكناً بحيث يقال : « فان لم تفعلوا فاتقوا النار ولن تفعلوا » (لكن ^(٣)) لهذا التقديم والتأخير تأثير في النظم يجعل له في القلوب — من الجلالة والتعظيم والروني — ما لا يُعبّر عنه ، ولا يُعرف لذلك سبب ظاهر إلا وقوع تجنيس الأزدواج بقوله : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ . وكقوله ^(٤) تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا ^(٥) عَلَيْهِ ﴾ . وفي المعنى تقديم هذا الهم ، فإن زيادة علم من أعلام النبوة في الكلام مقدّم على الموعظة . وقوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ . فإنه سبحانه لما امتنّ على البشر بما أنزل عليهم من اللباس الموارى سَوَاتِيهِمْ بعد سياق قصة خروج أبيهم من الجنة بغير لباس ، وأراد « تذكيرهم ^(٦) » وتحريضهم « على التقوى وهو الخوف من الله أن يسلبهم نعمته لما تبعتهم الشيطان : — قل قيل تمام الأمتان : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ ؛ فإن التحريض على التقوى من جملة الأمتان . وكان يمكن

(١) سورة الأعراف آية ٢٦ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س والذي في ا ، ب « وقوله » وهو خطأ .

(٣) كذا في الأصل ، د ، ت . وفي ا ، ب « لَأَنَّ » .

(٤) كذا في الأصل ، د ، س . والذي في ا ، ب « وكقوله » وفي ت لقونه .

(٥) سورة البقرة آية ١٩٤ .

(٦) في الأصل : « تذكيرهم وتحريضهم » وهو تصحيف ، والتصويب عن باقي النسخ .

في هذه الآية ما أمكن في التي قبلها من تأخير هذه الجملة بحيث يقال : قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سواآتكم وريشا ذلك من آيات الله ، ولباس التقوى ذلك خير . وإنما تأخر في الكلام ما كان يجوز تقديمه ليحصل في نظم الكلام نوع من المحاسن يقال له التعطف ، وذلك مجيء ذكر اللباس في أول الكلام وفي آخره ؛ « وتأقفاً ^(١) » من أن يفصل بين الآيات اللامم بعضها بعضاً بالفاظ من غير جنسها ليوصف الكلام بالأتلاف ؛ هذا شرح تسمية قدامة . وأما ابن المعتز ^(٢) فإنه قال : الالتفات أنصراف التكلم عن الإخبار إلى مخاطبة كقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ^(٣) ﴾ وكقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يَمَسَّكُنْ ^(٤) لَكُمْ ﴾ . وكقوله تعالى — بعد الإخبار بأن الحمد لله رب العالمين — : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ^(٥) ﴾ . أو الانصراف عن التكلم إلى مخاطبة ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ^(٦) ﴾ . ثم قال منصرفاً عن التكلم إلى الإخبار : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ^(٧) ﴾ . أو الانصراف عن مخاطبة إلى الإخبار ، وهو عكس أول آية في الباب ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ ^(٨) ﴾ . أو الانصراف عن الإخبار إلى التكلم كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُمِثِرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدْيِ مَيْمَنٍ (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْعَاءَ ^(٩)) ﴾ . وهذا ضد الالتفات الذي

(١) كذا في الأصل ، ا ب . وقد وردت مضطربة المخط في باقي النسخ .

(٢) في بديعه ١٠٦ . (٣) سورة الأحزاب آية ٥٠ .

(٤) سورة الأنعام آية ٦ في الأصل « أولم » وهو خطأ .

(٥) فاتحة الكتاب آية ٥ (٦) سورة الكوثر آيتا ١ ، ٢ .

(٨) سورة فاطر آية ٩ وهذه الآية مضطربة في جميع الأصول إذ أنه خلط بين أول

آية سورة فاطر وآخر آية ٥٧ من سورة الأعراف .

في سورة الكوثر . أو الانصراف من التكلم إلى الإخبار ، وهو عكس ما قبله .
 كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ بَشَأٌ يُذْهِبُكُمْ وَيَأْتِي بَخَاقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ^(١) 》 . وجاء في الكتاب العزيز من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر
 في الشعر له بمثال ، هداى الله إلى الوقوع عليه ، وهو : أن يقدم المتكلم في كلامه
 مذكورين مرتين ^(٢) ، ثم يخرج عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى
 الإخبار عن الثاني ، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن
 الأول . كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ^(٣) 》
 انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تبارك وتعالى ، ثم قال
 منصرفاً عن الإخبار عن الرب عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَبِيبٌ
 الْخَبِيرُ أَشَدِيدٌ ^(٤) 》 . وهذا يحسن أن يسمى ألتفات الضمائر ، والله أعلم .

* * *

باب التمام

وهو التتميم ، الأسم الأول أقدامة ^(١) ، والثاني للحاتمي : وتعريفه . أن تأتي
 في الكلام كلمة إذا طُرِحَتْ من الكلام نقص معناه في ذاته ، أو في صفاته ،
 ولفظه تام (وإن كان في الموزون نقص وزنه مع نقص معناه ^(٥)) ؛ فيكون الإتيان

(١) سورة فاطر آيات ١٦ ، ١٧ .

(٢) كذا في الأصل و ١ ، ب والذي في د ، ت ، س مرتين .

(٣) سورة والمعاديات الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

بحجته في نقد الشعر : ٨٢ ، العمدة ٢ : ٢٣٩ ، الصناعتين ٣٨٩ ، سر الفصاحة تحت اسم كمال المعنى : ٤٥٥ ، بديع ابن منقذ : ٢٧ ، التبيان للزمخشري : ١٣٧ ، الإيضاح ٣ ، ٢٣٩ ، خزائن ابن حجة : ١٢١ ، نهاية الأرب — ٧ : ١٣٧ ، حسن التوسل : ٥٦ ، الطراز ٣ : ١٠٤

(٤) نقد الشعر له ص ٤٩

(٥) كذا في الأصل ، د ، س ، ت : والذي في ا ، ب وإن كان في الموزون نقص

نقص وزنه مع بعض معناه . والمعنى واحد .

بها التتميم الوزن والمعنى معاً . فإن تمت الوزن فقط فتلك من الحشو المريب ، ولا يخلو إما أن يرد^(١) على معنى تام في ذاته أو في صفاته أولاً ، فإن كان الأول فهو التكميل ، وإن كان الثاني فهو التتميم . وقد غلط أكثر المؤلفين في هذا

الموضع ولم يفرقوا بين التتميم والتكميل . فقال التتميم قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾^(٢) فقله : « من ذكر أو أنتى » تتميم ، وقوله تعالى : « وهو مؤمن » تتميم ثان ؛ وبهذين التتميمين تم معنى الكلام ، وجرى على الصحة . وإلا فهو بدونهما

ناقص . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾^(٣) . فجاه

في هذه الآية ثمانية مواضع في كل موضع منها تتميم ، وأنت على جميع أقسام التتميم الثلاثة : من تتميم النقص ، وتتميم الاحتياط ، وتتميم المبالغة . فأولها

في قوله تعالى في تفسير الجنة : ﴿ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ؛ لأحتمال أن تكون الجنة ذات أنبل ونخيل^(٤) ، فإن لفظ الجنة يصدق على كل شجر مجتمع يستمر بظل

غصونه الأرض كأنها ما كان ، ومن الشجر ما له نفع^(٥) عظيم عجم ، كالنخيل والأعناب ، وما له نفع قليل كالأنبل والخمط ؛ ومع هذا فلو احترقت لإنسان^(٦)

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا . ب . « ترد » .

(٢) سورة النحل آية ٩٧

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٦

(٤) الأنبل : شجر ، وهو نوع من الطرافاء (تاج العروس) والخمط : كل نبت اخذ

طعماً من صمارة (قاموس) .

(٥) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ب . « ما نفعه » . وهو عمناه .

(٦) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب « للإنسان » والأول أدق .

- جنة من أثل وخط لأشد أسفه عليها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب ؟
 ثم علم سبحانه أن الجنة وإن كانت من نخيل وأعناب — ما لم تجر الأنهار من
 تحتها — لم يُثمر شجرها ، ولم يُنتفع بسكنها^(١) ولم تكن لها حياة البتة ، فتم
 هذا النقص بقوله تعالى : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ؛ ثم علم عز وجل
 أن الجنة لو جمعت إلى النخيل والأعناب كل الثمرات كان وصفها أتم ، ونفعها
 أعظم ، والأسف على فسادها أشد ؛ فقال متممًا هذا النقص (تتميم)^(٢) مبالغة :
 ﴿ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ولما فرغ سبحانه من أوصاف الجنة أخذ
 في وصف صاحبها ، فوصفه بالكبر لأنه لو كان شابًا لرجا أن يخلفها بعد إحراقها^(٣)
 لما يجد في نفسه من القوة ، ويأمل من طول المدة ؛ فقال محتاطا : ﴿ وَأَصَابَهُ
 الْكِبَرُ ﴾ . ثم علم سبحانه أنه إذا كان عقيما مع الكبر سلاه عنها قرب المدة
 وعدم من بهتم بضياعه بعد ، فلا يشتد أسفه عليها ؛ فقال عز وجل محتاطا
 أيضا : ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّتٌ ﴾ . ثم علم أنه إذا لم يصف الذرية بالضعف أحتمل الإطلاق
 أن يكونوا أقوىاء ، فبترجى^(٤) إخلافهم لها ، فيخفف ذلك من أسفه ؛ فقال
 محتاطا : ﴿ ضِعْفَهُ ﴾ . ثم لما فرغ من وصف الجنة أخذ في وصف الحادث المهلك
 لها بقوله عز وجل : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ ؛ وعلم تبارك وتعالى أن الإعصار
 لا يُجَلّ فساد هذه الجنة ، ولا يحصل هلاكها به إلا بعد استمراره عليها في مدة
 طويلة ، وهو يريد الإخبار بتعجيل هلاكها ، فقال : ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ ؛ ثم اقتصر
 سبحانه من الرياح على الإعصار ، لكونه عبارة عن تقابل الرياح المثيرة

(١) كذا في الأصل ، ا ، ب . والذي في باقي النسخ « ولم ينتفع من يسكنها .

(٢) الزيادة التي بين وسين عن ا ، ب

(٣) في ا ، ب « احترقها » .

(٤) كذا في الأصل ، ا ، ب . والذي في باقي النسخ : « فيرجى » وما أثبتناه

أنسب بالسياق .

للعجاج^(١) السكيف الذى دوائه يُعْمَى عيون الماء ، وَيَطْمُ^(٢) الآبار والأنهار
وَيُحْرِقُ بِسَمُومِهِ وَوَهْجِهِ الأشجار ، وإذا أنفق مع ذلك أن تكون فيه نار
أدارها على المكان الذى يكون فيه ، بحيث لا ينصرف عنه ، لأنه لا يقصد
وجهه مقابلة ، فينصرف ما يكون فيه إليها . ثم علم سبحانه أن النار يحتمل
[١٩] أن تكون ضعيفة فتطلقاً لضعفها عن مقاومة ما فى الجنة من الأنهار ، ورطوبة
الأشجار ؛ فاحتاط من ذلك بقوله تعالى : ﴿ فَأَخْتَرَقْتُ ﴾ (فنى)^(٣) هذا
الاحتمال وأوجز فى تنعيم المعنى المراد . فانظر ما تضمنت هذه الآية الكريمة
من تقاسيم هذا النوع إلى ما فيها من أشتلاف اللفظ بالمعنى ، والتهذيب ،
وحسن النسق ، والتمثيل ، وحسن البيان ، والمساواة — : لتعلم أن هذا الكتاب
(الكريم)^(٤) بأمثال هذه الآية عجز الفصحاء ، وبلد الأذكياء ، وأعيان
على البلغاء .

ومن التكميل من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى
حُبِّهِ^(٥) ﴾ الآية ، فإن قوله سبحانه : ﴿ عَلَى حُبِّهِ ﴾ تكميل لحسن^(٦) هذا المعنى
إن كان الضمير فى (حبه) عائداً على الطعام ، وإن كان عائداً على الله سبحانه
فهو تنعيم احتياط والله أعلم .

* * *

(١) العجاج : النبار (قاموس) .

(٢) يطم الآبار : يغمرها (قاموس) .

(٣) هذه الكلمة التى بين قوسين ساقطة من د ، ت ، س .

(٤) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . والذى فى ا ، ب « العزيز » .

(٥) سورة الإنسان آية ٨

(٦) كذا فى الأصل ، ت ، والذى فى ا ، ب ، د ، س « يحسن » وكلاهما بنى واحد .

باب الاستطراد*

ذكر الحامى^(١) أنه قل هذه التسمية عن البحرى^(٢) الشاعر، وسماء
ابن العنز^(٣) الخروج من معنى إلى معنى، وهو قليل الوقوع في الكتاب
العزيز، وسبب ذلك كونه أكثر ما جاء في الشعر دون النثر، وغالب وقوعه
في فنّ الهجاء منه، ويندّر وقوعه في غيره من الفنون.

ولم أظفر (منه^(٤)) بشيء في القرآن المجيد إلا في موضع واحد، وهو قوله
تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدَيْنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ^(٥)﴾، فن ظفريه بشيء فهو الحسن
بالحافه في بابيه، ويفعل ذلك في جميع الأبواب؛ والله أعلم.

باب تأكيد المدح بما يشبه النعم*

وهذا الباب أيضاً كالذى قبله في عزة وقوعه في الكتاب العزيز، ولهذا لم

* بحثه في قواعد الشعر : ٥٠، بديع ابن المعتز تحت اسم حسن الخروج : ١٠٩، العمدة
٢ : ٣١، الصنائع : ٣٩٨، التبيان للزمكاشي : ٣٣ الإيضاح ٦ : ٣١، خزنة
ابن حجة : ٣٤، نهاية الأرب ٧ : ١١٩، حسن التوسل : ٥٧، الطراز / ٣ : ١١.

(١) هو ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوى البغدادي، كان من أهل
اللمعة والأدب، حسن التصرف في الشعر، يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم،
وله مع أبي الطيب المتنبي مخاطبة أقدعه بها، وله الرسالة الحاتمية التي شرح فيها ما جرى
بينه وبين أبي الطيب المتنبي من اظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره مما دل على غزارة مادته
وتوفر اطلاعه، وله تصانيف عدة منها كتاب حلية المحاضرة، وكتاب الحالى والمائل،
وكتاب المجاز، وكتاب منترج الأخبار ومطبوع الابتكار وجلبها في صناعة الشعر توفى سنة ٣٨٨
ترجمته في ابن خلكان : ٦٤٦، بنية الوعاء : ٣٥، معجم الأدباء ١٠ : ١٥٤.

(٢) انظر الموازنة للآمدى ٢ : ١٤٤ خط أدب. طلعت.

(٣) بديع ص ١٠٩ (٤) الكلمة التي بين قوسين سقطت من ت.

(٥) سورة هود آية ٩٥.

* بحثه في بديع ابن المعتز : ١١١، الصنائع تحت اسم الاستثناء : ٣٩٦، العمدة
٢ : ٣٩، الفتح : ٢٢٦، الإيضاح ٦ : ٧٦، نهاية الأرب ٧ : ١٢١، حسن التوسل : ٥٨
الطراز تكلم عنه تحت اسم التوجيه ٣ : ١٣٦.

(م — ٤ بديع القرآن ب)

أجد منه إلا آية واحدة^(١) تحيلت على تأويل تدخل به في هذا الباب ، وهي قوله تعالى^(٢) : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْتَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ ﴾^(٣) ، فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يؤهم بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن ينقم على فاعله ، مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم ؛ والله أعلم .

* * *

باب تجاهل العارف *

وهذه تسمية ابن المعتز^(٤) ، وسماه غيره الإعنات^(٥) ، وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم ، أو ليدل على شدة الوَلَه في الحب ، أو لقصد التعجب ، أو التوبيخ ، أو التقرير ، وهو على قسمين : موجب ، ومنفي ، وكل قسم على ضربين : ضرب يكون الاستفهام فيه عن شيئين : أحدهما واقع ، والآخر غير واقع . وللمتكلم أن ينطق بأحدهما ويسكت عن الآخر ، لدلالة الحال عليه .

(١) كذا في الأصل ، ت أما في ا ، ب ، د ، س : « لم أعتد منه إلا آية » ، وكلاهما بمعنى واحد .

(٢) الزيادة عن جميع النسخ . وهي ساقطة من الأصل .

(٣) سورة المائدة آية ٥٩ .

* بحثه في الكامل ١ : ٣٨٤ ، بديع ابن المعتز : ١١١ ، الصنائع : ٣٩٦ ، بديع ابن منقذ : ٤٧ ، النبيان للزمكاني تحت اسم التجاهل ١٣٨ ، المفتاح تحت اسم سوق العلوم مساق غيره : ٢٢٧ ، الإيضاح : ٨٥ ، عروس الأفراح ٢ : ٥ ، خزائن ابن حجة : ١٢٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٣ ، حسن التوسل ، ٥٨ ، الطراز ٣ : ٨٠ .

(٤) البديع له ص ١١١

(٥) (لم يسمه أحد الإعنات) ، وإنما الإعنات شيء آخر أخطأ فيه المؤلف وسماه (عتاب المرء نفسه) هذا النوع سماه غير ابن المعتز وهو السكاكي (سوق العلوم مساق غيره) ، الإيضاح ٦ : ٨٥ ، خزائن ابن حجة ١٢٢

- ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ أَبَشِّرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ^(١) ﴾
وهذا خارج مخرج التعجب ، وقوله سبحانه ﴿ أَصَلَوَاتُكَ ^(٢) ﴾ :
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴿
وهذا خارج مخرج التوبيخ ، وقوله تعالى : ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ^(٣) ﴾ ، وقوله عز وجل : ﴿ أَنْتَ فَعَلْتَ
هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِزْرَاهِيمَ ^(٤) ﴾ ، وهذا والذي قبله خارج مخرج التقرير ، وكل
هذه المواضع من القسم الموجب ، وأما ما جاء من القسم المنفي كقوله تعالى :
﴿ مَا هَذَا بِبَشَرٍ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ^(٥) ﴾ فجاء هذا اللفظ في هذه الآية
متجاوزاً تشبيه العرب كل من راعهم حسنة من البشر بالجن ، إلى تشبيه يوسف
صلوات الله عليه حين كان حسنة راعياً ، وله مع ^(٦) الرّوعة نورٌ وطلاقة ، وعليه
سكينة تؤمن ناظره من تلك الروعة ، وثبت قلبه لما يسرى إليه من سكينة ،
فكان كذلك تشبيهه بالملك الكريم أصح وأوقع وأشدّ مطابقةً من أكثر
الجهات ؛ والله أعلم .

(١) سورة القمر آية ٢٤

(٢) كذا في جميع الأصول . وهي قراءة نافع بن الأزرق ، وعليها سار صاحب الجامع
لأحكام القرآن . والذي في ت « أصلانك » وهي قراءة حفص ، وعليها رسم المصحف . وهي
آية ٨٧ من سورة هود .

(٣) سورة المائدة آية ١١٦

(٤) سورة الأنبياء آية ٦٢

(٥) سورة يوسف آية ٣١

(٦) كذا في جميع الأصول . والذي في ت « من » والأول أنيب بالسياق .

باب حسن التضمين*

وهو أن يضمّن المتكلم كلامه لفظةً من بيت أو جملة مفيدة منه ، أو جزءاً عريضاً ، أو ما زاد على ذلك ، بشرط ألا يبلغ المقدار المضمّن نصف بيت يشير إلى ذلك البيت ، أو إلى القصيدة التي البيت منها ، وإن كان التضمين من المنشور^(١) كان المضمّن مشيراً إلى الكلام الذي هو منه سواء كان سورة ، أو حديثاً ، أو خطبة ، أو رسالة ، أو غير ذلك من أنواع المنشور ، أو مثلاً سائراً ، أو فقرة من حكمة ، أو جزءاً من موعظة ، ولم أظفر بشيء من هذا الباب (في^(٢)) الكتاب العزيز إلا بموضعين تضمّنًا فصلين من التوراة والإنجيل : أحدهما قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ^(٣) ﴾ ، الآية فإن هذه الأحكام تضمّنها كتابنا من التوراة ، والآخر قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ^(٤) ﴾ ، الآية ، فإن معنى هذه الآية — وهو أسم الرسول ونعته وصفة أصحابه — تضمّنها كتابنا من الكتابين الأولين ، بدليل قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(٥) ﴾ ، وبدليل قوله [٢١]

* بحثه في البيان والتبيين تحت اسم الاقتباس والتضمين ، ٢ : ٦ ، بديع بن المعتر : ١١٤
العمدة ٢ : ٦٨ ، النسك في إعجاز القرآن : ٩٤ ضمن مجموعة ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق
الأستاذ محمد أحمد خلف الله وآخر ، بديع ابن منقذ : ١٢١ البيان لأزملكاني : ١٤٧ ، المثل السائر :
٤٥٧ ، خزائن ابن حجة ، تحت اسم الاقتباس : ٤٤٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٦ ، حسن التوسل .
(١) كذا في الأصل ، د ، س . والذي في أ ، ب « المشهور وهو خطأ من الناسخ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت وعبارة أ ، ب « ولم أظفر بشيء من هذا الباب من الكتاب » .

(٣) آية ٤٥ من سورة المائدة .

(٤) سورة الفتح آية ٢٩

(٥) سورة الأعراف آية ٢٥٧

سبحانه في آخر الآية التي ضمن معناها ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ^(١) ﴾ . ولهذا قال — صلى الله عليه وسلم — : « إن هذا (يعني القرآن) وما جاء به موسى من مشكاة واحدة » أو كما قال .

* * *

باب الكناية*

- هي عبارة (عن ^(٢)) تعبير المتكلم عن المعنى القبيح ^(٣) باللفظ الحسن ، وعن النجس بالطاهر ، وعن الفاحش بالعفيف ، هذا إذا قصد المتكلم نزاهة كلامه عن القبيح ، وقد يقصده بالكناية عن ذلك ، وهو أن يعبر عن الصعب بالسهل ، وعن البسّط بالإيجاز ، أو يأتي للتممية والإلغاز ، أو للستر والصيانة ، فمما جاء منها للتعبير عن النجس بالطاهر قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّامَ ^(٤) ﴾ ، كناية عن الجدث ، لأنه ملازم ^(٥) أكل الطعام ، وكقوله سبحانه : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ^(٦) ﴾ ، لأنه المنخفض من الأرض الذي يقصد لقضاء الحاجة . فسمي الجدث بأسم موضعه ، وكقوله عز وجل :

(١) سورة القنح آية ٢٩

* بحثها في قواعد الشعر لتطلب تحت اسم لطافة المعنى : ٤٣ ، رغبة الأمل ٦ : ٧١ ، يديم ابن المعتز : ١١٥ ، المدة ١ : ٢٠٩ ، الصناعتين : ٣٦٨ ، سر القصاحة : ١٥٦ ، يديم ابن منقذ : ٥٠ ، المفتاح : ٢١٣ ، المثل السائر : ٣٧٦ ، الإيضاح : ١ : ٤٣ ، خزانه ابن حجة : ٣٥٩ ، نهاية الأرب ٧ : ٥٩ حسن ، التوسل : ٢٦ ، الطراز : ٣٦٤

(٢) كلمة (عن) ساقطة من (ت)

(٣) كذا في الأصل ، د ، ا ، ب ، س ، والذي في (ت) القصيح) وهو تصحيف .

(٤) سورة المائدة آية ٧٥

(٥) كذا في الأصل وباقي النسخ والذي في ا ، ب « بلزوم »

(٦) سورة المائدة آية ٦

﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُونَ مِيراً^(١)﴾ ، كناية عن الجماع ، على أصح القولين ،
وكقوله تعالى : ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ^(٢)﴾ ، كناية عن المباضة ؛
والله أعلم .

• • •

باب الإفراط في الصفة*

وهذه تسمية ابن المعتز^(٣) ، وسمّاه قدامة^(٤) : المبالغة ، وسمّاه من بعدها :
التبليغ ؛ والناس على تسمية قدامة ، وعرفه بأن قال : هو أن يذكر التثنية
حالا لو وقف عندها^(٥) لأجزأت ، فلا يقف (عندها^(٦)) حتى يزيد في معنى
كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده ، وقد جاءت المبالغة في الكتاب العزيز
على ضروب : منها المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة ، فإنها
جاءت على ستة أمثلة : فعلان كرحان ، عدل عن راحم للمبالغة ، ولا يوصف به
إلا الله تعالى ، ولم تنعت العرب به أحداً في جاهلية ولا إسلام إلا مُسَيِّلَة
الكذاب ، نعتوه به مضافاً ، فقالوا : رحمان الهيامة ، وأنشد شاعرهم : (البسيط)

(١) سورة البقرة آية ٢٣٥ والسر : النكاح .

(٢) سورة النساء آية ٧١

* بحثه في قواعد الشعر لثعلب تحت اسم الإفراط في الاغراق . ٣٩ ، البديع لابن المعتز :
١١٦ ، قد الشعر : ٨٤ ، المدة ٢ : ٤٣ ، النكت للرومانى : ٩٦ ضمن مجموعة الصناعتين :
٣٦٥ ، سر الفصاحة : ٣٥٦ ، أسرار البلاغة ٢٥٧ ، بديع ابن منقذ : ٥٣ ، المثل السائر تحت اسم
الاتصاف والتفريط والإفراط : ٤٤٧ ، الإيضاح ٦ : ٦٢ ، خزنة ابن حجة : ٢٢٥ ، نهاية
الأرب ١٢٤ : ٧ ، حسن التوسل : ٥٩ ، الطراز ٣ : ١١٦

(٣) البديع له ص ١١٦

(٤) قد الشعر له ٥٠

(٥) كذا في الأصل ، ا ، ب ، د ، هـ ، والذى في « ت » « لو وقت عليها . »

(٦) زيادة عن « ت » .

* فأنْتَ غيْثُ الوري لا زلتَ رَحْمَانًا ^(١) *

فأما ^(٢) الرحمان بالألف واللام فلم يوصف به إلا الله عز وجل لأن رحمته وسعت كل شيء ، وليس للباري سبحانه صفة لا يُشَارِكُ فيها سواه .

وفَعَالٌ معدول (عن فاعل) للمبالغة كقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَنَفَّارٌ ^(٣)

لَئِنْ تَابَ ﴾ ، ﴿ عَلَامُ الْغُيُوبِ ^(٤) ﴾ ، ﴿ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ^(٥) ﴾ ، ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ^(٦) ﴾ .

وفعول عدل عن فاعل للمبالغة ، كغفور ، رحيم ، شكور ، ودود ^(٧) . [٢٢]

وفعيل عدل عن فاعل للمبالغة كعليم ، حكيم ، حلیم ، سمیع ، بصير ، حسيب ، وكيل ، عظيم ، فهذه الأربعة الأمثلة من الستة جاءت في الكتاب العزيز ، وبقية الستة وهي : مِفْعَلٌ معدول عن فاعل للمبالغة كدَعَسَ ^(٨) عدل عن داعس ^(٩) ، ومطعن عدل عن طاعن .

١٠

ومفعال معدول عن فاعل للمبالغة كِطْعَامٌ عن طاعم ^(١٠) ، ومقدام عن قادم ، ولم يأت لمذين المثالين في الكتاب الكريم شيء ^(١١) .

والضرب الثاني من المبالغة لم يأت له مثال في القرآن المجيد أيضاً وهو

(١) البيت لشاعر من بني حنيفة لم يعرف اسمه يمدح به مسيلة الكذاب ، وصبره

* سموت بالمجد يابن الأكرمين أبا *

الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٢٥ (الشواهد) تنزيل الآيات لمحج الدين افندي للمحق بهذا التفسير طبع مصطفى محمد سنة ١٣٥٤ هـ

(٢) وردت هذه العبارة في الأصل هكذا : « غفار الذنوب » ولا يوجد هذا

النص في كتاب الله — والصلوب ما أثبتنا كما في سورة طه آية ٨٢

(٣) سورة المائدة آية ١١٦

(٤) سورة الحجرات آية ١٢

(٥) سورة البروج آية ١٦

(٦) ما بين العلامتين ساقطة من (ت) .

(٧) ما أثبتناه عن أ ، ب وهو الصواب . والذي في بقية الأصول كدعس . ولا أرى

له معنى . والدعس كثر : الرمح يدعس به أي يطعن . (تاج العروس)

(٨) في أ ، ب : « العزيز »

ما جاء بالصيغة^(١) الماتمة في موضع الخاصة ، كقولك : أتاني الناس كلهم ؛ ولم يكن أذاك إلا واحد منهم ، أردت تعظيمه ، وما يلحق بهذا الضرب إلا وإن لم يكن مثله من كل وجه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، فوعدهم سبحانه بجزاء^(٢) غير مقدّر وتعظيماً للثواب لإخراج العبارة عنه مخرجاً عاماً لتتعدد الأذهان في مقدار الثواب .

والضرب الثالث من المبالغة إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، والإخبار عنه مجاز ، كقول من رأى موكباً عظيماً ، أو جيشاً خيماً : جاء الملك نفسه ، وهو يعلم حقيقة أن ما جاء جيشه ، وقد جاء من ذلك في الكتاب الكريم قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، فجعل محي جلالت آياته مجيئاً له سبحانه بالمبالغة وكقوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ ﴾ ١٠ حساباً^(٣) ، فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجداناً للمجازي .

والضرب الرابع من المبالغة إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ، ليمتنع وقوع المشروط ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾^(٤) .

والضرب الخامس من المبالغة ما جرى مجرى الحقيقة ، وهو قسمان : قسم كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْكَدُ سَكَاةً بِرَقَةٍ يَذْهَبُ ﴾ ١٠

(١) سورة الزمر آية ١٠

(٢) كذا في الأصل وفي بقية النسخ « أجرا » وما بمعنى واحد .

(٣) سورة الفجر آية ٢٢

(٤) سورة النور آية ٣٩ وما أنبتاه عن ا ، ب ، وهو نفس الآية . والنهي في الأصل د ، س « فوجد » والذي في « ت » فوجد عنده .

(٥) سورة الأعراف آية ٤٠

بِالْأَبْصَارِ^(١) ، فإن اقتران هذه الجملة بيكاد يصرّفها إلى الحقيقة ، فانقلبت من الأمتناع إلى الإمكان .

وقسم أتى بصيغة أفعل التفضيل ، وهو محض الحقيقة من غير قرينة ، كقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا^(٢) ﴾ .

- والضرب السادس من المبالغة ما بولغ في صفته بطريق التشبيه كقوله تعالى : ﴿ إِنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهَ جِبَالَاتٌ^(٣) صُفْرًا ﴾ فهذه ، ضروب المبالغة التي جاءت في الكتاب العزيز .

والمبالغة في الكلام على ضربين : ظاهرة ، ومدحجة ، وكل ما قدّمناه من الظاهرة .

- ومن أمثلة المدحجة قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ^(٤) ﴾ ، فإن مبالغة هذه الآية جاءت مدحجة في المقابلة .

- وجميع مبالغات الكتاب على ضربين : ضرب غير ممكن لا يأتي إلا مقترناً كما تقدّم من قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَابَرُوهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ والممكن قوله تعالى في هذه الآية : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ ، لما كانت ممكنة جاءت المبالغة فيها غير مقترنة ، لأنها في هذه الآية عرفية ، معنى الكلام فيها « أن علم ذلك بالنسبة إلينا هو متعذر علينا^(٥) » وسهل بالنسبة إلى علم الله سبحانه ، فالمبالغة فيها إذا بالنسبة إلينا إلى الله عز وجل .

* * *

(١) سورة النور آية ٤٣ (٢) سورة الكهف آية ٣٤

(٣) آيتا ٣٢ و ٣٣ من سورة والمرسلات . وقوله : « جالات » قراءة ورش عن نافع ، أما « جالة » فهي قراءة حفص ؛ وعليها رسم المصحف .

(٤) سورة الرعد آية ١٠

(٥) كذا في الأصل ، ا ، ب . والذي في بقية النسخ « أن علم ذلك متعذر بالنسبة إلينا » الخ والأخيرة أخصر .

باب التشبيه*

حدّ التشبيه البليغ الصناعي : إخراج الأغصان إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف ، ووقوع حسن البيان فيه على وجوه : منها إخراج ما تقع عليه الحاسة ، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ^(١) ﴾ ، فهذا بيان إخراج ^(٢) ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، وقد أصبحت في بطلان التوهم مع شدة الحاجة ، ولو قيل « يحسبه الرائي ماء » لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ، لأن الظمآن أشدّ حرصاً عليه ، وأكثر تعلق قلب به ، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه ، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم ، وعذوبة الألفاظ ، وصحة الدلالة ، وصدق التمثيل . ١٥

ومنها إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقِفْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ^(٣) ﴾ ، وهذا بيان إخراج ما لم تجربه العادة إلى ما جرت به العادة ، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة . ومنها إخراج ما لا يُعلم بالبدية إلى ما يُعلم بالبدية ، كقوله سبحانه : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ^(٤) ﴾ ، وهذا ١٥

* بحثه في الكتاب لسبويه ١ : ١٢١ ، قواعد الشعر : ٣١ ، البيان والتبيين ٢ : ١٩٠ ، رغبة الأمل ٦ : ١٤٣ ، بديع ابن المعتز : ١٢١ ، قداد الشعر : ٦٥ ، الصفة : ١٩٤ ، الوساطة ٤١ ، السكت في إعجاز القرآن : ٧٤ ، الصناعتين : ٢٣٩ ، سر القصاحة : ٢٣٥ ، أسرار البلاغة : ٥٢ ، البيان للملكاني : ٧٠ ، روضة القصاحة : ١٠٠ ، المفتاح : ١٨٧ ، المثل السائر : ٢٣٢ ، الإيضاح ٤ : ٣٩١ ، خزائن ابن حجة : ١٧٣ ، نهاية الأرب : ٣٨٠ ، حسن التوسل : ١٣ ، ألف فيه الأستاذ على الجندی كتاباً خاصاً تحت اسم فن التقيبه .

(١) سورة النور آية ٣٩

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت ، والذي في ١ ، ب « اخرج » والأول أظهر .

(٣) سورة الاعراف آية ١٧١

(٤) سورة آل عمران آية ١٣٢

بيان إخراج ما لا يُعلم بالبدئية إلى ما يُعلم بالبدئية ، وقد اجتمعا في العظم ، وحصل من ذلك الوصف التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة .

ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة ، كقوله تعالى : **(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ^(١))** ، وهذا بيان إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة ، وقد اجتمعا في العظم ، إلا أن الجبال أعظم ، ولهذا جاءت مشبها بها ، وفي ذلك المبرة من جهة قدرة من سخر الفلك الجارية على الماء مع عظمها ولطفه ، وما في ذلك من ارتفاع الخلق بحمل الأثقال ، وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة ، وما يلزم ذلك من تسخير الرياح للانسان ، فتضمن ذلك^(٢) فنا عظيما من الفخر وتمداد النعم على العباد .

ومنها إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار ، كقوله تعالى : **(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^(٣))** ، وهذا إنكار على من جعل حرمة الجهاد كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر ، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان ، وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفته بالقياس ، ومن هذا قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « لحرمة رجل مؤمن عند الله أعظم مما طلعت عليه الشمس » أو كما قال عليه السلام . ١٥

وهذا التشبيه أعنى جنس التشبيه الصناعي على ضربين : ضرب بأداة . « وضرب بغير^(٤) أداة » وأدوات التشبيه خمس : الكاف ، وكأن ، وشبه ، ومثل ، والمصدر

(١) سورة الرحمن آية ٢٤ .

(٢) ما أثبتناه عن الأصل . والذي في بقية النسخ « الكلام » .

(٣) سورة التوبة آية ١٩ .

(٤) ما بين قوسين ساقط من ت

بتقدير^(١) الأداة ، وقائدة حذف الأداة قرب المشبه من المشبه به .
ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة أستعارة ولم يجعله تشبيهاً ،
وأكثرهم على خلافه ، وفي المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة معه ، كقول الشاعر [البيضاقي]
* فإنما هي إقبال وإدبار^(٢) *

أى ذات إقبال وذات إدبار ، وفي أنواع التشبيه نوع لا بد من تقدير
الأداة فيه كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْوَاهُ أَمَّهَاتُهُمْ^(٣) ﴾ وهو من غير قسمي
التشبيه ، أغنى قسمي المصادر فمثال القسم الذى بالأداة قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ
نُورِهِ كَمِثْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ^(٤) ﴾ ومثال الذى جاء بغير أداة قوله تعالى : ﴿ وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ^(٥) ﴾
السَّحَابِ^(٥) وكل ضرب من هذين الضربين ينقسم تسعة أقسام : وهذه الأقسام
على ضربين : ضرب متحد ، وضرب متعدد ، فالمتحد ينقسم وفق أعداد أدوات
التشبيه الخمس : من تشبيه شيء بشيء ، إلى تشبيه شيء واحد بخمسة أشياء .
والمتعدد إلى أربعة أقسام : من تشبيه شيئين بشيئين ، إلى تشبيه خمسة أشياء
بخمسة أشياء ، ولم يأت من هذه الأقسام في الكتاب العزيز سوى القسم الأول
منها ، وهو تشبيه شيء واحد بشيء واحد مصرح به ، وجاء في موضع آخر
تشبيه شيء واحد بشيئين غير مصرح بهما ، واستغنى عن ذكر بقية الأقسام بالقرائن
توخياً للإيجاز الذى بُنى عليه نظم القرآن ، فمثال تشبيه شيء واحد بشيء واحد قوله

(١) ما أثبتناه عن باقي النسخ . والذي في الأصل « بتقدير » والواو زيادة
من الناسخ .

(٢) هذا عجزيت للخنساء صدره : * ترثع مارتعت حتى إذا ادكرت * الحزاة للبغدادى
٢٠٧ ، السكمل ص ٧٣٧ طبع أوروبا ، سيبويه ١ : ١٦٩

(٣) - سورة الأحزاب آية ٦

(٤) - سورة النور آية ٣٥

(٥) - سورة النمل آية ٨٨

تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ « إِنْ تَحْمِلْ ^(١) عَلَيْهِ يَلْهَثْ ») .

وكقوله عز وجل في تشبيه حال المنافقين بحال المستوفد ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ
الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ^(٢) ﴾ ، وهذا من أصدق تشبيه وأحسنه وأقربه ^(٣) .

ومثال تشبيه شيء واحد بشيئين غير مصرح بهما قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ

فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ^[٢٥]
فَأَهْلَكَتْ ^(٤) ﴾ ، فمثل سببانه ، ما ينفق هؤلاء وهو شيء واحد بالريح الباردة ،

وإهلاكها ما أصابت من حرث من ظلم نفسه فيتغلب من هذا الكلام حصول
تشبيه شيء واحد بشيئين من ^(٥) تشبيه الاتفاق بالريح وما أهلكته ؛ وعكس

هذا التشبيه قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ

الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ^(٦) ﴾ ، لأن الذين حُمِّلُوا التَّوْرَةَ جمع ، والحمار مفرد ، وهو

عكس ما قبله من تشبيه مفرد بجمع ، لأن الاثنين جمع على الحقيقة ، إلا أن

لفظ الحمار لو عرى عن وصفه بحمل الأسفار ، لجاز تشبيه هؤلاء القوم به ، إذ

لم يعرفوا التوراة حق معرفتها ، ولم يعملوا بما فيها ، والعادة جارية بتشبيه كل

بعيد الفهم ، بليد القلب لا يهتدى إلى تأويل صحيح ، ولا يفطن للمعنى المراد

منه بالحمار ، فلو شبه هؤلاء بالحمار لصح ، لكن في ذكر الحمار والأسفار معان

(١) سورة الأعراف آية ١٧٦ وما بين العلامتين زيادة عن « ت » .

(٢) سورة البقرة آية ١٧

(٣) كذا في الأصل . والذي في بقية النسخ « وأغربه » وهو أنسب بالسياق .

(٤) سورة آل عمران آية ١١٧

(٥) كذا في الأصل . وهي سافضة من بقية النسخ .

(٦) سورة الجمعة آية ٥

تزيد الكلام بياناً وحسناً، وهى حصول المزاوجة فى اللفظ، والمقابلة فى النظم، والملاءمة فى المعنى حيث قال سبحانه: (حُمِّلُوا التَّوْرَةَ) والتوراة خمسة أسفار، فأقتضت البلاغة تكميل معنى التشبيه بذكر الحمل لتحصل المزاوجة بين قوله (كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ) والملاءمة بين ذكر التوراة التى هى (عدة^(١)) أسفار وبين ذكر الأسفار فى قوله: (يَحْمِلُ أَسْفَاراً) فحصل فى الكلام بالمزاوجة، والملاءمة كمال التشبيه وبيان المعنى.

ومن أمثلة تشبيه شئ واحد بشيئين قوله تعالى فى تشبيه حال المنافقين أيضاً بعد الآية التى قدمت ذكرها: (أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ^(٢)) (يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا^(٣)) فأفادت تشبيه للمنافقين وهو تشبيه واحد بالصيب وما فيه من الرعد والبرق والظلمات ليكمل معنى التشبيه المراد الذى هو الاخبار عنهم بحالهم فى الإسلام وترددهم فيه، فإذا مالوا إليه بالظاهر بما يظهرون منه أشبهت حالهم حال من يضيء له البرق (فيمشى^(٤) فيه) فإذا أغمض (إيماضه^(٥)) وقعوا فى تلك الظلمات التى فى الصيب فلا يهتدون سبيلاً، فيقيمون.

ومن التشبيه نوعان آخران^(٥) غير ما ذكرناه: أحدهما تكون أدواته أفعال الشك، واليقين كقولك: حسبت زيدا فى جرأته الأسد، وعمرافى جوده النعام، فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد، وعمره بالنعام، ومنه قوله تعالى:

[٢٩]

(١) ساقطة من «ت».

(٢) آيتا ١٩ و ٢٠ من سورة البقرة.

(٣) كذا فى الأصل، د، س، ت، أما فى أ، ب فإن فيها «شئ» منه وهو تحريف

(٤) كذا فى الأصل، أ، ب، د، س. والذى فى «ت» «ما فيه» وهو تحريف

من الناسخ.

(٥) ساقطة من «ت».

{ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ زُقُودٌ ^(١) } ، فإن حاصله تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالأيقاظ ، لمشاركتهم الأيقاظ في بعض صفاتهم ، لأنه قيل : إنهم كانوا مفتحي العيون في حال نومهم .

والنوع الثاني يسمى تشبيه التوليد والتمثيل كقول الكميّ (البسيط) :

أحلامكم لستام الجبل شافيةٌ كما دماؤكم يُشفى بها الكلب ^(٢)

فإن هذا الشاعر زوج التشبيه بالاستعارة ، فتولد بينهما مدحٌ ممدوحه ^(٣) بالشرف ، حيث مدحهم بالحلم ، وأخرج كلاً من صدر بيته ، وعجزه مخرج المثل ، فلا حَمَ بين تمثّل العجز وبين الطباق الذي في الصدر بما قدم على التمثيل من أداة التشبيه ، وهذا النوع لم يأت مثله في الكتاب العزيز ، لكونه لا يأتي إلا مصنوعاً مقصوداً ، والله أعلم .

باب عتاب المرء نفسه*

وهو من أفراد ابن المعتز ، ومنه قوله تعالى : { يَا حَسْرَتِي عَلَى

(١) سورة الكهف آية ١٨

(٢) البيت في اللسان ، والتاج ، ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٨ تحقيق الأستاذ محمد عيسى الدين عبد الحميد . والكلب بالتحريك : داء يصيب الإنسان من عض الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعش أحداً إلا كلب .

(٣) في الأصل ، د ، س « ممدوحه » ؛ والسياق يقتضي ما أنبتنا ، وهي ليست في « ب » .
* تكلم عنه ابن أبي الأصبغ في تحرير التحرير وقال : إنه من أفراد ابن المعتز . ومثله
بيتين لم يرض عنهما لأنهما لا يصلحان لهذا النوع ، ثم أتى بأمثله من عنده تصحح لعتاب المرء نفسه ، والمحققة أن ابن أبي الأصبغ فهم أن البيتين لا يصلحان مثلاً لهذا الباب ، وفاته أن باباً بأكمله مدخول على ابن المعتز ، لأن ابن المعتز لم يتكلم عن عتاب المرء نفسه . وإنما تكلم عن إعانات المرء نفسه ، أو لزوم ما لا يلزم ، والتصنيف قريب بين إعانات وعتاب ، ولبت الأمر كان كذلك عند ابن أبي الأصبغ وحده ، بل إن ما وقع فيه هو وقع فيه جميع أصحاب البيهقيّات بعده (راجع خزائن ابن حجة : ١٤٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢) وحسن التوسل (٦٠ :)

مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ (١) اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ (٢) وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي مِنَ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿

* * *

باب حسن الابتداءات*

وهي تسمية ابن المعتز (٣) ، وأراد بها ابتداءات القصائد ، ومما يدخل في هذا الباب من الكتاب العزيز ابتداءات السور ، وإذا تدبرتها جلتها ، وتفصيلها ، ومفرداتها ، ومركباتها ، ومعجزاتها ، ومعرّباتها ، ونظرت في أعداد حروفها ، وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي ، وما نسب إليه من المعاني ، رأيت من البلاغة والتفنن في أنواع الإشارة ما تقصر عنه العبارة ، ومن أراد شفاء الغليل في ذلك فليقف على كتابي الذي أفردته لها ، ووسمته (الخواطر السوانح في كشف سرائر القوامع (٤)) فإن هذا المكان من هذا الكتاب يضيق عن ذكر شيء منه ، لأنه لا يمكن تجزئته ، إذ بعضه مرتبط ببعض ؛ والله أعلم . هذا آخر أبواب ابن المعتز ، ومن ها هنا نبتدي بأبواب قدامة ؛ وأولها :

(١) سورة الزمر آية ٥٦

(٢) الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ من سورة الفرقان .

* بحثه في البيان والتبيين : ١١٢ ، بديع ابن المعتز : ١٣٣ ، الوساطة تحت اسم الاستهلال ٤٨ ، الزملاكاني كذلك : ١٣٤ ، بديع ابن منقذ تحت اسم المبادئ والمطالع : ١٣٤ ، المثل السائر تحت عنوان المبادئ والافتتاحات : ٤٠٣ ، روضة القضاة تحت اسم حسن المطالع : ٤٤ ، الطراز تحت اسم المبادئ والافتتاحات ٢ : ٢٦٦ ، خزنة ابن حجة تحت اسم براعة الاستهلال : ٣ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٣ ، حسن التوسل : ٦٥

(٣) بديعه ص ١٣٣ .

(٤) لم أعر على هذا الكتاب فيما راجعته من المظان ، وإن أخطأ في اسمه بعض المحققين والمؤلفين .

باب صحة الأقسام*

صحة الأقسام عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا ينادر منه شيئاً، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ^(١) ﴾ إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين ؛ ومن لطيف ما وقع في هذه الآية من الحال ^(٢) تقديم الخوف على الطمع ، إذ كانت الصواعق يجوز وقوعها من أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد تواتر الإبراق ، لأن تواتره لا يكاد يُخلف ، لهذا كانت العرب تعُدّ سبعين برقةً وتذتجع فلا تخطيء الغيث والكلأ ، وإلى هذا أشار المتنبي بقوله (الوافر) :

وقد أَرِدُ الْمِيَاءَ بغير هادٍ سَوَى عَدَى لَهَا بَرْقَ الْغَامِ ^(٣)

١٠

ولما كان الأمر الخوف من البرق يجوز وقوعه من أول برقة واحدة ، آتى ذكر الخوف في الآية مقدماً أولاً لكون الواحد أول الصدد ، ولما كان الأمر المطمع من البرق إنما يقع بعد عدد من الإبراق آتى ذكر الطمع تالياً لكونه

* بحثفي البيان والتبيين ١ : ٢٣٨ ، قد الشعر : ٧٨ ، جواهر الألفاظ : ٦ ، الوساطة ..
٤٦ ، الصناعتين : ٣٤١ ، سر القصاحة : ٣٢٤ ، دلائل الإعجاز : ٧٤ بديع ابن منقذ : ٣١
الفتاح : ٢٢٥ ، المثل السائر تحت اسم التناسب بين المعاني : ٤٢٩ ، التلخيص ..
٢٤٩ الإيضاح للقرطبي ٦ : ٤٧ خزانة ابن حجة : ٣٦٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٦ ، حسن التوسل : ٦٧ .

(١) سورة الرعد آية ١٢ وفي الأصل : « وهو » بزيادة الواو ، وهو خطأ من الناسخ .

(٢) في (١) ، (ب) « من المياء » وهو خطأ .

(٣) شرح المكبري على ديوان أبي الطيب المتنبي ٢ ص ٤١١ طبع بولاق .

(م — • بديع القرآن ب)

لا يقيم إلا في أثناء العدد ، وليكون الطمع ناسخاً للخوف : كجىء الرخاء بعد الشدة ، والفرج بعد الكربة ، والمسرّة بعد الحزن ، فيكون ذلك أحلى موقفاً في القلوب ، ويشهد لهذا التفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْقَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۖ ﴾^(١) ، فجاء معنى الآية على ما جاء رحمة من الله

سبحانه بخلفه ، وبُشِّرَى لعباده ، وحصل في نظم هذه الكلمات التي هي بعض آية مع صحة التقسيم التي اقترنت بصحة التفسير حسن التهذيب والترتيب .

ومما جاءت صحة التقسيم فيه مدحجة في المقابلة قوله تعالى :

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۖ ﴾^(٢) ، وقد أعتزمت هاهنا مطابقة بين

القسمين المتقابلين ، واستوعب الكلام أقسام الأوقات من طرفي كل يوم وليلة ،

ووسطها ، فصحت أقسام أجزاء الطرف الزماني ، وجهتي العلو والسفل من الطرف

المكاني ؛ وهذه الآية من أعجب ما وقع فيه مقابلة من الكلام ، لأنك إذا

جعلت كل ضد منها مقابلاً في طرف من طرفها كانت مقابلة بالموافق ، فإن

المساء موافق للعشي لا مخالف ، والإصباح موافق للإظهار لا مخالف ، والمقابلة

تكون بالأضداد وبغير الأضداد من الموافق والمخالف ، فإن جعلت مقابلاتها

بالأضداد كان ما فيها طباقاً لا مقابلة ، لأن المساء ضد الصباح ، والعشاء ضد

الظهر ، وليست جملة الطرف الثاني مقابلة لجملة الطرف الأول إلا مع العدول عن

الترتيب ، فإنك تقابل المساء بالإظهار والعشي بالإصباح ، لأن العشي أسم لأوّل

الليل ، والإصباح أسم لأوّل النهار .

ومن صحة الأقسام قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ۖ ﴾

(١) سورة الشورى آية ٢٨

(٢) آيتا ١٧ و ١٨ من سورة الروم .

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ^(١) ، فلم يترك سبحانه قسماً من أقسام الهيئات حتى أتى به ،
ومثل هذه الآية آية يونس ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾ (٢٨)
دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا^(٢) ، لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة
أوجبها البلاغة ، فتضمن الكلام بها الأتلاف ، وذلك أن الذكر يجب فيه
تقديم القيام ، لأن المراد به ها هنا الصلاة ، والله أعلم . والقيام واجب فيها
على المستطيع ، والقعود بعد لمن لم يستطع القيام ، والأضطجاع للعاجز عن
القعود ، والضرر يجب فيه تقديم الاضطجاع لغلبة الضعف في مبادئ الإعلال
وتزيدها ، وإذا زال بعض العلة عند الأخطاط قعد المضطجع ، وإذا زالت
العلة كلها وتراجعت القوة قام القاعد ، والمراد بالدعاء ها هنا الصلاة أيضاً .
والله أعلم .

١٠

فإن قلت : هذا التأويل لا يصح إلا إذا كانت الواو هي العاطفة ، فلم
عدل عنها وبها يحصل في الكلام حسن النسق واثتلاف الألفاظ بمعانيها ،
ويتم حسن البيان إلى « أو » التي يسقط معها ذلك ؟ قلت : تأثير الضرر على
أقسام : فإن من الضرر ما يصرع المضرور عند وروده ، ومنه ما يقعه ، ومنه
ما يأتيه وهو قائم لا يبلغ به شيئاً من الحالتين المتقدمتين ، والدعاء أو الصلاة
عند أول مس الضرر ، فإن الضرر والجزع عند الصدمة الأولى ، ثم تقسيم الضرر
الذي ذكرناه يقتضي تعديد المضرورين ، فوجب العدول عن الواو لتوخي الصدق
في الخبر ، والكلام على ذلك موصوف بالاثتلاف ، وحسن النسق ، وحسن
البيان إلى « أو » لأجل تعدد المضرورين ، وتقديم ذكر من يصرعه الضرر ، لأن
تقديمه الأهم لكونه أشد ضرراً ، وهو^(٣) أكثرهم تضرعاً ، وإذا أوجب تقديمه

٢٠

(١) سورة آل عمران آية ١٩١

(٢) سورة يونس آية ١٢

(٣) كذا في الأصل . والذي في باقي النسخ « فهو » .

أوجب حسن الترتيب أن يتلوه ذكر القاعد، ثم ذكر القائم، فيحصل في الكلام حسن الترتيب مع ما فيه من الائتلاف، وحسن النسق، وحسن البيان، وصحة التقسيم.

ومن صحة التقسيم أيضاً قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا^(١)﴾، لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بهية الإناث، أو بهية الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهبه شيئاً، فقد وقعت صحة التقسيم في هذه الآية على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة، وهو الانتقال في النظم من الأدنى إلى الأعلى، إذ قدم فيها هبة الإناث، وانتقل إلى هبة الذكور، ثم إلى هبة المجموع، وجاء كل أقسام العطية بلفظ الهبة، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير لأن إنعامه على عباده أهم عنده، وتقديم للأمم واجب^(٢) في كل كلام بليغ، والآية سبقت للأعتداد بالنعم، وإنما أتى بذكر الحرمان ليتكامل التمدح بالقدر على المنع كما يمدح بالعطاء، فيعلم أنه لا مانع لما أعطى، ولا مُعطى لما منع، وقال سبحانه في الإخبار عن الحرمان: وَيَجْعَلُ، عادلاً عن لفظ الحرمان والمنع إلى لفظ هو رِذْفُهُ وتأنيبه، وهو لفظ الجمل كما قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ^(٣) مَا تَحْرُمُونَ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا^(٤)﴾، وكذلك جاء لفظ الأعتداد بالماء حيث قال فيه: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا^(٥)﴾، بلفظ الجمل عند ذكر الحرمان، وما هو في معناه، وجاء العطاء بلفظ الزرع في الحرث، وفي الماء بلفظ الإنزال،

(١) سورة الشورى آيتا ٤٩ و ٥٠

(٢) كذا في الأصل، د، س، ت. وفي ا، ب «أوجب».

(٣) ما أثبتناه عن «ت» وهو الصواب. أما بقية النسخ بما فيها الأصل فقد وردت فيها الآية «قل أرايتم» وهو خطأ في جميعها. وهذه آيات ٦٣، ٦٤، ٦٥ من سورة الواقعة.

(٤) سورة الواقعة آية ٧٠

- فإن قيل : لم أكد الفعل باللام في قوله في الزرع : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾^(١) ولم يؤكد في الماء حيث قال : ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾^(٢) ؟ قلت : لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يمود حطاماً مما يحتمل أن يتوهم أنه من فعل الزراع ، ولهذا قال سبحانه : ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ أو يتوهم أن خصبه من سقى الماء ، وأن جفافه من حرارة الشمس وعدم السقى ، أو تواتر مرور الإعصار ، فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك كله على الحقيقة ، وأنه قادر على جعله لو شاء حطاماً في حالة نموه وزمن شببته ونضارته ، فلما كان هذا التوهم محتملاً أوجبت البلاغة تأكيد فعل الجعل فيه وإسناده لزاعه على الحقيقة ومنشته لرفع هذا التوهم ، ولما كان إنزال الماء من السماء محالاً بما لا يتطرق احتمال توهم متوهم أن أحداً من جميع الخلق قادر عليه لم يحتج إلى تأكيد الفعل في جملة أجاجاً ، فإنه لا يمكن أن يتوهم أحد أن أحداً ينزل الماء من السماء أجاجاً ولا عذاباً الذي هو أسهل من الأول وأهون .

- ومن صحة الأقسام قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٣) أما الآية الأولى فاستوعبت^(٤) جميع الأوصاف المحمودة ، إذ وُصف المؤمنون فيها بجميع العبادات ، لأن العبادات كلها نوعان : بدنية ومالية ؛ والبدنية قسمان : عبادة الباطن ، وعبادة الظاهر ؛ والمالية أيضاً قسمان : ما يشترك فيه المال والبدن ، كالحج والجهاد ، وما ينفرد به المال كالزكاة ، وصدقة التطوع على اختلاف أصنافها ، فقوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ إشارة

(١) آية ٦٣ من سورة الواقعة .

(٢) آية ٧٠ من سورة الواقعة .

(٣) آيتا ٣ ، ٤ من سورة البقرة .

(٤) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في اوب : « فاستوفت » .

إلى عبادة الباطن ، لأن الإيمان التصديق ، وهو من أعمال القلب ، وقوله سبحانه : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ تصريح بعبادة الظاهر ، وقوله عز وجل : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ إشارة إلى العبادة المالية ، فاستوعبت جميع الأقسام على الترتيب ، حيث قدّم عبادة الباطن على عبادة الظاهر ، وعبادة البدن على عبادة المال ، مع وصفه سبحانه لهم بالنزاهة عن جميع أوصاف الكسب المذمومة : من الخيانة ، والسرقة ، والربا ، والغصب ، وجميع أنواع الظلم ، إذ أضاف عز وجل رزقهم لنفسه ، ليشير إلى أنه الحلال الطيب ، لأنه لا يضاف إلى الله سبحانه من الرزق إلا الحلال ، وأن الحرام ممن كسب العبد ، وأن^(١) كسبه ذلك بقضاء الله وقدره عليه على المذهب الصحيح ، لكنه لا تجوز إضافته إلى الله سبحانه أدباً معه عز وجل ، وأما الآية الثانية فاستوفت أقسام الزمان في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ، فإن إيمان هؤلاء المؤمنين بما أنزل إلى الرسول — صلى الله عليه وسلم — إيمان في الحال ، وبما أنزل من قبله إيمان في الماضي ، وإيمانهم^(٢) بالآخرة إيمان في المستقبل^(٣) ثم زاد إيمانهم بالآخرة وصفاً إذ أخبر أنه إيمان متيقن ، ليدلّ بذلك على قوة تصديقهم للنبي — صلى الله عليه وسلم — ووثوقهم بأن ما أخبر بوقوعه سيقع يقيناً لا شك فيه ولا شبهة ، فحصل في هذه الآية مع نهاية المدح صحة الأقسام في اللفظ ، والمبالغة في معنى المدح ، والإيفاء في الفاصلة إذ زاد بها المعنى زيادة ما حصلت إلّا بها ، وإذا نظرت بين معنى هذه الآية التي عدتها اثنتا عشرة لفظة وبين قول زهير ، وهو أجل بيت جاءت

(١) كذا في الأصل ، د ، ت ، س والذي في ا ، ب « وإن كان كسبه » .

(٢) ما أثبتناه عن جميع النسخ . والذي في الأصل « وإيمانهم » وهو تصحيف .

(٣) ما أثبتناه عن جميع النسخ . وهو المناسب هنا . وعبارة الأصل « إيمان استقبال » .

فيه صحة التقسيم وأبلغه^(١) (الطويل) :

«وَأَعْلَمَ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمٍ»^(٢)

علمت مقدار ما بين البلاغتين ، وذلك أن عدة البيت ثلاث عشرة لفظة

وفيه من زيادة اللفظ التي لم يوث بها إلا لأجل الوزن (و^(٣)) القافية لفظتان ،

فإن ملخص معنى عجز البيت كله أن يقول : ولا أعلم ما في الغد ، فأضطره

الوزن والقافية إلى أن قال ما قال ، وألحظ كم بين قافية البيت وفاصلة الآية

وما تضمنته الآية من مدح المؤمنين في الأزمنة الثلاثة ، وما في إجماع ذلك

للمدح من الإشارة إلى الإيمان بجميع كتب الله التي أنزلها ، وجميع رسله

التي أرسلها ، وبما سيكون من أمر البعث ، وما تحققت به الكتب من

جميع ما فيه من الحساب والمساءلة والصراط والميزان والجنة والنار . وجميع ١٠

أصناف الثواب والعقاب ، وتفاصيل هذه الجملة التي نوردت معانيها بألفاظها

الموضوعة لها للملاذ الأكوان ، وكانت كما أخبر عنها الرحمن بقوله تعالى : [٣١]

﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَجْرٍ مَا قَدَرَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾^(٤) ، فسبحان التكلم بهذا الكلام^(٥) ، «وَأَيْنَ

يقم البيت من الآية ، فإن بينهما من البعد ما بين التكلم بهما ، بل أين هو ١٥

(١) ما أنبتناه عن جميع النسخ . والذي في الأصل : « وتبلغ » .

(٢) ديوانه من ٢٩ طبع دار الكتب .

(٣) هذه الواو ساقطة من الأصل ، وقد أنبتناها عن جميع النسخ إذ بدونها يضطرب المعنى .

(٤) سورة لقمان آية ٢٧

(٥) ما بعد هذه الكلمة إلى آخر الباب ساقط من (١) فقط . وقد أنبتناه عن الأصل وباقي النسخ .

من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأنفيت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت »^(١) بل أين البيت من قول على - عليه السلام - من الكلام الذى قال فيه أبو عبيدة فى كتاب الأمثال :
ارتجل الإمامُ على « عليه السلام » نسع^(٢) كلمات قطع الاطماع عن اللّحاق
بواحدة منهن : ثلاث فى المناجاة « وثلاث فى^(٣) العلم » وثلاث فى الأدب ،
فأما التى^(٤) فى المناجاة فقوله : كفانى عزّا أن تكون لى ربا ، وكفانى
فخرا أن أكون لك عبداً ، أنت لى كما أحبّ ، فوقّنى لما تُحِبّ . وأما التى
فى العلم فقوله : المرء مغبوء تحت لسانه ، تكلموا تعرفوا ، ما ضاع أمرؤ
عَرَفَ قَدْرَه . وأما التى فى الأدب فقوله : أنعم على من شئتَ تكن أميره ،
وأستغن عن شئتَ تكن نظيره ، وأحتج إلى من شئتَ تكن أسيره ، وهذه
الكلمات أودت بإرادها ، فإنها الداخلة فى هذا المعنى .

ومما يدخل فى هذا الباب : للمؤمن على المؤمن تسعة حقوق : يديم^(٥)
نصيحته ، ويلبّي^(٦) دعوته ، ويحسن معونته ، ويردّ غيبته ، ويقبل
عثرته ، ويقبل معذرتَه ؛ ويرعى ذمته ، ويعود مرَضته ، ويشيع جنازته ،
ولا عاشر لها ؛ والله أعلم .

(١) صحيح مسلم ٢ من ٣٨ فافطره

(٢) كذا فى جميع النسخ ، وفى « ت » سبع وهو تصحيف .

(٣) ساقطة من « ت »

(٤) فى الأصل « الذى » وهو تحريف من الناسخ .

(٥) فى ت « قديم نصيحته » ، وهو تصحيف من الناسخ .

(٦) فى ت « وقلبي » ؛ وهو تصحيف .

باب صحة المقابلات*

- صحة المقابلات عبارة عن توفى^(١) التكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى في صدره بأشياء قبلها في عجزه بأضدادها أو بأغيارها من المخالف والموافق على الترتيب ، بحيث يقابل الأول بالأول ، والثاني بالثاني ، لا يخرج من ذلك شيئاً في المخالف والموافق ، ومتى أخل بالترتيب كان الكلام قاسداً للمقابلة .

- ومن معجز هذا الباب قوله تعالى ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢) ، فانظروا إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام ، وهما ضدان ، ومجيء السكون والحركة في عجز الكلام وهما ضدان ، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وكيف عبر سبحانه عن الحركة بلفظ الإدراف^(٣) فاستلزم الكلام ضرباً من الحسن زائداً على المقابلة ، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهي اشتراك الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل ، وسلامة الحس ، ويستلزم إضاءة الطرف الذي تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى التحرك إلى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ، ويتقن^(٤) أسباب المعاطب ، والآية سقت للأعتداد بالنعم ، فوجب

* بحثه في قد الشعر: ١٧٩ ، الصناعتين ٣٣٧ ، سر الفصاحة ٢٥١ .

(١) في ت « توفى » بالقاء ، وهو تصحيف .

(٢) سورة القصص آية ٧٣

(٣) كذا في الأصل ، ا ، ب . والذي في باقي النسخ « الاجتباء » .

(٤) كذا في الأصل ، وهو الصواب . والذي في ا ، ب « وتنى » وفي ت « وتنى » وهو تحريف من الناسخ .

المدولُ عن لفظ الحركة إلى لفظ هو رَدُّهُ وتابُّهُ ، لِيَتِمَّ حسن البيان ، فَضَمَّتْ هذه الكلمات التي هي بمض آية عدةً من المنافع والمصالح التي لو عددت بألفاظها الموضوعية لما احتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة ، فحصل في الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان حيث قال : (لَتَسْكُنُوا) و (لَتَبْتَغُوا) بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلماتُ المقابلة ، والتعليل ، والإشارة والإرداف ، والآثلاف ، وحسن النسق ، وحسن البيان ، لحجى الكلام فيها متلاحماً آخذةً أعناق بعضها بأصناف بعض ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص ، وما تضمنته العبارة من النعم التي هي من لفظي الإشارة والإرداف بعض رحمة حيث قال بحرف التبيين : (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) وكلّ هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة ، فألحظ هذه البلاغة الظاهرة . والفصاحة المتظاهرة ؛ وفي ذكر هذه الآية الكريمة أتم غناؤه في هذا الباب ، فَمَنْ عَلَيْهَا غَيْرَهَا ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

* * *

باب صحة التفسير *

وهو أن يأتي المتكلم في أوّل كلامه بمعنى لا يستقلّ الفهم بمعرفة نحوه ، إما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل ، أو موجّهاً يفتقر إلى توجيه ، أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ، ووقوع التفسير في الكلام على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط ، أو بعد ما فيه معنى الشرط ،

(*) بحثه في نقد الشعر : ٨١ ، المدة ٢ : ٢٨ ، الصناعتين : ٣٤٥ ، سر الفصاحة : ٢٥٤ ، بدیع ابن منقذ : ٣٧ ، التبيان للزمكاشي : ١٢٩ ، المثل السائر أوردته باسم التناسب بين المعاني : ٤٢٩ ، ٢٦٨ ، خزائن ابن حجة : ٤٠٨ ، الطراز ٣ : ١١٤ ، نهاية الأرب ٧ : ١٢٩ ، حسن التوسل : ٦٣ .

- وطورا بعد الجار والمجرور ، وآونة^(١) بعد المبتدأ الذى التفسير خبره ، فمثال ما جاء منه بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(٢) ﴾ فالكتاب عليهم هو المفسر ، لأنه محتمل أن يكون مافسره ، [٢٣]
- ويحتمل غيره ، فلما كان فيه هذا الاحتمال أفتر إلى التفسير ليتخصص من احتمالات المعنى المراد ، والتفسير قوله تعالى : ﴿ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ ، ومثال ما جاء منه بعد الجار والمجرور قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْفَيْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ^(٣) ﴾ ، ومثل هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ^(٤) ﴾ ، فذكر سبحانه الجنس الأعلى مقدما له حيث قال : ﴿ كُلُّ دَابَّةٍ ﴾ فاستغرق أجناس كل مادب ودرج^(٥) ثم فسر هذا الجنس الأعلى بالأجناس المتوسطة والأنواع حيث قال : ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ (وَمِنْهُمْ) مراعى الترتيب ، إذ قدم ما يمشى بغير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة والتدح بها وتعجب السامع منها ، وما يمشى بغير آلة أعجب مما يمشى بآلة ، فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه ، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل

(١) كذا فى الأصل ، دء س ، ت والذى فى ا ، ب الآية وهو تحريف .

(٢) سورة النساء آية ٦٦ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٢ .

(٤) سورة النور آية ٤٥ .

(٥) يريد بقوله « مادب ودرج » الأحياء والأولات .

فَأَتَى بِمَا^(١) يَمْشَى عَلَى رَجْلَيْنِ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ وَالطَّائِرُ ، لِتَمَامِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، وَكَأَنَّ حَسْنَ صُورَتِهِ وَهَيْئَتَهُ الْمُفْتَضِيَّةَ تَخْصِيصَهُ بِالْعَقْلِ ، وَلَمَّا فِي الطَّائِرِ مِنْ عَجَبِ الطَّيْرِ فِي الْمَوَاءِ الدَّالِّ عَلَى غَايَةِ الْخَفَّةِ وَنَهَايَةِ اللَّطْفِ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ كَثَافَةِ الْأَرْضِيَّةِ^(٢) ، وَثَلَّثَ بِمَا يَمْشَى عَلَى الْأَرْبَعِ لِأَنَّهُ أَحْسَنُ الْحَيَوَانَ (الْبَهِيمِ) وَأَقْوَاهُ تَغْلِيْلًا عَلَى مَا يَمْشَى عَلَى أَكْثَرِ مِنَ الْأَرْبَعِ مِنَ الْحَشَرَاتِ ، فَاسْتَوْعَبَتْ جَمِيعَ الْأَقْسَامِ وَأَحْسَنَ التَّرْتِيبِ ، قَارِنًا لِلتَّقْسِيمِ وَالتَّرْتِيبِ فِي صَحَةِ التَّفْسِيرِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي هِيَ بَعْضُ آيَةٍ مِنَ الْإِشَارَةِ ، وَالْأَثْلَافِ ، وَحَسَنِ النِّسْقِ .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ^(٣) ﴾ « فَأَتَتْ^(٤) » صَحَّةُ التَّفْسِيرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَقْتَرَنَةً بِصَحَّةِ التَّقْسِيمِ ، وَأَنْدَمِجَ فِيهِمَا التَّرْتِيبُ وَالتَّهْذِيبُ ، وَحَصَلَ الْأَثْلَافُ بِمَحْصُولِ التَّرْتِيبِ ، إِذْ قَدَّمَ سُبْحَانَهُ النَّبَاتَ ، وَانْتَقَلَ عَلَى طَرِيقِ الْبَلَاغَةِ الْمَرْضَى فِي النِّظْمِ إِلَى الْأَعْلَى ، فَتَنَّى بِأَشْرَفِ الْحَيَوَانَ ، لِيَسْتَأْزِمَ ذَكَرَهُ ذِكْرَ بَقِيَّةِ الْحَيَوَانَ ، ثُمَّ ثَلَّثَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) فَانْتَقَلَ مِنَ الْخُصُوصِ إِلَى الْعُمُومِ لِيَدْخُلَ تَحْتَ هَذَا الْعُمُومِ ، كَمَا اخْتَصَّ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِلْمِهِ مِنَ الْمَوْلُودَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ مَجْهُولِ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْجَنَادَاتِ وَسَائِرِ الْخُلُوقَاتِ مِنْ كُلِّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ ، فَحَصَلَ التَّرْقِي فِي النِّظْمِ عَلَى سَنَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْمَشَى عَلَى نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، وَأَتَتْ الْفَاصِلَةُ فِي غَايَةِ

(١) كَانَ الْأَخْفَشُ لَا يَجِيزُ أَنْ تَكُونَ (مَا) إِلَّا أَسْمَاءً ، وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَإِنْ كَانَتْ مَعْرِفَةً فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي ، وَإِنْ كَانَتْ نَكْرَةً فَهِيَ فِي تَقْدِيرِ شَيْءٍ ، ابْنُ يَمِينٍ ٢ ص ١١٦٢ طَبَعُ أَوْرَبَا .

(٢) هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُضْطَرِبَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ فَتَأْمَلُ .

(٣) سُورَةُ يَسَ آيَةُ ٣٦ .

(٤) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ « فَأَتَتْ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

التمكين ، والآية لذلك تصلح للتمثيل بها في التفسير ، والتقسيم ، والتهذيب والأنتلاف ، والتمكين ؛ وإنما خص بها هذا الباب لأنه أول مذكور فيها ، وقته يفرّج ما أنطوت عليه من معانيها ؛ والله أعلم .

* * *

باب انتلاف اللفظ مع المعنى *

- وتلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون : ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها ١٥ بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن اخواتها ، غير لائقة بمكانها ، كلها موصوف بحسن الجوار ، بحيث إذا كان المعنى غريبا قُحّا^(١) كانت ألفاظه غريبة محضة ، وإذا كان المعنى مولدا كانت الألفاظ مولدة ، وإذا كان المعنى متوسطا كانت الألفاظ كذلك ، وإذا كان غريبا كانت الألفاظ غريبة ، وإذا كان متداولاً كانت الألفاظ معروفة مستعملة ، وإذا كان متوسطا بين الغرابة ٢٠ والآستعمال كانت ألفاظه كذلك .

- ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُوْنَ حَرَضًا ۝٢٣ ﴾ فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى اخواتها فإن التاء أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة ، والباء والواو أعرف عند الكافة ، وهي أكثر دورانا على الألسنة ، وباستعمالا في الكلام ، أتى سبحانه ٢٥ بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى اخواتها ، فإن « كان » وما قاربها أعرف عند الكافة من « تفتأ » وهم « لكان »

(*) بحثه في نقد الشعر ٥٥ ، الطراز ٣ : ١٤٤ ، خزانة ابن حجة ٤٣٧ ، أنوار الرقيم لابن موصوم ٧٨٣ .

(١) كذا في الأصل . وفي د ، ت ، س « محضا » ، وكلاما بمعنى واحد ؛ والذي في ا ، ب « نجبا » نصيف .

(٢) سورة يوسف آية ٨٥ .

وما قاربها أكثر استعمالاً منها، وكذلك لفظ (حَرَضًا) أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك، فأقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخيًا لحسن الجوار، ورغبة في اختلاف المعاني بالألفاظ ولتتبادل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم، ألا ترى أنه عز وجل قال في غير هذا المكان : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ^(١) ﴾ ، لما كانت جميع ألفاظ هذا الكلام المجاورة لهذا القسم كلها مستعملة متداولة لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشاكلها في الغرابة ويلائمها، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ^(٢) ﴾ ، لما كان الركون إلى الظالم دون فعل الظالم واجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم، ومن النار في الحقيقة دون الإحراق ولما كان الإحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقاب الرّاكن إلى الظالم، فلهذا عدل عز وجل عن قوله : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فتدخلوا النار، لسكون الدخول مظنة الإحراق، وخصّ المسّ ليشير به إلى ما يقتضى الركون من العقاب، ويميّز بين ما يستحقّ الظالم (وبين) ^(٣) ما يستحقّ الرّاكن له من العقاب، وإن كان مسّ النار قد يطلق ويراد به الإحراق، لكن هذا الإطلاق مجاز، والحقيقة ما ذكرناه، لأن حقيقة المسّ أول ملاقات الجسم حرارة النار، وإذا احتمل اللفظ احتمالاتٍ صُرف منها إلى ما تدلّ عليه القرآن، والاختلاف في هذه الآية معنوي، وهو في آتى قبلها لفظي، والله أعلم.

* * *

(١) سورة فاطر آية ٤٢ .

(٢) سورة مود آية ١١٣ .

(٣) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من ا، ب .

باب المساواة*

وهو مما فرعه قدامة^(١) من الباب المتقدم ، وهو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه ، وهو من أعظم أبواب البلاغة ، بل هو بعينه نفس البلاغة ، كما وصف بعض الوُصَّاف بعض البلغاء فقال : كانت ألفاظه قوالبَ لمانيه ، ومن هذا قول ذى الرِّمَّة (الطويل) :

- لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الحَوَاشِي لَاهِرَاءُ وَلَا تَزُرُ^(٢)
وقول ذى الرِّمَّة هذا من قول هند بن أبى هالة فى وصف كلام رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — : « قولاً فصلاً ، لا فضلَ فيه ولا تقصير » . وقالت
أم معبد فى وصف كلامه — صلى الله عليه وسلم — : « لا تَزُرُ ولا هَذَرُ^(٣)
كأن منطقَه خَرَزَاتِ نَظْمٍ يتحدَرْنَ » ومعظم آيات الكتاب العزيز موصوفة
بذلك ، ولم يأت منها ما هو خارج عن هذا الباب إلا ما وقع فيه تذييل ،
أو تميم ، أو تكميل ، أو فى فواصله إيغال ، أو فى معناه بسط وإطناب ،
وما بنى نظمه على الإيجاز لبيان موضع الإعجاز .

- ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٤) ﴾ فإن المعنى المراد من هذه الآية والله أعلم

بحسبها فى البيان والتبيين ١ : ٩٢ ، نقد الشعر : ٨٩ ، الصناعات ١٧٩ ، بديع ابن منقذ :
٧٩ ، التبيان للزمكانى : ١٣٢ ، الإيضاح ٣ : ٢٠٠ ، خزانة ابن حجة : ٤٥٩ .

(١) نقد الشعر له ص ٥٥ .

(٢) ديوانه ص ٢٠٢ طبع أوروبا ، ورقيم الحواشى : أى لبن نواحي الكلام ،
هراء : كثير ، يعنى بغير معنى . تزر : قليل . يقول : كلامها بين القليل والكثير .

(٣) لا تزر ولا هذر ، أى ليس بقليل فيدل على عى ولا بكثير فاسد .

(٤) سورة النحل آية ٩٠ .

أن الله سبحانه أراد أن يأمر بجميع المحاسن للنجيات المدوحات ، وينعى عن جميع القبائح الموبقات المذمومات ، فأخرج المعنى في لفظ هو طَبَقُهُ ، وقَالَب هو قَدَرُهُ ، وصورة مساوية لمعناه ، لا تزيد ولا تنقص عن فَحْوَاهُ ، ومِصْدَاق ذلك أن أى لفظة حذفها من ألفاظ الآية أختل شيء من المعنى بمحذفها اختلالاً ظاهراً ، ونقص نقصاً يتيماً ، وكذا إذا زيد في ألفاظها لفظة حصل من الاختلال بالزيادة ما حصل منها عند النقص ، ولا معنى للمساواة غير هذا .

ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١) ﴾ ، فإنه سبحانه وتعالى أراد اقتصاص هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه ، فجاء بها كما ترى مرتبة الألفاظ والجمل على حسب ما وقع ، في صور لا تفصل عن معانيها ، ولا تقصر عنها . فإن قيل لفظة « القوم » زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة لأنها إذا طُرحت استقل الكلام بدونها ، بحيث يقال : « وقيل بعداً للظالمين » . قلت : لا يستغنى الكلام عنها ، وذلك أنه لما قال سبحانه في أول القصة : ﴿ وَكَلَّمَا مَرْءً عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ^(٢) ﴾ وقال بعد ذلك : ﴿ وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ^(٣) ﴾ جاءت لفظة القوم في آخر القصة ، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره ، ويعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح عليه السلام ، فهم مستحقون العقاب ، لثلاث يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك ، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن المالكين هم الذين تقدم ذكرهم ، وما كانوا يفعلونه مع نبيه من الشخيرة التي أستحقوا

(٢) سورة هود آية ٣٨ .

(١) سورة هود آية ٤٤ .

(٣) سورة هود آية ٣٧ .

بها الهلاك ، وأنهم الذين وصفهم بالظلم ، ووعد نبيه بإغراقهم ، ونهاه عن مخاطبته فيهم ، ليرفع ذلك الاحتمال ، فيعلم أن الله سبحانه قد أنجز نبيه وعده ، وأهلك القوم الظالمين الذين قدّم ذكرهم ووصفهم ، ووعد بإغراقهم ، والله أعلم .

وأعلم أن البلاغة قسمان كما قيل : البلاغة إيجاز من غير إخلال ، وإطناب من غير إملال ؛ والمساواة معتبرة في القسمين معاً .

فما جاء من قسم الإيجاز وهو موصوف بالمساواة قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ^(١) ﴾ ، فإن معنى هذه الجملة جاء في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ^(٢) ﴾ لكن الأول إيجاز ، والثاني إطناب ، وكلاهما موصوف بالمساواة ، ومن ذلك قوله

تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ^(٣) ﴾ ، ومثله قوله سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ^{١٠} صَدَقَةً ^(٤) تُطَهِّرُهُمْ ^(٥) ﴾ والأول إيجاز ، والثاني إطناب ، وقوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ^(٥) ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ^(٦) ﴾ الآية . وقوله

عز وجل : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(٧) ﴾ مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ^(٨) ﴾ الآية ؛ وكل ما تقدم من هذه

الآيات جاء على طريق الإيجاز والتوالي بعد المتقدّمات على طريق الإطناب ، وكلها موصوفة بالمساواة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ^(٩) ﴾ مثل

(١) سورة البقرة آية ١٧٩ . (٢) سورة الإسراء آية ٣٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (٤) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٥) هذه السكّة ساقطة من الأصل ، د ، ت ، س وهي عن ا ، ب .

(٦) سورة النحل آية ٩٠ . (٧) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٨) سورة الأنعام آية ٦٨ . (٩) سورة الثوري آية ٤٠ .

(م — ٦ — بديع القرآن ب)

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْتَةِ فَلَا يَحْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ^(١) ﴾ . والأول إيجاز ، والثاني إطناب ، وهذا الفصل ^(٢) الحاجة ماسة إلى ذكره وتحفظه ، لئلا يظن ظان أن الإطناب لا يوصف بالمساواة .

* * *

باب الإشارة *

وهو مما فرّعه قدامة من اختلاف اللفظ مع المعنى ، وشرّحه فقال : هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على المعنى الكثير ، حتى تكون دلالة اللفظ كالإشارة باليد ، فإنها تشير بحركة واحدة إلى أشياء كثيرة لو عبر عنها بأسمائها أحتاجت إلى عبارة طويلة وألفاظ كثيرة ، والفرق بينه وبين الإيجاز أن الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له ، وألفاظ الإشارة لجهة دالة ، فدلالة اللفظ في الإيجاز دلالة مطابقة ، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمن ، أو دلالة التزام ،

ومن أمثلتها قوله تعالى : ﴿ وَغِيضَ الْمَاءِ ^(٣) ﴾ فَإِنْ غِيضَ الْمَاءُ يَشِيرُ إِلَى انْقِطَاعِ مَادَّةِ الْمَاءِ مِنْ نَبْعِ الْأَرْضِ وَمَطَرِ السَّمَاءِ ، ولولا ذلك لما غاض الماء ، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ^(٤) ﴾ فالملح كل ما تميل إليه النفس من الشهوات التي لا تنحصر ، وتلذذ الأعين من المراتبات التي لا تنضب ، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جداً ، قد دلّ على معانٍ لا تنحصر عدداً ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ^(٥) ﴾ أى قاتلهم بنبذ

(١) سورة الأنعام آية ١٦٠ .

(٢) قد الشعر له ص ٥٥ .

(٣) بحثها في قد الشعر : ٩٠ ، المدة : ٢٠٦ ، الصائتين : ٣٤٨ ، بديع ابن منقذ : ٥٠٠ .

(٤) البيان للزمليكان تحت اسم الإيجاز : ٧١ ، خزانة ابن حجة : ٣٥٧ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٤٠ ، حسن التوسل : ٧٠ .

(٥) سورة الزخرف آية ٧١ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

(٥) سورة الأفعال آية ٥٨ .

- العهد كما نبذوا عهدك ، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة في الفعل من العدل ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ ^(١) ﴾ ، فأنظر إلى ما أشارت إليه لفظة الأمر من ابتداء نبوة موسى عليه السلام ، وخطاب الحق له ، وإعطائه الآيات اليقينية من إلقاء العصا لتصير ثعباناً ، وإخراج يده بيضاء ، وإرساله إلى فرعون ، وسؤاله شد عضده بأخيه هارون ، إلى جميع ما جرى في ذلك المقام ، وأمثال هذه المواضع إذا تدبعت خرجت عن حد الحصر في الكتاب العزيز .

باب الإرداف

- ويسمى التثني ، وهو مما فرعه قدامة ^(٢) أيضاً من الأتلاف ، وقال : هو [٣٨] أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بلفظ الإشارة الدال على المعاني الكثيرة ، بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه ، قريب من لفظ المعنى الخاص قرب الرديف من الرذف ، ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ^(٣) ﴾ ، وحقيقة ذلك وملك من قضى الله هلاكه ، ونجا من قضى نجاته ، وإنما عدل عن هذه الحقيقة إلى لفظ الإرداف من الإيجاز والتنبية على أن هلاك المالك ، ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع ، وقضاء ١٥ من لا يرد قضاؤه ، والأمر يستلزم أمراً ، وقضاؤه يدل على قدرة الأمر به ، وطاعة المأمور تدل على قدرة الأمر وقهره ، وأن الخوف من عقابه ورجاء ثوابه

(١) سورة القصص آية ٤٤ .

(٢) بحثه في نقد الشعر : ٩٢ ، والصناعتين : ٣٥٠ ، وخزانة ابن حجة : ٣٧٦ .

(٣) نقد الشعر له ص ٥٧ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

يَحْضَانِ عَلَى طَاعَةِ الْأَمْرِ ، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ اللَّفْظِ الْخَاصِّ ، وَمِنْ هَذِهِ
الْبَابِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَيْنَ قَاصِرَاتِ الطُّرَفِ ^(١) ﴾ وَالْمَعْنَى فَبَيْنَ عَفِيفَاتِ
قَدْ قَصَرَتْ عَقَّتُهُنَّ ^(٢) طَرَفُهُنَّ عَلَى بُعُولَتِهِنَّ ، وَعَدَلْنَ عَنِ الْمَعْنَى الْخَاصِّ إِلَى لَفْظِ
الْإِرْدَافِ ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ عَفَّ غَضَّ الطَّرْفَ عَنِ الطَّمُوحِ ، فَقَدْ يَمْتَدُّ نَظَرُ الْإِنْسَانِ
إِلَى شَيْءٍ وَنَشْتَبِيهِ نَفْسَهُ ، وَيَعِفُّ عَنْهُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ لِأَمْرٍ آخَرَ ، وَقَصُرُ طَرَفِ
الْمَرْأَةِ عَلَى بَعْلِهَا ، أَوْ قَصُرُ طَرَفِهَا حَيَاءً وَخَفَرًا أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْعِفَّةِ ، لِأَنَّ مَنْ
لَا يَطْمَحُ طَرَفُهَا لِغَيْرِ بَعْلِهَا ، أَوْ لَا يَطْمَحُ حَيَاءً وَخَفَرًا فَإِنَّهَا صَرُورَةٌ تَكُونُ عَفِيفَةً ،
فَكُلُّ قَاصِرَةِ الطَّرَفِ عَفِيفَةٌ ، وَلَيْسَتْ كُلُّ عَفِيفَةٍ قَاصِرَةَ الطُّرَفِ ، فَلِذَلِكَ عَدَلَ
عَنِ اللَّفْظِ الْخَاصِّ إِلَى لَفْظِ الْإِرْدَافِ .

١٠ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِ لِأَخَذْنَا
مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ^(٣) ﴾ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ عُدِلَ فِيهِ عَنِ
الْمَعْنَى الْخَاصِّ فِي مَوْضِعَيْنِ تَوْخِيًّا لِلنَّاسِبَةِ وَالتَّسْجِيعِ ، لِأَنَّ الْمَعْنَى الْخَاصَّةَ
فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنْ يُقَالَ : لِأَخْذِنَاهُ أَخْذًا شَدِيدًا وَأَهْلَكْنَاهُ ، لَكِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ
خَالِيَةً مِنَ النَّاسِبَةِ لِمَا تَقَدَّمَ هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ وَمَا تَأَخَّرَ عَنْهُمَا ، وَلَمَّا كَانَتِ النَّاسِبَةُ
وَالْتَّسْجِيعُ أَمْرًا مَطْلُوبًا عَدَلَ عَنِ اللَّفْظِ الْخَاصِّ الَّذِي لَا يُعْطَى ذَلِكَ إِلَى لَفْظِ
١٥ يُعْطِيهِ مَعَ جَزَائِلِهِ فِيهِ ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

(١) سورة الرحمن آية ٥٦ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « عَيْنُهُنَّ » وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ بَاقِي النُّسخِ .

(٣) الْآيَاتُ ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٦٤ مِنْ سُورَةِ الْحَاقَّةِ .

باب التمثيل*

هو أيضاً مما قرّعه قدامة^(١) وقال : هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعز عنه بلفظه الخاص ، ولا بلفظي الإشارة ، ولا الإرداف ، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً يصلح أن يكون مثلاً لفظ الخاص ، لأن المثل لا يشبه المثل [٣٩] من جميع الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتّحدا ، وعلى هذا لا يكون قرب التمثيل من الحقيقة كقرب الإرداف ، لما بين لفظي الإرداف والحقيقة من القرب لماسة^(٢) الرديف^(٣) بخلاف المثل من المثل ، وشاهده من القرآن قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ﴾^(٤) فإن حقيقة ذلك وجلست على هذا المكان ، فعدل عن الحقيقة إلى التمثيل ، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيف فيه ولا ميل ، ولا حركة معه ولا اضطراب ، فإن بهذا^(٥) الجلوس تسكن قلوب أهل السفينة لسكونها ، ولا تسكن إلا بهذا الجلوس المنعوت بالاستواء ، فيحصل تمام الأمن وكال الطمأنينة ، ولا يحصل ذلك من قولنا جلست ، ولا ما يدل على معناه فقط ، فلذلك صاغ المدولء ن لفظ الحقيقة إلى لفظ التمثيل ، والله أعلم .

ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ذهب إليه من جاء بعد قدامة ، وهو أن يذكر

(*) بحثه في نقد الشعر ٩٤ ، المدة ١ : ١٨٧ ، أسرار البلاغة : ٩٠ ، سر الفصاحة : ٢٢١ ، التبيان للزمكاشي ، الطراز ٢ : ٢ ، خزائن ابن حبة : ١٣٤ ، نهاية الأرب ٧ : ٦٠ .

(١) نقد الشعر له ص ٥٨ . (٢) في ت « المناسبة » .

(٣) كذا في الأصل . والذي في ١ ، ب « الردف » وقد سقطت هذه الكلمة من د ، س . وفي د « الرديف » .

(٤) سورة هود آية ٤٤ .

(٥) كذا في الأصل ، د ، س . والذي في ١ ، ب ، ت « هذا » ، والأول أبلغ في تأدية المعنى .

الشيء ليكون مثالا للمعنى المراد ، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه
 كقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
 غِشَاوَةً ^(١) ﴾ فإن ألفاظ هذه الآية ومعناها مثال مجازي أتى به لتبيين به حقيقة
 معنى مراد ، لأنه لما كان هؤلاء المخير عنهم (بذلك ^(٢)) لا يفتخون بما يسمعون
 من الزواجر ، ولا يرتدعون بما يشاهدون من الآيات ، كان أمتناعهم من ذلك
 بختم وغشاوة حالاً بينهم وبين ما يسمعون وما يبصرون وما يعتقدون ^(٣) ، إذ
 لو لم يحل بينهم وبين الانتفاع بهذه الجوارح لسمعوا وأبصروا وعقلوا ، وقد جعل
 بعض الناس الحُبْسَةَ في اللسان ختماً عليه ، قال الشاعر ^(٤) (الكامل) :

خَتَمَ الْإِلَهُ عَلَى لِسَانِ عُدَاوِي خَتَمًا فَلَيْسَ عَلَى الْكَلَامِ بِقَادِرٍ
 وَإِذَا أَرَادَ النُّطْقَ خَلَّتْ لِسَانَهُ لَحْمًا يَحْرُكُهُ لِيَصْقُرَ نَافِرٍ

ويجوز أن تضرب الجملة مثلاً لصفة أحوالهم ^(٥) ، كقولهم : سال بهم
 الوادي : إذا هلكوا . وطارت بفلان التفتاء : إذا أطال الغيبة ، وليس للوادي
 ولا للتفتاء فعل في هلاك أحد ، ولا في طول غيبته ، وإنما هو تمثيل مُثَلَّتْ به
 حال المالك والغائب ، ويجوز أن يكون من باب قولهم : فلان مجبول على الخير ،
 أي هو مخلوق من طبيعته ، مبالغة في ثباته ^(٦) على ذلك الوصف ، فتدّر هاهنا أداة
 تشبيه ، كأنهم لثباتهم على الضلال بمنزلة من خلق الله قلوبهم أغتاماً ^(٧) خالية

(١) سورة البقرة آية ٧ .

(٢) ليست في الأصل . وقد أمتنتهما عن باقي النسخ .

(٣) كذا في جميع الأصول . واقدى في ١ ، ب « يعقلون » .

(٤) لم تقف على رواية هذين البيتين فيما لدينا من المظان .

(٥) كذا في الأصول . واقدى في ١ ، ب « حالم » .

(٦) كذا في جميع الأصول . واقدى في ١ ، ب « ثاته » وهو تصحيف من الناسخ .

(٧) من الغتمة بالضم ؛ وهي العجمة . والأغم من لا يفصح شيئاً ، وهو على التشبيه .

عن الفطن كقول البهائم ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ إِن مِّنْ إِلَّا [٤٠]
كَأَلْتَنَامُ ^(١) 》 .

ومن هذا الباب ما يخرج للتكلم مخرج المثل السائر يتمثل به في الواقع
كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ^(٢) 》 وقوله عز وجل :
﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَى كُلَّ شَيْءٍ ^(٣) 》 وكقوله سبحانه : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ
أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ^(٤) 》 ، إلى كثير من هذه الآي ، وقد
استقصيت جميع أمثال الكتاب العزيز من الشور على ترتيبها ، وبوبته
على حروف المعجم في كتاب كبير ، أتيت فيه أمثال القرآن بأمثال المواوين الستة
في السنة : البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، والنسائي ، وسنن أبي داود
مرتباً على الحروف أيضاً ، وأتيت ذلك أمثال الأسماء الستة ، وأمثال الحاسة ، وأمثال
قصائد العرب المفردات ، كلامية ^(٥) العرب ، وقصيدة سويد ^(٦) بن أبي كاهل ،

(١) سورة الفرقان آية ١٤٤ . (٢) سورة النجم آية ٥٨ .

(٣) سورة النمل آية ١٨٨ . (٤) سورة الإسراء آية ٧ .

(٥) لامية العرب : قصيدة في الحكم والأدب لشمس بن مالك المعروف بالشنفرى ،
وهو ابن الأوس بن الحجر بن الهنو بن الأزد بن النوف بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان
ابن مفرج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزد ، والشنفرى : لقبه ، وأولها (الطويل) :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإني لى قوم سواكم لأميل

طبعت في الجوانب سنة ١٣٠٠هـ ، ومصر سنة ١٣٢٤هـ ، والموسوعات بمصر سنة ١٣١٩هـ ،
ولندن سنة ١٨٩٦ وباريس سنة ١٨٠٦ مع ترجمات لها من لغات الأماكن التي طبعت فيها
وترجمها ريس إلى اللغة الألمانية وطبعت في المجلة الألمانية الشرقية سنة ١٨٥٣م وعدة أبياتها
ثمانية وستون بيتاً .

(٦) سويد بن أبي كاهل اليشكري : من بني حارثة بن جسل بن مالك بن عبد سعد
ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دهمي
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وقصيدته تلك كان يعجب بها الأصمعي ، كما كانت
العرب تفضلها وتقدمها وتمدحها من حكمها ، وكانت تدعى في الجاهلية البيتية ، وأولها : الرمل =

ومرثية^(١) أبي ذؤيب^(٢)، ومقصورة ابن دريد^(٣) ولامية العجم^(٤) للطبرائي^(٥)،
وأمثال أعيان المولدين كأبي نواس، وأبي تمام، والبحراني، وأبن الزوي،
والمتقي، وسميته (درر الأمثال^(٦)) فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه به،
والله أعلم.

بسطة رابعة الجبل لنا فوصلنا الجبل منها ما اتسع

الأغاني ١٣ : ١٠٢ طبع دار الكتب المصرية . وقد وردت بنصها مع شرح واف
لها في الفضليات طبع بيروت سنة ١٩٢٠ م وعدة آياتها مائة بيت وثمانية أبيات .

(١) أبو ذؤيب الهذلي هو خويلد بن خالد بن عثرت بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل
أخو بني هازن بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار جاهلي
إسلامي ، وكان راوية لساعدة بن جؤبة ، ولا خلاف أنه جاهلي إسلامي ، ومرثيته تلك الموجودة
في شعره بديوان الهذليين ج ١ : ١ طبع دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٤ هـ سنة ١٩٤٥ م
ووردت كذلك في شرح الفضليات للأنباري طبع بيروت سنة ١٩٢٠ هـ وأولها : (الكامل)
أمن المنون وربها تتوجع والدمر ليس يعبث من يجرع
وعدة آياتها ستون وثمانية أبيات .

(٢) ابن دريد هو العلامة الأديب أبو بكر محمد بن دريد بن عتاهية بن حاتم الأزدي
القفوي البصري ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ ودفن بالقبرة المعروفة
بالعباسية . وقصيدته هذه من الفرائد ، وقد مدح بها ابن ميكايل ووصف فيها مسيره إلى فارس
وتشوقه إلى البصرة وإخوانه بها ، وضمنها كثيرا من الأمثال السائرة ، والأخبار النادرة ،
والمواظ الحسنة ، والحكم البالغة ، والمفردات القوية ، وأولها : [الكامل] .

يا ظبية أشبه شيء بالمها نرعى الخزامى بين أشجار النقا

وآياتها مائتان وتسعة وعشرون بيتاً طبعت في إيطاليا سنة ١٧٧٣ والجواثب سنة ١٣٢٠ هـ
ومحمد محمد الوراق سنة ١٨٢٨ بشرحها .

(٣) لامية العجم من نظم العلامة الأديب الوزير مؤيد الدين أبي اسماعيل الحسين بن علي
ابن محمد بن عبد الصمد الأصمعي المعروف بالطبرائي المتوفى سنة ٥١٥ هـ وقد نظمها ببغداد في
سنة ٥٠٥ هـ في وصف حاله وشكاية زمانه أولها : البسيط :

أصالة الرأي صاتقى عن الحطل وحلية الفضل زاتقى لدى الحطل

طبعت في مصر سنة ١٢٩٦ هـ وأكسفورد سنة ١٦٦١ م وفرانسكفورت سنة ١٧٦٩ م
ودرسون سنة ١٧٥٦ م والاستانة سنة ١٨١٤ م وطبعت مع شرحها ليونس المالكي في كتابه
الكنز المدفون والفلك المشحون .

(٤) قد بحثنا فيما لدينا من المظان عن هذا الكتاب لابن أبي الأصم فلم نعر عليه فتأمل .

باب ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام (*)

وهو من مخترعات ^(١) قدامة ، وسماه من بعده التمكن ، وهو أن يمد الشاعر لسجعة فقرته ، والشاعر لقافية بيته ، تمهيدا تأتي به القافية متمكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضوعها ، غير نافرة ، ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى البيت كله تعلقا تاما ، بحيث لو طُرِحَتْ من البيت لاختل معناه ، واضطرب مفهومه ، ولا يكون تمكثها بحيث يتقدم ، لفظها بعينه في أول صدر البيت ، أو في أثناء الصدر ، أو معنى يدل عليها ، ولا أن تفيد معنى زائدا على معنى البيت ، فإن الأول تصدير ، والثاني توشيح ، والثالث إيغال ، ولا يسمى شي من ذلك تمكينا ، وكل مقاطع آتى الكتاب العزير لا تخلو من أن تكون أحد هذه الأقسام الأربعة ، ولهذا تسمى مقاطعه فواصل ^(٢) لاسجما ولا قوافي ، لاختصاص القوافي بالشعر والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام ، مأخوذ من سجع الطائر .

فما جاء منه على هذا الباب وهو باب التمكن قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَمْبُذُ آبَاؤُنَا وَأَنْ نَعْمَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَا أَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٣) فإنه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر

(*) كذا وردت هذه التسمية في الأصل ، د ، ت ، س . والذي في ا ، ب ، باب ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت ، وهو مخالف كل المخالفة لما نحن بصده من الكلام على بديع القرآن . وهذه التسمية تسمية تحرير التحير الذي يبحث عن بديع الكلام شعره ونثره .

(١) قد الشعر له ص ٦٢ .

(٢) يفهم من عبرته هذه في السجع عن القرآن ؛ وقد نقض هذا الرأي في باب التسجيم بالإتيان بأمنه قرآنية على التسجيم . فتأمل .

(٣) سورة هود آية ٨٧

التصرف في الأموال إقتضي ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لأنّ
الحلم : العقل الذي يصح به تكليف العبادات ، ومحض عليها . والرشد :
حسن التصرف في الأموال ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ
إِنَّا إِلَيْكُمْ أَمْرُسُلُونَا وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ^(١) ﴾ فإن ذكر الرسالة
مهد لذكر البلاغ والبيان فيه ، وكفوله سبحانه ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا آيَّتُ
قَوْمِي يَكْفُرُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ^(٢) ﴾ لأن ذكر
دخول الجنة مهد لفصلتها ؛ والله أعلم .

* * *

باب التوشيح*

هو من أبواب قدامه ^(٣) ، وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا
علم عُلِمَ منه القافية إن كان شعرا ، أو السجع إن كان نثرا ، بشرط أن يكون
المعنى المتقدم بلفظه ، من جنس معنى القافية ، أو السجعة بلفظه ، أو من
لوازم لفظه ، وقد جاء في الكتاب العزيز من هذا الباب قوله تعالى :
﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ^(٤) ﴾
فإن معنى اصطفاء المذكورين يعلم منه الفاصلة ، إذ المذكورون صنف من

(١) آيتا ١٦ ، ١٧ من سورة يس

(٢) آيتا ٢٦ ، ٢٧ من سورة يس

(*) التوشيح بحثه في البيان والتبيين تحت اسم الإرساد ١ : ١١٥ وقواعد الشعر :
٧١ وقد الشعر : ٩٩ والصناعتين : ٣٨٢ وسر الفصاحة في الكلام على المعاطلة ١٥٣
وبديع ابن منقذ : ٤٥ والثلث السائر : ٤٦٥ والدرارز ٣ : ٧ وخزعة ابن حجة : ١٠٠
وحسن التوسل : ٦٨ ونهاية الأرب ٧ : ١٣٧ والايضاح تحت الإرساد .

(٣) قد الشعر له ص ٦٣

(٤) سورة آل عمران آية ٣٨ .

بعض أنواع العالمين ، وكقوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَزَلَتْ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ^(١) ﴾ فإن من كان حافظاً لهذه السورة متفطناً إلى أن مقاطع آيها النصوص المردفة ، وسمع في صدر الآية أنسلاخ النهار من الليل ، علم أن الفاصلة تكون مظلمين ، لأن من أنسلخ النهار عن ليله أظلم ، أى دخل في الظلمات ما دامت تلك الحال ؛ والله أعلم .

باب الإيغال*

وهو آخر أبواب : قدامة ^(٢) ، وهو أن يستكمل المشكلم معنى كلامه قبل أن يأتى بمقطعه ، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد ^(٣) معنى زائدا على معنى ذلك الكلام ؛ ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ ^(٤) ﴾ ثم علم عز وجل أن الكلام يحتاج إلى فاصلة ثمائل مقاطع ما قبلها وما بعدها ، فأتى بها تفيد معنى زائدا على معنى الكلام حيث قال : ﴿ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ^(٥) ﴾ فإن قيل : فما معنى الإتيان بمُدْبِرِينَ ، وقد أثنى عنها ذكر التوَلَّى ؟ قلت : لا يفنى ذلك عنها ، إذ التَوَلَّى قد يكون بجانب دون جانب ، كما يكون الإعراض ، ولما أخبر سبحانه - وهو أعلم - بذكر توليهم متمما للمعنى في حال الخطاب لينفى عنهم الفهم الذى يحصل من الإشارة ، فإن

(١) سورة يس آية ٣٧ .

(٢) بحثه فى قواعد الشعر تحت اسم الايات الفر : ٦٧ ، وقد الشعر : ١٠٠ ، المدة ٢ : ٤٥ ، الصناعتين : ٣٨٠ ، سر الفصاحة فى أثناء الكلام عن الحشو : ١٤٩ ، الإيضاح ٣ : ٢٢٦ ، خزافة ابن حجة : ٢٣٤ ، الطراز ٣ : ١٣١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٣٨

(٣) فقد الشعر له ص ٦٣ .

(٤) فى ١ ، ب ٥ هـ .

(٥) سورة النمل آية ٨٠ .

[٤١] الأَصح فهم من الإشارة ، ما يفهمه السميع من العبارة ، ثم علم سبحانه أن التولى قد يكون بجانب دون جانب كما قدمنا ، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذى لم يتول به فيدرك بعض الإشارة ، والمراد نفي إدراك كل الإشارة ، فجاءت الفاصلة (مُذِيرِينَ) ليعلم أن التولى كان بجميع الجوانب : بحيث صار ما كان مستقبلا مستدبرا ، فاحتجب المخاطب عن المخاطب ، إذ صار من ورائه تخفيت عن عينه الإشارة ، كما صمت أذناه عن العبارة فحصلت المبالغة الكلّية فى عدم الأسماع بقة ، وهذا تمثيل مثلث به حال هؤلاء القوم أنى مدحجافى الإيغال ، وهذا الضرب من الإيغال يسمى إيغال الاحتياط ، جاءت المبالغة فيه متممة للمبالغة التى فى حشو الآية؛ والله أعلم .

١٠ والإيغال إيغالان : إيغال احتياط ، وقد مضى شاهدُهُ ، وإيغال تحخير وشاهده قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ^(١) ﴾ لأن المعنى قد تمّ بقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ ولما احتاج الكلام إلى فاصلة تناسب ما قبلها وما بعدها أتت تفيد معنى زائد لولاها لم يحصل ، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كل حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيده الشريك فى الحكم الذى انفرد به ، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض ، ويحصل من حكمته وضع الشيء فى موضعه ، فيؤمن منه وضع الحق فى غير موضعه ، وينفى العدل عنه الجور فى الحكم ، ثم عدل عن قوله (لقوم يعلمون) إلى قوله (لقوم يوقنون) ليكون علمهم برّبهم علم قطع ويقين ، وجاء هذا الإيغال بعد التعطف فى قوله : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (يَبْغُونَ ^(٢)) وقوله : ﴿ وَمَنْ

(١) سورة المائدة آية ٥٠

(٢) سقطت هذه الكلمة من ا ، ب .

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴿ فَأَتَى ذَكَرَ الْحُكْمِ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرُهُ تَعَطُّفًا
مَقْتَرِنًا بِتَجَاهُلِ الْعَارِفِ فِي قَوْلِهِ : (أَفْحَكُم) مُسْتَفْهِمًا عَنْ مَعْلُومٍ ، لِيُخْرِجَ الْكَلَامَ
بِالِاسْتَفْهِامِ عَنِ الْمَعْلُومِ مُخْرِجَ الْعَوْبِيخِ ، وَالْإِنْكَارِ وَالتَّذْيِيلِ بِالْجُمْلَةِ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا ﴾ وَمَا تَعَلَّقَ بِالتَّذْيِيلِ مِنَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ ، إِذْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَصْلُحُ أَنْ يُتِمَّنَّ بِهَا فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ نَشَبَ وَاقِعَتِهَا ، فَخَصِلَ
فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَهِيَ عَشْرُ لَفْظَاتٍ سَبْعَةٌ أَضْرَبَ مِنَ الْبَدِيعِ : وَهِيَ التَّعَطُّفُ ،
وَتَجَاهُلُ الْعَارِفِ ، وَالتَّذْيِيلُ ، وَالْمُقَارَنَةُ ، وَالتَّمَثِيلُ ، وَالتَّطْلُقُ ، وَالْإِيْقَالُ ؛
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

هَذَا آخِرُ أَبْوَابِ قَدَامَةِ ، وَمِنْ هَهُنَا نَبْدَأُ بِأَبْوَابِ مَنْ بَعْدَ الرَّجُلِينَ ،
أَعْنَى : آبَنَ الْمُتَعَزِّ ، وَقَدَامَةِ ، فَأَوَّلُهَا :

١٠

باب الاحتراس*

وَتَعْرِيفُهُ أَنْ يَأْتِيَ لِلتَّكَلُّمِ بِمَعْنَى يَتَوَجَّهَ عَلَيْهِ فِيهِ دَخَلَ ، فَيَفْطَنُ لَذَلِكَ [٤٢]
حَالَ الْعَمَلِ ، فَيَأْتِي فِي أَصْلِ الْكَلَامِ بِمَا يَخْتَلِصُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْ أُمُثْلَتِهِ فِي
الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(١) ﴾ فَإِنَّهُ سَبَحَانَهُ لَمَّا أَخْبَرَ
بِهَلَاكِ مَنْ هَلَكَ بِالطُّوفَانِ ، أَعْقَبَهُ بِالْدَّعَاءِ عَلَى الْمَالِكِينَ ، وَوَصَفَهُمْ بِالظُّلْمِ
لِيَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ هَلَكَ كَانَ مُسْتَحَقًّا لِلْهَلَاكِ احْتِرَاسًا مِنْ ضَعِيفِ يَتَوَهَّمُ أَنْ
الْهَلَاكَ بَعْمُومِهِ قَدْ شَمَلَ مِنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ ، فَلَمَّا دَعَا عَلَى الْمَالِكِينَ عِلْمَ

١٥

(*) الاحتراس بحثه في البيان والتبيين ١ : ٢٢٨ ، سر الفصاحة تحت اسم التجرس مما
يوجب الطعن : ٢٥٨ ، بدیع ابن منقذ : ٢٨ ، الإيضاح تحت اسم التكميل ٣ : ٢٣٤ ، خزانة
ابن حجة : ٥٨
(١) سورة هود آية ٤٤

أن كل من هلك كان مستحقاً للهلاك ، لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعوا إلا على من يستحق الدعاء ، ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم ، فإن لم يكونوا ظالمين كما أخبر عنهم فقد دخل خبره الخلف ، وخبره منزّه عن ذلك ، فوقع هذا الدعاء^(١) ، وهذا الوصف احتراسا من ذلك الذى قدّر توهّمه .

وأعجب احتراسا وقع فى القرآن قوله تعالى مخاطباً للرسول - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾^(٢) فإنه تبارك

وتعالى لما نفى عن رسوله وحبيبه - صلى الله عليه وسلم - كونه بالمكان الذى قضى لسكّنيه - صلى الله عليه وسلم - الأمر ، عرف المكان بالجانب الغربى ، ولم يصفه باليمين ، كما قال فى الإخبار عن موسى - عليه السلام - : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ ﴾^(٣) أدباً منه سبحانه وتعالى مع نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن ينفى عنه كونه بالجانب الأيمن ، ووصف سبحانه الجانب ههنا

باليمن ، إذ أخبر أنه سبحانه نادى منه كلمته موسى - عليه السلام - تشریفاً له ، فألح هذا الاحتراسا اللطيف ، وتدبّر خبايا هذا الكلام الشريف .

باب المواربة* وبراء مهملّة

وهى أن يقول المتكلم قولاً يتضمّن ما ينكر عليه فيه بسببه ، فيعدّ ما يتخلّص به من ذلك الإنكار ، إن فطن بنفسه له من غير منبه عليه من خارج أو يرجل التخلص إن جبه بالردّ .

وألف مواربة وقعت فى كلام مواربة عتبان الحرورى حيث قال (الطويل) :

(٢) سورة القصص آية ٤٦

(١) سقطت من ا ، ب ، ت

(٣) سورة مريم آية ٥٢ .

(*) المواربة بحثها فى خزنة ابن حجة : ١١٢٠ .

فَإِنْ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مِرْوَانُ وَابْنُهُ وَعَمْرُو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبٌ^(١)
فَتَنَا الْحَصَيْنَ وَالْبَطَيْنَ وَقُنْبَ وَمَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ
فَإِنَّهُ لَمَّا بَلَغَ شَعْرَهُ هَشَامًا وَظَفَرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ :

[٤٣]

* وَمَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ *

- فقال : في النفس لم أقل كذا ، وإنما قلت : ومَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبُ .
فتخلص بفتحة الراء بعد ضمها ، وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى
حِكَايَةً عَنْ أَكْبَرٍ وَلَهُ يَقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ ارجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا
يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقٌ ﴾^(٢) فَإِنَّ بَعْضَ الطَّلَاءِ قَرَأَ هَذَا الْحَرْفَ : (إِنَّ ابْنَكَ
سُرَّقٌ)^(٣) وَلَمْ يَسْرِقْ « فَعَمِلَ مَا لَمْ يَسْمَعْهُ ، تَوْخِيًّا لِلصِّدْقِ ، فَإِنَّ يُوسُفَ
- عَلَيْهِ السَّلَامُ - سُرَّقَ وَلَمْ يَسْرِقْ » فَأَتَى بِالْكَلَامِ عَلَى الصَّحَةِ بِإِبْدَالِ الضَّمَّةِ مِنْ
١٠ - فَتَحَةٍ ، وَتَشْدِيدِ فِي الرَّاءِ وَكُسْرَتِهَا ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

باب الموازنة * « بزاي معجمة »

وهي مقارنة للمعاني بالمعاني ليعرف الراجح في النظم من المرجوح ، كقول
السموئل (الطويل) :

(١) الخبر مع البتين في النهاية لابن كثير ٩: ١٠ ، الموازنة للأمدى ص ٨٦

(٢) سورة يوسف آية ٨١

(٣) العبارة التي بين قوسين لم ترد في أ ، ب .

(٤) لم يرد هذا الباب بأكمله في نسخة أ . أما في ب فانه لم يأت في صلبها وإنما زيد في
الحاشي لقارنها .

(*) الموازنة بحثها في المثل السائر : ١٦٩ ، التخليص : ٢٥٦ ، الإيضاح : ١١٣ ، الطراز
٣٨: ٣ ويلاحظ أن الموازنة في نظر ابن أبي الأصم غير الموازنة التي قصدتها أصحاب هذه
الكتب ، لأنهم قصدوا الحلية المنطقية التي تكون فيها ألفاظ النواصل من الكلام المنشور متساوية
في الوزن ، وأن يكون صدر البيت وعجزه متساويا في الألفاظ . وهذا النوع آخو الجمع في
المعادلة دون المائنة ، ولكن ابن أبي الأصم قصد بها موازنة بعض الكلام ببعض .

وَنَسْكَرُ إِن شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكَرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ^(١)
فإنك إذا وازنته بقول الله سبحانه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢)
تبيّن لك ما بين الكلامين من الفرق ، وأمثال هذا الباب كثيرة ، وهذا أحد
وجوه الإعجاز ، وهو قياس القرآن بكل معجز من الكلام :

* * *

باب الترديد*

وهو أن يعلّق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردّها بعينها ، ويعلقها
بمعنى آخر كقوله تعالى : ﴿حَتَّى نُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ أَغْلَمَ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾^(٣) فالأسم الأول مضاف إليه ، والثاني مبتدأ به ؛ وكقوله
تعالى : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾^(٤) وكقوله سبحانه : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِن أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ
أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾^(٥) ؛ ومن الترديد نوع آخر
يسمى الترديد المتعمّد ، وهو أن يتردّد حرف من حروف العاني إما مرّة أو مراراً ،
وهو الذي يتغيّره مفهوم المسمّى لتغيّر الاسم إما لتغيّر الاتصال ، أو لتغيّر ما يتعلق
بالأسم ، كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٦) ، فإن اتصال
« من » بضمير المخاطبين والغائبين في الموضوعين مع ما تضمنت « مَنْ » من
معنى الشرط أصار المؤمنين كافرين بذلك الشرط ؛ والله أعلم .

* * *

- (١) ديوان الحماسة ١ : ٣١ ، الصنائع ٤٠٥ (٢) سورة الأنبياء آية ٢٣
(٣) بحث في العمدة ٢ : ٢ ، بديع ابن منقذ : ٢٦ ، خزائن ابن حجة : ١٦٤ ، نهاية
الأرب ٧ : ١٤١ ، الطراز ٣ : ٨٢ ، حسن التوسل : ٧٠
(٤) هذه قراءة ورش . والذي في باقي النسخ « رسالته » وهى قراءة حفص .
(٥) سقطت العبارة التي بين قوسين من ا ، ب ، ت وهما آيتا ٧ ، ٦ من سورة الروم .
(٦) سورة التوبة آية ١٠٨ (٧) سورة المائدة آية ٥١

باب التعطف*

- وقد سَمَّاهُ قوم المشاركة ، والتسمية الأولى أولى . والتعطف كالترديد في إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ، أو ألبت من الشعر . والفرق بينهما قرب الكلمتين من التردد ، وكونهما في أحد طرفي الجملة أو في كليهما ، وهما في التعطف مفترقتان ، كل لفظ منهما في طرف من الكلام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ^(١) ﴾ فأنظر كيف أتى التعطف في هذه الآية الكريمة من صدرها في قوله : ﴿ تَرَبَّصُونَ بِنَا ﴾ وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ ﴾ . ونحنيس الأزواج في قوله من عجزها :
- ١٠ ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ إلى ما فيها من الإشارة في قوله تعالى :
- ﴿ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ ﴾ فإن تفسير الحسينين قد جاء من غير هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنْ اللَّهِ فَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوَذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٢) ﴾ وقد وقع في التعطف منها مقابلة معنوية خرج الكلام فيها مخرج إيجاز الحذف ، فإن مقتضى البلاغة أن يكون تقدير ترتيب النظم : قل هل ترصدونا بنا إلا إحدى الحسينين أن يصيبنا الله بعذاب من عنده أو بأيديكم ، ونحن نترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا . فحذف لتوخي الإيجاز تفسير الحسينين من الجملة الأولى (وأثبت في الجملة الثانية فراراً من تكرار اللفظ

(*) بحثه في الصناعات : ٤٢٠ . وخزانة ابن حجة : ٤١٧

(١) سورة التوبة آية ٥٢

(٢) سورة النساء آية ١٤١

وتكثيره ، كما حذف الحسين من الجملة الثانية^(١) (أستغناء بذكرها أولاً طلباً للاختصار ، فحصل في الآية التعطف والمقابلة والإيجاز والتفسير ، وتجنيس الأزواج مقترن ، والتمكين مرشح لتجنيس الأزواج ، فتكملت فيها ثمانية أضرب من البديع .

ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ^(٢) ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ^(٣) ﴾

• • •

باب التفويف*

التفويف عند أرباب علم البيان : إنيان المتكلم بمان شئ من المدح والوصف والنسيب ، وغير ذلك من الفنون التي يُنتجها المتكلمون كل فن في جملة منفصلة من أختها بالسجع^(٤) غالباً ، مع تساوى الجمل في الزنة . ويكون بالجل الطويلة : والجل المتوسطة ، والجل القصيرة . فثال المركب من الجمل الطويلة قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ لَبَّ لِي حُكْمًا

(١) سقطت هذه العبارة من ت .

(٢) سورة البقرة آية ٤٠

(٣) سورة الروم آية ٧

(*) التفويف بحثه في التبيان لابن الزمخشري : ١٣٧ ، الطراز ٣ : ٨٤ ، نهاية الأرب

٧ : ١٢١ ، حسن التوسل : ٧٠ .

(٤) كذا في الأصل ، د ، س ، ت ، والقى في ا ، ب « بالتجميع » وهو تصحيف

من الناسخ .

- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بِالصَّالِحِينَ^(١) . ومثال ما ركب من الجمل المتوسطة قوله تعالى :
- ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ^(٢) ﴾ ، وفي كلا هاتين الآيتين من المحاسن بعد التفويف طرف من المحاسن يستفز العقول طرباً ، والآية الأولى أكثر بديعاً من الثانية ، فمن ذلك ما حصل في الآية الأولى من المناسبة التامة المقترنة بالتفويف في قوله سبحانه . « خلقتي » و « يطعمني » والتشكيك في قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ فإن النكتة التي أوجبت على التحليل عليه السلام إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عز وجل ، إذ أسند إليه أفعال الخير كلها ، وأسند فعل الشر إلى نفسه ، وحسن الترتيب المقترن بحسن النسق ، فإنه قدّم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق واعتراف المخلوق بنعمته ، فإنه أول نعمة ، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته ، ثم ثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم ، ثم ثلث بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادة الحياة ، وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم ، وذكر المرض وأسندّه إلى نفسه أدباً ، كما قلنا مع ربه ، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك إلى ربه ، ثم ذكر الأمانة مسنداً فعلها إلى ربه لتكميل المدح بالقدر المطلق على كل شيء من الإيجاد والإعدام ، ثم ردف ذكر الموت ذكر الإحياء بعد الموت ، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدر والإيمان بالبعث ، وكل هذه المعاني مجمل ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف
- ١٠

(١) أورد الأصل ١ ، ب قراءة الإمام حفص . وأوردت د ، ت ، س قراءة الإمام ورش . وهي الآيات / ٧٨ — ٨٣ من سورة الشعراء .
(٢) سورة آل عمران آية : ٢٧

ملأته لمعانى الجمل المعطوفة ، فما وجب عطفه بالواو عطف بالواو ، وما وجب عطفه بالفاء عطف بالفاء ، وما وجب عطفه بثم عطف بـ ، وذلك بين ، فصل في الآية أغرب أقسام التفويف ، وهو الذى يكون جملة متائلة المقاطع ، لأن وقوع ذلك فيه نادر ، والغالب وقوعه بخلافه ، إذ لا يجب تماثل مقاطعه إلا في الزنة دون التقفية ، ثم المناسبة التامة ، وصحة التقسيم إذا استوعبت أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والمداية والإطعام والإسقاء والمرض والشفاء والموت والحياة والإيمان بالبعث وغفران الذنب ^(١) ، وإنما اعتد بالمرض من جملة النعم ، لما فيه لو عقل المريض من تكفير السيئات ، وحصول الحسنات ، ورفع الدرجات ، وكذلك الموت فإنه طريق إلى الحياة الأبدية ، والنعم السرمدية .

١٠ وقع في الآية الثانية بعد التفويف للطابقة ، والعكس والتبديل .

ولم بات شئ من المركب من الجمل القصيرة في شئ من الكلام القصيح ، والله أعلم ..

باب التسميم

وهو أن يكون ما يتقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه أو العكس .

ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ^(٢) ﴾

١٥ وقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ^(٣) ﴾ الآية ، وقوله سبحانه :

(١) كذا في الأصل ، ا ، ب . وفي بقية النسخ « الذنوب »

(*) التسميم مأخوذ من البرد المسهم أى المخطط ، وهو الذى يدل أحد سهامه على الذى يليه ليكون لونه يقتضى أن يليه لون مخصوص يتفق مع ما قبله وما بعده وقيل : مأخوذ من التسميم أى التصويب ويكون بذلك قريب الشبه جداً بالمعنى الاصطلاحي لأن التكلم يصوب ما قبله عجز الكلام إليه ، بحثه في البيان والتبيين ١ : ١١٥ ، قواعد الشعر تحت اسم الأبيات المحجلة : ٧١ ، نقد الشعر تحت اسم التوشيح : ٩٩ الصناعتين ٣٨٢ ، مثل السائر : ٢٩٦ ، العمدة ٢ : ٢٦٠ ، سر الفصاحة تحت اسم المعاطلة : ١٥ ، بديع ابن منقذ : ٦٤ ، خزائن ابن حجة : ٣٧٤ الايضاح تحت اسم الإحصاء ٦ : ٢٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٢ ، حسن التوسل : ٧١

(٢) سورة الواقعة الآيات ٦٣ — ٦٥ (٣) سورة الواقعة آية ٦٨

{ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ^(١) } الآية فانظر إلى اقتضاء أوائل هذه الآيات أو آخرها اقتضاء لفظياً ومعنوياً ، واثلاف الألفاظ فيها بمعانيها لمجاورة الملائم بالملائم ، والمناسب بالمناسب ، لأن ذكر الحرث يلائم ذكر الزرع ، والأعتداد بكونه سبحانه لم يجعله خطأً ملائماً لحصول التفكك به ، وعلى هذه الآية يقاس نظم أختيها .

* * *

باب * التسميط ^(٢)

وهو عبارة عن تصوير المتكلم مقاطع أجزاء الكلام من بيت شعر ، أو جملة نثر مسجعة على روى تخالف روى قافيته ، أو روى قرينته . ومثاله في الشعر : قول (مروان ^(٣)) ابن أبي حفصة (الطويل) :

هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا

أَجَابُوا وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُوا ^(٤)

وأشتقاقه من السَّمَط الذي هو خيط العقد ، لتزليل سجعات الأجزاء بمنزلة حبَّ العقد ، وقافية البيت أو سبعة النثر ، أو فاصلة الآية بمنزلة السمت الذي يجمع حبَّ العقد ويربطه .

وقد جاء في الكتاب المميز من ذلك ما هو الغرض الأهم الذي

(١) سورة الواقعة آية ٧١

(*) بحثه في الطراز ٣ : ٩٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٧ ، خزنة ابن حجة . ٤٣٤ ، حسن

التوسل : ٧٣

(٢) سقط هذا الباب بأكله من أ ، ويوجد في هامش ب .

(٣) كذا في الأصل . وهي ساقطة من جميع النسخ .

(٤) البيت في الأغاني ١٠ ص ٦٠ طبع دار الكتب المصرية وهو من أبيات أولها :

بنو نصر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في بطن خفان أشبل

كان يجب تقديمه لولا أنني قصدت^(١) إيضاح اشتقاق التسمية ، ليطابق بها الناظر في الكتاب ما جاء منها في القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ^(٢) 》 . [٤٨]

باب التورية*

ونسمى التوجيه ، وهي أن تكون الكلمة تحتل معنيين ويستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ، ومراده ما أهمله لا ما أستعمله . ومنها قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَأْتِيهِ إِنَّكَ لَقِيَ ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ^(٣) 》 فانظر إلى كون الضلال هنا يحتمل الحب وضد الهدى ، وكيف استعمله أولاد يعقوب (عليه السلام ^(٤)) ضد الهدى ، فوزوا به عن الحب ليعلم أن المراد ما أهملوا لا ما أستعملوا .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَن خَلَقَ آيَةً ^(٥) 》 على رأى من رأى أن البدن هاهنا الدرع ، فإن البدن يطلق على الجسد ، وعلى الدرع ، وهو بهذا التفسير في الظاهر قد أستعمله بمعنى .

(١) كذا في الأصل . وهو الصواب . والذي في د ، س ، ت « قضيت » وهو تحريف .

(٢) سورة الإسراء آية ٥٥ .

(*) التورية بحثها في المدة ٢١٣ : ١ ، بديع ابن منقذ : ٣١ ، وروضة الفصاحة : ١٦ ، المفتاح تحت اسم الإبهام . ٢٢٦ ، التلخيص : ٢٤٨ ، الإيضاح : ٣٩ ، خزانة ابن حجة : ٢٣٩ ، الطراز : ٣ ، ٦٢ ، نهاية الأرب تحت اسم الإبهام والتخييل : ٧ : ١٣١ .

(٣) سورة يوسف آية ٩٦ .

(٤) هذه التكمة عن د ، ت ، س .

(٥) سورة يونس آية ٩٢ .

الجسم وأهل معنى الدرع ، ومراده ما أهل لا (معنى^(١)) ما أستعمل ، فإن
نجاة فرعون ، أى خروجه من البحر بعد الفرق بدرعه أعجب آية من
خروجه مجردا .

- ومن التورية الطائفة قوله تعالى بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود
والنصارى حيث قال : ﴿ وَأَنَّ أَتَيْنَ الَّذِينَ أَوْفُوا الصَّكَّاتِ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَمُوا
فِيَلْتَكَّ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِيَلْتَهُمْ (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ^(٢) قِيَلَتْ بَعْضُ) ﴾
ولما كان الخطاب لموسى عليه السلام من جانب الطور الغربي وتوجهت اليهود
إليه ، وتوجهت النصارى إلى الشرق ، وكانت قبلة الاسلام وسطاً بين القبلتين ،
قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا^(٣) ﴾ أى خياراً ،
وظاهر اللفظ يوم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظ
وسط هاهنا أن يسمى تعالى به ، لأحتمالها للعنيين ، ولما كان المراد والله أعلم
أحد المعنيين الذى هو الخيار دون الآخر صاحبت أن تكون من أمثلة هذا
الباب ، والله أعلم .

* * *

باب الترشيح*

- وهو أن يريد المتكلم ضرباً من ضروب البديع فلا يأتى له الايتان به
مجرداً حتى يأتى بشيء فى الكلام ليرشحه لحي . ذلك الضرب .

(١) الكلمة التى بين قوسين ساقطة من ا ، ب

(٢) ما بين القوسين ساقط من ا ، ب ، وهى آية : ١٤٥ من سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(*) الترشيح بحثه فى أسرار البلاغة ٢٥٧ — ٢٦٢ ، خزائن ابن حجة : ٣٧٢ .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي ^(١) ﴾ فإن لفظة «ربك» رشت لفظة ربه لأن يكون تورية ، إذ يحتمل أن يراد بها الإله تعالى ، وأن يراد بها الملك ، ولو وقع الاختصار على قوله : ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّي ﴾ دون قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ لم تدل لفظة « ربه » إلا على الإله فحسب ، لكن لما تقدمت لفظة « ربك » وهي لا تحتمل إلا الملك صلت لفظة « ربه » للمعنيين . وقد تقدم في باب الاستعارة الترشيع للاستعارة ، وفي باب الطباق الترشيع للمطابقة ، وكثيراً من أبواب البديع يدخله الترشيع ، والله أعلم .

باب الاستخدام*

وهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها عملان ، ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما ، تستخدم كل لفظة منهما أحد محلى اللفظة المتوسطة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ ^(٢) ﴾ فإن لفظة « كتاب » تحتمل الأمد المحتوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ^(٣) ﴾ أى حتى يبلغ الكتاب أمدّه ، أى أمد العدة ، وأجله : منتهاه ، والكتاب (المكتوب ^(٤)) وقد توسطت لفظة « كتاب » بين لفظتي « أجل »

(١) سورة يوسف آية ٤٢ .

* الاستخدام بمثله في بديع ابن منقذ : ٤٢ ، التلخيص : ٢٤٨ ، الإيضاح : ٤٢ مع العلم بأنه لم يذكر في المفتاح ، خزانة ابن حجة : ٥٢ ، حسن التوسل : ٧١ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٤٣ .

(٢) آيتا ٣٨ ، ٣٩ من سورة الرعد .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٥ .

(٤) الذى فى الأصل « المكتون » بنونين ، وهو تصحيف من الناسخ ، والصواب ما أنبتناه كما فى جميع النسخ .

« ويحور » فاستخدمت لفظة « أجل » أحد مفهومها ، وهو الأمد ،
واستخدمت لفظة « يحو » مفهومها الآخر ، وهو المكتوب ، فيكون تقدير
الكلام على ذلك ، لكل حد مؤقت مكتوب يحى ويثبت ؛ والله أعلم .

باب التباير *

- وهو تباير المذهبين إما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً أو يذمه ،
أو يذم مأمده غيره ، وبالعكس ، أو يفضل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل
المفضول فاضلاً ، والفاضل مفضولاً .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْأُمَلَّا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا بِأَن آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَمَلُّونَ أَن صَالِحًا
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
١٠ إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَاغُرُونَ ^(١) ﴾ فباير بعضهم بعضاً في باب الطاعة
والعصيان بعد التباير في مقامهم واعتقادهم في نياتهم ، وهذا هو ما يباير به
الإنسان فيه غيره . وأما ما يباير فيه نفسه ، فنه قول عريش عن القرآن : ﴿ مَا سَمِعْنَا
بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ^(٢) ﴾ إنكاراً منهم لعراية أسلوبه ، وما يهزهم من
فصاحته ، ويلزم هذا الكلام لإقرارهم بالمعجز عنه ، ثم غايروا أنفسهم في وقت
١٥ آخر فقالوا : ﴿ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ^(٣) ﴾ ولو كان القولان في وقت

* بحثه في المدة ٢ : ٨٠ ، خزائن ابن حجة . ١٠٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٥ ، حسن
التوصل : ١٧٢ .

(١) سورة الأعراف آيتا ٧٥ و ٧٦ .

(٢) سورة المؤمنين آية ٣٤ .

(٣) سورة الأقال آية ٣١ .

واحد لكان ذلك تناقضاً ، وهو عيب ، ولم يعد من المحاسن ، لكنه لوقوعه في زمنين ، مختلفين ، ووقتین متباينين لا يُعد من العيوب ، واعتد به من المحاسن ، ولذلك سمي تنظيراً لا تناقضاً ؛ والله أعلم . [٥٠]

ومن التباير تنظير المعنى لمغايرة اللفظ ، مثل قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (١) فإن ذلك غير قوله في هذا المعنى بعينه في بني إسرائيل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (٢) فقدم في الآية الأولى وعده بالرزق للآباء على وعده برزق الأبناء ، وفي الآية الثانية بالعكس ، وسبب المغايرة بينهما أن الخطاب في الأنعام للفقراء ، بدليل قوله تعالى : من إملاق (فاقترضت البلاغة تقديم وعدم أعنى الآباء المملقين بما يغنيهم من الرزق (٣)) ، وافتضت البلاغة « تكميل المعنى بعدة الأبناء بعد عدة الآباء ليكمل سكون الأنفس ، ولم يبق لما تعلق بشيء ، وفي بني إسرائيل الخطاب للأغنياء بدليل قوله تعالى : ﴿ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ﴾ فإنه لا يخشى الفقر إلا الغنى ، أما الفقير فققره حاصل ، فاقترضت البلاغة تقديم وعد الأبناء بالرزق ، ليشير هذا التقديم إلى أنه سبحانه هو الذي يرزق الأبناء ليزول ما توهم الأغنياء من أنهم ياغناهم على الأبناء يصيرون إلى الفقر بعد الغنى ، ثم كل الطمأنينة بعدتهم بالرزق بعد عدة أبنائهم . والله أعلم .

* * *

(١) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣١ .

(٣) ما بين العلامتين ساقط من « ا ، ب » .

باب المماثلة*

وهو تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها في الزنة دون التفتية ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ . إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ^(١) ﴾ فالطارق والثاقب وحافظ متماثلون ^(٢) في الزنة دون التفتية .

وقد قيل ^(٣) : المماثلة تماثل الألفاظ في المعنى مع اختلاف اللفظ . كقول أبي تمام ^(٤) (البسيط) :

وقال ذو أمرم لا مرتنع صدر للصارحين وليس الورد من كذب والصدر : القريب . والكذب : القريب ، ويكون مثل هذا في الكتاب العزيز . ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ^(٥) ﴾ وأمثال ذلك كثيرة ؛ والله أعلم .

* * *

(*) بحثها في الصناعتين : ٣٥٣ ، خزائن ابن حجة : ٣٧٠ .

(١) سورة الطارق الآيات من ١ - ٤ .

(٢) في جميع النسخ « متماثلان » بالثنية ؛ والسياق يقتضى الجمع كما أثبتنا .

(٣) من هنا إلى آخر الباب ساقط من (١) وحدها .

(٤) ديوانه : ١٠ طبع بيروت . وهذا البيت من قصيدة له أولها

* السيف أصدق أنباء من الكتب *

وذو أمرم : آرمم . والمرنع : المرعى الحبيب . والورد : المورد .

(٥) سورة يوسف آية ٨٦ .

باب التسجيع *

وهو أن يتوخي التكلم تسجيعاً جُمْلَ كلامه .

وهو على ضربين : ضرب تأتي الجمل المسجعة بمجملَة مُدْمِجَة في الجمل المهملة ، وضرب تأتي فيه الجمل المسجعة منفردة .

مثال الأول قول عبد السلام ^(١) بن غياث المعروف بديك الجن الحنصى (كامل مجزوء) :

حُرَّ الإهاب وسيمه * بَرَّ الإياب كريمه * تحضُّ النصاب حميمه [٥١]

ومثال الثاني قول أبي تمام ^(٢) (الطويل) :

نَحَلَى به رُشْدَى وأثَرَتْ به يَدَى وقاضَ به تَمْدَى وأوَرَى به زَنْدَى

ومثال الأول من القرآن العزيز قوله تعالى : ﴿ ق - وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ .

بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ^(٣))

وكقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ^(٤)) إلى آخر الآية .

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنَ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ

(*) بحثه في البيان والتبيين ١ : ٢٨٥ ، سر الفصاحة تحت اسم السجع والازدواج : ١٧٣ ، أسرار البلاغة : ١ ، دلائل الإعجاز : ٤٩ ، المثل السائر : ١١٤ ، التلخيص : ٢٥٥ ، الإيضاح ٦ - ١٠٧ ، الطراز : ٣ - ١٨ ، خزائن ابن حجة : ٤٢٣ ، نهاية الأرب : ٧ - ١٠٤ ، حسن التوسل : ٤٩ . ألف فيه الأستاذ علي الجندي كتاباً تحت اسم « فن الأشجاع »

(١) كذا في جميع النسخ ما عدا ١ ، ب فإن فيهما « عبد الكريم » وهو خطأ من الناسخ وقد راجعنا ما لديك الجن من شعر في مصادر كثيرة فلم نثر على هذا الشعر فيها . فتأمل .

(٢) ديوانه ١١٦ وأثرت : كثير ما لها . والحمد : الماء القليل . وأورى : أشعل . والزند : ما يشتعل به .

(٣) سورة (ق) الآيات من ١ - ٣ ولا يتم التشييل للتسجيع إلا إذا رزيت الآية (أءذا متنا وكنا تراباً ذلك رجم بعيد) .

(٤) كذا نص أول الآية ٣٥ من سورة الأحزاب . والذي في جميع الأصول : « إن المؤمنين ، والمؤمنات » وهو خطأ .

الْبَيَّانَ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ^(١)) والله أعلم .

* * *

باب التعليل *

وهو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه ، لكون رتبة العلة التقدم على المعلول ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ^(٢) ﴾ فسبق الكتاب من الله تعالى هو العلة في النجاة من العذاب ، وكقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ^(٣) ﴾ فوجود رهط شبيب هو العلة في سلامته من رحم قومه .

* * *

باب الطاعة والعصيان ^(٤) *

هذه التسمية تسمية المعرّية عندما نظر في شعر المتنبي ، وتكلم عليه في كتابه المترجم « بمعجز أحمد » يعني المتنبي فأتى على قوله (من الطويل) : ٧٠

(١) سورة الرحمن الآيات من ١ — ٦ .

(*) بحثه في أسرار البلاغة : ٢٥٧ وما بعدها ، سر الفصاحة تحت اسم الاستدلال بالتعليل : ٢٦١ ، خزاعة ابن حجة : ٤١٦ ، الطراز : ٣ : ١٣٨ ، حسن التوسل : ٥٥ ، نهاية الأرب : ٧ : ١١٥ .

(٢) سورة الأهل آية ٦٨ .

(٣) سورة هود آية ٩١ .

(٤) هذا الباب بأكمله ساقط من أ ، ب ، ولسكنه موجود في الفهرست في مقدمة الكتاب ، وقد أثبتناه عن الأصل وبقية النسخ .

(*) بحثه في بديع ابن منقذ : ٩١ ، خزاعة ابن حجة : ٤١٨ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٤٦ ، حسن التوسل : ٧٣ .

يَرُدُّ يَدَا عَنْ نَوْبِهَا وَهِيَ قَادِرٌ

وَيَمْعَى الْهَوَى فِي طَائِفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ^(١)

وقال أراد المتنبي الطباقي ، فمضاه^(٢) وأطاعه الجناس ، فإنه أراد أن يقول
يردُّ يَدَا عَنْ نَوْبِهَا وَهُوَ مُسْتَقِظٌ ، فمضاه ذلك لامتناع دخوله في الوزن فقال :
وهو قادر ، لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس ،
وقد زدته عليه في الكتاب الأصلي وهو « تحرير التحبير » بما يقف عليه
من أرادته ثم^(٣) ، وتجاوزت عن ذكره هاهنا لضيق هذا الكتاب عنه ، وأبقيت
التسمية لرشاقتها . واستنبطت لها أمثلة غير ذلك .

وهي كل كلام وقع فيه تكميل للوزن والمعنى ، وذكرت أمثله ثم .
ومن هذا الباب في الكتاب العزيز ما وقع في قوله تعالى :
(أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ^(٤)) إلى قوله : (فَأَخَذَتْ^(٥)) فإنها وقع
فيها التكميل والتتيم (من عشرة أوجه ، وقد ذكرناها واستقصيت الكلام
عليها في باب التتيم^(٥)) فما كان فيها من التكميل فهو شاهد باب الطاعة
والعصيان ، فإن المتكلم البليغ يقصد المساواة في كل ما يتكلم به ، فإذا
عصته المساواة إما لضرورة أو لاعتراض ما هو أهم منها لبلاغة أو سلامة النظم
من الدخل - أتى بذلك في لفظ يُمِطُ المعنى كالا بعد تمامه كما وقع في هذه الآية
الكريمة ، فإن قوله تعالى فيها (مِنْ نَحِيلٍ وَأَغْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

[٥٢]

١٥

(١) يقول : انه مع قدرته عليها لا يبيع لنفسه مد يده إلى إزارها ، كما أنه إذا رأى
خيالها في المنام امتنع عنه كما يمتنع عنها في اليقظة ، يصف نفسه بعيد الهمة عن منازلة النساء ،
ويبالغ في عفته اه . ملخصاً من شرح التبيان للمكبري على ديوان المتنبي صفحتي ١٨٨ ، ١٨٩ ،
طبع بولاق .

(٢) انظر صفحة ١٤٦ من الجزء السابع من نهاية الأرب طبعم دار الكتب المصرية .

(٣) في الأصل (من) وهو تحريف من الناسخ ؛ والصواب ما أثبتناه عن بقية النسخ .

(٤) آية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٥) مكان هذه العبارة بياض في د ، س .

الأنهار^(١) ﴿ كلّه تكميل أى بعد تمام المعنى المراد. وكذلك قوله : ﴿ وَلَهُ خُزْيَةُ ضُمًّا^(٢) ﴾ وأمثال ذلك؛ والله أعلم.

* * *

باب العكس والتبديل*

وهو أن يُؤتى بكلام آخره عكس أوله ، كأنه بدل فيه الأول بالآخر ،
والآخر بالأول ، كقوله تعالى : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ^(٣) ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ^(٤) ﴾ فجاء في نظم هذه الكلمات بعد العكس والتبديل أحد أنواع التصدير ، وحسن الجوار ، لوقوع لفظة « هن » في أول الكلام وآخره ، ووقوع لفظة « هم » مجاورة لمثلها في وسط الكلام .

١٠ وجاء من هذا الباب نوع غير الأول هو قوله تعالى :
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَاهَمُونَ قَبْرًا . وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا يَمُنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ^(٥) ﴾ فإن نظم الآية الأخيرة عكس نظم الآية

(١) آية ٢٦٦ من سورة البقرة .

* بحثه في الصناعتين : ٣٧١ ، سر الفصاحة تكلم عنه تحت التبديل : ١٨٢ ، بدیع ابن منقذ : ٥٣ ، روضة الفصاحة : ٣٧ ، التل السائر تحت اسم عكس الظاهر : ٢٩٣ ، التبيان للزمكان : ١٣٢ التلخيص : ١٣٤٨ ، الإيضاح : ٦ : ٣٥ (ويلاحظ أن السكاكي لم يتكلم عنه في الفتح) ، خزائن ابن حجة : ١٦٣ حسن التوسل : ٧٢ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٤٤ .

(٢) سورة الأنعام آية ٥٢

(٣) سورة المتحة آية ١٠ .

(٤) سورة النساء آيتا ١٢٤ ، ١٢٥ .

الأولى ، لتقديم العمل في الأولى عن الايمان ، وتأخره في الثانية عن الاسلام ، وهذا تبديل اللفظ في الوضع المستلزم تبديل المعنى .

باب القسم *

وهو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخراً ، أو تعظيماً لشأنه ، أو تنويته لقدره ، أو ما يكون ذمّاً لغيره ، أو جارياً بحجى النزل والترقى ^(١) ، أو خارجاً مخرج للموعظة والزهد . ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ^(٢) ﴾ فاقسم سبحانه بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدره ، وأجل عظمته ، المستفاد من ربوبية السماء أن القسم عليه حق ، فحصل تحقيق الوعد بالرزق من إخباره سبحانه بأن الرزق في السماء بمد تقديره عز وجل في القسم أنه رب السماء ، فيلزم من ذلك قدرته على ما في السماء قدرته عليها من حيث ثبت أنه مالكها ، فثبتت قدرته على الرزق الذي وعده به ، وثبت أنه لا رازق سواه ، لأنه أخبر بالخبر الصادق أن الرزق في السماء ولا ربّ للسماء سواه ، وثبت أنه لا يحرم أحداً شيئاً من رزقه ، لما ثبت من صدق وعده ، وأما ما حصل من الإيغال في فاصلة هذه الآية حيث قال سبحانه بعد تمام المعنى : ﴿ مِثْلٍ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ فمَثَل هذا الوعد بما هو واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد ، وكقوله تعالى في هذا الباب : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ^(٣) ﴾

(*) بحشه في خزافة ابن حجة ١٤٥ ، حسن التوسل : ٧٥ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٠ .

١٥٠ : ٧ .

(١) في الأصل : « والرفق » ، وهو تصحيف من الناسخ ؛ والتصويب عن بقية الأصول .

(٢) سورة النازيات آية ٢٣ .

(٣) سورة الحجر آية ٧٢ .

- فإنه سبحانه أقسم بحياة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - لتعرف الأمم التي بُعث إليها عظمتُه عنده ، ومكانته لديه وحبّه فيه ، وأخبره بعد القسم على ذلك الخبر أن الذين أعرضوا عنه وخالفوه قد تجاوزوا حدّ الغفلة إلى السكره ، وجعل الفاصلة معناها متجاوزاً حدّ المعنى ليحصل في الكلام ملاءمة معنوية لمجاورة ما تضمنه المبالغة التامة الصحيحة مثلاً ، إذ أخبر عنهم بتجاوزهم حدّ الغفلة إلى السكره ، وتجاوزهم حدّ المعنى إلى المعه^(١) ، وليكون الإيضاح في الفاصلة مقترناً بالمبالغة متعلقاً بالملاءمة نسلياً له بذلك ، كما قال له في غير موضع : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا لَكَ بِأَخِيحٍ نَفْسُكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾^(٥) ، فجاء سبحانه في الإخبار عن الكفار بأن كفرهم لا يضره تبارك وتعالى ، ووصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه لا يفضب لنفسه ، وإنما يفضب لله تعالى ليسرّي عنه حزنه ؛ وكقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴾^(٦) ، وقد وقع الأمر على ما أخبر به سبحانه ، فإنه روى أن أبا جهل قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنا

(١) المعه بالتحريك : التعير والتردد .

(٢) آية ١٢٧ من سورة النحل . وما أبتناه عن الأصل . أما بقية النسخ فقد ورد فيها « ولا تكن » وهو صواب أيضاً لأنها آية ٧٠ من سورة النمل .

(٣) سورة فاطر آية ٨ .

(٤) سورة الكهف آية ٦ .

(٥) سورة آل عمران آية ١٧٦ .

(٦) سورة الأنعام آية ٣٣ .

لا نكذبك ، وإنما نكذب ما جئت به . وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نهاية محبة الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - حتى فداه بأياته ، ألا ترى أن زليخا قبل أن يستحكم حبها ليوسف - عليه السلام - قالت لصاحبها : ﴿ مَا جَزَاهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ^(١) ﴾ فقدت نفسها يوسف - عليه السلام - ، فلما استحكمت المحبة وبلغت النهاية فذته بنفسها فقالت : ﴿ أَلَا نَحْصَحَمَ الْحَقُّ أَنَا رَاوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ وتقربت إلى قلبه بقولها : ﴿ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ ﴾ ، وما أحسن قول من قال في معنى التقريب ^(٢) إلى المحبوب . وخلق قلبه بالتلطف : (الطويل) .

يودُ بأن يُمنى ^(٣) عليلًا لعلها إذا سمعت شكراهم يوماً راسلته ^(٤) ويهتز المعروف في طلب العلاء لتجمد يوماً عند أيلي شمائله وماذ كرت هذين البيتين في هذا الكتاب مع ما التزمت أن لا أذكر من الشعر إلا ما تمس الحاجة إلى ذكره ضرورة إلا لشغف بهما . ومن شغفي بهما علمت في معناهما ، فقلت - وإني لأعلم تقصيري فيما علمت - : (الطويل)

أجودُ لعلني أن جودي بسرُّها لتحدني وهي الحقيقة بالحد
تبيئتُ منها أنها تعشق النوى

فأبديتُ من عشق النوى فوق ما عندي

(١) سورة يوسف الآيات ٢٥ و ٥١ و ٥٢ .

(٢) البيتان لكثير الشاعر ، وهما من قصيدته التي أولها :

سق الربع من سلمى بنصف رودة إلى القهب أجواد السمي ووابله
رواية الديوان « سقيا » بدل « عليل » ، و « رتاج » بدل « يهتر » انظر ديوانه صفح ٢٥٨ ، ٢٥٩ ط أوربا .

(٣) في الأصل وباقي النسخ « يمشى » بالشين المعجمة ؛ وهو تصحيف .

(٤) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب ، « فواضله » .

وَأُخْرَى التَّوَى لَا عَنْ مَلَالٍ لَهَا تقولُ تَرَاهُ كَيْفَ حَالُهُ بَعْدِي
أَبْصَرْتُ قَبْلِي مُذْنَقًا^(١) مُتَعَيِّلًا على بَرْنِهِ يَرْجُو الشِّفَاءَ مِنَ الْبَعْدِ
نَمَّ نَعُودَ إِلَى ذِكْرِ زَيْجَامِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَوْلَهَا لِلنَّسْوَةِ اللَّوَاتِي
سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ : (فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) غَيْرَ مَكْتَرَمَةٍ بِمَا
فَضَحَّتْهَا بِهِ .

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَالَ جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ^(٢) وَقَدْ رُويَا لغيره : (الطَّوِيلُ)
وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنِّي لَكِ عَاشِقٌ
أَجَلَ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ حَبِيبَةٌ إِلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصْنَفْ مِنِّي الْخَلَائِقُ
وَقَالَ الْآخَرُ^(٣) : (الطَّوِيلُ)

١٠ أَلَا يَحْتَلُ مِنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يَلَامُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأَمْرِ
قَضَى اللَّهُ حَبَّ الْمَالِكِيَّةِ فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ قَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ
وَنَظَرَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ إِلَى مَعْنَى جَمِيلٍ قَالَتْ^(٤) : (الْخَفِيفُ)

قَالَ لِي أَحَدٌ وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي أَحَبَّ الْعَدَاةَ حُبًّا حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ نَمَّ قُلْتُ نَمَّ حُبًّا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَمِرْقًا

(١) المذنب : الذي أظلمه المرض .

(٢) هُذَانُ الْبَيْتَانِ وَرَدَا فِي الْأَغَانِي ٢ م ٦١ مَنُوسِينَ لِمَجْنُونِ بْنِ عَامِرٍ .

(٣) هُوَ عَمْرُو بْنُ ضَبِيعَةَ الرَّقَاشِيِّ أَحَدُ بَنِي رِقَاشٍ ، وَهُوَ مَنُوسِيٌّ إِلَى أَهْلِ كَمَا فِي الْخَمَاسَةِ

م ١٨٧ .

(٤) الْأَغَانِي ٤ : ١٠٢ بِرَوَايَةِ أُخْرَى وَهِيَ :

أَحَدٌ قَالَ لِي وَلَمْ يَدْرِ مَا بِي أَحَبَّ الْعَدَاةَ حُبًّا حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ نَمَّ قُلْتُ نَمَّ حُبًّا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَمِرْقًا

فزاد على الكلّ بهذا التنفّس الذي تتبعه كلّ نفس لطيفة ، وقد خرجت من هذا الباب عن شرط هذا الكتاب .

باب السلب والإيجاب

[٥٥] وهو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة وإيجابه من جهة أخرى ، أو أمر بشيء من جهة ونهى عنه من غير تلك الجهة ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ^(١) ﴾ ، فإنه سبحانه نهى الولد عن أن يقول للوالدين أدنى قول مؤلم ، أو ما فيه غضاظة ، وأمره بالقول الكريم وخفض الجانب لما ذلًا وتواضعا ، فأمره سبحانه بأمرين ، ونهاه عن أمرين ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْشَوْا النَّاسَ وَاحْشَوْا ^(٢) ﴾ فهذه من شواهد الأمر والنهى ، وأما شواهد السلب والإيجاب أيضا فهي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ^(٣) ﴾ ، فنفي سبحانه صيرورة المرأة أماً بالظهار ، وأثبت الأموة ^(٤) للتي ولدت الولد . ومن شواهد السلب والإيجاب أيضا قوله تعالى : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ^(٥) ﴾ ، فإنه عز وجل

✽ بحثه في الصناعتين ٤٠٥ ، خزائن ابن حجة : ٢٦١ ، حسن التوصل : ٧٧ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٤ .

(١) آيتا ٢٣ ، ٢٤ من سورة الإسراء .

(٢) سورة المائدة آية : ٤٥ .

(٣) سورة المجادلة آية ٣ .

(٤) أثبت الجارية أموة ثأى وثأى وثأمو : صارت أمة .

(٥) سورة التحريم آية ٦ .

سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان ، وأوجب لهم الطاعة .
فإن قيل : على ظاهر هذه الآية إشكال من جهة التداخل والتكرار ،
فإن معنى عجزها داخل في معنى صدرها ، فهو مكرر ، وإن اختلف لفظه ،
وهذا عيب يتحاشى عنه نظم القرآن العزيز ، فإن من لا يعصى مطيع .

- أجاب الإمام فخر الدين بن الخطيب عن ذلك بأن قال : « لا يعصون الله »
في الحال ^(١) « ويفعلون ما يؤمرون » في المستقبل .

وكنيت قد أجيبت عن الإشكال بجواب قبل أن أسمع جواب الإمام
فخر الدين ، قلت : الوصف بالطاعة والعصيان على ثلاثة أقسام : تقول زيد
لا يعصى ويطيع ، وتقيضه لا يطيع ويعصى ، والواسطة لا يعصى ولا يطيع ،
والأول وصف أعلى ، والثاني وصف أدنى ، والثالث (وصف ^(٢)) متوسط ،
والحق سبحانه أراد — وهو أعلم — أن يصف هؤلاء للملائكة بالوصف الأعلى ،
فلو اقتصر عز وجل على قوله : « لا يعصون » أحتمل أن يوصل بقوله :
ولا يطيعون ، فلا يوفي ذلك بالمعنى المراد ، فإن المراد وصفهم بأعلى الأوصاف ،
فوجب أن يقول : ويفعلون فتكمل الوصف ؛ والله أعلم .

• • •

١٥ باب الاستدراك والرجوع*

وهو على قسمين : قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير ، وقسم لا يتقدمه
ذلك ، فمثال ما يتقدمه التقرير قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَازِلَ

(١) في ١ ، ب « الماضي » .

(٢) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من الأصل ، د ، س . وقد أبتناها عن ١ ، ب ، ت .

(*) بحثه في بدیع ابن المعتز تحت اسم الرجوع : ١٠٨ ، التبيان للزمكاني تحت اسم
الاستدراك والرجوع : ١٣٣ ، خزانة ابن حجة : ٦٥ ، حسن التوسل : ٧٦ ، نهاية الأرب

قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وَلَتُنَازِعُنِي فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ^(١) ﴿٥٦﴾
 ومثال ما تقدم الاستدراك فيه نفي لا تقرير قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى^(٢) ﴾ فإني
 الاستدراك في هذه الكلمات في موضعين كل منها مرشح للتعطف ، فإن لفظة
 تقتلهم ، وقتلهم ، ورمى ، ورمى تعطف ، وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام
 لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين ، وجاء الانتقال (في نظم هذه
 الكلمات على طريق البلاغة أو حصل أعنى الانتقال^(٣)) من القتل والرمي ،
 لأن الرمي كان أعجب آية من القتل ، فإن القتل مما يظن بظاهره أنه من فعل
 القاتل ، والرمي في هذا المكان ليس كذلك ، فإن المراد به رمية الرسول
 - صلى الله عليه وسلم - الكف من الحصباء ، فأصابت كل حصاة عين إنسان ،
 وهذا مما لا يظن أنه مقدور للبشر ، فحصل في هذه الكلمات على هذا التأويل
 الاستدراك ، والترشيح ، والتعطف ، والتعذيب ، وحسن النسق ، وحسن
 البيان ، ومن ذلك قوله تعالى أيضاً : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدُورَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُورَةِ
 الْقُصُوفِ وَالرَّكْبُ أَغْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَقْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
 وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى
 مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ^(٤) ﴾ فتدبر ما حصل في هذا الاستدراك ، ونسبته من الفائدة
 الحليّة ، وما أوضحت من الإشكال الوارد على ظاهر الكلام ، وما جاء
 في هذا النظم من الترشيح بالتمثيل للاستدراك ، فإن الحق سبحانه أخبر عن الأمر

(١) سورة الأنفال آية ٤٣ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٧ .

(٣) هذه العبارة ساقطة من ١ .

(٤) سورة الأنفال آية ١٢ .

- الواقع. بخبر أخرجه الفصاحة مخرج المثل ، وذلك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما أخبرته عيونه بقول ركب قريش من الشام إلى مكة - شرفها الله تعالى - على الجادة المعروفة التي لا بد لساكنها من ورود «بدر» أمر أصحابه بالخروج ، وخرج معهم يريدون المير ، وكان وعد الله سبحانه قد تقدم له بإحدى الطائفتين إما المير^(١) ، وإما النفير ، وبلغ أبا سفيان وهو على الركب خروج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر الركب أن يأخذ على سيف^(٢) البحر ، ومضى أبو سفيان على وجه مكة ، فاستنفر قريشاً ، فخرجوا إلى بدر ليشغلوا وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن تتبع المير ، فصادفوه ببدر وهو يظن أن الركب يمر على بدر ، فوقعت الدنيا من غير ميعاد ، فأخبر الله - سبحانه وتعالى - بموضع المسلمين من بدر ، وموضع المشركين منه بقوله : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَّةِ الدُّنْيَا ﴾ أي القرية ، ﴿ وَهُمْ بِالْمُدَّةِ الْقُضْوَى ﴾ ، أي البعيدة ، ﴿ وَالرَّكْبُ أَتَقَلَّ مِنْكُمْ ﴾ لأن سيف البحر في غور ، وبدر في نجد بالقسبة إليه ، وأراد وهو أعلم أن بخبر عن وقوع اللقاء بنير ميعاد^(٣) ، وعد سبحانه عن لفظ المعنى إلى لفظ الإرداف ، فلم يقل فالتقوا من^(٤) غير ميعاد ، إلى قوله : ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِافَتُمْ فِي الْمِيَادِ ﴾ بالخروج لفظ الإرداف مخرج المثل ، ليكون أسيراً وأشهر ، ولو وقع الأقصار على هذا التقدير لأحتمل أن يقال : فما الحكمة في حرمان الله رسوله والمسلمين هذه الغنيمة الباردة . ولو قيل بذلك ، قلت : حرم الله تعالى المسلمين هذه الغنيمة لأجل منها ، وهي فتح مكة حرمها الله تعالى

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت وهو الصواب والذي في أ ، ب «الفرز والنفر» وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) سيف البحر : ساحله . (القاموس) .

(٣) تكة عن أ ، ب .

(٤) في أ ، ب «على» والمعنى بها يستقيم أيضاً .

واستئصال أموال أهلها ، فإن اختياره لهم لقاء النفير دون العير ليقتل حُمَاة مكة وصناديدها ، فيتمكن المسلمون من فتحها ، وكذلك كان (وقد كان ^(١)) مراد المسلمين لقاء العير دون النفير بدليل إخباره - سبحانه وتعالى - عنهم بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ^(٢) ﴾ ، يعنى العير فإن ذات الشوكة النفير ، لأن الشوكة السلاح ، فأرادوا هم ذلك ، وأراد الله خلافه لعلهم بالعواقب ، فأوقع اللقاء من غير ميعاد لهذه المصلحة ، وأخرج الإخبار به مخرج المثل لما بيننا من فائدة ذلك ، ثم قوى دليل الكلام بذكر العلة في تفويت تلك المصلحة الظاهرة حيث قال بلفظ الاستدراك : ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ثم فصل ما أجمل في الاستدراك بقوله : ﴿ إِنْ هَلَكَ مِنْ هَٰلِكَ عَنْ يَدَيْهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ يَدَيْهِ ﴾ ، فانتضح الإشكال وارتفع ما قدر من الاحتمال ، وأبان عن المعنى أحسن بيان ، هذا إلى ما في هذه الآية من عجيب النظم ، وبديع الترتيب ، وحسن النسق ، وغريب التنكيت ، وبلغ الإيجاز ، وما تضمن من وجوه الإعجاز ، فحصل في هذه الكلمات أربعة عشر ^(٣) نوعاً من البلاغة ، وهى الإيجاز ، والترشيح ، والإرداف ، والتمثيل ، والمقارنة ، والاستدراك ، والإدماج ، والإيضاح ، والتهذيب ، والتعليل ، والتنكيت ، والمساواة ، وحسن النسق ، وحسن البيان ، والله أعلم .

* * *

(١) ما بين قوسين ساقطاً ، ب .

(٢) سورة الأفعال آية ٧ .

(٣) كذا في الأصل ، د ، س ، ا ، ب والنهى في دت « أربعة وعشرون » وهو خطأ من الناسخ .

باب الاستثناء*

الاستثناء كالاستدراك ، كل منهما على قسمين : لغوى وصناعى ، فاللغوى قد فرغ النُّعَاة من تقريره ، والصناعى هو المتعلق بعلم البيان . والفرق بينهما أن الصناعى لا بد وأن يتضمن ضرباً من المحاسن زائداً على^(١) ما يدل عليه اللغوى كقوله تعالى فى الاستدراك : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ۝ [٥٨] وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا^(٢) ﴾ فإن الكلام لو اقتصر فيه على ما دون الاستدراك لكان منقراً لهم ، لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادها إيماناً ، فأوجبت البلاغة تبيين الإيمان ، فاستدرك ما استدركه من الكلام ليعلم أن الإيمان موافقة القلب للسان ، ولأن أفراد اللسان بذلك يسمى إسلاماً لا إيماناً ، وزاده إيضاحاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ١٠ فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما على ظاهر الكلام من الإشكال عدّ من المحاسن ، وكذلك الاستثناء لا بدّ من تضمنه معنى زائداً على الاستثناء كقوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ^(٣) ﴾ فإن هذا الاستثناء لو لم يتقدّم لفظه هذا الاحتراس من قوله تعالى : ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ ١٥ لما جاز إثباته فى أبواب البديع ، فإنه لو اقتصر فيه على قوله : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ لاحتل أن يكون من الملائكة من لم يسجد ، فيتأتى به إبليس ، ولا يكون منفرداً بهذه الكبيرة ، لاحتمال أن تكون آلة التعريف للمهد

(*) بحثه فى المدة ٢ : ٣٩ الصناعيتين : ٤٠٨ .

(١) كذا فى جميع النسخ . والذى فى د ، س « عن » والقاعدة القنوية تحيز إنابة حروف الجر بعضها عن بعض .

(٢) سورة الحجرات آية ١٤ .

(٣) آيتا ٣٠ و ٣١ من سورة الحجر .

لا للجنس ، فلما كان هذا الإشكال يتوجه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الإتيان بالتوكيد ، ليعلم أن آلة التعريف للجنس ، فيرتفع هذا الإشكال بهذا الاحتراس ، فيفتد تعظم كبيرة إبليس لكونه فارق جميع الملأ الأعلى ، وخرق إجماع الملائكة ، فيستحق أن يفرد بما جرى عليه

من الأمن إلى آخر الأبد . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا

خَمْسِينَ عَامًا ^(١) ﴾ ، فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح

عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم ، إذ لو قيل : فليث

فيهم تسعمائة وخمسين عامًا لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للأولى ، لأن

لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع ، فيشتغل بها عن سماع

بقية الكلام من الاستثناء ، وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه

وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف ، فتعظم كبيرة ^(٢) قوم نوح عليه

السلام في إصرارهم على المصيبة مع طول مدة الدعاء .

ومن الاستثناء نوع لا يدخل في أبواب البديع إلا بعد أن يوصف المستثنى

بوصف يتضمن نوعاً من المحاسن ، أو يذيل بمعنى مرتبط بمعناه يتضمن معنى

من معاني البديع كقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا قِيَّ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ

وَشَهيقٌ . خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ

رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا قِيَّ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ^(٣) ﴾ فإنه سبحانه علم

أن أهل الشقاوة الذين تناولهم هذا الوعيد صنفان : عصاة المؤمنين ، وكفار الأمم ،

(١) سورة النكبات آية ١٤ .

(٢) في ١ ، ب (كثرة) وهو تحريف .

(٣) سورة مود الآيات من ١٠٦ - ١٠٨ .

وأحد الصنفين غير مَحْدَد في النار على مذهب أهل الحق ، استثنى سبحانه من خلود
 الأشقياء استثناء مذيلاً بمعنى يُشعر بانقطاع الخلود حيث قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ
 فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ فكان مفهوم ذلك الإعلام بأنه لا أعترض عليه في إخراج
 بعض أهل الشقاوة من النار ، ولما علم بأن كل من دخل الجنة لا يخرج
 (منها^(١)) وأن أهل السعادة كلهم سواء في الخلود كقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ
 مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾^(٢) وإن تفاوتت درجاتهم فيها وصف سبحانه خلودهم بعدم
 الانقطاع حيث قال : ﴿ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْذَوِذُ ﴾ أى غير منقطع ، وإذا علم
 أن خلودهم في الجنة غير منقطع ، علم أن ذلك الاستثناء إنما كان لمدة مقامهم
 في البرزخ ، أو مقامهم في عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ، أو غير ذلك من الأقوال التي يوجبها
 التأويل ، الذي وجب الرجوع إليه لامتناع الاستثناء من الخلود ، ولما كان
 المستثنى في هذا الاستثناء موصولاً بصلة تصحح معنى الكلام ، وتوضح ما على
 ظاهره من الإشكال ليوصف بحسن البيان ، استحق دخوله في أبواب البديع ؛
 والله أعلم .

باب التلصيف*

وهو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم ، أو أدب لم يرد للتكلم

(٣) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من ا ، ب

(٤) ما أثبتناه عن ا ، ب ، والذي في الأصل ، د ، س « وما هم عنها » والذي في « ت »

« وما هم بخارجين » .

(*) الذي في محيط المحيط مادة لف أن التلصيف عند البلغاء هو التناوب ؛ ولم اعترض على
 تعريفه بأكثر من هذا فيما لدى من المصادر فتأمل . وقد تكلم عنه صاحب سر الفصاحة ،
 وجعله في الشعر التزصيع ويشمل أيضاً ألف والنشر والمجانس س ١٨٨ .

ذكره، وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه . وبيان هذا التعريف أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها (كلها أو أكثرها، فيعدل المستول عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبين ذلك النوع ، ويجيب بجواب عام يتضمن الإبانة على الحكم للمستول عنه، وعن غيره بدعاء الحاجة إلى بيانه^(١)) . كقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ، فإن هذا الكلام جاء جواباً عن سؤال مقدّر ، وهو قول قائل : أترى محمداً أباً زيد بن حارثة ، فأتى الجواب يقول : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) ، وكان يكفي في الجواب قوله : ما كان محمداً أباً زيد لو أراد الجواب عن نفس هذا السؤال فقط ، فلم يرد ذلك لقصوره عن بلوغ المعنى المراد ، فإن المراد أن يرشح في الجواب للإخبار بأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين ، ولا يتم هذا الترشيح حتى ينفي أبوته لأحد من الرجال ، فلذلك عدل عن الجواب الخاص إلى الجواب العام ليفيد هذا الترشيح التمهيد للمعنى المراد ، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لا يكون خاتم النبيين إلا بشرط ألا يكون له ولد من الرجال ، لأنه لو كان له ولد من الرجال أعنى قد (بلغ^(٢))) لكان نبياً ، وإذا كان كذلك فلا يصدق عليه أن يكون خاتم النبيين ، فالتف المعنى الخاص في المعنى العام ، فأفاد نفي الأبوة الكلية لأحد من الرجال ، وفي ذلك نفي الأبوة لزيد ، فإن قيل فقد حصل المراد من قوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فما فائدة بقية الكلام الذي جاء بلفظ الاستدراك؟ قلت : (لو اقتصر على ما قبل الاستدراك لكان الحكم غير معلل ، فيكون المعنى ناقصاً لأنه يرد

(١) ما بين قوسين ساقط من «ت» وهو عن الأصل وباقي النسخ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ١ .

عليه قول القائل . ولم لا يكون أبا أحد من الرجال ، وما في ذلك من الغضاضة وقد كان للأنبياء - صلوات الله عليهم - أبناء ، فيقال ذلك لأن الله سبحانه أختص محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بمرتبة (لم يختص بها أحدًا ^(١)) من الأنبياء ، إذ سبق في علمه أنه أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا ليأتي يوم القيامة شاهداً لهم بالتبليغ ، لأن الأمم يوم القيامة تجحد أنبياءهم التبليغ ، فتشهد هذه الأمة على الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم ما أمروا بتبليغه ، لما يعلمون من قصصهم التي علموها من كتابهم ، ويشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأمته بالصدق ، ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ^(٢) ﴾ ولما كان الأمر كذلك احتاج الكلام إلى تيممة تتضمن الإخبار بأنه رسول الله ليرشح ذلك الإخبار إلى قوله : (وخاتم النبيين) إذ لا يحتم النبيين إلا نبي ، وعدل عن لفظة نبي إلى لفظة رسول لتوخي الصدق في الخبر وزيادة المدح ، لأنه - صلى الله عليه وسلم - رسول ، وكل رسول نبي ولا ينعكس على أحد القولين ، وهذا تليف بعد تليف ، فالأول ، دل على المعنى دلالة تضمن ، والثاني لما صرح فيه بعد التعريض جاءت دلالة مطابقة ليفهم المخاطب المعنى بغير كلفة ، ويشترك في فهمه الخواص والعوام ؛ وهذا نهاية البلاغة .

ومن التليف أيضاً قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ^(٣) ﴾ ، فقد استوفى الشرط جوابه بقوله (فعند الله ثواب الدنيا) - وعطف عليه لفظ « الآخرة » تليفاً للمعنى الثاني في المعنى الأول لتكامل

(١) ما أثبتاه عن أ ، ب وهو الصواب . والذي في الأصل د ، س ، ت « لم يختص فيها أحد » ولا يخفى ما في ذلك من الخطأ العاجز .

(٢) سورة الحج آية ١٣٤ .

(٣) - سورة النساء آية ١٣٤ .

المدة حتى لا يبقى للنفوس تشوق إلى مطلوب^(١) ؛ ومن التلغيف أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ ^(٢) ﴾ وهذا جواب السؤال ، ثم قال عليه السلام : ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنِيِّ وَلِيٍّ فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى ^(٣) ﴾ فأجاب عن سؤال مقدّر ، كأنه توهم أن يقال له : وما تفعل بها ؟ فقال معدداً منافعها ، ولم يقع ذلك من موسى - عليه السلام - إلا بنية الشكر لله تعالى الذي رزقه تلك العصا التي وجد فيها من المآرب ما لا يوجد في مثله ، وابتدأ بالجواب عن السؤال المقدّر قبل وقوعه أدباً مع ربه سبحانه ، لتعظيم مساواة ربه له^(٤) ، فرفعهما بالجواب عنها والله أعلم .

وقد جاء في الحديث من التلغيف قول عائشة - رضي الله عنها - وقد سئلت - أتدخل المرأة الحتام ؟ فقالت آيما^(٥) امرأة نزع ثيابها في غير بيتها فقد هتكت ما بينها وبين الله من حجاب ، ومن الباب في السنة أيضاً قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد سئل عن الوضوء من ماء البحر ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « هو »^(٥) الطهور ماؤه ، الحل ميتته ، فاستوفى أحكامه .

° ° °

(١) من هنا إلى آخر الباب ساقط من اوهو موجود في هامش «ب» .

(٢) سورة طه آيتا ١٧ و ١٨ .

(٣) ساقطة من باقى النسخ .

(٤) نصه في الجامع الصغير ٢ ص ٢٩٤ : « آيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين الله عز وجل » .

(٥) - هو بنصه في كشف الحفاء ومزيل الإلباس للفسر المحدث الشيخ اسماعيل ابن محمد العجلوني طبع مكتبة القدسي بمصر سنة ١٣٥٢ هـ .

باب جمع المختلفة والمؤتلفة*

- وهو عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة في مدحهما ، ثم يروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا يتقص^(١) مدح الآخر ، فيأتى لأجل ذلك الترجيح بمعانٍ تخالف معانِ التسوية ، وهذا الباب مما يحتاج فيه إلى التثيل بالشعر ، ليعلم حين يؤتى فيه بأى القرآن حقيقة معنى الباب في القرآن لما يوضح الشعر من معناه ، وما رويت في هذا الباب كقول الخنساء^(٢) في أخيها صخر وقد أرادت مساواته في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا يتقص بها مدح الولد فقالت :
- (الكامل) .

- ١٠ جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا يَتَمَاوَرَانِ مُلَاةَ الْحَضَرِ
وَمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَخْرَانِ قَدْ حَطَا إِلَى وَكْرٍ
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ^(٣) بِالْعَذْرِ
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ أَتَيْتُمَا قَالِ الْجَيْبُ هُنَاكَ : لَا أُدْرِى
بَرَقَتْ صَحِيفَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرَى

(*) بحثه في الصناعتين : ٤٠١ - خزاعة ابن حجة ٤٣٠ ، حسن التوسل / ٧٦ نهاية الأرب ٧ : ١٥١ .

(١) كذا في الأصل ، والذي في ١ ، ب ، ت « لا يتقص بها » والمعنى يستقيم عليها أيضاً .

(٢) أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ١٨٨٨ م ص ٤٣ وروايته (ملاة القصر) يتماوران : أى تصير غيرة الحرب كاثوب يرتدى به أبوه مرة وهو أخرى لتساويهما في الجراءة . والملاءة بالضم : الربطة وهى كل ثوب لين رقيق ، والجمع ملأه ، الحضرة : المدو والسباق .

(٣) المنذر : جم عذار ، وهو السير الذى يكون على خد الدابة من اللجام (القاموس) .

[٦٢ص] أُولَى فَأُولَى أَنْ يَسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ

ومن هذا قول بعض المحدثين^(١): (الكامل).

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا
رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا

فكل صدر من كل بيت مؤتلف المعنى ، وكل عجز من كل بيت
مختلف المعنى ، وكل بيت جامع للمؤتلف والمختلف .

وهذا غير القسم الأول الذي مثلت عليه بشعر الخنساء . والذي جاء من

هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَمٌّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا^(٢) ﴾ فساوى أول هذه الآية بين داود

وسليمان عليهما السلام في أهلية الحكم ، ثم رجح آخرها سليمان حيث قال :
(ففهمناها سليمان) وحصل الالتفات إلى مراعاة حق الولد ، فأني بما يقوم مقام
تلك الزيادة التي يرجح بها سليمان ، لترشد إلى المساواة في الفضل لتكون
فضيلة السن قائمة مقام الزيادة التي رجح بها سليمان في الحكم ، أما معنى
شعر الخنساء فإنها بعد قولها في المساواة : (كامل) .

وهما وقد برزا كأنهما صقران

وبعد قولها في المساواة أيضاً :

. وقد لَزَّتْ هناك العذر بالعذر

(١) خزائن الأدب لابن حجة الموصلي ص ٧٠ .

(٢) سورة الأنبياء آيتا ٧٨ ، ٧٩ .

تريد أن عذر الحج لز بعضها بعضاً ، وهذا يدل على المساواة في العَدْو^(١) ،
ثم قالت في ترجيح الوالد :

« برقت صفيحة وجه والده »

تعنى أنه خرج وجهه من الغبار دون وجه رسيه سبقاً ، ثم قالت في إلحاق
الولد بالوالد في الفضل :

أولى فأولى أن يساوية لولا جلال السن والكبر
تريد أن الولد كان قادراً على مساواة الوالد — وما أولاه بذلك — لولا ما التزمه
من الأدب مع برأيه ، ومعرفته بحقه . ففض من عنانه ، وخفض جناح فضله
ليؤثر أباه بالفضل على نفسه .

- ١٠ والآية الكريمة ساوت بين داود وسليمان في التأهل للحكم ،
وشركت بينهما فيه حيث قالت : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾
وأخبرت أن الله سبحانه فهم سليمان إصابه الحكم ، ففضل أباه بذلك بعد
المساواة ، ثم التفت سبحانه إلى مراعاة حق الوالد فقال : ﴿ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا
وَعِلْمًا ﴾ ، فرجما بذلك إلى المساواة بعد ترجيح سليمان ليعلم الولد بذلك بر الوالد ،
ويعرفه ما له عليه من الحق ، حتى إذا فكر الناظر في هذا الكلام وقال :
١٠ من أين جاءت المساواة في الحكم والعلم بعد الإخبار بأن سليمان فهم من الحكم
(٦٣) ما لم يفهم أبوه ؟ علم أن حق الأبوة قام مقام تلك الفضيلة فحصلت المساواة .
وحصل في^(٢) هذا الكلام من الزيادة على معنى الخفياء بعد اشتراكهما في جمع
المتنقلة والمؤتلفة ضرب من المحاسن يقال له الالتفات في قوله تعالى فيها :
٢٠ ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ وأدمج في هذا الالتفات ضرب آخر من
المحاسن يقال له : التنكيت ، فإن النكته التي من أجلها جمع الضمير الذي كان

(١) كذا في أ ، ب ، وهو الصواب . والذي في الأصل ، د ، س ، ت « العذر » وهو
خطأ من النسخ .

(٢) في أ ، ب « وحصل ما في هذا الكلام » بزيادة « ما » وما أثبتناه عن باقي النسخ .
(م — ٩ بديع القرآن ب)

من حقه أن يكون مثقياً، هي الإشارة إلى أن هذا الحكم متبوع يجب الاقتداء به، لأنه عين الحق، ونفس العدل، وكيف لا يكون كذلك وقد أخبر سبحانه أنه له شاهد، أى هو مراعى بعينه عز وجل، ويجوز أن يكون جمع الضمير الذى أضيف إليه الحكم من أجل أن الحكم يستلزم حاكماً ومحكوماً له ومحكوماً عليه، فجمع الضمير لأجل ذلك . وعلى التأويل الأول جاء قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ^(١) ﴾ وقال فيما بعد : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ^(٢) ﴾ فجمع الخالدين في الجنة، ووحد الخالدين في النار .

ذهب بعض المفسرين إلى أن جمع ضمير الخالدين مشير ^(٣) إلى أن الوقوف مع حدود الله وطاعته أمر متبوع يجب الاقتداء به، كل من عمل به تناوله هذا الوعد، وتعدى حدود الله تعالى معصية، « ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ^(٤) » فلا يجوز متابعة من يعمل به عليه، فلذلك أتى بضمير الخالد في النار موحداً .

وذهب غير هذا إلى أن ضمير الخالدين في الجنة إنما جمع لقصد الملاءمة في النظم، فإنه سبحانه لما قال « جنات » بلفظ الجمع جاورها بلفظ الجمع في « خالدين » ولما قال « ناراً » بلفظ الأفراد، جاورها بلفظ الأفراد فقال : « خالداً فيها » ليوصف الكلام بالملاءمة، وحسن الجوار، فيكون داخل في باب أئتلاف الألفاظ بمعانيها؛ وهذا أشبه من الأول .

(١) سورة النساء آيتا ١٣ و ١٤ .

(٢) كذا في أ، ب وهو الصواب . والقى في الأصل، د، س « مشيراً » وهو خطأ من الناسخ .

(٣) انظر الجزء الثاني من الجامع الصغير ص ٤٠٢ ط بولاق، والنهاية لابن الأثير ٣ ص ٤٦ ط بولاق سنة ١٣١١ .

والذى عندي: أن ضمير الخالدين في الجنة إنما جمع لأن كل من دخل الجنة خالداً فيها أبداً، وإن تفاوتت درجات الخالدين، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾^(١) مطلقاً في حق كل من دخلها، وأهل النار فيهم الخالدة من الكفار والمناقضين، وغير الخالدين من عصاة المؤمنين، فساغ الجمع هناك ولم يسغ هاهنا لأن الخالدين في النار فرقة واحدة، ولأن المناقضين كفار في الباطن، والخالدين في الجنان طبقات وجماعات على مقادير درجاتهم بحسب ما أعتد لهم به^(٢) من أعمالهم وإن عمهم الخلود؛ ومثال ما جاء من القرآن على النمط الذى عليه الشعر [٦٤] الثانى قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٣)، فإنيهم ظنوا أن الإيمان العمل باللسان دون العمل بالجنان^(٤)؛ فجاء قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (مؤلفاً)^(٥) لقولهم (آمنّا) وهم يعتقدون أن الإيمان مجرد الإقرار باللسان، وخالف ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ واختلف به قوله مبيناً لهم حقيقة الإيمان، وأنه خلاف ما ظنوا بقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَدَخِلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ والله أعلم.

باب التوهم^(٦)

- ١٠ وهو أن يأتي التكلم بكلمة يوم ما بعدها من الكلام أن التكلم أراد تصحيحها وهو يريد غير ذلك.

(١) المجر آية ٤٨ :

(٢) كذا في الأصل، د، س، ت، ومي ساقطة من ا، ب.

(٣) المجرات آية ١٤.

(٤) الجنان : القلب . (القاموس) .

(٥) كذا في ا، ب . والذي في بقية النسخ « مؤلف » وهو خطأ من النسخ .

(٦) كذا في الأصل، د، س، وهو الصواب والذي في باقي النسخ « التوهم » وهو

خطأ كما لا يخفى، ويحتمل في يدع بن مقصد : ٤٤ ، خزانة ابن حجة : ٣٩٢ .

ومنها أن يأتي في ظاهر الكلام ما يوهم أن فيه لحنًا خارجًا عن اللسان -
ومنها ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قلب عن وجهه لغير فائدة .

ومنها ما يأتي دالًا على أن ظاهر الكلام قاسد المعنى ، وهو صحيح .

فأما القسم الأول فلم أظفر منه في الكتاب العزيز بشيء . وإن جاء في الشعر -

وأما الثاني وهو ما يوهم ظاهره أنه خارج عن قواعد العربية . فقولُه

تعالى : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوْثِقُواكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾^(١) وهذه الآية

خولف فيها طريق الإعراب في الظاهر ، من جهة عطف ما ليس بمجزوم

على المجزوم ، ليعدل عن الظاهر إلى تأويل يصحح المعنى المراد ، فإن المراد

- والله أعلم - بشارة المسلمين بأن هذا العدو لا ينصر أبدًا ما قاتل المسلمين ،

ليتكمل سرور المسلمين بخذلان عدوهم في الحال وأبدًا في المستقبل ، ولو عطف

الفعل على ما تقدم على قاعدة العربية الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأن العدو

لا ينتصر في الحال ، وفي زمن المقاتلة ، ووقت التولية ، ولا يعطى ذلك خذلانهم

على الدوام في كل حال ، فقد قال النحاة : إن الوجه في هذا الموضع أن يقال :

هو عطف الجملة على الجملة ، فإن التقدير : ثم هم لا ينصرون ، والإشكال باق مع

ذلك ، فإنه يقال : لم عدل عن مجيء الكلام على قاعدة العربية المعروفة إلى

ما يحتاج إلى التأويل ؟ ولِمَ لا قيل : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوْثِقُواكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ ؟

ففيحتاج الجيب إلى أن يقول : لما كان مجيء الكلام على

ما ذكرت غير محتاج إلى تأويل لا يوفى بالمعنى المراد ، لأن المعنى المراد بشارة

المسلمين بأن عدوهم متى قاتلهم كان مخذولا ، ومجيء الكلام على ما ذكر لا يوفى

بذلك المعنى ، فإنه لا يعطى إلا عدم النصرة حالة المقاتلة فقط ، فلذلك عدل عن

ذلك إلى ما جاء به التنزيل ، ليكون مجيء الفعل الثاني غير مجزوم ، وقد عطف

•

١٠

١٥

٢٠

[٦٥]

(١) سورة آل عمران آية ١١١ .

- على مجزوم منبها السامع على السبب الذي من أجله عدل عن قاعدة الإعراب ، فيتفطن إلى أن ذلك إشارة إلى خذلان العدو أبداً ما قاتل المسلمين ، لحي .
- الفعل دالاً على الحال والاستقبال ، أما الحال فخذلان العدو حالة القتال ، وأما الاستقبال فالإشارة بأنه كذلك ما وقع منه القتال ، ولذلك عطف « ثم » من دون حروف النسق لما تدل عليه من التراخي والمهلة ، لئلا بعض الألفاظ ملائماً لبعض ، فإن « ثم » دون حروف العطف ملائمة لما عطفته من الفعل الدال على الاستقبال ، فكان ما وقع في لفظة « ثم » على أفرادها من الاحتراس والتكميل ، والمقارنة ، والتنكيث ، والآتلاف ، والإدماج ، والترشيح ، والإيغال أيضاً لما تقدم من الإشكال مع ما تقدم في صدر الآية من التعليق ، والأفتنان ، والمطابقة ، وحصل في مجموعها من الإيجاز ، والإبداع ، والتهديب ، وحسن البيان ، والمثل السائر فكان ما اجتمع في جملة هذه الكلمات السبع التي هي بعض آية سبعة عشر ضرباً من البديع والحاسن والفنون ، وأعجب ما فيها أن لفظة « ثم » على أفرادها وقع فيها من ذلك تسعة أضرب وهي الاحتراس ، والتنكيث ، والمقارنة ، والإيضاح ، والآتلاف ، والإدماج ، والتكميل ، وحسن النسق ، والترشيح يوجد بوجودها ، ويعدم بعدمها ، فإنه لو قدرت الواو موضع ثم بحيث يقال : « ولا ينصرون » لسقطت هذه الضروب التسعة ؛ والله أعلم .
- * * *
- ومما جاء ظاهرة موهما (مخالفة^(١)) القواعد العربية أيضاً قوله تعالى :
- (قُلْ تَمَآلَوْا أَنزَلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ . أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً^(٢))) فإن ظاهر الكلام يدل على تحريم نفي الشرك ، ومازومه تحليل الشرك ، وهذا خلاف المعنى المراد . والتأويل الذي يحل هذا الاشكال أن الله سبحانه وتعالى قال

(١) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من أ ، ب وهي عن جميع النسخ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

لنبيّه - صلى الله عليه وسلم - : قل لهؤلاء تعالوا أنل ما حرّم ربكم عليكم ،
فلما اجتمعوا إليه قال لهم : وصاكم ربكم ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين
إحساناً ، ثم ساق سبحانه بقية الوصايا ، فكأنه - والله أعلم - دعاهم إلى الاجتماع ،
فلما اجتمعوا ذكّرهم الوصايا ، ويشهد لصحة هذا التأويل قوله تعالى بعد الفراغ
من هذه الوصايا : (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ) فإن قيل : لا يجوز هذا التأويل
لأن الكلام الفصيح يجب أن يرتبط ببعضه ببعض ، ومتى تبدّد نظمه كان
ذلك عيباً عظيماً^(١) قلما يأتي في كلام فصيح . قلت : ما ذكرناه من التقدير
المتقدم ملخص ما يجب أن يقدّر قدرناه على طريق الإيجاز ، والذي
يجب أن يقدّر على طريق البسط والإطناب أن يكون موضع
(أَنْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) أنل وصايا ربكم عليكم ، ولا يجوز
أن يكون التقدير لا هذا ، لأن في الوصايا المذكورة ما حرّم عليهم ، وما هم
مأمورون به ، فإن الشرك بالله ، وقتل الأولاد ، والتلبس بالفواحش الظاهرة
والباطنة ، وقتل النفس المحرّمة ، وأكل مال اليتيم مما حرّم ظاهراً وباطناً ، نهى
عنه نهى تحريم بصريح النص ، ووفاء الكيل والميزان بالقسط ، والعدل في القول ،
فضلاً عن الفعل ، والوفاء بالعهد ، واتباع الصراط المستقيم من الأفعال المأمور
بها ، أمر وجوب ، فالأولى معنى عنها ، والأخرى مأمور بها
وإن كانت أضداد المأمور بها محرّمةً منهيّاً عنها ، لكن تحريمها
بالتأويل وباطن النص ؛ والمنهى عنها تحريمها بظاهر النص وصريحه ،
والوصايا قد جمعت ذلك كله ، وحمل جملة الآية على ظاهرها لا يطابق المعنى المراد
فيها ، فوجب المدول عن الظاهر إلى التأويل الذي يوافق تشبيه التفسير المفسّر.
فإن قيل : فلم عدل عن (لفظ)^(٢) التأويل ؟ ولم لا جاء التنزيل به ؟ ولفظ

(١) في ١ ، ب « فظيماً » .

(٢) تكملة عن باقي النسخ ؛ وهي ساقطة من الأصل .

- التأويل على ما يتنم أبلغ وأخصر، به يرتفع الإشكال الوارد على ظاهر الكلام؛ وتحريم الشُّرك هو أمّ ما في هذه الوصايا، فإن الإيمان أصل الدين وأساسه، عليه تُبَنَّى هذه الوصايا وغيرها من الدِّين، وتنفّرُ فروعُه منه، ولا جرم أنه قدّم الأهتمام به، فاقضت البلاغة التصريح بلفظ التحريم لذلك، فإن قلت:
- فلم لا صرح بلفظ يقتضى تحريم الشُّرك من غير زيادة في اللفظ أشكل بها المعنى، وصار المفهوم من اللفظ بسببها ضد المعنى المراد، وكان الكلام يأتي عارياً من لفظة «لا» بحيث يقال: اتل ما حرّم ربكم عليكم^(١) ألا تشركوا به شيئاً؟ قلت: لوجاء اللفظ بغير هذه الزيادة لأمتنع عطف بقية الوصايا على الجملة المجردة عن حرف النفي، وتبترّ^(٢) معنى الكلام وتنبّج^(٣)، وجاء على ضدّ الصواب، وفسد معناه، فإنه يبقى تقديره: حرّم عليكم أن تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، فيصير المعنى حرّم عليكم الشرك والإحسان للوالدين، وهذا ضدّ المعنى المراد، فلذلك جاء الكلام عليه ليفيد التصريح بتحريم الشُّرك ظاهراً، وجاءت الزيادة التي أوّمتها ظاهرها فساد المعنى ليُلجئ إلى التأويل الذي يصح به عطف بقية الوصايا على ما تقدّم، والله أعلم.
١٥. ومثل هذا الموضع قوله تعالى: (مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ^(٤))، فإن الظاهر ما منعك من الامتناع من السجود، والتأويل الذي يردّ هذا

(١) كذا في ا، ب. وهو الصواب الذي يستقيم به الكلام إذ هو يتكلم على زيادة «لا» وحذفها؛ والذي في باقي النسخ «الا» وهو خطأ من الناسخ.

(٢) هو من قولهم: تبرّخه وانهار، أى تهلّل (السان).

(٣) تنبّج: اضطرب. (قاموس).

(٤) سورة الأعراف آية ١٢.

الكلام إلى الصيغة أن العلماء قالوا : معنى قوله تعالى (ما منعك) « ما »^(١) صيرك ممتنعاً من السجود ؟ والله أعلم .

وأما القسم الذي يوم ظاهره أن الكلام قلب فيه على وجهه لغير فائدة قوله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً^(٢)) ، ولو جاء الكلام على وجهه لقليل : ومثل الذي تدعو الذين كفروا كمثل الذي ينفق ، أو يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن ، ومثل الذي يدعوم كمثل الذي ينفق ، فيقال : ما الفائدة في قلب هذا الكلام عن وجهه ؟ . فأقول : جرت العادة عند أهل اللسان أنهم يقلبون الكلام إذا أفاد قلبه فائدة لا يفيدها وهو على وجهه ، والفائدة التي أفادها هذا القلب محيى الكلام غير منفرد عن الرسول متضمناً أدبا معه .. صلى الله عليه وسلم . فإن الكلام لو جاء على وجهه كاقيل آنفاً بحيث يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن المنعوق بها ، ومثل الرسول الداعي لهم كمثل راعي الضأن الذي ينفق بما لا يسمع ، والتصريح بتشبيه الكفار بالضأن ، وهي عند العرب شرٌّ مال ، بدليل قول الصغرى من بنات ذى الإصبع العدواني ، وقد سألتها أبوها عما^(٣) سألت أخواتها عن ما لم . فقالت : الضأن . فقال : كيف تجدونها ؟ فقالت : شرٌّ مال : جوف^(٤) لا يشبعن ، وهسيم^(٥) لا ينفعن^(٦) ،

(١) كلمة ما « ساقطة من الأصل .

(٢) سورة البقرة آية ١٧١ .

(٣) كذا في الأصل . وهو أدق . والذي في باقي النسخ « كما » وبه يصح المعنى أيضاً .

(٤) جوف : عظام الأجواف (قاموس) .

(٥) الهيم : الطاش (قاموس) .

(٦) ألقمه الماء : أرواه .

حَمْ لَا يَسْمَعْنَ ، وَأَمْرٌ مَفْوَيتُهُنَّ يَتَّبِعْنَ ، مَنْفَرٌ عَنِ الرُّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وفى التصريح بتشبيه الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالرأى الذى ينطق بالضأن
غض من جلالته ، ومخالفة الأدب فى مخاطبته ، وقد علمت مكانته عند ربه ،
وتلفه فى مخاطبته ، وما جاء بمثل ذلك فى الكتاب العزيز إلا ليؤدبنا به ،
ويعرفنا حقّه ، ويعلمنا كيف نخاطبه ، فن أجل ذلك قلب الكلام عن وجهه ،
فحذف من كل جملة من الجملتين شىء ، فحذف المشبه به من الجملة الأولى ،
وحذف المشبه من الجملة الثانية ، فكان تقدير الكلام قبل الحذف . ومثل
الذين كفروا ، والداعى لم كمثل الضأن المنعوق بها ، وكثل الذى ينطق بها ،
فبقى بعد الحذف ، ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينطق ، لدلالة الناقى على
المنعوق بها لىأتى الكلام غير منفّر ، جارياً على سَنَنِ الأدب مع الرسول ١٤
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولو جاء الكلام على وجهه لم يُفد ذلك ، والله أعلم .

وأما القسم الذى يوم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة
لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه ، لما ترى بين الألفاظ من سوء الجوار لعدم
الملاءمة ، وإذا تَوَقَّلَ حق التأمل ، وَجِدَ جارياً على منهج البلاغة ، بحيث
لو جاء على ما توهّمه المعتبر أن كان النظم معيباً ، قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ۚ ١٥ ﴾
كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْمَعُونَ ^(١)) ، فإن العارف
بظاهر نظم الكلام وتهذيبه دون باطنه ، يرى أن نظم هذه الآية قد أتى على غير
طريق البلاغة ، فإن طريق البلاغة أن يقال : كالأعمى والبصير ، والأصم
والسميع ، ليلآئم بعض الألفاظ بعضاً ، فتألف بمعانيها ، ويأتى فى كل جملة

(١) سورة هود آية ٢٤ .

من الجملتين طباق لفظي ، والأمر على خلاف ما توهمه ، لأن في الكلام على الترتيب الذي جاء عليه تصحيح المعنى ، وفيه على ما توهمه (المتوهم فساد) المعنى ، وذلك أنه سبحانه قال : (مثل الفريقين) فأقتضى الفريقين تفسيرهما فقال : كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، ليكون ^(١) المشبه به قسمين ، وليكون المشبه وفق عدد الفريقين ، أحد القسمين مبتلى ، والآخر مُعافى ، ليضاد بين القسمين حتى يصح السؤال عن التسوية بينهما مع تضادهما من باب تجاهل العارف للسؤال عن معلوم ، لقصد التوبيخ ، ولو قيل كالأعمى والبصير لكانت هذه الجملة فريقين ، ثم يعود فيقول : والأصم والسميع ، فتكون الجملة الأخرى فريقين آخرين ، فيكون قد فسر الفريقين بأربعة ، وهذا فساد ظاهر ، فلذلك عدل عن الملامة في ظاهر الكلام إلى ما هو أعم منها ، وهو تصحيح المعنى المراد .

١٠

وقد حكى النجاشي في (التينة) ^(٢) أن سيف الدولة بن حمدان اعترض على المتنبي في قوله فيه ^(٣) (الطويل) :

وقفت وما في الموت شك^١ لواقف^٢ كأنك في جفن الردى وهو نائم^٣
تمسك بك الأبطال كلنى هزيمة^٤ ووجهك وضاح^٥ وثمرك باسم^٦

وقال له كلاماً معناه : أنك فعلت في تركيب صدر البيت الأول على عجز يصلح أن يكون عجز الصدر الثاني وبالعكس ، كما فعل امرؤ القيس في قوله (الطويل) :

١٥

(١) في ١ ، ب « قسم سبحانه المشبه به » وأرجح أن تكون هذه الرواية أنسب بالسياق من رواية الأصل .

(٢) الجزء الأول ص ١٦ .

(٣) ديوانه بشرح الكبير ج ٢ ص ٢٧٠ .

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلدَّيَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِيَا ذَاتَ خَلْخَالٍ^(١)
وَلَمْ أَشْبَأِ الرِّقَّ الرِّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ لِيَخِيلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وتلا الآية التي تقدّمت ، وتوهم فيها ما توهمه المتوهم ، ونظر بينها وبين

الشعرين في عدم الملامة وتلا بعدها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا

وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى^(٢) ﴾ وذكر فيها ما يدل على

توهمه فيها عدم الملامة ، وأنها كالأولى ، وقد تنكّمت على الشعرين ، واستدللت

على أنها لا عيب فيها ، وأن ألفاظهما مؤتلفة بمعانيهما ، ملائم بعضها لبعض ، [٦٩]

وما هذا الكتاب بموضع ذكر ذلك : والآية الأولى قد ذكرت فيها آنفاً

ما ذكرت . أما الآية الثانية : فما أدعى فيها من عدم الملامة هو من حيث قال

سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴾ فقال المتوهم : لو قيل :

لا تجوع ولا تظمأ ، ولا تضحى ولا تعرى لكان ذلك جارياً على ما توجه

البلاغة من الملامة .

والجواب أن يقال : يجيئها على ما توهمه المتوهم يُفِيدُ معنى النظم ، لأنه

لو قيل : إن لك أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَظْمَأُ لوجب أن يقول وأنت لا تعرى فيها

ولا تضحى ، والتضحى البروز للشمس بغير سحرة ، قال الهذلي^(٣) (الطويل) :

سَلَبَتْ عِظَامِي لَحْمَهَا فَتَرَكْنَهَا مَجْرُودَةً تَضْحَى لَدَيْكَ وَتَخْصَرُ

(١) ديوانه : ٥٧ و ٥٨ وأسياً : من سبات الحرأ سبؤها سباً وسباء إذا آسفتها .

الروي : الذي يروى من شربه . الإجفال : الإسراع

(٢) سورة طه آيتا ١١٨ و ١١٩ .

(٣) البيت في تاريخ بغداد ٤ : ١٢٠ منسوب إلى سوار بن عبد الله القاضي الضبي مع

اختلاف في بعض ألفاظه وورد في معاهد التنصيص ٣ : ٢٦ طبع محمد محي الدين عبد الحميد

منسوباً لبشار وفي الحامسة رقم ٣ : ٦٢٥ أبيات منها هذا البيت منسوبة للحارثي ، وفي أمالي

القال منسوبة للجنون ١ : ١٦٢ .

أى تلقى الشمس الضاحية مجردة فينال منها حرّها، وتلقى برد الليل مجردة ،
فينال منها برده ، فهي معذبة نهارها وليلها ، وإذا كان التضخّي البروز للشمس
بغير سكرة كان معناه التعرّى ، فيصير معنى الكلام : وأنت لا تعرّى فيها
ولا تعرّى ، وهذا فساد ظاهر ، والله أعلم .

ولما كان هذا الفساد لازما للنظم على الوجه الذى توفقه المتوهم ، وجب
العدول عنه إلى لفظ القرآن ، وهو أن يضمّ سبحانه لنفى الجوع نفي العرى
لنطفئ النفس بسد الجوعة وستر العورة اللذين تدعو إليهما ضرورة الحياة ، وتطلبهما
طبيعة الانسان بالجليلة ، ولما كان الجوع مقدّما على العطش كتقديم الأكل
على الشراب أو جبت البلاغة تأخّر ذكر الظأ عن الجوع ، وتقديمه على التضخّي ،
لأنّ مهمّة يجب أن يتقدم الوعد بنفيه ، كما تقدم الوعد بنفى ^(١) الجوع ، ويتأخّر
ذكر التضخّي كما تأخّر ذكرى العرى عن الجوع ، لأن التضخّي من جنس العرى ،
والظأ من جنس الجوع ، فإن قيل : لم ذكر التضخّي وهو عرى فى المعنى ،
وقد أغنى ذكرى العرى ؟ قلت : فى ذكر التضخّي فائدة كبيرة ، وهى
وصف الجنة بأنّها لا شمس فيها ، كما قال سبحانه : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا
وَلَا زَمْهَرِيرًا ^(٢) ﴾ فإن التضخّي عرى مخصوص مشروط بالبروز للشمس
وقت الضحى ، لذلك سُمّي تضخّيا ، والانتقال من الأعم إلى الأخص بلاغة ،
لأختصاص الأخص بما لا يوجد فى الأعم ، والله أعلم .

* * *

(١) كذا فى الأصل ، د ، س ، ت . ورواية ا ، ب « كما تقدم الوعد به فى الجوع »
وكلتا الروایتين يصح المعنى بهما .

(٢) سورة الدهر آية ١٣ .

باب الاطراد*

- وهو أن يتردد للتكلم أسماء الآباء بمدوحه منسوب بعضها إلى بعض ، مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد ، ومن ذلك قوله عز وجل حكاية عن يوسف عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام : (وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ^(١)) ، فألاحظ ما اتفق في هذه اللفظات الست (من أنواع البلاغة لتقدر نظم القرآن العزيز ^(٢)) قدره ، وتعرف فرق ما بينه في هذا الباب وما جاء فيه من أشعار فصحاء العرب ، وذلك أن في هذه اللفظات الست (التي هي بعض آية ثمانية أضرب من البديع والخاص ، وأهلها الاحتراس من توجيه دخل على المعنى ، فإن لقائل أن يقول : لو اقتصر على قوله : (وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي) دون البذل ، لكان ذلك كافياً ، فنقول : لو وقف عند ذلك لأختلت صحة المعنى ، لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الذي ولد الإنسان إلى آدم — عليه السلام — وفي آباء يوسف — عليه السلام — إلى آدم من لا يجب أن يتبع مملته ، فأحترس بذكر البذل عما يرد على البذل منه لو كان وقع الاختصار عليه ، فقال مصرحاً بالآباء الذين أرادهم ، لرفع ما يشوبه على الكلام من ذلك الاحتمال ، والتفسير الذي خرج مخرج البذل في قوله :
- ١٥ إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب .

(*) مجته في الصمد ٢ : ٢٦٦ ، التلخيص : ٢٥٣ ، الإيضاح ٦ : ٩٠ على أن السكاكي لم يورد ذكره ، ولكن الخطيب أخذه عن ابن رشيق في الصمد ، والطراز ٣ : ٩٣ ، خزنة الأدب لابن حجة : ١٧٠ ، حسن التوسل : ٧٧ ، نهاية الأرب ج ٧ : ١٥٥ .

(١) سورة يوسف آية ٣٨ .

(٢) كذا في الأصل . والذي في ١ ، ب « العظيم » وبهما يستقيم المعنى . وما بين قوسين ساقط من ت . وفي د ، س « لتقدر نظم القرآن قدره » .

والإدماج لأن الاحتراس لم يلفظه ، وإنما جاء مُدْجِجاً في لفظ التفسير . ؛ وحسن النسق ، إذ عطف الآباء على الترتيب ، ولم يقع في نسقهم تقديم ولا تأخير ؛ والتسكيت في كونه عليه السلام لم يأت بأسماء آباءه على الترتيب المؤلف ، فإن القاعدة ^(١) لمن يذكر ^(٢) آباءه أن يبتدئ بالأب الذي جاء من صُلبه ، ثم بالأعلى فالأعلى ، وإنما خالف هذه القاعدة لأنه ما هنا لم يرد مجرد ذكر الآباء ، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي آتبعها ، وهي الملة الحنيفية التي ابتدأها إبراهيم — عليه أفضل الصلاة والسلام — ، فوجب أن يبدأ لأجل ذلك باسم المبتدئ بالملة للتبعية ، ثم يذكر من أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب ، فأقتضت البلاغة ذكر إسحاق بعد إبراهيم ، وذكر يعقوب بعد إسحاق .

ومثل ذلك ما حكاه سبحانه عن أولاد يعقوب عليهم السلام من قولهم : ﴿ قَالُوا تَبَيَّنَ إِلَهُكَ فَإِنَّ آبَاءَكَ إِزَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ^(٣) ﴾ ، فتجاوز جدم الأدنى إلى جدم الأعلى ، لكونه المبتدئ بالملة للتبعية ؛ والمساواة ، لأن ألقاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تخصيص ؛ وحسن البيان ، فإنه — عليه السلام — أبان عن دينه بأحسن بيان ، لا يوقوف أحد في فهمه ؛ والإبداع إذ جاء في كل لفظة بديع وبديعان ، فهذه ثمانية أضرب من الحسن في ست لفظات ؛ والله وأعلم .

• • •

(١) كذا في الأصل . والذي في بقية النسخ «المادة» وهي أوضح للمعنى .
(٢) كذا في الأصل . ورواية ١ ، ب «فإن المادة لمن يبدأ بذكر آباءه» . وفي د ، س ، هـ ، فإن المادة لم يذكر . وهو تحريف .
(٣) سورة البقرة آية ١٣٢ .

[٧١]

باب التكميل *

وهو على ضربين : ضرب في معاني البديع ، وضرب في فنون الكلام التي هي أعراض المتكلم وإرادته .

- أما الأول فهو الذي غلط فيه أكثر المؤلفين والتبس عليهم بالتميم ، وقد مضى ذكره في (باب ^(١)) التميم . وأما الذي في الفنون ، وهو الذي يدخل في هذا الباب ، وهو أن يمدح إنسان إنساناً بصفة واحدة من صفات المدح ، ويرى أن الاختصار به على تلك الصفة فقط من المدح الذي لم يكمل ، فيرى تكميله بإضافة صفة أخرى إلى تلك الصفة ، كمن يمدح الإنسان بمجرد الشجاعة دون النظر في المواقف والتثبت ، أو العفودون الانتقام ، أو اللين في السلم ^(٢) دون الخشونة في الحرب ، بشرط أن يكون ذلك في بيت واحد ، أو فصل واحد ، أو آية واحدة ، كقوله تعالى :
- ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ يَوْمَ يُخَيِّمُهُمْ وَيُخَيِّبُهُمْ أَدْثَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ^(٣) ﴾ ، فإنه (سبحانه) ^(٤) لما أخبر بحجهم أوجبت البلاغة أن يذكر الدلائل على ذلك ، لثلاً تكون دعوى بغير بينة ، فقال يصفهم بالذلة على المؤمنين ، والعزة على الكافرين ، وفي هذا الوصف غاية التواضع لله تعالى

(*) بحثه في سر القصاحة : ٢٥٨ تحت اسم التحرز مما يوجب الطعن ، الإيضاح ٣ : ٢٣٤ ، الطراز ٣ : ١٠٨ تحت اسم الإكمال ، خزانة ابن حجة ١٠٧ ، حسن التوسل : ٧٩ ، نهاية الأرب ٧ : ١٥٧ .

(١) الكلمة التي بين قوسين ساقطة من أ ، ب .

(٢) في أ ، ب « السلام » وهما اسمان بمعنى واحد . انظر كتب اللغة .

(٣) آية ٥٤ من سورة المائدة .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ت .

وغاية الانتقام لله عز وجل ، وهذا دليل حبهم لله ، وحبهم لله تعالى
أوجب حب الله سبحانه لهم ، ولو وقع الاقتصار على وصفهم بالتواضع لله
لكان أقوى سبب في حبهم لله ، لأنهم إنما تواضعوا لله ، وكان المدح به
تأماً ، لكن لما كان وصفهم بالعزة على الكافرين موجب للمدح كالابعد
تمامه ، وللفظ بديعاً لم يكن له نظيره ، لحصول المقابلة فيه كمل المدح بقوله :
(أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) ومثل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) .

ومن أحسن ما جاء في هذا الباب وأنصحه قوله تعالى :
(فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ) (٢) ، فإن المعنى قد تم عند قوله (ذو رحمة واسعة) لكن يبقى
على ظاهر الآية إشكال من جهة أن الضمير إذا سمع قوله بعد حكاية التكذيب
لنبيه أمر نبيه أن يقول : إن ربهم ذو رحمة واسعة ، مقتصرأ على ذلك ، يتوهم
أن رحمته ليسمتها ربما شملت من كذب نبيه ، فأحقرس عن هذا الاحتمال
بما جاء به مكتملاً للمدح بالانتقام من الأعداء ، كما يمدح بالرحمة للأولياء فقال :
(وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) ، فحصل الوعيد للكاذبين بعد

[٧٢] تقديم الوعد بالمصدقين ، فإن البلاغة توجب أن تكون الرحمة الموصوفة بالصفة
للمحسنين ، ليقابل ذلك قوله (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ)
ويشهد لكون الرحمة وإن وصفت بالصفة لانسع إلا المحسنين قوله تعالى :
(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٧ .

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(١) .

- ومن عجيب التكميل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۚ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ^(٢) ۚ ﴾ ،
- فإن التكميل أتى في هذه الآية بعد صحة التقسيم ، لأن الكذب كغيره على قسمين : قسم مطلق ، وقسم مقيد ، فالمطلق قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ ﴾ ، والمقيد قوله تعالى : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۚ ﴾ . ثم المقيد أيضاً على قسمين في هذه الآية : قسم كذب الكاذب فيه على الله سبحانه ، وقسم كذب الكاذب فيه على نفسه ، فالأول قوله :
- ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۚ ﴾ والثاني قوله : ﴿ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ ﴾ . ولو وقع الأقتصار على قوله : ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۚ ﴾ لكان المعنى المراد تاماً ، لكنه علم سبحانه أنه بعد التمام يحسن أن يكمل فقال : ﴿ أَوْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ ﴾ فتكمل المعنى بذلك بعد التمام .

باب المناسبة*

١٥

هي على ضربين : مناسبة في المعاني ، ومناسبة في الألفاظ ، فالمعنوية هي أن يبتدئ التكلم بمعنى ، ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ،

(١) - سورة الأعراف آية ١٥٦ . (٢) - سورة الأنعام آية ٩٣ .
 (*) بحثها في روضة القضاة : ١٥ ، خزائن ابن حجة : ١٦٦ ، حسن التوسل : ٧٩ ،
 نهاية الأرب ٧ : ١٥٨ .

(م ١٠ - بديع القرآن)

والفرق بين هذا الضرب وبين الملاءمة أن الملاءمة تكون في مفردات الأنفاظ ومعانيها ، وهذا الضرب من للناسبة بين الجمل المركبة ومعانيها ، ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^(١) ﴾ ، فإن معنى نفى إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ، لأن المهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتغيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ؛ فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار : أى ألباب الأبصار التى نفى عنها إدراكه تسكيلا للتمدح ^(٢) [٧٣] ١٠ حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح ، واحتراسا بمن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا ، فوجب أن تقول : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ^(٣) ﴾ ، لتثبت لذاته الوجود وزيادة ، ثم عطف على الأول والثانى ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ : ليناسب معنى آخر الكلام أوله ، وعجزه صدره ١٥ ورجح لفظة الخبير على لفظة البصير لما فيها من الزيادة على الإبصار والإدراك ، إذ ما كل من أبصر شيئا ، أو أدركه كان خبيراً به ، فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائداً على معنى الكلام وصفت لأجله بالإبغال ، وهو إبغال متمم لمعنى التمدح . فحصل فى هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضرباً من البديع وهى :

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٢) كذا فى الأصل ، ب . والذى فى د ، س ، ت « المدح » وهو أظهر .

(٣) وردت هذه العبارة فى ا ، ب « وهو يدرك ذوى الأبصار » وما أعتناه عن الأصل .

- التعطف الذى هو قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾
 لحجى لفظة « الأبصار » فى أول الكلام وآخره ؛ والمقارنة ، لأقترانه بالمطابقة
 فى قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ؛ والإدماج لما أدمج
 فى التعطف من الاحتباس الذى شرحناه ؛ والمناسبة التى هى أم الباب ؛
 والترشيح بالمناسبة إلى الإيصال ؛ والإيغال الذى يبتناه ؛ والإشارة لدلالة اللفظ
 القليل على المعانى الكثيرة ؛ والمجاز لحذف المضاف من قوله : وهو يدرك
 الأبصار ، أى ذوى الأبصار لتقرب ألقاظ التعطف بعضها من بعض ، فيكون
 ذلك أحسن وأبين ؛ والتخيير للدول فى الفاصلة عن البصير ، والمدرک إلى
 الخبير ؛ والإيجاز فإن هذه الآية نسع لفظات تضمنت أثنى عشر ضرباً من
 البلاغة ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ
 ١٠ الْأَيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْيَاقَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَلَدٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ^(١) ﴾
 فإنه سبحانه لما أسند جمل الليل سرمداً إلى يوم القيامة لنفسه ، وهو القادر
 الذى جعل الشئ ، لا يقدر غيره على مضادته ولا لنفيه قال فى فاصلة الآية :
 ١٥ « أَفَلَا تَسْمَعُونَ » لمناسبة السماع للظرف المظلم من جهة صلاحية الليل للسمع
 دون الإبصار ، لعدم نفوذ البصر فى الظلمة ، ولما أسند جعل النهار سرمداً
 إلى يوم القيامة لنفسه ، كان الوجود كأن لم يخلق فيه ليل البتة ، قال فى فاصلة
 هذه الآية : « أَفَلَا تُبْصِرُونَ » لمناسبة ما بين النهار والإبصار ، ومثل ذلك

(١) سورة القصص آيتا ٧١ - ٧٢ .

[٧٤] قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ^(١) ﴾ ، فانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة ، وإنما سمعوا بها : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ لم يقل كما قال في التي بعدها : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ . وقال تعالى بعد الموعظة السمعية : « أفلا يسمعون » وبعد الموعظة المرئية « أفلا يبصرون » لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله . ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَيْضِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ^(٢) ﴾ ، فإن الكلام لواقصر فيه على دون الفاصلة لأوهم ذلك بعض الضمفاء أن هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفار في أن الريح التي حدثت كانت سببا في رجوعهم خائبين ، وكفى المؤمنين قتالهم ، والريح إنما حدثت اتفاقا كما تحدث في بعض وقائعهم ، وقتال بعضهم لبعض ، وظنوا أن ذلك لم يكن من عند الله ، فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة التي أخبر فيها سبحانه أنه قوى عزيز ، قادر بقوته على كل شيء ، بمنع لعزته من كل شيء ، فاهر لسكل شيء ، ليثبت المؤمنين على اعتقادهم أنه موصوف بهذه الصفات ، وأن حربه عز وجل هو الغالب ، وأنه سبحانه لقدرته ينوع للمؤمنين النصر ليزيدهم إيمانا وتثبيتا ، فينصرهم مرة بالقتال

(١) سورة المجدة آيتا ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٥ .

- كيوم بدر وأمثاله ، وطوّرا بالريح كيوم الأحزاب ، وتارة بالرب ، كبنى النضير ، وآونة ينصر عليهم أولا ، ويجعل العاقبة لهم آخر كيوم أُحُد ، وحينا يريهم أن الكثرة لا تنفي شيئا ، وأنه ينصر مع القلة ليتحققوا أن النصر من عند الله كيوم حنين ، ليتيقنوا أنه سبحانه يأتي بالشدة ابتلاء ، ويعقبها بالفرج فضلا وإحسانا ، وأن الخير والشر من عنده ، وأن لافعل في الحقيقة سواء ، لأنه خالق كل شيء ، ومقدر كل شيء .

- ومن هذا الضرب أيضا قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقيمٌ ^(١) ﴾ ، فانظر إلى ^(٢) مناسبة ما بين الفاصلة وما تقدمها ، حيث أخبر بأنهم لا يخرجون من النار ، وأخبر بأن لهم عذابا مقبلا لما يقتضى الخلود الدائم من المقام في العذاب ؛ وكذلك قوله تعالى : ١٠ ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ^(٣) ﴾ . فإن عرنة وحكمته قضتا بقطع السارق ؛ لأن من عرّ حكمه ، ومن ثبت تزويه عن سمات النقص والظلم ثبت عدله ، ومن عدله قطع السارق [٧٥] لما في قطعه من صيانة الأموال . وذلك مقتضى الحكمه ، فهذه أمثلة للناسبة المعنوية .

- ١٥ وأما المناسبة اللفظية التي هي عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة : فالمقفاة مع الأثران مناسبة تامة ، والمنزلة من غير التفقية مناسبة ناقصة ، ووقع الناقصة في الكلام الفصيح أكثر ، لأن التفقية غير لازمة فيها ، فإن تطوعت بها الفصاحة في الكلام من غير قصد كان الكلام أحسن ، وإلا فالأصل فيها الأثران

(١) سورة المائدة آيتا ٣٧ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب «أى» وهو تصحيف .

(٣) سورة المائدة آية : ٣٨ .

ليس إلا . فمن أمثلة الناقصة قوله تعالى : ﴿ قَدْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ^(١) ﴾ ومن شواهد التامة قوله تعالى : ﴿ نَ وَالْقَامِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(٢) ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا شُرَآءُ مِنْ حَتِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٣) ﴾ ، ومن هذا القسم من المناسبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما روى عنه من الدعاء (مما كان ^(٤) يَرَقِي بِهِ الْحَسَنِينَ — عليهما السلام — : أَعِيدُ كَمَا بَكَرَمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ ، وَلَمْ يَقُلْ — عليه السلام — « مَلَّةٌ » وهى التماس لمكان المناسبة اللفظية) .

ومنه قول ابن ^(٥) نباته فى الخطبة النامية ^(٦) : أَسْكَنَهُمْ وَاللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَهُمْ ، وَأَبَادَهُمَ الَّذِي خَلَقَهُمْ ، وَ—يَجِدُهُمْ كَمَا خَلَقَهُمْ ، وَيَجْمَعُهُمْ كَمَا فَرَقَهُمْ .

(١) سورة فى الآيات من ١ — ٢ .

(٢) سورة نـ الآيات من ١ — ٣ .

(٣) سورة يونس آية ٤ .

(٤) هذه التكملة التى بين قوسين — اقطعة من جميع الأصول وبدونها لا يستقيم الكلام . وقد

أُثْبِتَها عن خزانة الأدب لابن حجة ص ١٦٨ طبع المطبعة الحرية بمصر سنة ١٣٠٤ هـ .

(٥) إمام أهل الأدب ، الحجة فى لسان العرب ، أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل

ابن نباتة القارقي ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى بميفارقين سنة ٣٧٤ هـ .

(٦) فى جميع النسخ « الثامنة » ، تصحيف . وإنما سميت منامية لأن ابن نباتة قال : لما

عملت خطبة المنام وخطبت بها يوم الجمعة رأيت ليلة السبت فى منامى كأنى بظاهر ميفارقين عند

الجبانة فقلت ما هذا الجمع ؟ فقال لى قائل : هذا النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعه أصحابه ، فقصدت

إليه لأسلم عليه ، فلما دنوت التفت فرأى فقال : مرحباً بأخطب الخطباء ، كيف تقول وأوماً

إلى القبور — فقلت : لا يخبرون بما إليه آلوا ، ولو قدروا على القال لقاتلوا ، قد شربوا من

الموت كأساً مرة ، ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة أسكنهم والله الخ ديوانه : ٩٦

باب التكرار*

وقع التكرار في الكلام القصيح على أنواع : منها ما جاء للمدح ، ومنها ما جاء للوعيد والتهديد ، ومنها ما جاء للاستبعاد .

مثال الأول قوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ^(١) ﴾ ،

فهذا مثال ما جاء منه بالمفردات .

وأما ما جاء منه بالمركبات فقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ^(٢) ﴾ .

ومثال الثاني قوله تعالى : ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ^(٣) ﴾ ، وقوله

سبحانه وتعالى : ﴿ الْقَارِعَةُ . الْقَارِعَةُ ^(٤) ﴾ ومثال المركب من هذا القسم

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ^(٥) ﴾

وكقوله سبحانه أيضاً : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ^(٦) ﴾ . ومثال الثالث قوله تعالى : ﴿ هَبْهَاتْ هَبْهَاتْ لِمَا تُوعَدُونَ ^(٧) ﴾

وكذا التكرار الذي جاء في سورة الرحمن ومثلها ؛ والله أعلم .

* * *

(*) بحشة في المصيدة ٢ : ٥٩ ، اللؤلؤ السامر : ٣٥٤ ، بديع بن منقذ : ١٠٠ ،

الإيضاح ٣ : ٢٢٥ ، خزائن ابن حجة : ١٦٤ .

(١) سورة الواقعة آيتا ١٠ و ١١ . (٢) سورة المائدة آية ٩٣ .

(٣) سورة الحاقة آية : ١ ، ٢ . (٤) سورة القارعة آية ١ ، ٢ .

(٥) سورة الانفطار آيتا ١٧ ، ١٨ . (٦) آيتا ٣ ، ٤ من سورة التكاثر .

(٧) سورة المؤمنين آية ٣٦ .

باب نفى الشيء بإيجابه*

- وهو أن يثبت التكلم شيئاً في ظاهر كلامه ، بشرط أن يكون المثبت مستعاراً ، ثم ينفي ما هو من سببه مجازاً ، والنفى حقيقة في باطن الكلام .
- [٧٦] هو الذى أثبتته لا الذى نفاه ، كقوله عز وجل ﴿ أَمْ لَهُمْ أُعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾^(١) ، فإن ظاهر هذا الكلام يقتضى نفي هذه الجوارح ، وباطن الكلام يقتضى نفي الإلهية جملةً عن ييصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى ، فكيف من لا يسمع ، ولا ييصر منها ، وقد أندمج هذا النوع - وهو نفى الشيء بإيجابه - من هذه الآية الكريمة في تجاهل المعارف الواقع موقع التوبيخ ؛ وكقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾^(٢) ، فالنفى في ظاهر الكلام الإلحاف في السؤال لا نفس السؤال مجازاً ، والنفى في باطن الكلام حقيقة نفس السؤال إلحافاً كان ، أو غير إلحاف ، وهذا الذى يقتضيه المدح ، وقد نقل ذلك عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وكقوله تعالى : ﴿ وَلَا شَفِيعٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾^(٣) ، فظاهر الكلام يقتضى نفي الشفيع المطاع مجازاً ، لانفى الشفيع مطلقاً ، وباطن الكلام يقتضى نفي الشفيع مطلقاً حقيقة إلا من أرتضاه سبحانه للشفاعة .

(*) بحثه في المدة ٢ : ٦٥ ، خزائن حجة : ٢٧٣ ، بلوغ الأرب : ٢٣٢ ، حسن التوسل : ٢٨١ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٣ .

(١) سورة الأعراف آية ١٩٥ .

(٢) سورة الفرقة آية ٢٧٣ .

(٣) سورة غافر آية ١٨ .

ومن مشكل هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا أَوْ هُمْ مُقَرَّبُونَ^(١)﴾، فظاهر اللفظ يقتضي أنهم ما تولوا، ولا أعرضوا، والواقع منهم خلافه، وإِنَّمَا قلنا: إن الظاهر يدل على أنهم ما تولوا ولا أعرضوا، لأن قاعدة «في العريية أن يتمتع بها الشيء» لا تمتنع غيره في الموجب دون المنفى، وعلى هذا يكون إسماع هؤلاء الكفار متمنعا لا تمتنع علم الخير فيهم، والتولي والإعراض عنهم متمنعين لا تمتنع الإسماع، وباطن الكلام الذي يصح به المعنى يقتضي وقوع التولي والإعراض منهم، وكذلك كان، وإِنَّمَا كان ذلك كذلك لأن التقدير والله أعلم: أن هؤلاء لو أسمعه الله لتولوا وأعرضوا، فكيف وهو سبحانه لم يسمعهم؟

- ١٠ ومثله في الحديث قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «نِعَمَ الْعَبْدُ صُهَيْب^(٢)» لو لم يخف الله لم يعصه «فظاهر الكلام يقتضي عصيان صهيب - رضي الله عنه - ، ولو كان كذلك لكان الكلام متناقضا لتصدّره بما يقتضي المدح من الإتيان بلفظة «نعم» وتعقيب ذلك بما يقتضي الذم على ظاهر اللفظ، فلا بدّ من تأويل يميّط عن الظاهر هذا التناقض، وهو أن يقال: لو قدر أن صُهَيْبًا لم يخف الله لم يعصه، فكيف وهو يخافه.

- ١٥ والأصل المعتمد عليه في هذا الباب العلم بأن العرب متى أرادت المبالغة التامة في شيء قلبت الكلام فيه عن وجهه ليتنبه السامع عندما يرد على سماعه كلام قد خولف فيه عادة أهل اللسان إلى أن هذا إما ورد لقاعدة، فينظر فيرى حصول زيادة الكلام مبالغة لو لم يقلب لم تحصل كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَغَلَ

(١) سورة الأنفال آية ٢٣.

(٢) كشف الغطاء ومزيل الإلباس ٢ : ٣٢٣.

الرأسُ شَيْبًا) وقد مضى الكلام على ذلك في باب الاستعارة^(١) وكما يعبرُ الإعراب عند تكرار النعوت لينبّه على مدح المنعوت، وكثيراً ما تفعل ذلك إذا قصدت المدح أو الذم من مخالفة ظاهر الإعراب لتنوّه بالمدح أو المذموم، والله أعلم.

باب التفصيل* (٢)

التفصيل على قسمين : متصل ومنفصل ، فالمتصل منه كل كلام وقع فيه أما وأما ..؟ وقيل ذلك إجمال وما بعد أما تفصيل مثل قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾^(٣)، إلى آخر الكلام ، ثم قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ، إلى آخر الكلام ، وكقوله عز وجل : ﴿فَنفُخُ شَفِئٍ وَسَمِيدٍ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَوْا فَنُفِئَ النَّارِ﴾^(٤) ، ثم قال ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنُفِئَ﴾^(٥) الآية الأولى روعي فيها حسن الجوار ، فقدم على الترتيب ، والآية الثانية روعي فيها الترتيب : وأما المنفصل من التفصيل : فهو ما يأتي مجمله في سورة ومفصله في أخرى ، أو في مكانين مفترقين من سورة واحدة ، كقوله تعالى في سورة المؤمنين :

احتمال التفصيل ١٠

(١) انظر هامش رقم ٣ ص ٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) هذا الباب بأكمله ساقط من ١ ، ب .

(*) بحثه في خزانة ابن حجة : ٢٢٢ .

(٣) سورة آل عمران آيتا ١٠٦ و ١٠٧ .

(٤) سورة هود آيتا ١٠٥ و ١٠٦ .

(٥) سورة هود آية ١٠٨ .

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ، إلى قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ^(١)) ، إلى قوله تعالى (فَمَنْ أَبْتَغَى ^(١)) وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) ، فإن قوله تعالى « وَرَاءَ ذَلِكَ » إجمال المحرمات جاءت مفسرة في قوله تعالى : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ^(٢)) ، إلى قوله تعالى : (وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ^(٣)) ، فإن هذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصناف النساء ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفًا ، ومن الأجانب صنفان ؛ والله أعلم .

* * *

باب التذييل *

- وهو على ضربين : معيب ، وحسن .
- ١٠ فالعيب منه أن يزيد اللفظ على المعنى لا لفائدة .
والحسن أن يذيل التكلم كلامه بعد تمام معناه بجملة تحقّق ما قبلها ؛
والزيادة على ضربين : ضرب لا يزيد على المعنى الأول ، وإنما يؤكّده ويحقّقه ؛ وضرب يُخرّجه التكلم مخرج المثل السائر ، ليشتهر المعنى لكثرة دَوْرانه على الألسنة ، والفرق بينه وبين التكميل ، أن التكميل يرد على المعنى المفتقر بعد التمام إلى التكميل ، ولا كذلك التذييل : ثم التكميل يختصّ بمعاني البديع والفنون ، والتذييل لا يختصّ بشيء من الكلام دون
- ١٥

(١) سورة المؤمنين الآيات ١ و ٥ و ٧ .

(٢) سورة النساء آيتان ٢٢ و ٢٤ .

(*) بحثه في الصناعتين ٣٧٣ ، بديع ابن منقذ : ٦٣ ، الإيضاح ٣ : ٢٣٠ ، بلوغ الأرب :

١٥٣ ، خزانه ابن حجة ١٠٩ ، الطراز ٣ : ١١١ ، حسن التوسل : ٧٠ ، نهاية الأرب ٧ : ١٤٠ .

[٧٨] شيء ، فالتذييل أعم .

وبما جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى وهو مما تضمن قسمي التذييل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، فجاء في هذه الآية الكريمة تذييلان : الأول قوله تعالى : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ فإن الكلام قد تم وكمل قبل ذلك ، ثم أتت جملة التذييل لتحقيق ما قبلها وتؤكدده ، إذ صرح سبحانه بلفظ العدة التي كانت مفهومة من الجملة ^(٢) الأولى ، فوعده حق ، بدليل قوله عز وجل : ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾ لكن لما كانت دلالة الخبر قبل التذييل على العدة دلالة تضمن ، وأراد سبحانه التصريح والإفصاح بلفظ الوعد ، ليدل عليه دلالة مطابقة ، أخرج الدلالة مخرج التذييل الذي يصلح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعة ، قال : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ والتذييل الثاني في قوله بعد الفراغ من الداليتين : « وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ » ^(٣) ذلك مخرج المثل أيضاً ، فتضمنت الآية تذييلين ومثلين ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٤) فإن المعنى

(١) سورة التوبة آية ١١١ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب « من الجزء الأول » وكلاهما

يتضح به المعنى .

(٣) ما أبتناه عن د ، س ، ت وفي ا ، ب « مخرج » وهو صحيح أيضاً . وفي الأصل

« مخرجاً » وهو تصحيف من الناسخ .

(٤) سورة الأنبياء آية ٣٤ .

مستوفى في الإخبار بأنه سبحانه لم يجعل لبشر من قبل نبيه الخلد ، ثم ذيل ذلك الإخبار بما أخرجه مخرج نجاهل العارف و قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ، وذيل هذا التذييل بما أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، وعظم الناس قدر قول المتنبي (البسيط) :
تَمْسِي الْأَمَانِي صَرَغِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ إِشْيَاءَ لَيْتَ ذَلِكَ لِي ^(١)

ولم يزل سيف الدولة لهجاً بهذا البيت معظماً له ، مُثْنِياً عليه ، مقرأ له بأنه لا يُلْحَقُ سَبْقاً ، ولا يَأْتِي أَحَدٌ فِي بَابِهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ، حتى قَالَ ابْنُ نُبَيْتَةَ السَّعْدِيُّ فِيهِ (البسيط) :

لَمْ يَبْقَ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْهَلَهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَابُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ ^(٢)

- ٩٠ وقد أَسْتَوْفَيْتَ الْكَلَامَ عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَالتَّفْضِيلَ بَيْنَهُمَا فِي كِتَابِ
(تَحْرِيرِ التَّحْجِيرِ ^(٣)) ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُمَا هَاهُنَا عَلَى خِلَافِ شَرْطِ هَذَا الْكِتَابِ ،
لِيَنْظُرَ النَّاطِرُ فِيهِ بَيْنَ مَا وَقَعَ فِيهِمَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ بَابِ التَّذْيِيلِ :
﴿ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ^(٤) ﴾ لِمَا تَسْتَفِرُقُ لَفْظَةً « كُلٌّ » مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَقَعُ
وَاحِدُهَا عَلَى الْبَسِيطِ وَالْمَرْكَبِ ، وَالْقَدِيمِ وَالْمُحَدَّثِ ، وَالْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ، وَإِنْ كَانَ
وَقَوْعُهَا هَاهُنَا عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُلِّ مَعْدُومٍ مِمَّا يَكُونُ الْوُجُودُ ، [٧٩] ٩٥

(١) (المكبري ج ٢ ص ٧٦ طبع بولاق . الأمان جمع أمانة ، وغرض الشاعر أن يقول : لا تصل الأمانى إلى قلبه فتستميله ، ولا إلى لسانه فتجري عليه لأنه لا يحتاج أن يتمنى شيئاً ، فلا يرى شيئاً إلا وله خير منه أو صار له ذلك الشيء ، فالأمانى تقصر عن بلوغ قدره ، وتضيق عن جلالته أمره وتمسى صرعى دون إدراك مجده فما يتمنى في الرفعة أكثر مما قد بلغه .

(٢) ديوانه ص ٤١١ طبع مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

(٣) انظر باب التذييل منه .

(٤) سورة النمل : آية ٩١ .

وهذه اللفظات الثلاث جاءت تذييلاً لقوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَذِهِ الْبُلْدَةُ ^(١) ﴾ ، وفي ذكر البيتين تذييل سوغ دخولها في هذا الباب ؛ والله أعلم .

* * *

باب التهذيب *

وهو على ثلاثة أقسام : قسم يكون بعد الفراغ من نظم الكلام بإعادة النظر فيه لينقحه ويحرره ، وهذا القسم لا يقع في الكتاب العزيز ، لأنه لا يحتاج إليه إلا من جُبِلَ على السهو والغلط ، أو الغفلة والذهول ، أو ضعف المعارضة في العمل ، وقد يكون نقدُه أجود من نظمه ، وعِلْمُه فوق عمله ، وهذه من صفات المخلوق الناقص ، والقرآن العزيز كلامٌ قادرٌ منزّهٌ عن صفات النقص . والقسمان الأخيران اللذان يقعان حالة الإنشاء أحدهما حسنُ الترتيب في النظم ، إما بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى ، أو بتقديم ما يجب تقديمه ، وتأخير ما يجب تأخيره .

والقسم الآخر بحيث يعضد المعنى أو يُقِلُّ التركيب ، أو سوء الجوار ، إما في حروف مفردات الكلمة ، فيتجنب وقت التأليف تلك اللفظة التي وقع فيها ذلك ^(٢) من المواضع الأول ، أو سوء الجوار في مجاورة الكلام بعضه لبعض إذا كانت بهذه المثابة . وعلى الجملة ، إن هذا القسم عبارة عن تجنب عيوب النظم ، وهذان القسمان هما اللذان جاء نظم القرآن عليهما غير مقصود ولا متكلف

(١) مكان هذا الجزء من الآية بياض في جميع الأصول والسياق يعين ما أثبتنا .

(*) بحثه في بديع ابن منقذ : ١٣٩ ، خزاعة ابن حجة تحت اسم التهذيب والتأديب :

٢٣٥ ، بلوغ الأرب تحت اسم الترتيب : ١٤٤ .

(٢) ما أثبتناه عن الأصل ، د ، س ، والقى في ا ، ب ، ت « في » وهما بمعنى واحد .

لكونه كلام قادر مطلق القدرة ، وإيما هذا النظر وهذا التحرير بالنسبة إلى أعمالنا لنقصنا ؛ والله أعلم .

مثال القسم الأول من القرآن قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ^(١) ﴾ ، فأُنظر كيف جاء هذا النظم مرتباً على طريق البلاغة ، حيث انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى على الترتيب .

فإن قيل : فقد جاء في الكتاب العزيز مواضع على غير هذا الترتيب ، فما العذر عنها ، كقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ^(٢) ﴾ فإن التمدح بعلم الغيب أبلغ من التمدح بعلم الشهادة ، وقد حصل الانتقال من الأبلغ إلى ما هو دونه .

١٠

قلت : علم الشَّهادة في حقِّ الله سبحانه أبلغ ، فإننا لا نقول أن علم الشهادة يُعلم إلا بواسطة الحواس ، (وَمَنْ قَدْ نَا ^(٣)) الحواس فقد علم الشهادة ، وعلم الغيب لا يفتقر في تحصيله إلى الحواس ، وقد ثبت بالبرهان القاطع تنزيه الحق سبحانه عن الحواس ، وثبت أنه يعلم علم الشهادة ، وحصول علم لا يعلمه إلا من له حواس لمن لم تكن له حواس أبلغ وأعجب من حصول علم لا يفتقر في حصوله إلى الحواس ، فثبت أن علم الشهادة هاهنا أبلغ .

[٨٠]

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٢) سورة الرعد آية ٩ .

(٣) كنا في الأصل ، د ، س . والذي في ا ، ب ، د ومتى قدرنا عدم الحواس عدم علم الشهادة ، والمعنى بهما يستقيم أيضا .

وأما القسم الذى جاء فيه النظم موصوفاً بحسن الجوار فقوله تعالى :
 ﴿لَنْ يَسْطِيَإِلَى يَدِكَ لِنَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ^(١)﴾ ،
 فإن نظم هذه الآية عُدل فيه عن الترتيب إلى حُسن الجوار ، فإن الترتيب عبارة
 عن ترتيب الجمل وترتيب مفرداتها فى الوضع والتأليف ، فيجب على من قصد
 الترتيب فى النظم أن يقدم الفعل فى الجملة الفعلية ويعقبه بالفاعل ، ثم يقدم بعد
 الفاعل المفعول المطلق ، ثم المفعول به ، فيقدم منه ما تعدى الفعل إليه بنفسه ،
 ثم يأتى بعده بما تعدى الفعل إليه بغيره ، إلا أن يمنع من ذلك مانع لفظى
 أو معنوى ، ومن الموانع ترجيح ضَرْب من ضُرُوب البديع على هذا الترتيب
 يكون الكلام به أفصح وأبلغ ، أو أخف وأسهل ، أو المعنى به أتمّ وأكمل
 كهذه الآية ، فإنها لو جاء نظمها على الترتيب بحيث يقال : لن يسطى يدك
 إلى لنقتلنى ، كما قال فى آخرها ما أنا بياسط يدى إليك لأقتلك ، يحصل فيها
 العيب المسمى سوء الجوار الموجب للتركيب ثقلًا^(٢) يمسّر النطق به بعض
 العسر . فعُدل عن الترتيب لأجل ذلك إلى حسن الجوار ، وإنما كان سوء
 الجوار يحصل من الترتيب لتوالى ثلاثة أحرف متقاربات الخارج ، وهى الطاء
 والتاء والياء عند قوله : لن يسطى إلى يدك ، وإذا جاء النظم على ما جاء عليه
 أمن هذا المحذور ، ولما كان هذا المحذور معدوماً فى ترتيب نظم عجز الآية
 أتى نظم العجز على الترتيب ، فقدم فيه المفعول الذى تعدى الفعل إليه بنفسه
 على المفعول الذى تعدى إليه بالحرف فقال : ﴿ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ
 لِأَقْتُلَكَ ۝ ﴾ .

ومن هذا القسم قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ

(١) سورة المائدة آية ٢٨ .

(٢) سقطت من أ ، ب .

- مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ^(١) ﴿
- ومثل هذا المكان تقتضى البلاغة مجيئه على ما جاء عليه ، فإنه متى جعل أوسط الكلام أحد طرفيه الأول والآخر لزم منه توالى لفظة « إلى » فنقل النظم بتوالى كثرة الحروف ، وعدم التعديل من النظم ، فميب بسوء الجوار ، فلزم أن يجيء على ما جاء عليه . ومما يقرب من هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْعُمْ » وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْ » وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ^(٢) ، فإن لقائل أن يقول : ما فائدة الفاضلتين وقد أغنى عنهما ما قبلهما ؟ فيقال : فى الكلام تقديم وتأخير إذا علم سقط معه السؤال ، وهو أن يقال : ومنهم من ينظر إليك ولو كانوا لا يبصرون أفأنت تهدي العمى ، والأخرى كذلك ، ويرد على ذلك قول من يقول : فما الداعى إلى وضع الكلام على التقديم والتأخير الذى هو أحد أسباب التعقيد ؟ قلت : الداعى إليه توخى الإتيان بمقاطع الكلام مماثلة ما قبلها وما بعدها من الفواصل ، فإن قبلها ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، وبعدها : ﴿ إِنْ أَلَا اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ^(٣) ﴾ ، ومعظم فواصل السورة على هذه الرنة والتقفية .
- ومما جاء من باب التهذيب على ما ينبغى من التأديب قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام — حيث قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي دُوِّنَ لِي بَطْنِي

(١) سورة يونس آية ٣٠ .

(٢) سورة يونس الآيات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ .

(م — ١١ — بديع القرآن — ب)

وَيَسْتَقِين . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين ^(١) ، فإنه - عليه السلام - أسند جميع أفعال الخير لربه عز وجل ^(٢) ، وأسند فعل الشر إلى نفسه تأديباً مع ربه ، وقد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى ، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ^(٣) 》 ، فإن صفة المقابلة في هذا النظم أن يقال : ليجزى الذين أساءوا بالإساءة ، حتى تصح مقابله ^(٤) .

بقوله : ﴿ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى 》 ، لكن منع من ذلك التزام الأدب مع الله - سبحانه - في إسناد فعل الإساءة إليه ، فعدل عن لفظ الإساءة الخاص إلى لفظ عام يدخل فيه ذلك الخاص فيحصل المعنى المراد مع لزوم الأدب فيه ، ويكون معناه أبلغ من معنى الأول ، ولما كان قوله تعالى : ﴿ وَجَزَاهُ سِجِّتُهُ سِجِّتُهُ مِثْلَهَا ^(٥) 》 ، قد آمن فيه ذلك المحذور ^(٦) ، أتى نظمه على مقتضى البلاغة من محيى تجنيس الازدواج فيه على وجه من غير تغيير إذ لا ضرورة تدعو إلى تغييره .

ومن أحسن ما وقع في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ^(٧) 》 ، وإن كان قد تقدمت هذه الآية وتقدم الكلام عليها ، ولا تكير على الإتيان بالآية الواحدة في أبواب عدة بحسب ما يكون فيها من أنواع البديع وأصناف الحاسن ، ونحن ها هنا ندعونا الحاجة إلى إعادة الكلام عليها ، لينساق فيه ما يتعلق بهذا

(١) سورة الشعراء الآيات من ٧٨ — ٨٠ .

(٢) كذا في الأصل ، ا ، ب ، والذي في باقي النسخ « إليه تعالى » .

(٣) سورة النجم آية ٣١ .

(٤) كذا في جميع النسخ . والذي في ت « حتى تصح المقابلة » .

(٥) سورة الشورى آية ٤٠ .

(٦) سقطت من ا ، ب .

(٧) سورة هود آية ١١٣ .

- الباب ، فنقول : أدمج في هذه الآية وصف الله — سبحانه — بالعدل ، فعلق فن الفخر [٨٢] بفنّ الأدب ، إذ ظاهر الآية التأديب ، ومن أجله جاءت في هذا الباب الموعظة ، ووصف الحق عز وجل بالعدل ، وذلك فخر قد تعلق ^(١) بما قدّم من الأدب ، مع ما في ألفاظ الكلام من الملامّة التي حصل بها أشتلاف للفظ مع المعنى ، لأن الركون للظالم دون فعل الظلم ^(٢) ، ومسّ النار دون إحراقها ، والعدل يقتضى أن يكون العقاب على قدر الذنب ، فلا أجل ذلك كان ذكر المساس ملائماً لذكر الركون دون غيره ، فألحظ ما أنطوى ^(٣) عليه نظم هذه اللفظات السبع التي هي بعض آية من المعنى وأنواع البديع مثل الأشتلاف الذي دلّت عليه الملامّة والإدماج ، والتعليق ، والأفتنان ، والمقارنة ، والبسط ، إذ عدل عن قوله : ولا ترْكُنُوا إِلَى الظَّالِمِينَ إلى قوله : ﴿ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ ١٠ لما يحتمل الأول من استمرار الظلم الذي لا يلائم التسامى ، ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني ، من وقوع الظلم على سبيل التدور ليلائم المعنى معنى الركون ومعنى المساس ، وتحصل المبالغة الحقّة لأنه — سبحانه — إذ نهى عن الركون إلى من وقع منه الظلم في وقت دون وقت ، وتوعّد عليه كان نهيه عن الركون إلى من أستمّر منه الظلم بطريق أولى ، وإذا نهى عن الركون ١٥ إلى الظالم كان النهي عن فعل الظلم بطريق أخرى ؛ والله أعلم .

* * *

(١) كذا في الأصل ، ت ورواية د و س « قد يعلق » ، وهو أظهر ، وفي
ا ، ب « وذلك فخر متعلق » وبها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) كذا في الأصل ، ذ ، س ، ت والذي في ا ، ب « الظالم » .

(٣) في الأصل : « ما انطوت » ، وهو تصحيف ؛ وما أنبتناه عن باقي النسخ .

باب حسن النسق*

حسن النسق عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من القدر، والآيات من الشعر متتاليات متلاححات تلاجماً سليماً مستحسنًا لا معيياً مستهجنًا . من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام تاماً^(١) بنفسه، وأستقل معناه بلفظه ، وإن ردفه مجاوره صاراً^(٢) بمنزلة البيت الواحد ، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلتا تجزأ أحسنهما ، ونقص تمامهما ، وتقسّم معنهما ، وهاليس كذلك ، بل حالهما في تمام اللفظ وكمال الحسن مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع .

ومن شواهد هذا الباب من الكتاب العزيز قوله تعالى :
(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٣)) ،
فانت ترى إتيان هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة ؛ لأنه سبحانه بدأ بالأمر إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ، ولا يحصل ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض ، فلذلك بدأ بالأرض فأمرها^(٤) بالإبتلاع . ثم علم عز وجل أن الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء ، ولم تنقطع مادة السماء ، تأذى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها ، وربما كان ما ينزل من السماء مخلقاً لما تبتلعه الأرض من الماء ، فلا يحصل الانحسار ، فأمر

* بحثه في خزائن حجة : ٤١٥ ، بلوغ الأرب : ١٧٩ .

(١) كذا في الأصل . والذي في د ، س « إذا أفرد تاماً بنفسه » وهو غير مستقيم ، والذي في ا ، ب « إذا أفرد قائم بنفسه » وهو غير مستقيم أيضاً وفي ، ت « إذا أفرد قام بنفسه » وبه يستقيم المعنى وإن كانت عبارة الأصل أوضح .

(٢) في الأصل ، « صار » والمقام يقتضى التثنية ؛ وما أنبتناه عن جميع النسخ .

(٣) سورة هود آية ٤٤ .

(٤) هنا بالأصل خرم يستغرق بقية باب حسن النسق وباب الانسجام جميعه وباب براعة التخيال إلى قوله « في بيتين متجاورين » وقد أكلنا هذا النقص عن بقية النسخ .

- سبحانه السماء بالإقلاع ، ثم أخبر بغَيْضِ الماء عند ما ذهب ماء الأرض ، وانقطعت مادة السماء ، ومقتضى الترتيب أن تأتي هذه الأخبار ثالثَ الجملتين المتقدمتين . ثم قال سبحانه : ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أى هلك من جف القلم بهلاكه ، ونجا من سبق العلم بنجاته ، وهذا كُنْهُ الآية ، وحقيقة المعجزة ، ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ، ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها ، وخروجهم موقوف على ما تقدم ، فلذلك أقتضت البلاغة بحجى هذه الجملة رابعة الجمل ؛ وكذلك استقرار السفينة على الجودى : أى استقرارها على المكان الذى استقرت عليه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها آية لمن يأتى بعد أهلها ، وذلك يقتضى أن تكون بعد كل ما ذكرناه ، وعدل عن لفظة استقرت إلى لفظة استوت لما يحتمله الاستقرار من الزئغ والميل ، وبدل ١٠ عليه الاستواء من عدم ذلك ، وفى هذا طمأنينة أهل السفينة وأمنهم من المخافة ، إذ لو كان استقرارها استقراراً لا تؤمن معه الحركة ، لكانت حالم فى مكابدة الحركة ، واضطراب القلوب لأجلها واحدة فى حال سيرها ووقوفها ، ولم يحصل لهم الانتقال من أذى الحركة وتميعهم بها إلى دعة السكون ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . وهذا دعاء أوجبته الاحتراس ممن يظن أن الفرق لشموله الأرض ربما هلك به من لا يستحق الملاك ، فدعا سبحانه على المالكين ، ووصفهم بالظلم ليعلم أن الملاك إنما شمل من يستحق المذاب احتراساً من هذا الاحتمال ، وذلك يقتضى أن يكون بحجى هذه الجملة بعد جميع ما تقدم ، والله أعلم .
- ٢٠ فانظر إلى حسن هذا النسق ، وصحة هذا الترتيب فى الجمل المعطوف بعضها على بعض . يعلم قدر هذا النظم ؛ والله أعلم .

* * *

باب الانسجام*

- وهو أن يأتي الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم ، بسهولة سب
وعذوبة ألفاظ ، وسلامة تأليف ، حتى يكون للجملة من المنشور ، وللبيت من
الموزون وقع في النفوس ، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره ، وإن خلا من البديع
وبعد عن التصنيع ، وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود ، كمثل الكلام
المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كأشطار وأنصاف أبيات
وقعت في أثناء الكتاب العزيز ، ورويت عن النبي الكريم — عليه أفضل
الصلاة والتسليم — ، فإن وقع من ذلك بيتان في غير القرآن فصاعداً عد ذلك شعراً
وإن لم يقصد ، وأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا ما هو على مثال البيت
المفرد^(١) قطع ، والبيت المفرد لا يسمونه شعراً قصد أو لم يقصد ، وعلى ذلك
أدلة لا يتسع هذا المكان لذكرها ، وقد أتيت بها مستقصاة في كتابين أحدهما
(الشافية في علم القافية) والآخر (الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وبين
كلام خصومه) ، عملت منه قطعة ، وشغلت عن تمامه .
- والانسجام على ضربين : ضرب يأتي مع البديع الذي لم يقصد ، وضرب
لا يبدع فيه ، فمن أمثلة الضرب الأول من القرآن قوله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي
وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٢)) ، فأنت ترى سهولة هذا
النظم ، وعذوبة هذه الألفاظ ، وما في هذا الكلام من الانسجام مع ما وقع
فيه من التعطفت في قوله تعالى : « إلى الله » « وأعلم من الله » فإنه إنما عدل

* بحثه في بديع ابن منقذ : ٦٦ ، خزانة ابن حجة : ٨٩٠١

(١) كذا في جميع النسخ ، وهو الصواب . والذي في ت « المنشور » وهو تحصيل ..

(٢) سورة يوسف آية ٨٦ .

عن قوله « وأعلم منه » وهو أوجز من الأول ، ليأتى في الكلام تعطف بزيده
حُسْنًا ، وفيه زيادة خضوع وترقق مع تمكين فاصلة الآية ، ومثلها الآية التي
بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آيَاتِكُمْ وَلَا تَخْسِفُوا
وُجُوهَكُمْ لِلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَأْذِنُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ^(١) ﴾ ، لوقوع التعطف فيها كالأولى ، ومثال الضرب الثاني من
الأنسجام وهو الخالي عن البديع قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ^(٢) ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وَفِي غَيْبِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَمُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ^(٣) ﴾ ، وأكثر آي القرآن من شواهد هذا الباب .

١٠. باب براعة التخلص *

وهو امتزاج ما يقدمه الشاعر من البَسْط ، إما الملاح أو القدم ، أو غيره من
نسيب ، أو ، وصف ، أو أدب ، أو زهد ، أو غر ، أو مجون ، أو غير ذلك من الفنون
بأول بيت من الملاح ، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين . وقد يقع في بيت
واحد ، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم ، فإن المتأخرين
قد لهجوا بها وأكثروا منها ، وهي لعمري من محاسن المحدثين ، على أن
الأوائل فتحوا لهم باباً كما فتحوا غيره من الأبواب .

(١) سورة يوسف آية ٨٧ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٣) سورة هود آية ١٢٣ .

* بحثه في الوساطة : ٥٨ ، التبيان للزمكاني : ١٣٨ ، بديع ابن منقذ تحت اسم التخلص ،
روضة الفصاحة : ٤٥ ، المثل السائر تحت اسم التخلص والاقتضاب : ٤١٧ ، الطراز
٣ : ١٧٩ ، بلوغ الأرب تحت اسم براعة التخلص : ٥٤ ، خزائن ابن حجة : ١٤٩ ، نهاية
الأرب ٧ : ١٣٥ .

وهي في الكتاب العزيز معرفة الوصل من الفصل، وقد آتت^(١) فيها ابن أبي البركات كتاباً مقصوراً عليها، وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أنها أحد وجوه الإعجاز، وهو دقيق يكاد يخفى في غير الشعر إلا على الحاذق من ذوى النقد، وهو مبثوث في الكتاب العزيز إذا تتمع^{وُجِدَ} وُجِدَ، كابتداء فصول تجدها منافرة في الظاهر لما قبلها من القواصل، أو غيرها فلا يكاد يجمع بينها إلا بعد إتمام النظر، وتدقيق الفكر، هذا إذا كنت ممن له ذرية بهذه الصناعة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا . ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا^(٢)﴾، فانك إذا انظرت إلى قوله: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وإلى ما قبله وجدت بين الفصلين «مباينة شديدة في الظاهر حتى تفكر فتجد الوصل بين الفصلين^(٣)» في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ إلى قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فإنه تبارك وتعالى أخبر أنه أسرى بمحمد — صلى الله عليه وسلم — إلى الأرض المقدسة ليريه من آياته، ويرسله إلى عبادته، كما أسرى بموسى — عليه الصلاة والسلام — من مصر إلى مدين حين خرج خائفاً يترقب وأسرى به وبابنة شعيب إلى الأرض المقدسة ليريه من آياته، ويرسله إلى فرعون وملائه، وآتاه الكتاب، فهذا هو الوصل بين الفصلين المذكورين. وأما الوصل بين قوله سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وبين ما قبله

(١) في ١، ب «صف» .

(٢) سورة الإسراء الآيات من ١ — ٣ .

(٣) سقطت هذه العبارة من ١، ب، وقد أثبتناها عن جميع النسخ .

- عند كار بنى اسرائيل بأول نعمه عز وجل عليهم . بنجاة آبائهم مع نوح في السفينة^(١) من الغرق إذ لو لم تنج أبائهم لما وجدوا ، فأول نعم الله عليهم نجاة آبائهم من غرق الطوفان ، وآخر نعمه عليهم نجائهم من الغرق حين شق لهم البحر فنجوا ، وغرق عدوهم فرعون وملائته وذكرهم أنهم أبناء نوح ، وأخبر أن نوحاً كان عبداً شكوراً ، وهم أولاده ، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم لأن
- **الولادة سر^(٢) أبيه .**

[٨٣] وأما مثال ما جاء من هذا الباب من غير هذا القسم من الكلام الذى يوطئ التكلم فيه بفصل^(٣) لفصل يريد أن يأتى به بعده^(٤) ، إما بنكتة تشير إلى معنى الفصل المستقبل ، أو غير ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ^(٥) ﴾ ، فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل ، إلى ما يأتى بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام . فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصاً بارعاً ، وجعل سبب براعة هذا التخلص ما جاء به فى التوطئة من التنكيث ، فإن النكتة التى أشارت إلى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة فى القرآن هى قوله : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ، فإن المخاطب إذا سمع هذا الوصف لهذه القصة تنبته إلى تأملها ، فيجد كل قضية^(٦) فيها ختمت بخير ، وكل ضيق إلى سعة ، وكل شدة إلى رخاء ، فإن يوسف عليه السلام - رُمى فى

(١) فى ا ، ب « السفين » ، وهو جمع لا يناسب المقام إذا المقصود هنا الفرد وإن كان بعضهم يجعل السفين مفرداً .

(٢) انظر الكلام على هذا الحديث فى كشف الحقائق ومزيل الإلبار ٢ : ٣٣٨ .

(٣) فى الأصل « تفصيل » وهو تصحيف من الناسخ ؛ وما أثبتناه عن باقى النسخ .

(٤) فى الأصل « وأما » بزيادة الواو ؛ ولا معنى لها ؛ وما أثبتناه عن بقية النسخ

وهو الصواب .

(٥) سورة يوسف آية ٣ .

(٦) كذا فى جميع النسخ . والذى فى ت « قصة » ؛ وهو تصحيف .

الجب فنجأ ، وبيع بالثمن البخس ، فزله الذى اشتراه منزلة الولد ، وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه ، فعصمه الله ، ودخل السجن فخرج منه ملكا ،
وظفر إخوته به ، فأظفروا الله بهم ، وأظهروه عليهم ، وسره الله بقاء أخيه شقيقه
فتأنس به ، وفارقه أبوه ، ثم اجتمع به وجزع افراقه ، ثم سر بلقائه ، وعي
من بكائه عليه ، فردّه الله بصيرا ، وجاء به من البدو ، وأجلسه بمصر على سرير
المُلك ، وغضب أغنى أباه ويوسف على بقية الأولاد ، ثم رضى عنهم ،
وأستغفر لهم ، وأسجد له أبويه وإخوته تحقيقا لرؤياه من قبل ، فكانت القصة
لذلك جديرة بأن توصف بنهاية الحسن دون غيرها من القصص .

ومن براعة الصلص في الكتاب العزيز أيضا قوله تعالى : (إِنْ اللَّهَ اصْطَفَى
دَآمَ وَنَوْآ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ^(١)) ، فإنه سبحانه وطأ به
إلى سياقه خير ميلاد المسيح عليه السلام . ، فذكر سبحانه اصطفاؤه آدم عليه
السلام توطئة يخلص بها إلى ذكر ولده نوح عليه السلام . وذكر اصطفاؤه نوح
توطئة يتخلص إلى ذكر ولده إبراهيم عليه السلام وعلى آله ، وذكر اصطفاؤه
آل إبراهيم بعد ذكر آل نوح توطئة ليتخلص بذكرهم إلى آل عمران من ولد
إبراهيم ، وتخلص بذكر آل عمران إلى ذكر امرأة عمران ليسوق ^(٢) قصة
حملها بمريم عليهما السلام وكفالة زكريا عليه السلام لها ، وذكر ولده يحيى
عليه السلام ، وقصة حمل مريم بالمسيح عليهما السلام ، وما كان في ذلك من
الآيات الباهرات ، وغير ما آتاه الله تعالى من المعجزات ، فوقع في هذه الآية
من التخلصات البارة التي أتت على أحسن ترتيب ، وأبين تهذيب ما لا يقع
في شيء من الكلام حيث ذكر سبحانه الآباء من الأعلى إلى الأدنى ، فابتدأ
بذكر آدم الأب الأعلى ، وتلاه بذكر نوح الأب الثاني ، الذي انتشرت

(١) سورة آل عمران آية ٣٣ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب « لتشوف » ولا معنى لها .

الْأُمَمِ مِنْ عَيْبِهِ، وَأَتَتْ كَافَّةَ الْبَشَرِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبَا
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَخَصَّ مِنْ وَلَدِهِ بِالذِّكْرِ آلَ عِمْرَانَ، لِيَتَخَلَّصَ إِلَى ذِكْرِ الْمَسِيحِ
— عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، — فَيُبْعَثَانِ الْمُتَكَلِّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

باب التعليق*

وهو أن يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِمَعْنَى فِي غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِ الْكَلَامِ، ثُمَّ يَتَّصِلُ بِهِ
مَعْنَى آخَرٌ يَقْتَضِي زِيَادَةَ مَعْنَى مِنْ مَعَانِي ذَلِكَ الْفَنِّ. كَمَنْ يَرُومُ مَدْحَ إِنْسَانٍ
بِالْكِرَامِ فَيَعْلِقُ بِهِ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى الشَّجَاعَةِ، بِمِثْلِ لَوْ أَرَادَ تَخْلِيصَ ذِكْرَ الشَّجَاعَةِ
مِنْ ذِكْرِ الْكِرَامِ لَمَا قَدَّرَ، بِشَرَطِ أَنْ يَبْقَى كَلَامُهُ غَيْرَ مَدْخُولٍ.

وَمِنْهُ قَسَمٌ يَتَخَلَّصُ فِيهِ الْوَصْفَانِ فِي اللفظِ وَهُمَا مُتَلَاخِضَانِ فِي الْمَعْنَى، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ فَذَوْفَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَقُومُ بِحُجَّتِهِمْ وَيُحْيِيهِمْ وَأَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(١)، فَإِنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَوْ أَقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِهِم بِالْقِلَّةِ لِإِخْوَانِهِمُ

الْمُؤْمِنِينَ، لِأَحْتِمَالِ أَنْ يَقُومَ ضَعِيفٌ أَنْ ذَلُّهُمْ مِنْ عَجْزٍ وَضَعْفٍ، فَفَنَى ذَلِكَ

بِذِكْرِ عَزَّتِهِمْ عَلَى الْكَافِرِينَ، لِيَعْلَمَ أَنَّ ذَلُّهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَوَاضُعٍ، فَخَصَّ بِهَذَا

الْأَحْتِرَاسَ تَتِمُّمَ لِلْمَعْنَى وَتَسْكِينِ لِلْمَدْحِ، وَجَاءَ هَذَا الْإِحْتِرَاسُ مَدَّجًا فِي

الْمُطَابَقَةِ، وَحَصَلَ مِنَ الْمُطَابَقَةِ تَعْلِيْقُ التَّوَاضُعِ بِالشَّجَاعَةِ فِي فَنِّ الْمَدْحِ. وَهَذَا

مِثَالُ الْقَسَمِ الثَّانِي مِنَ التَّعْلِيْقِ.

وَمِنْ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

* بِحِثِّهِ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ تَحْتَ اسْمِ الْمُضَاعَفَةِ ٤٢٣، بِدِيَمِ ابْنِ مَنْقُذٍ تَحْتَ اسْمِ الذَّلِيلِ وَالْإِدْمَاجِ: ٣٠،

الطَّرَازُ ٣: ١٥٩.

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ آيَةُ ٥٤.

كَفَرُوا وَقَالُوا لَا إِخْوَانِيهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًّا أَوْ كَانُوا
عِنْدَنَا مَا تَأْتُواوَمَا قُتِلُوا^(١)، فإنه سبحانه علّق وصفهم بالكفر بوصفهم
بالجن تعليقاً متلاحماً ، والفرق بين التعليق والتكميل : أن الوصفين في التكميل
مفترقان في اللفظ والمعنى ، وهما في التعليق متلاحمان إما في المعنى ، وإما في اللفظ
والمعنى ، والله أعلم .

باب الإدماج*

وهو أن يدمج التكلم إما غرضاً في غرض ، أو بديعاً في بديع ، بحيث
لا يظهر في الكلام إلا أحد الفرضين أو أحد البديعين ، والآخر مدمج في الفرض
الذي هو موجود في الكلام ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ^(٢) ﴾ ، فإن هذه الجملة أد مجت فيها المبالغة في المطابقة ، لأن انفراد
— سبحانه — بالحمد في الآخرة ، وهي الوقت الذي لا يحمّد فيه سواه ، مبالغة في وصف
ذاته بالانفراد بالحمد ، وهذه وإن خرج الكلام فيها مخرج المبالغة في الظاهر
فالأمر فيها حقيقة في الباطن ، فإنه أولى بالحمد في الدارين ، ورب الحمد والشكر
والثناء الحسن في المحلين حقيقة ، وغيره من جميع خلقه إنما يحمّد في الدنيا
تجازاً ، وحقيقة حمده راجعة إلى ولي الحمد سبحانه ، والفرق بين الإدماج

(١) سورة آل عمران آية ١٥٦ .

* بحثه في الصناعتين تحت اسم المضاعفة : ٤٢٣ ، بديع ابن منقذ : ٣٠ ، النخعيص
٢٥٢ ، الإيضاح ٦ : ٨ مع أن السكاك لم يذكره في مفتاحه ، خزائن ابن حجة : ٤٥٧ ،
الطراز ٣ : ١٥٧ ، بلوغ الأرب ٣٠٢ ، حسن التوسل : ٨٢ ، نهاية الأرب ٧ : ١٦٤ .

(٢) سورة القصص آية ٧٠ .

وبين القسم الذى أدمج فيه أحد الوصفين فى الآخر من التعليق : أن قسمي التعليق لا بدّ وأن يكون الوصفان فيهما ظاهرين لفظا ، وأحدهما معناه مدمج فى معنى الآخر ، والقسم الآخر وصفاه مفترقان لفظا ومعنى ، والإدماج لا يظهر منه إلا أحد الفئتين ، أو أحد المعنيين ؛ والله أعلم :

• • •

باب الانساع*

وهو أن يأتي التشكّل بكلام يتّسم بالتأويل فيه بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعانى ، فيتسم الرواة فى تأويله على مقدار عقولهم . ومن ذلك فوائح الشور الفرقانية المعجزة ، فإن العلماء قد آتسّوا فى تأويلها أنساعا كثيرا ، ولم يترجّح من جميع ذلك إلا أنها أسماء للسور أقسم الله سبحانه وتعالى بها ، وقد روى ذلك عن ابن عباس - رضى الله عنهما - ، وأختلفوا فى إعراب ما يأتى فيه الإعراب منها ، فبعضهم يرى فيه الحكاية كما رأى ذلك فى (صاد) ، (قاف) و (نون) فإن هذه الأسماء محكية ليس إلّا ، وبعضهم يرى الإعراب فى المجموع خاصة ، ويُنشد قولَ ثُرَيْيْح بن أَوْفَى ^(١) العبسى قاتل محمد بن طلحة السجّاد (الطويل)

يُنَاشِدُنِي حَامِيَمَ وَالرُّمَحُ شَاجِرُ فَبَلَا نَلَاحِمَ قَبْلَ النَّقْدِمْ
وأما ما جاء من باب الانساع فى غير الفوائح فعوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ ﴾

* بحثه فى العمدة ٧٥ ، خزائن ابن حجة : ٤٩٠ ، بلوغ الأرب : ٢٤٩ ، الطراز (تحت أسم التوشيع أو التوسيم) ٨٩ : ٢ .
(١) انظره فى اللسان مادة (حـم) وورد فيه « يذكركنى » مكان « يناشدنى » .

أَلَا تُنْقِطُوا فِي التَّيْنَتَيْنِ فَمَا نَسَكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً^(١) ﴿١﴾ ، فإن ظاهر هذه الآية يتوجه عليه إشكالات ، منها لم يعدل عن العدد الصحيح إلى المعدول ؟ فقال سبحانه :

﴿ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ ولم يقل اثنتين وثلاث وأربع ، ولم عطف

جملها بالواو المقتضية للجمع حتى ألتبس الأمر فيها ؟ ، فجاء ظاهرها يدل على

إباحة الجمع بين تسع نسوة ، ولم نزل عن الأربع لمن يخاف ألا يعدل بين

النساء إلى الواحدة ؟ ، ومن لا يعدل في الأربع يجوز أن يعدل في الثلاث ،

ومن لم يعدل في الثلاث يجوز أن يعدل في اثنتين ، ولم يأت لفظ [٧٦]

الواحدة معدولا ليناسب ما قبله من العدد المعدول ؟ ، والجواب عن الأول أن ذلك

للايجاز ، لأن قول العرب : مثنى وثلاث ورباع يسد مسد اثنتين ، اثنتين ، وثلاث ١٠

ثلاث ، وأربع أربع ، مع التكرار ، ومثنى وثلاث ورباع أخصر من الأول ، لأن

المراد من الآية تعريف ما أبيض لنا كح من الجمع بين حرائر النساء ، فعدل عن

الصحيح إلى المعدول توخيا للايجاز ، وأما الجواب عن عطف الجمل بالواو دون

(أو) فلأن الخطاب لكافة المسلمين^(٢) لا للواحد منهم ، فوجب العدول

عن (أو) في العطف إلى (الواو) المقتضية للجمع ، لأن الخطاب للجمع ، ليصيب ١٥

كل مكلف ما أبيض له من الجمع ، ولو عطف (أو) لأختص الحكم بالمفرد

الواحد من المكلفين . وأما الجواب عن النزول من الأربع إلى الواحدة ، ولم

ينزل على الترتيب إلى الثلاث ، ثم من الثلاث إلى اثنتين فلقصده بناء الكلام

(٢) سورة النساء آية ٣ .

(١) كذا في الأصل . وفي بقية النسخ « المكلفين » وبها يصح المعنى

على الاختصار ، فإن النزول على الترتيب يُفَضِّي إلى إطالة في الكلام له
مَنْدُوحَةٌ عنها ، فلا جُل ذلك قدر أنه قال : فإن خُفِّمَ ألا تعدلوا في اثنتين
فواحدة ، وألغى الوسائط ، لدلالة ما ذكره على ما لغاه ، ليأتى النظم على
السنن المحمودة من البلاغة ، فإن من خاف ألا يعدل في اثنتين كان من ألا
يعدل في الثلاث أحرى ، فضلا عن الأربع .

وأما قول السائل لِمَ لَمْ يَأْت لفظ الواحدة معدولا ، لأن العرب إنما
جملت العدول للأعداد ، والواحدة والواحد كل واحد منها أول العدد
وليس من المعداد ، ولأن العدول في هذه الأعداد إنما جاءت للاختصار ليقوم
مقام العدد المكرر ، وهذا العدد مأمون في الواحدة ، فلا جُل ذلك جاء
لفظها على أصل وضع غير معدول ؛ والله أعلم .

• • •

باب المجاز *

المجاز خلاف الحقيقة ، والحقيقة فِعْيَلَةٌ بمعنى مفعولة من أحق الأمر بحقه
إذا أثبتته أو من حققته إذا كنت منه على يقين ، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه
شيء مثبت معلوم بالدلالة ، والمجاز مفعول من جاز الشيء بحوزة ، إذا تعداه ، فإذا
عدل باللفظ عما يوجب له أصل اللغة وصف بأنه مجاز ، على أنهم جازوا به موضعه
الأصلي ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا .

* بحثه في سيبويه ١ : ١٦٩ ، الممددة ١ : ١٧٧ ، الصناعتين ٢٦٨ ، اسرار
البلاغة : ٣٣٠ دلائل الإعجاز : ٥٢ ، المفتاح : ١٩٢ ، الإيضاح : ٣٤ ، خزائن ابن حبة :
٣٩٦ بلوغ الأرب : ٢٠٩ ، الطراز : ٦٣ .

واللفظ لا يكون مجازاً إلا بشرطين : أحدهما أن يكون منقولاً عن معنى وضع اللفظ

بازائه أولاً ، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك ، وعن الكذب الذي ادعى فيه أنه مجاز .

والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والقرع وعلاقة ، ولأجل [٨٦]

ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز ، مثال ذلك تسميتك رجلاً بالحجر ، ويقال :

• إن ذلك مجاز ، وإن كنت نقلت اسم الحجر للإنسان إلا أنه نقل لغير مناسبة ،

إذ لا مناسبة بين حقيقة الحجر وحقيقة الإنسان ، ومتى تحقق هذان الشرطان

في لفظ كان ذلك اللفظ مجازاً ، هذه حكاية ^(١) لفظ فخر الدين بن الخطيب

في المجاز . وقد تقدم قوله في حد الاستعارة أنها جعل الشيء الشيء للبيان

في التشبيه كقولك : لقيت أسداً ، وأنت تعني أنك لقيت شجاعاً ، ولا خلاف

في أن الاستعارة على اختلاف أقسامها مجاز ، وقد قال هاهنا : إنه لا يكون ١٠

شيء من الكلام مجازاً إلا باعتبار الشرطين المتقدمين ، وقد عدم أحد

الشرطين وهو النقل في هذه الاستعارة ، فتدبر ذلك ، اللهم إلا أن يكون

فخر الدين قد عمل على قول من قال : المجاز مجازان ، مجاز استعارة ، ومجاز

حذف ، (وشرطه اللذان وقعت صحة المجاز عليهما غير معتبرين في القيمين ^(٢)) .

١٥ والمجاز على ثلاثة أقسام : قسم في الإثبات ، وقسم في الثبوت ، وقسم فيهما معاً :

مثال ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا نَزَّلَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ^(٣)) ، وقوله تعالى :

(وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالًا ^(٤)) ، وقوله سبحانه : (تُؤْتِي أكلها كل حين ^(٥))

(١) ملخصاً من نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ٤٦ — ٤٧ .

(٢) هذه العبارة ليست بالأصل . وقد أثبتناها عن باقي النسخ إذ بدونها لا يستقيم

الكلام .

(٣) سورة الأنفال آية ٢ .

(٤) سورة الزلزلة آية ٢ .

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٥ .

فهذه الأفعال مسندة في هذه المواضع إلى غير الفاعل الحقيقي ، لأن الآيات لا توجد العلم ، ولا الأرض تخرج الأتقال ، ولا النخلة تؤتى الأكل ، ومن ذلك قول الشاعر^(١) :

أشأب الصغير وأفنى الكبير — ركر الغداة ومر العشي

- فالجواز وقع في إثبات الشيب فعلاً لكر الغداة ، وهو في الحقيقة فعل الله تعالى .
ومن هذا القسم قولهم : نهارك صائم ، وليك قائم .
والقانون فيه أن ينسب الشيء إلى غير ما هو منتسب بذاته إليه .

ومثال ما دخل المجاز منه في^(٢) للثبت دون الإثبات قوله تعالى :
{ فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا }^(٣) ، جعل خضرة الأرض ونضرتها بما فيها من الثبات والأزهار حياة ، فالجواز دخل في الثبت وهو الأرض ،
وأما الإثبات فحقيقته من الله لأن الفاعل لذلك هو الله تعالى .

ومثال ما دخل المجاز منه في الإثبات والثبت معاً قولك للرجل : أحييتي رؤيتك : تريد سرتي رؤيتك ، فجعل للسرة حياة ، وهو مجاز في الثبت ، ثم أسندها إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات .

- ١٥ والمجاز في الثبت لا يكون إلا في المفرد ، والمجاز في الإثبات لا يكون إلا في الجملة ، وقد ذهب الإمام العلامة عبد القاهر الجرجاني^(٤) إلى أن حدّ المجاز إذا كان الموصوف به مفرداً^(٥) خير حده إذا كان الموصوف به جملة ،

(١) البيت لاصلتان العبدى وهو قثم بن خبيثة بن عبد القيس ، وهو شاعر مشهور وكان معاصراً لجرير والفرزدق وكان يقضى بينهما ملخصاً من معاهد التنصيص ١ : ٧٣ ، ٧٤ طبع مطبعة السعادة والكمال للمبرد ٢ ص ٥٤٠ من آيات أولها :

أرى أمة شهرت سيفاً وقد زيد في سوطها الأصمى
(٢) كذا في الأصل ، ا ، ب والذي في باقي النسخ «فيه» وما بمعنى واحد .

(٣) سورة فاطر آية ٩ .

(٤) ملخصاً من أسرار البلاغة : ٣٠٢ وما بعدها .

(٥) كذا في الأصل ، والذي في بقية النسخ «مفرداً» وفي أسرار البلاغة «الفرد» .

(م — ١٢ بدیع القرآن)

ثم قال عقيب ذلك : ولنبدأ بمحدثها يعني المجاز والحقيقة في المفرد .

وحدة الحقيقة في المفرد أن يقال : هو كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضعها (وقوعا لاستند فيه إلى غيره كالأسد للبهيمة المخصوصة .

وحدة المجاز في المفرد وهو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع^(١) واضعها^(٢) الأول للاحظة بين الأول ، والثاني .

[٨٨] وأما حدة الحقيقة في الجملة فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المستفاد بها على ما هو عليه في العقل ، وواقعة موقعه ، فهو حقيقة ، ومثاله قولك : خلق الله العالم .

وكل جملة أخرجت الحكم المستفاد بها من موضعه لضرب من التأويل فهي مجاز : (وإذا أدعيت هذا الفصل من كلام القاضي حين كان مخالفا لحدة فخر الدين بن الخطيب^(٣)) فإما أن نصحيح كلام الجرجاني أو كلام (فخر الدين^(٤)) بن الخطيب ، فإن عملنا بكلام الجرجاني كان كل ما ضربنا عليه صحيحا من باب المجاز ، وإن عملنا على كلام فخر الدين فهو غير صحيح ، والصحيح ما أبقيناه بعد المضروب عليه ، والله أعلم .

١٥ والمجاز عند أرباب علم البيان على ضربين : ضرب مع الحذف ، وضرب مع غيره ، فالذي مع غيره أشق له النقاد أسماء مشتقة مما لا يقع للكلام فيه كالاستعارة ، اشتقت من كون اللفظ يستعار فيه شيء لشيء ، وهذا كما قال بعضهم : المجاز مجازان : مجاز استعارة ، ومجاز حذف ، فمجاز الاستعارة

(١) ما بين القوسين ساقط من «ت» .

(٢) في الأصول «واضعه» والسياق يعين التأنيث ، إذ الضمير هنا عائد على الكلمة التي وضعا واضعها . وفي أسرار البلاغة «وضع واضع» .

(٣) ما بين قوسين ساقط من أ ، ب وهو عن الأصل وباقي النسخ .

(٤) نكته عن ت .

قد مضى تعريفه في باب الاستعارة، وبجاز الحذف كقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ ﴾^(١) و « العير » وما أشبهه كقوله تعالى : ﴿ يَا سَمَاءُ أَقْلِمِي ﴾^(٢) وكالأسماء التي قد متنا ذكرها آنفاً ، وقد تجاوزت العرب حذف المضاف إلى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الأول كقول جرير (الوافر)^(٣) :

- إذا نزل السماء بدار قوم رعيناء وإن كانوا غضاباً
- إلا أن مثل هذا لا يجوز إلا في ضرورة الشعر لبعده من الحقيقة وإنما أبقوا على هذا الضرب أسم الجاز لخلوه عن معنى زائد على تجوز الحقيقة^(٤) يليق أن يشتق له منه أسم كجاز الاستعارة ؛ والله أعلم .

باب الإيجاز

- ١٠ الإيجاز اختصار بعض الألفاظ ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الأسم ، كحذف المضاف ، أو بعض الجملة ، كحذف الفاعل ، أو حذف الخبر

(١) سورة يوسف آية ٨٢ .

(٢) سورة مود آية ٤٤ .

(٣) نسب هذا البيت لمعاوية بن مالك المروفي بمود المسكاه ، كما في التفضيلات س ٦٩٧ طبع أوربا ، وهو من قصيدة أولها :

أجد القلب عن سلمى اجتناباً وأقصر بعد ما شابت وشاباً

وكذلك في لسان العرب مادة سماء ومعاهد التنصيص ١ : ٢٦١ والصناعتين س ٢٧٦ طبع الحلبي ونسبه صاحب تاج العروس « مادة سماء » لفرزدق ، ونسبه ابن رشيق في المدة ج ١ ص ١٤٤ لجرير وكذلك في نهاية الأرب ج ٢ : ١٤٤ طبع دار الكتب ، ويرجع لدى أن المؤلف تأثر بنسبة هذا البيت لجرير تبعاً لما جاء في المدة ، والصواب نسبته لمعاوية بن مالك ونسب في الخمسة البصرية ورقة ٣٥ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٠) أدب لمعاوية أيضاً ، وكذلك الفاضل المبرد ط دار الكتب المصرية : ١٠٩ وعيار

الشعر ٨٤ ، الموشح ٢٤٥ .

(٤) ساقطه من « ب » .

(*) بحته في سيبويه ١ : ٢٢ ، البيان والبيان ١ : ٩٦ ، رغبة الأمل ١ : ٢٥٢ ، =

أو بالعدول عن لفظ المعنى كالإرداف وشبهه ، أو بتغيير لفظ المعنى كالاستعارة وغيرها .
 هذا حدة الصناعات الخاصة وهو رسمي ، وسيأتي حده اللغوي العام ، ومثاله أن يقتصر التكلم قصة بحيث لا يفادر منها شيئاً في ألفاظ قليلة بحيث لو اقتصرها غيره ممن لم يكن في مثل طبقة من البلاغة أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ ، ومن شرط الإيجاز ألا يخرج الكلام مخرج الإشارة التي تقدم ذكرها وحدها ، وأكثر قصص القرآن المجيد من هذا النمط ، كقصة موسى — عليه السلام — في سورة « طه » ، فإن معانيها أنت بالآفاق الحقيقة تامة غير محذوفة ، ولا مغيرة بلفظ الإشارة ، ولا لفظي الإرداف ، والتمثيل ، وهي مستوعبة [٨٩] في تلك الألفاظ ، وهذا ما قرره المتقدمون في الإيجاز .

وعندى أن الإيجاز على قسمين : قسم مجازي ، وقسم حقيقي ، فما كان حقيقياً ١٠ بقى عليه اسم الإيجاز ، وما كان مجازياً وضعوا لكل نوع منه اسماً يخصه ويناسب اشتقاقه فإن المجاز إيجاز ، فكل مجاز إيجاز ، ولا ينعكس ، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه ، أو للاستغناء بالقرينة عنه ، مثال الأول ، ﴿ وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ ^(١) ﴾ ، ومثال الثاني : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ^(٢) ﴾ ، وما أشبه ذلك .

== قواعد الشعر : ٦٨ ، التكت في إعجاز القرآن للرماني : ٣ ، المدة : ١ : ٦٧ ، سر الفصاحة تحت اسم الإيجاز والاختصار وحذف الفضول : ١٩٦ ، إتيان الزمكاني : ٧١ ، بديع ابن منقذ تكلم عنه مرة تحت اسم الإسهاب والإطناب والاختصار والإكثار : ٩٥ ومرة أخرى تحت اسم التضييق والتوسيع والمساواة : ٧٩ ، المفتاح تحت اسم تقليل اللفظ ولا تقليله : ٢٢٧ ، المثل السائر : ٢٩٧ ، الإيضاح : ٣ : ٢٠١ ، الطراز : ٢ : ٨٨ ، بلوغ الأرب : ١٩٨ ، خزائن ابن حجة : ٣٦٤ .

(١) انظر ص ١٧٩ من هذا الكتاب .

(٢) سورة ص آية ٣٢ .

والإرداف والتمثيل إيجاز يحىء الكلام فيها بغير ألفاظه الموضوعة له ،
والإشارة إيجاز لا مجاز ، لكون ألفاظها ألفاظ الحقيقة ، أو ما يشير إلى
الحقيقة بلمحة دالة ، ولا يكون بما يشير به منقولا ، إلا أن ألفاظها مختصرة ،
يدل القليل منها على المعاني الكثيرة .

- وما ذكره المتقدمون مما قرره أولا هو الإيجاز الحقيقي ، فإن قيل :
إذا كان المجاز نوعا من الإيجاز جاز أن يسمى كل صنف من ذلك النوع إيجازا .
قلت : للتسميات علامات تعرف بها التسميات ، ومن سمي النوع
باسم الجنس فهو غير معرف لذلك النوع تعريفا تاما ، فإنك لو قلت في
حد الإنسان : هو حيوان من غير ذكر الفصل ، لكنت غير معرف لحقيقته
تعريفا تاما ، لكونك لم تأت إلا بالقدر المشترك . دون القدر المميز ، ولما
كان من الإيجاز ما يدل على المعنى بلفظ المعنى الموضوع بإزاءه .

- ومنه ما يدل على المعنى بلفظ هو رد ف لفظه تارة ، ولفظ هو مثل لفظه
مرة ، ولفظ مستعار له آونة . والحقيقة أصل ، والمجاز فرع ، والإيجاز أصل .
بقي الأسم الأصل على الكلام الذي دل لفظه على معناه بظاهره .
وسمى ما دل على معناه بالتأويل بأسماء مجازية ، إذ كانت تسمياتها مجازية .
- ١٠ • فإن قيل : فما الفرق إذا بين الإيجاز والمساواة ؟ قلت : المساواة لا تكون
إلا في المعنى المفرد يخبر عنه بلفظ مساو له لا يزيد عليه ولا ينقص عنه .

والإيجاز يكون في ذكر القصص والأخبار التي تأتي في قطع من الكلام
مطولة متضمنة معاني شتى .

وخلاصة ذلك أن المساواة في معاني الجمل التي تركبت منها
الآيات والفصول . والإيجاز في الآيات والفصول . ثم المساواة
[٩٠] تكون مع الإطناب كما تكون مع الإيجاز ، فإن الكلام الذي يراد تفخيمه
أو توكيده ، أو التهويل به تتعدّد معانيه بتعدّد ألفاظه ، أو تنفاير فيه الألفاظ على
معنى واحد لقصد التوكيد ، وإفهام البعيد والبليد ، وهو مع ذلك موصوف بالمساواة .
فإن الإيجاز ما يوصف بالمساواة ، ومنه ما لا يوصف بها ، والمساواة يكون منها
شيء في الآيات والفصول ، ويكون الفرق بين هذا القسم منها وبين الإيجاز ^(١)
أن الإيجاز تنقص فيه الألفاظ عن المعاني ، والمساواة لا تزيد الألفاظ فيها
على المعاني ولا تنقص عنها .

١٠ ومن الإيجاز نوع يُختصر فيه بعض الألفاظ ويأتي كله بلفظ الحقيقة ،
لكن اختصاره من اختصار ألفاظ المجاز ، وهو يستحق اختصار الانبعاث ،
وصورته قريبة من صور التلخيص ، كقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ ^(٢) ﴾ فإن التقدير والله أعلم تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان ، كما
قال الشاعر ^(٣) (الرجز) :

* عَلَفَتْهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

أى وسقيتها ، وكقول الآخر ^(٤) (مجزوء السكامل) :

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، وهى ساقطة من ا ، ب ، ت .

(٢) سورة الحشر آية ٩ .

(٣) هذا عجز بيت ابنى الرمة وصدره : * لما حططت الرحل عنها واردا * . ديوانه
س ٦٦٤ طبع أوربا .

(٤) هذا البيت لعبد الله بن الزبيرى كما في السكامل المبرد ١ ص ١٨٩ وورد غير
منسوب أيضاً في سيبويه ١ ص ٣٠٧ ط يولاق وروايته فيها « يا ليت زوجك » الخ
وورد في الجامع لأحكام القرآن ١ ص ٩٥ غير منسوب أيضاً وروايته فيه « أرايت زوجك » .

وَرَأَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَبَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا
أَيَّ وَمَعْتَقَلًا رُمْحًا .

- ومن إيجاز الكتاب المميز مما جاء على الضرب الأول منه قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَفْهَشَ اللَّهُ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِتْيَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ^(١) ﴾ فإنه عز وجل أمر في أول الآية بكل معروف ، ونهى بعد ذلك عن كل منكر ، وختم الآية بأبلغ موعظة ، وذكر في فاصلتها ألطف تذكرة بألفاظ أنفق فيها ضروب من المحاسن ، مع كونها ألفاظ الحقيقة ، فنحسبها حجة التقسيم ، لأنه سبحانه أستوعب جميع أقسام أجناس المعروف والمنكر ، والطباق اللفظي ، وحسن النسق ، والتسليم ، وحسن البيان ، واكتلاف اللفظ مع المعنى ، والمساواة ١٠ وصحة المقابلة ، وتمكين الفاصلة ^(٢) ، والإيجاز . فأما استيعاب الأقسام فإنه سبحانه أمر بالعدل وهو ^(٣) معاملة المكلف نفسه وغيره بالإنصاف ، ثم أمر بعد العدل بالإحسان وهو أمر عام يدخل تحته التفصيل بعد العدل ، وقدم ذكر العدل لأنه واجب ، وتلاه بالإحسان لأنه مندوب ، ليقم نظم الكلام على أحسن ترتيب ، وخصّ ذا القربى بالذكر بعد دخوله في عموم من أمر بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذي القربى ، وفضل الثواب عليه ، ونهى [٩١] عن الفحشاء والمنكر والبغى بصيغة تعريف الجنس ، ليستغرق كل ما يجب

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) في « د » « الفافية » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) في « ت » « وهذه » ، وهو تحريف .

أن ينهى عنه ، كما أستغرق كل ما يجب أن يؤمر به . والمطابقة اللفظية في قوله تعالى : « يا أمر » و « ينهى » ، والمقابلة في قوله سبحانه « بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » ، وقابل ذلك بقوله : « الفحشاء والمنكر والبغى » ، فقابل ثلاثة بثلاثة ، والآخر بخالفة الأول . وحسن النسق في ترتيب عطف الجمل بعضها على بعض كما ينبغي ، حيث قدم العدل ، وعطف عليه الإحسان ، لكون الإحسان ما زاد على الواجب ، والعدل الواجب ، وعطف إيتاء ذى القربى على الإحسان لكون الإحسان أما عامًا ، وإيتاء ذى القربى خاصًا ، فكأنه نوع من ذلك المجلس ، ثم أتى بحملة الأمر مقدّمة ، وعطف عليها جملة النهى ، ثم رتب جمل الأمور والنهيّات بحيث لم يقدّم ما يجب تأخيرها ، ولا يتأخر ما يجب تقديمه ، فأتى حسن الترتيب مقترنا بحسن التّفنّق . وأما التسميم فلأن صدر الكلام يدل على عجزه ، كدلالة صدر البيت المسّم على عجزه . وأما حسن البيان فلأن لفظ الآية لا يتوقف في فهم معناه من سميحه ، إذ سلم من التعميد في لفظه ^(١) فقد دلّ على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق وأسهلها ، وأستوى في فهمه الذكي والبليد ، والقريب من الصناعة والبعيد . وأما الائتلاف فلأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها ، وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه لا تفضل عنها ، ولا تقصر دونها . وأما تمكين الفاصلة فلأن مقطع الآية مستقر في قراره ، معناه متعلق بما قبله إلى أول الكلام ، لأنه لا تحسن الموعظة إلا بعد التكليف ببيان الأمر والنهى ، فإن الوعد والوعيد إيجازهما مرتّب على امتهال الأمر والنهى

(١) كذا في الأصل ، وفي ا ، ب « نظمة » وفي د ، س . ت « إذ سلم من التعميد لفظه » .

ومخالفتيهما ، والتذكرة بعد الموعظة . أما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة بألفاظ الحقيقة الصريحة لا بلفظ الإشارة ، ولا الإرداف ، ولا التمثيل ، ولا ضرب من ضروب الحذف والتغيير .

ومن إيجاز الحذف ضرب تُحذف منه المفعولات ، وذلك حين يكون غرض التكلم بيان حال الفاعل فقط ، فحينئذ لا يمدى الفعل فإنّ تمديته تنقص الغرض ، ألا ترى أنك لو قلت : فلان يعطى الدنانير ؟ لما كنت إلا مبيناً جنس ما يعطيه لا مخبراً بأنه يعطى في نفسه ؛ وقد يحذف المفعول لأمر آخر غير هذا كما جاء في شعر طفيل الفنوي^(١) في بني جعفر بن كلاب [٩٢] حيث قال (الطويل) :

جَزَى الله عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَرْلَقَتْ بَنَّا نَعْلَانَا فِي الرِّاطِثِينَ فَرَلَتْ ١٠
أَبَوَا أَنْ يَمْلُكُوا وَلَوْ أَنْ أَمَّنَا تَلَايَ الَّذِي لَا قُوَّةَ^(٢) مِنَّا لَمَلَّتْ
مُ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَأَلْجَأُوا إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَاتٍ وَأُظْلَتِ
قد حذف المفعول المعين في أربعة مواضع من هذا الشعر من قوله : مللت وأرلجأوا ، وأدفات ، وأظلت ، فإن الأصل للمتنا ، وألجأونا ، وأدفاتنا ، وأظلتنا إلا أنه جعل نفسه كالمتنا حتى لم يقصد إلى مفعول ألبتة ، وكان الفعل قد أبهم أمره ، فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما يكون إذا قلت : قد مل فلان ، تريد أن تقول : دخله الملأل من غير أن يخص شيئاً بل لا تزيد على أن تحمل الملأل من صفته . ١٥

(١) ديوانه : ٨ طبع أوربا ، ونهاية الأرب ٧ : ٧٦ ، وحسن التوسل : ٣٦ ، ودلائل الإعجاز : ١١٥ .

(٢) كذا في الأصل ، دت ، س وعجالة ، ب د يلقون .

وأعلم أن لك في قوله « ملئت » فائدة ، وهي أن من حكم « ملئت » أن تكون كل أم بهذه الصفة تملّ وتسأم فيكون غوى قوله :

* ولو أن أمتنا تلاقى الذي لأقوه ملئت *

أن الذي لأقوه منا (١) من المشقة العظيمة ما تملّ معه الأمهات على ما جيلن عليه من الصبر على السكاره في مصالح الأولاد ، ففي قوله « أمتنا » دليل على أن كل الأمهات مع أولادهن كذلك ، ولو قال لملتتنا لفسد العموم الذي به تحصل المبالغة ، لأنه إذا قال : لملتتنا بعد قوله أمتنا تناول الخصوص دون العموم ، فيخلو الكلام من المبالغة المطلوبة ، ولما قال : « ملئت » أقاد العموم الذي تحصل به المبالغة ، إذ تلك المشقة التي لاقاها هؤلاء القوم منا بما يمل معها كل ولد ، وكذلك قوله : والجأوا ، وأدفأت ، وأظلت ، كل ذلك يفيد العموم ، ولو قال : الجأونا ، وأدفأتنا ، وأظلتنا لم يفد إلا الخصوص ، فنسقط المبالغة .

والضابط أن العناية متى كانت متوفرة على مجرد إثبات الفعل ، لا على أن يعلم المفعول ، فالأولى حذف المفعول ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾ (٢) معناه أغنامهم ومواشيهم ، ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ (٣) معناه غنمهما ، ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي ﴾ (٤) يعني غنمنا (فَسَقَى لَهُمَا) يعني غنمهما ، والسبب ما قلناه : من أن المقصود أنه كان في تلك الحالة من الناس سقّى ومن المرأتين ذود ، وقولها (لا نسقي) أي لا يكون منا سقّى حتى يصدر الرعاء ، وأنه كان من موسى — عليه السلام — بعد ذلك سقّى ، فأما ما كان

(١) تسكلمة عن اوب وبها يستقيم المعنى ويتضح الغرض .

(٢) سورة القصص آيتا ٢٣ و ٢٤ .

المسقى أغناما أم إبلا فخرج عن الفرض ، ومزم خلافة ، لأنه لو قيل [٩٣] ﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ غنمهما جاز أن يكون لم يفكر مطلق الذود ، وإنما أنكر ذود الغنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر ، كما أنك إذا قلت . مالك تمنع أخاك ؟ كنت منكرا المنع المخصوص ، لا من حيث هو منع ، بل من حيث هو منع الأخ .

الفرض الثانى فى حذف المفعول المميز أن يكون المقصود ذكره ، لكنك تحذفه لتوهم أنك لم تقصد ذكره ، كقول البهترى ^(١) (الخطيف) :

شَجَوُ حُسَادِهِ وَغَيَظُ عِدَائِهِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ

المعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره ، ولكنه تغافل عن ذلك لأنه أراد أن يقول : إن فضائله يكفى منها أن يقع عليها بصير ١٠ أو يمتها سمع ، حتى يعلم أنه المنفرد بالفضائل ، وأنه الشخص الذى ليس لأحد أن ينازعه فيها ، فليس لهم أشجى من عليهم بأن ها هنا مبصرا وسماعا .

الفرض الثالث أن يحذف المفعول المكونه معلوما بيئنا مثل قولهم : أصغيت إليه ، وهم يريدون أذنى . وأغضيت عليه ، وهم يقصدون جفنى ، وقد بضم المضمر بشرطة التفسير كقولهم : أكرمته وأكرمتنى عبد الله بالرفع والنصب ١٥ معا ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ أَمَدَّاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٢) ومفعول

(١) ديوانه ص ٨٤ طبع الجواثب سنة ١٣٠٠ هـ ، ونهاية الأرب ج ٧ : ٧٧ طبع دار الكتب ، وحسن التوصل ص ٢٦ .

(٢) سورة النحل آية ٩ .

المشيئة من حقه إذا كان أمراً عظيماً أو غريباً أن يذكر ولا يضم في الكلام
الأفصح ، وإن لم يكن عظيماً ولا غريباً فالحذف أولى ، مثال الأول قول
الشاعر^(١) (الطويل) :

ولوشئت أن أبكي دماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
لما كانت مشيئة الإنسان أن يبكي دماً أمراً عظيماً ، كان الأولى التصريح
به ، ومثال الثاني قولك : لوشئت خرجت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاءُ
لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا ﴾^(٢) وقد ترك الكناية إلى التصريح لما فيه من زيادة
الفضامة ، ومن النادر في ذلك قول البحترى^(٣) :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والجند والمكارم مثلاً
والمعنى : قد طلبنا مثلاً فلم نجد ، وحذف لأن هذا المدح إنما يتم في المثل ،
وأما الطلب فكالمشء الذي يذكر ليبنى عليه الغرض المطلوب ، وإذا كان كذلك ،
قال : قد طلبنا مثلاً (في السؤدد والجند) فلم نجد^(٤) لم يوقع نفى الوجود على المثل
وأوقعه على ضميره ، ومعلوم أن الكناية لا تبلغ مبلغ التصريح ، وعليه جاء قوله

(١) البيت للخرمى ، وهو اسحاق بن حسان ، وبكى أبا يعقوب ، وكان من المعجم ، وهذا
البيت من قصيدة له يرثي بها أبا الهيثم وهو عامر بن عمارة الحرمل . انظر نهاية الأرب ج ٧
ص ١٩ طبع دار الكتب المصرية وفيه « الخرمى » بالمعجمة وهو خطأ . وهو في حسن
التوسل : ٣٧ غير منسوب .

(٢) سورة الأناجيل آية ٣١ .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٠ ، وحسن التوسل : ٣٧ .

(٤) بعد هذه الكلمة في ت عبارة هذا نصها : « لكان قد ترك أن » وهي رواية
مصححة أيضاً .

تعالى : ﴿ وَيَالْحَقُّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ (٢) فإنه لو ترك الإظهار إلى الإضمار فليل وبالحق [٩٤] أنزلناه وبه نزل ، وقل هو الله أحد وهو الصمد ، لم يكن فيه من الفخامة ما فيه الآن .

- قال الشيخ الإمام القاضي عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في (دلائل الإعجاز^(٣)) : من الإيجاز حذف المبتدأ ، وأنشد عليه أبياتا كثيرة ، وحكم بحسن ذلك الحذف ، ولم يذكر السبب ، وقال خر الدين بن الخطيب^(٤) : ويشبه أن يكون السبب هو أنه بلغ في استحقاق الوصف ما جعل وصفا له إلى حيث يعلم بالضرورة أن ذلك الوصف لا يليق إلا به ، ولا يكون إلا له
- ١٠ إذ ليس في الوجود من هو كذلك سواء ، سواء كان في نفسه كذلك ، أو بحسب دعوى الشاعر على طريق المبالغة ، وإذا كان كذلك كان ذكره يبطل هذه المبالغة ، فلهذا قال الامام عبد القاهر : ما من أسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره ، وفي هذا الذي ذكره الامام عبد القاهر نظر ، وذلك أن الذي ذكره لا يأتي في كل مبتدأ ، وإنما يحسن في مبتدأ خبره وصف يقتضي المدح أو القذح وتقبل المبالغة فيه ، وتكون تلك المبالغة تفيد الموصوف معنى ، وفي المبتدآت ما هو بخلاف ذلك فإن قولنا : « زيد قائم » لا نجد في وصف زيد بالقيام خصوصية يمتاز بها زيد

(١) سورة الإسراء آية ١٠٥ .

(٢) سورة الإخلاص : ٢١٠ .

(٣) ص ١١٢ — ١١٧ طبع المنار .

(٤) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١٤٣ طبع الآداب ١٣١٧ هـ .

عن غيره : فإنّ القيام يوصف به كلُّ أحد إذا أريد به ضدّ القعود ، ولا يقبل المبالغة ، وليس هو من صفات المدح ، ولا من صفات الذمّ ، ولا هو بما يبلغ به الموصوف إلى أنه استحق الوصف به دون غيره ، وهذا كما تراه ، فإن كان القاضى رحمه الله أراد مبتدأ مخصوصا فيحتمل ، وإن كان أطلق فالأمر مشكل ، والسبب فيما ذكر من حسن حذفه غير معلوم ، والله أعلم .

وظاهر قول القاضى رحمه الله أنه أراد مبتدأ مخصوصا ، ولم يطلق لأنه قال : حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها ، فقد خصص ولم يعم ، وعلى هذا لا يُشكل الأمر فيه .

ومن باب حذف المبتدأ لغير هذه العلة قوله عز وجل : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ^(١) ﴾ أى هذه سورة ، وقوله تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ^(٢) ﴾ وهذا عكس الأول ، فإنه حذف الخبر فإن التقدير طاعة وقول معروف أمثل ، ويمكن أن تجعل هذا الحذف من باب حذف المبتدأ ، فيكون التقدير : أمثل قولنا طاعة وقول معروف ، أو غير ذلك من التقديرات المناسبة والله أعلم . والمشكل العظيم في هذا الباب قراءة من قرأ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ بْنُ اللَّهِ ^(٣) ﴾ باسقاط ^(٤) التنوين صورة ومعنى .

وقد يضمرون المبتدأ إشارة ، كما قيل في هذه الآية ، فإنه قد قيل فيها : المعنى هو عزير بن الله ، وتارة يضمرون الخبر كما قيل فيها أيضا . [١٥]

(١) سورة النور آية : ١ .

(٢) سورة القتال آية ٢١ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٤) هي قراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو (القرطبي ٨ : ١١٦) .

وقالت اليهود عزيز بن الله معبودنا ، وهذا التأويل الأخير خطأ ، فإنك قد علمت أنك إذا أخبرت عن مبتدأ موصوف بخبر فالتكذيب إنما ينصرف إلى الخبر ؛ وتبقى الصفة على أصل الثبوت ؛ وتصحيح هذه القراءة أن يقال : إن اليهود قد بلغوا في رسوخ اعتقادهم في هذا الشرك أنهم كانوا يذكرون هذا الذكر ، كما إذا حاولت أن تصف قوما بالعلو في حق صاحبهم فإنك تقول :
 ٥. إني أراهم قد اعتقدوا فيه أمرا عظيما ثابتا ، يقولون : زيد الأمير ، وهذا التأويل إنما يستقيم إذا لم يُفقد خبرا معينا ولكن تريد أنهم كانوا لا يخبرون عنه بخبر إلا كان ذكرهم أن هكذا هو .

ومن المشكلات أيضا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ ﴾^(١) ذهبوا في رفع ثلاثة إلى أنها خبر مبتدأ محذوف والمعنى ولا تقولوا : ألهتنا ثلاثة ، وهو أيضا باطل ، لانصراف التكذيب إلى الخبر فقط كما بيناه ، وإذا قلنا : ولا (تَقُولُوا^(٢)) ألهتنا ثلاثة كنا قد نفينا الثلاثة ولم ننفي الآلهة جل الله عن ذلك . والوجه أن يقال : الثلاثة صفة المبتدأ الأخير والتقدير ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ثم حذفت الخبر الذي هو « لنا » حذفك (لنا^(٣)) في قولك لا إله إلا الله ، فبقى ولا تقولوا آلهة « ثلاثة »^(٤) ولا إلهان
 ١٥. فصح الفرق .

وأعلم أن القدح في هذا التأويل إنما يصح بناء على القول بدليل الخطاب .

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) ساقطة من الأصل وهي تسكة عن ت .

(٣) ما بين القوسين ساقطة من الأصل ت ، وهي عن باقي النسخ .

(٤) كذا في الأصل ، ا ، ب ، وهي ساقطة من د ، ت ، س .

وحد الإيجاز أن يقال : هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (١) وكان الناس يضربون المثل بقولهم : « القتل أنفى للقتل » استحسانا له ، فلما جاءت الآية تركوا ذلك ، قال الإمام فخر الدين رحمه الله (٢) ، ووجه الترجيح بين الكلامين من سبعة أوجه .

الأول أن قولهم : « القتل أنفى للقتل » متناقض ، لأنه جمل حقيقة الشيء منافية لنفس ذلك الشيء ، فإن قيل : المراد أن كل واحد من أفراد هذا النوع ينفي غيره ، فهو أيضا ليس بأنفى للقتل قصاصا ، بل هو ادعى له ، وإنما يصح إذا خصص : فقال القتل قصاصا أنفى للقتل (٣) (ظلمة) (٤) وهو بذلك يصير كلاما طويلا مع أن هذه التقييدات جميعها حاصلة في الآية (مع إيجاز أوجز من التركيب المفيد عندهم) . (٥)

الوجه الثاني وهو أن القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث إنه قتل ، بل من حيث إنه قصاص ، وهذه الجهة (٦) غير معتبرة في كلامهم (بخلافها في الآية (٧)) .

(١) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(٢) ملخصا من نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١٤٥ .

(٣) هذه التكملة من ت ، ١ .

(٤) الزيادة عن ت ونهاية الإيجاز ، وبها يوضح المعنى .

(٥) تكملة ساقطة من الأصول ونهاية الإيجاز . وقد أثبتناها عن ت إذ بها يستقيم الكلام .

(٦) في نهاية الإيجاز و ، ب « الجملة » وهو تصحيف لا يستقيم معه المعنى وما أثبتناه عن جميع الأصول .

(٧) تكملة عن ت . وهي ساقطة من جميع النسخ ونهاية الإيجاز .

الوجه الثالث وهو أن حصول الحياة هو المقصود الأصلي ونفى القتل إنما [٩٦]
يراد لحصول الحياة، والتنصيب على الفرض الأصلي أولى من التنصيب
على غيره .

الوجه الرابع هو أن التكرير عيب ، وهو موجود في كلامهم دون الآية .

الوجه الخامس أن حروف « القصاص حياة » عشرة ، وحروف كلامهم
أربعة عشر حرفاً .

الوجه السادس وهو أنه ليس في قولهم : « القتل أنق للقتل » ، كلمة يجتمع فيها
حرفان متلاصقان متحرّكان إلا في موضع واحد بل كلها أسباب خفيفة
أكثرها ^(١) متوالية ، وذلك ^(٢) ينقص من سلاسة الكلمة وجريانها على اللسان
بخلاف قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ^(٣) ﴾ وهذا الوجه أيضاً
جيد ، وسبب عدم السلاسة من الكلام إذا وقع كذلك بكونه في وضع النظم
غير متعادل التركيب ، لأن الوزن المجموع الذي في كلامهم جاء بعد سبعين
خفيفين ، وجاء بعده ثلاثة أسباب خفيفة آخرها مسبغ ^(٤) لشرطهم في الوقوف على
الساكن

وهذا النظم غير متعادل للقصمة ، وإذا كان نظم الكلام كذلك كان غير سلس
عند النطق به ^(٥) بالنسبة إلى ما هو غير كذلك ، والذي يجب أن يرجح به نظم

(١) ساقطة من ا ، ب

(٢) في ا ، ب « ومن المعلوم أن ذلك مما ينقص النخ » وبها يتضح المعنى أيضاً .

(٣) من هنا إلى الوجه السابع ساقط من ا .

(٤) مسبغ من التسبيغ وهو عند أهل العروض زيادة حرف ساكن على آخر فاعلان
من الواضع في ضرب مجزوء الرمل فيصير فاعلان كقول الشاعر .

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
(محيط المحيط مادة سبغ) .

(٥) ساقطة من ت .

القرآن على نظمهم ما جاء في تلك اللفظتين من البديع الذى لم يأت في نظمهم على طوله بالنسبة ، فإنهما جاء فيهما المجاز ، والإدماج ، والإيضاح ، وحسن البيان والإرداف ، والطباق ، وأما الإرداف فإن الأصل أن يقال : موت القصاص حياة ، فتجاوزت الحقيقة بحذف المضاف ، فجاء الإرداف مدججا في المجاز لأنه عبر عن المعنى بغير لفظه الموضوع له ، وأما الطباق ففي اللفظتين ، فإن الحقيقة فيهما الموت المخصوص حياة مخصوصة . وهذا طباق معنوي ، فهذه ستة أضرب من البديع في لفظتين عدة حروفها عشرة ، والايضاح فيهما فهو إيضاح ماعلى نظم العرب .

الوجه السابع وهو أن الدافع لضرر^(١) القتل عن الإنسان كراهيته لذلك ، وصارفه القوى عنه ، حتى إنه ربما يعلم أنه لو قتل قتل ، ثم لا يرتدع إما طمعا في الثواب أو رغبة في الذكر الجميل ، وإذا كان كذلك (فليس القتل بأننى للقتل ، بل أننى الأسباب له^(٢)) هو الصارف القوى ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ هو الصارف ، ولذلك لم يجعل القصاص مقتضيا للحياة على الإطلاق ، بل جعل الحياة منكرا .

والسبب فيه أن شريعة القصاص تكون زادة للاندفاع على القتل غالبا لا دائما . وأعلم أن في هذا التنكير فائدة أخرى لطيفة ، وهى أن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل ، فسلم صاحبه ، فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص ، وصار

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ب والذى في نهاية الإيجاز (لصدور)

(٢) كذا وردت هذه العبارة التى بين قوسين في الأصل وعبارة د ، ا ، ب فليس القتل بأننى الأسباب للقتل . بل أننى الأسباب له النخ وعبارة «ت» ونهاية الإيجاز فليس أننى الأشياء للقتل هو القتل بل أننى لذلك هو الصارف « والبارات الثلاثة بها يستقيم المعنى ويتضح الغرض مع تباين في ألفاظها .

كانه حتى في باقي عمره ، ولذلك وجب التنكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها ، وليس الأمر كذلك .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ^(١) ﴾

- وفائدة التنكير أن المريض لا بد وأن يكون حياً ، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة ^(٢) ، فإنهما حاصلتان ، بل على الحياة المستقبلية ، ولما لم يكن الحرص متملّقا بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الأحوال ، وجب التنكير .

واعلم أن في تنكير حياة فائدة أخرى ، وهي أن القاتل ^(٣) لا يردع

- ١٠ بالقصاص حتى لا يكون داعيا إلى القتل ، لكن من الجائز ألا يكون للإنسان عدو فيقصد قتله حتى ينفعه خوف القصاص ، (وحينئذ لا تكون حياة ذلك الإنسان لأجل الخوف من القصاص ^(٤)) ، ولما دخل الخصوص في هذه القضية وجب أن يقال حياة ، ولا يقال الحياة ، كما قال سبحانه : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ^(٥) ﴾ ، ولم يقل فيه الشفاء للناس حين لم يكن شفاء لجميع الناس ، والله أعلم .
- ١١ وفي هذه الوجوه السبعة مقال ، إذ لا يسلم منها إلا الأول ، وذلك أن قوله في

(١) سورة البقرة آية ٩٦ .

(٢) في ١ ، ب « الزاهية » وهو تصحيف . وما أثبتناه عن الأصل ، د ، س ، ت ، ونهاية الإيجاز .

(٣) كذا في الأصل ، د ، س ؛ ت والذى في ١ ، ب ونهاية الإيجاز « الرجل » وما أثبتناه أعم وأدق .

(٤) هذه التكملة ساقطة من الأصل ، د ، ١ ، ب ، س . وقد أثبتناها عن ت « ونهاية

الإيجاز » إذ بها يستقيم الكلام .

(٥) سورة النحل آية ٦٩ ،

الوجه الأول : إن قولهم : القتل أنفى للقتل متناقض لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفس ذلك الشيء ، وهذا لا يصح إلا إذا كان القتل الأول هو^(١) الثاني بعينه ، وليس الأمر كذلك لأنهم أرادوا بالقتل الأول القصاص ، وبالثاني المدوان ، فكانهم قالوا : القتل قصاصا ينفي القتل عدوانا ، وحذفوا هذه الفضلات اختصارا لدلالة القرينة التي يقرن بها هذا القول عليه ، والحذف ليس بمستنكر في اللسان ، وقد جاء في الكلام الفصيح بل في الأنصح كالقرآن ، وقوله لا ينم هذا المعنى إلا بقولهم : القتل قصاصا (أنفى للقتل عدوانا^(٢)) وإذا قالوا ذلك صار في الكلام طول ، فإنهم لا يحتاجون إلى ذكر ذلك ليطول الكلام ، بل قرينة الحال تنفي عنه ، والله أعلم .

١٠ والقول في الوجه الثاني من هذا النمط ، فإنه قال فيه : إن القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث إنه قتل ، بل من حيث إنه قصاص ، وزعم أن هذه الجهة غير معتبرة في كلامهم ، وهي معتبرة لدلالة الحال عليها ، واستغنائهم بالقرينة عن التصريح بذكرها .

والوجه الثالث قوله : إن حصول الحياة هو المقصود الأصلي ، ونفي القتل إنما يراد بحصول الحياة ، والتنصيص على الفرض الأصلي أولى من التنصيص على غيره ، وهذا كله بناء على جملة لفظي القتل على ظاهرهما ، ونحن نعلم أن العرب لم تقل ذلك وهي تريد مطلق القتل ، فإنها علمها بأن القرائن إذا حُفقت بالألفاظ المحتملة جردتها لما تدلّ عليه ، وإذا كان كذلك فقد وقع التنصيص على

(١) في ت بعد هذه الكلمة كلمة « القتل » .

(٢) ما بين القوسين ساقط من أ ، ب .

- الفرض الأصلي يباطن النص لابطاها ، وهذا أمر غير مستكر في اللغة .
- الوجه الرابع قوله : إن التكرير عيب ، وهذا أيضا بناء على أن لفظة القتل الأول هي الثاني ^(١) بعينه ، وقد فرغنا من رد ذلك ، وبيننا أنها ليست بعينها وأن مادلت عليه القرينة من المحذوف من الكلام المقدّر فيه أصارت كلا من اللفظتين غير الأخرى ، فكيف ينكر ذلك ؟ والأسماء المشتركة كلها بهذه المثابة ، فإن النية والقرينة تجعل الأشياء المتحدة في اللفظ أغيارا لاختلاف معانيها .
- والوجه الخامس لعمري هو جيد لامقال فيه ، وهو قوله : إن حروف «القصص» حياة عشرة وحروف كلامهم أربعة عشر حرفا ، وهذا أمر معتبر في الإيجاز .
- والوجه السادس وهو قوله : إنه ليس في قولهم : ﴿ الْقَتْلُ أَتَى لِلْقَتْلِ ﴾ كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحرّكان إلا في موضع واحد ، بل كلها ^(٢)
- ١٠ إلا ذلك الموضع أسباب خفيفة أكثرها متوالية ، وذلك بنقص من سلاسة الكلمة ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ، الإشكال من جهة أنه لا يدل على المعنى المراد بظاهره ، وإنما يدل عليه بالتأويل ، ونظم القرآن يدل على المعنى المراد بظاهره ، وحسن البيان من حيث أن السامع يفهم منه المعنى المراد من غير مراجعته بخلاف الأول ، والله أعلم .
- ١١ ومن معجز هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب « وهي الثانية بعينها » وهي أنسب بالسياق كما لا يخفى .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت وهو الصواب . والذي في ا ، ب « بل إلا في ذلك » ولا يخفى ما فيها من اضطراب مغل بالمعنى .

فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَالْتَمِئْ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ^(١)، فإنه عز وجل أتى في هذه الآية السكريمة بأمرين ونهيين وخبرين متضمنين بشارتين في أسهل نظم، وأساس لفظ، وأوجز عبارة، ولم يخرج الكلام عن حقيقته .

واعلم أن الإيجاز على ضربين : ضرب طويل، وضرب قصير .

والطويل طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام ، كما جاءت

قصص الأنبياء - عليهم السلام - ، وأحسن ما جاء منها قصة يوسف - عليه

السلام - ، فإنها جاءت على الطريقتين في سورة واحدة ، وإن كان غيرها من

القصص قد جاء كذلك ، لكن في غير باب الإيجاز ، لأن غيرها من القصص

لم يأت على الطريقتين في سورة واحدة ، وقصة يوسف جاءت على الطريقتين

في سورة واحدة ، فأتت بعبارة بسيطة من قوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

أَحْسَنَ الْقَصَصِ ^(٢) ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَخَرَّوْا لَهُ سُجْدًا ^(٣) ﴾ وجاءت على

الطريق المختصرة في قوله تعالى على لسان يوسف - عليه السلام - : ﴿ يَا أَبَتِ

هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي

مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ

إِخْوَتِي ﴾ ، وأنه سبحانه أختصر جميع القصة التي سبقت في سورة كاملة في

آية واحدة حيث ذكر الأسباب التي تسببت عنها جملة القصة ، فإب قوله

﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ حتى ﴿ وَخَرَّوْا لَهُ سُجْدًا ﴾ مقتصر على

(١) سورة القصص آية ٧ .

(٢) سورة يوسف آيات ٣ و ١٠٠ .

ذكر الرؤيا التي كانت سبب حسد إخوته له ، وفعلهم به ما فعلوا ، وفيه إشارة إلى القصة من حين أخذته إخوته من أبيهم إلى قبيل دخوله السجن ، وقوله : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ) ، ومقتصر ؟ على ذكر السجن الذي ^(١) كان السبب في ملكه مصر ، إذ كان سببا في تعبيره رؤيا المسجونين معه ، وكان هذا التعبير سببا في تعبيره رؤيا الملك ، وتعبيره رؤيا الملك سببا للملك ، وملكه سببا في اجتماعه بأخيه شقيقه ^(٢) وبقية إخوته وأبويه ، فذكر سبحانه القصة أولا على طريق البسط مفصلة لمن لم يشارك في طريق علمها ، وذكره عز وجل لها أخيرا مختصرة ^(٣) لمن شارك في طريق علمها ، وقدم ذكرها مبسطة على كونها مختصرة ليعلمها مفصلة من لم يكن يعلمها ، حتى إذا جاءت جملة علم الإشارات فيها ، وهذا أحسن ما جاء من هذا الباب ، ١٠ وجاء غيرها من القصص على الطريقتين أيضا ، لكن ما جاء منها على طريق الإيجاز لا يتضمن الأسباب المذبة على القصة المبسطة .

(١) في الأصل « إلى » وهو تحريف من الناسخ ؟ وما أثبتناه عن باقي النسخ .

(٢) في الأصل ، ت ، س « وشقيقه » والواو زيادة من الناسخ . وما أثبتناه عن أ ، ب وهو الصواب .

(٣) كذا في أ ، ب وقد وردت هذه العبارة في بقية النسخ ، مضطربة لا يستقيم بها الكلام .

باب سلامة الاختراع من الاتباع*

وهو أن مخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ^(١) ﴾

فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي تضمن الإفراط في المبالغة مع كونها جارية على الحق ، خارجة مخرج الصدق ، وذلك حين أقصر سبحانه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلبا لما تسلبه ، ومعجز كل من دونه سبحانه كائنا من كان عن خلق مثله مع التضافر ^(٢) والاجتماع ثم نزل في التمثيل عن رتبة الخلق ، إذ هما مما يعجز عن مثلهما كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النزر النصف الذي يسلبه هذا الخلق الضعيف على ضعفه ، ويعجز كل قادر من المخلوقين عن استنقاذه منه ، فتنتقل في النزول في التمثيل على ما تقتضيه البلاغة على الترتيب في هذا المكان لما علم سبحانه أنه لا مبالغة في تعجيزهم عن الخلق ، والاختراع الذي لا يدعيه ، جبار ولا يتعاطاه من المخلوقين أحد ، وإن أوتي قدرة وأعطي قوة ،

* هذا النوع وما بعده تغلب عليهما صفة النقد أكثر من صفة البديع ، وهذه الأنواع تكلم عنها ابن منقذ في بديعه تحت اسم السرقات المحمودة والذمومة وهن الجزل إلى الجزل : من ٦٨ والردل إلى الجزل : ٩٧ وباب مساواة الآخذ من المأخوذ منه : ١٠٢ وفضل السابق على المسبوق : ١٠٧ وغير ذلك مما لو تأمله باحث لعرف صحة ما قلناه (خزانة ابن حجة : ٤٠٤ : بلوغ الأرب ١٩٢ ، حسن التوسل : ٨٢ ، نهاية الأرب ٧ . ١٦٤ .

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

(٢) التضافر ، من قولهم : تضافروا على الأمر ، أي تظاهروا واجتمعوا عليه .

- وكان فيه من التعالى في الكفر والجهل ما يدعى معه الإلهية ويستحل الربوبية ،
 فنزل بهم إلى استنقاذ ما يسلبه هذا المخلوق الضعيف على ضعفه وقوتهم ليُرِيَهُمْ
 عجزهم فتستيقنه نفوسهم ، وإن لم تقر به ألسنتهم ، فجاء بما يقضي الظاهر أنه
 أيسر من الخلق وهو الحقيقة مثله في العمر ، فإن الظفر بنفس هذا المخلوق
 أيسر من الظفر بما يسلبه ، فاستنقاذ ما يسلبه في المعجز عنه مثل خلقه ،
 ولم يسمع مثل هذا التمثيل في باب لأحد قبل نزول القرآن العزيز ، ولم يتناوله
 متناول كما فعل في كثير من معاني الكتاب الكريم ، وهذا مثال يحذو
 عليه من تتبع ما في الكتاب العزيز من ذلك .

• • •

باب حسن الاتباع*

- ١٠ وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى أخرجه^(١) غيره فيحسن أتباعه فيه بحيث
 يستحقه وبحكم له به دون الأول ، وهذا الباب مما يخص كلام المخلوقين ،
 وما أخذ بعضهم من بعض ، ولا مدخل لشيء من القرآن العزيز فيه ،
 فإن القرآن متبع لا متبع ، إلا أني عثرت على موضع لطيف يسوغ دخول
 هذا الباب من أبواب بديعه والتخلص إلى هذا الموضع ، مفتقراً إلى تقديم آيات
 للشعراء اتبع بعضهم فيها بعضاً ، وذكرها خارج عن شرط هذا الكتاب إلا أن ذكرها
 يدعو إلى ذكر ما يذكر في هذا الباب من القرآن ، فيسهل ذلك صعوبة هذا القدر ،

* ينظر في النوع السابق ، بحثه في خزنة ابن حجة : ٤٠٩ ، حسن التوسل : ٢٨٣ ،
 بلوغ الأرب : ٢٤٤ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٦٥ .

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب « أخبر عنه » والرواية الأولى
 أجود وأخصر وإن كانتا بمعنى واحد .

ومنها اتباع أبي تمام غيره (أى عنقرة^(١)) في قوله واصفًا فرسه
(الكامل).

فأزور من وقع القنأ بلبانه وشكا إلى بعثرة ونححم^(٢)
فقال : (البيسط)

لو يعلم الرُّكن من قد جاء يلبسه نظر يلبس منه موطني القدم
وأُتبع البحري^(٣) أبا تمام في ذلك فقال : (الكامل)

لوان مُشتاقًا تكلف فوق ما في وسعه أسمى إليك المنبر
وأُتبع المتنبي البحري^(٤) في ذلك فقال : (الكامل)

لو تَمَلَّ الشجرُ التي قابَلها مدت بحيةً إليك الأغصنا [١٠١]

وكل هذا من قول الفرزدق في زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي
طالب رضى الله عنهم أجمعين في كلمته التي أولها : (البيسط)

* هذا الذي نعرف البطحاء وطاته *

بكاد يُمسكه عرفان راحته رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم^(٥)

(١) نكلمة عن ت وفيها زيادة إيضاح والبيت في منتهى الطلب ١ ص ١٠٦ من
نسخة مخطوطة ومخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ ش.

(٢) شرح المعلقات للتبريزي : ١٠٥ طبع أوروبا .

(٣) ديوانه ١١٠١ .

(٤) شرح الكبرى ٢ : ٤١٢ .

(٥) الأغاني ١٩ : ٤٠ واستلم الركن : قبله . وفي أمانى المرتضى

١ : ٤٨ للفرزدق يقولها في هشام بن عبد الملك، وزهر الآداب ١ : ٦٠، وفي ديوان الحاسة

٢ : ٢٨٤ لحزبن السكتاني في عبد الله بن مروان، أو للفرزدق في علي بن الحسين كما في الصمدية

١ : ١٠، أو لسكثير بن كثير السهمي في محمد بن علي بن الحسن : المؤلف : ١٦٩، وهذا مثل

لاختلاف الرواة في نسبة الشعر وقد سكت الجاحظ =

فإن هذه المعاني أتبع فيها المخترع الأول الإسلامى وهو فى غلبة ظنى
 الفرزدق قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِإِجْهَمَ هَلِ امْتَلَأْتَ وَتَقُولُ هَلْ
 مِنْ مَزِيدٍ ^(١) ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا
 لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ^(٢) ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ^(٣) ﴾ ،
 وقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ^(٤) ﴾ ، والجامع بين هذه
 الآيات وبين الآيات إسناد أفعال من يعقل إلى مالا يعقل .

* * *

باب حسن البيان*

حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة ، وإما بهما مؤتلفة ،
 ودلالة الأول متناهية ، ودلالة الثانى غير متناهية ، فإن قائلًا لو قال : قد
 انتهى تأليف الشعر بحيث لا يمكن أن يؤتى بقصيدة إلا وقد قيلت من قبل كان
 قوله محالا ، إلا أن يريد الوزن والقافية ^(٥) لا غير ، وأما جملة القصيدة ومجموع
 صورتها فلا ، لأن دلالة التأليف غير متناهية ، كما أن الأعداد الممكنة ليست
 لها نهاية ، غير أن البيان فيه الأقبح والأحسن ، والوسائط بين هذين الطرفين ،

== عن النسبة فى الحيوان ٢ من ٣٢ والبيان ١ . ٣٣٥ ، ٣ : ٢٢ وكذا ابن قتيبة فى
 عيون الأخبار ١ : ٢٩٤ و ٢ : ١٩٦ .

(١) سورة فى آية ٣٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ١٢ .

(٣) سورة الملك آية ٨ .

(٤) الكهف آية ٧٧ .

* لا يخرج هذا النوع عن الإيضاح ، وقد تكلم عنه من سبقه من العلماء

(٥) كذا فى لأصل ، د ، س ، ت ، والذى فى ب (التقفية) وهما بمعنى واحد .

فالأقبح كيان بأقل^(١) وقد سئل عن نمن ظبي كان معه ، فأراد أن يقول :
أحد عشر ، فأدركه العبي ففرق أصابع يديه وأدلى لسانه ، فأفلت الظبي ،
وهذا أقبح بيان ، مع أنه قد بالغ في الإفهام لسكونه أخرج تعريف العدد من
السمع إلى العيان ، لكنه بيان ناقص لتخصيص البصر دون السمع ، وصناعة
البيان يجب أن يكون المستحسن منها يخص السمع فإنها مختصة بالكلام ،
والعبارة دون الإشارة .

ومن هاهنا يعلم أنه ليس كل إيجاز بلاغة ولا كل إطالة عيب ، فإنه
لا إيجاز في الإفهام أوجز من بيان بأقل ، فإن المخاطب فهم عنه
بمجرد نظرة واحدة ما أراد ، وهو مع ذلك مضروب به التل في العي ،
والأحسن أن تقول أحد عشر ، والوسائط أن تقول ، ستة وخمسة ، أو عشرة
وواحد ، أو سبعة وأربعة ، والأقبح أن تقول : خمسة وخمسة وواحد ، وما أشبه
ذلك ، والوسائط تعلو وتسفل على مقدار إطالة الألفاظ وقصرها ، والقرب من
البلاغة ، والبعد عنها بالنسب والإضافات ، وبيان الكتاب العزيز ، وكل بيان بليغ
فصيح من الأحسن دون الأقبح ، ودون الوسائط البعيدة من البلاغة والقريبة . وكل
طبقة من هذه الطبقات الثلاث تنقسم أيضا ثلاثة أقسام : أحسن ، وأقبح ، وأوسط بالنسبة .

وحقيقة حسن البيان إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم
المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، فإنه عين البلاغة ، وقد تأتى العبارة عنه من
طريق الإيجاز ، وقد تأتى من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال :

(١) رجل من إباد ، وقال أبو عبيدة : بأقل : رجل من ربيعة : بجمع الأمثال :

والإطناب بلاغة ، والإسهاب عي على ما يحكم به لهما الاشتقاق ، ونحن قد شرطنا في هذا الكتاب اختصار الاشتقاق وما يجري مجراه ، وهو مستوعب في الكتاب الأصلي الذي هو (تحرير التحرير)

- وقد أتى بيان الكتاب العزيز من الطريقتين ، ومن ذلك قوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾^(١) وكقوله سبحانه وقد أراد أن يبين عن الوعد ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾^(٢) ، الآية وكقوله عز وجل وقد أراد أن يبين عن الوعيد ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) ، وكقوله في الاحتجاج القاطع للخصم : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾^(٤) ، وكقوله تبارك وتعالى وقد أراد أن يبين عن تفرغ الكفار : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾^(٥) ، وكقوله سبحانه وقد أراد أن يبين عن التحسير : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ يَوْمَئِذٍ الظُّلُمَاتُ أَنْ كُنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾^(٦) وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٧) ، وأمثال هذه المواضع كثيرة لمن يتتبعها .

والفرق بين حسن البيان ، والإيضاح من وجهين : أحدهما أن الإيضاح

(١) سورة الدخان آيات ٢٥ - ٢٧ ، ٥١ ، ٤٠ .

(٢) سورة يس آيتا ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) سورة الزخرف آية ٥ ، ٣٩ :

(٤) سورة الأمام آية ٢٨ .

لا يرد إلا على ما فيه إشكال من الكلام فيوضحه ولا كذلك حسن البيان، والثاني أن الإيضاح يكون بالعبارة الفاضلة والعبارة النازلة، وحسن البيان لا يكون إلا بالعبارة الفاضلة.

وحسن^(١) البيان منه المتصل ومنه المنفصل ، فالمتصل منه الكلام الذي يأتي حسن بياؤه في نفس نظمه ، وفهم من تأليفه ، والمنفصل : الكلام الذي لا تحصل إلا بانه عن معناه إلا من خارج ، وما تقدم من الآيات كلها شواهد لقسم المتصل إلا قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ الآية فإنه سبحانه صرح بذكر المثل ، وليس في الكلام كله ولا قبله ولا بعده ، ما خرج مخرج المثل ، ولا ما يصلح أن يكون مثلاً ، وهو أن أمية^(٢) بن خلف أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعظم نخري في يده وقال : يا محمد أنت أن تزعم ربك يحیی هذا بعد أن صار إلى هذه الحال ؛ فزلت .

* * *

(١) من هنا إلى آخر الباب ساقط من أ ، ب

(٢) كذا في جميع الأصول ، وفي الكشف للزمخشري ٢ : ٢٢٩ ط بولاق ، والجسام لإحكام القرآن للقرطبي ١٥ : ٨٠ ط دار الكتب المصرية « أبي » وفي تفسير أبي حيان ٧ : ٣٤٧ — ٣٤٨ يقول وقاتل ذلك العاصي بن وائل ، أو أمية بن خلف ، أو أبي بن خلف . أقوال () ثم يقول : (والقول إنه أمية) ثم يقول (ويحتمل أن كلا منهم وقع ذلك منه) .

باب التوليد*

التوليد على ضربين : من الألفاظ ، ومن المعاني ، فالذي من الألفاظ على ضربين أيضاً : توليد التكلم من لفظه ولفظ غيره صورة من الكلام ، وتوليد صورة من موضعين من لفظ نفسه .

- والأول هو أن يزوج لفظة من لفظه للفظه من لفظ غيره، فيتولد بينهما كلام مناقضٌ غرض صاحب اللفظة الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة ، ومثاله ما حكى عن مصعب بن الزبير أنه كان قد وسم خيله بلفظة «عُدَّةٌ»، وهو يريد عُدَّة الحرب ، فلما قُتِل وصارت خيله عند الحجاج ورأى ذلك الوسم أمر أن يوسم إلى جانب عُدَّة بلفظة «الفرار» فتولد بين اللفظين غير ما أراد مصعب ، وأقلب المدحُ قَدْحاً ، وقد أضرَبْتُ عن ذكر الضرب الثاني من توليد المعاني ١٠ من الألفاظ المفردة وتوليد المعاني من القسم الثاني من الجمل المؤتلفة لأن ذلك كله لا يليق بكتابنا فإن مثل ذلك لا يأتي في الكتاب العزيز ، وإنما يدخل في كتابنا توليد البديع من البديع ، فإن التكلم يزوج ضرباً من البديع لضرب آخر فيه ، فيتولد بينهما ضرب ثالث غيرهما ، أو توليد الفنون من

(*) بحته ابن منقذ تحت اسم التلطيف والتوليد : ١٣٣ ، خزائن بن حجة : ٣٥ ، وهذا النوع بالنقد أول وأقرب ، وقد تكلم عنه من تقدم المؤلف مرة تحت اسم التضمين والاقتراب ومرة تحت اسم نقل الجزل إلى الجزل كما قل ابن منقذ في بديعه : ٩٨ . أو تحت اسم النقل كما في ١٠٨ .

البدیع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ ^(١) رَبِّ اخْكُم بِالْحَقِّ ﴾ فإن هذه اللفظات بتوجه على ظاهرها إشكال ، وهو أن يقال :

ما الحكمة في كونه سبحانه وتعالى أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يسأله الحكم بالحق وهو - عز وجل - يعلم أن نبيه - صلى الله عليه وسلم - متيقن أنه سبحانه لا يحكم إلا بالحق ، فلو اقتصر على قوله رب أحكم فقط كان ذلك كافياً إذ هو تعالى لا يحكم إلا بالحق ، فلم عدل عن الأوجز الموفق بالمعنى المراد مع سلامة الظاهر من الإشكال إلى الأطول الموجب للإشكال ؟ ، والجواب أن الأنبياء عليهم السلام لا يدعون على من خالفهم حتى يؤذن لهم في ذلك ، لأنهم بُعثوا مؤلفين لا منفريين ، وهم لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به ، فإذا أعلمهم بمن لا يمكن إيمانه من قومهم ساء لهم الدعاء على ذلك ، ألا ترى أن نوحا - عليه السلام - لم يتجاسر أن يقول : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ^(٢) ﴾ ، إلا بعد قوله تعالى له : ﴿ إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ^(٣) ﴾ ، ولذلك أحترس في الدعاء بقوله : على الأرض فإن من آمن معه كان في السفينة ، ولم يبق على الأرض إلا من حق عليه العذاب ، ولما علم سبحانه أن هؤلاء الذين عاندوا نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - لا يرجو فلاحهم ، أمره بالدعاء عليهم إلا أنه علمه كيف يدعو عليهم دعاء غير منفر لغيرهم ، فأراد سبحانه - وهو أعلم - أن يقول : قل رب أهلك

(١) كذا في جميع الأصول . وهي قراءة ورش عن نافع على الأمر . ومعلوم أن قراءة حفص « قال » على الخبر ١ هـ ملخصا من النشر في القراءات العشر ٢ ص ٣١٢ طبع دمشق سنة ١٣٤٥ هـ .

(٢) سورة نوح آية ٢٦ .

(٣) سورة هود آية ٣٦ .

الظالمين ، فعدل عن هذا اللفظ الخاص لما فيه من التنفير إلى لفظ الإرداف فقال : ﴿ قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ﴾ فإنه سبحانه إذا حكم بالحق وهو العدل عاقب من يستحق العذاب ؛ وأما قول مورد الإشكال : لم عدل عن الأوجز إلى الأطول ؟ ولو قال : رب احكم لكان كافياً ، وليس الأمر كما زعم ، لأن للحاكم المختار الذي لا شريك له أن يحكم بالفضل فينزل عن حق نفسه ، وله أن يحكم بالعدل فيستوفى حقه وحق غيره ، وطلب مطلق الحكم لا يوفى بذلك ، فلهذا عدل عن الأوجز إلى الأطول ليوفى بالمعنى المراد .

- فقد تنخل عن هذا الجواب أربعة عشر ضرباً من البديع اتفقت في هذه اللفظات الثلاث ، وهي الإرداف القدي قد منا ذكره ، والإيضاح ، لأن إيضاح الإشكال الوارد على ظاهر الكلام جاء مدججاً في الإرداف ، والتتيم إذ لو وقع الاختصار على قوله : « رب احكم » لكان المعنى المراد ناقصاً ، لأن مطلق الحكم لا يوفى بالمقصود كما بينا . والمقارنة ، لأن الإدماج والإيضاح اقترنا في التتيم ، والأفتنان لجمع هذه اللفظات الثلاث بين فئتين من الفنون التي يقصدها المتكلمون وهما فننا الأدب ففي تعليم الحق سبحانه وتعالى نبيه — صلى الله عليه وسلم — كيف يدعو على من خالفه دعاء غير منفر عنه ، وأما فن الهجاء فلأن عدل الله سبحانه يأتى أن يأمر نبيه بالدعاء إلا على من علم تصميمه على العصيان ، وبراءته من الإيمان ، ومن كان كذلك كان مستحقاً للذم ، فأدمج سبحانه في أمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، بالدعاء عليهم ، هجاءهم بمقتضى ما تضمنه الكلام من استحقاق الملام . وبالإيجاز في العبارة عن المعنى المراد بأقل [١٠٥]

(م — ١٤ بديع القرآن ب)

ما يمكن من الحروف ، فإنه عبر عما أراد سبحانه من أمر رسوله بالدعاء على من كفر دعاء بلغ فيه النهاية ، مع ما فيه من تعليم الأدب ، وما تضمنه من هجاء المدعو عليه في ثلاث لَفَظَات عدّة خروفا تسعة أحرف على اللفظ لا الخط^(١) ، وهذا غاية الإيجاز ، وحروف هذه اللفظات التي تركبت منها سهلة الخارج ، تركبت الكلم منها تركيباً سليماً من سوء الجوار ، فجاء النطق بها سهلاً ، لتيسير^(٢) جرّانها على اللسان وسلامتها في النطق والأُتْلَاف ، لأنّ كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها ، ولا يجوز تقديم المتأخر منها ولا تأخير المتقدم ، فإنك لو قلت : «يا الله أقض بالعدل» أو «اللهم أقض بالعدل»^(٣) ، أو «رب أقض بالحق» ، أو «أحكم رب بالحق» ، أو «رب بالحق أحكم» ، أو «أحكم رب بالحق» ، أو «أحكم بالحق رب» ، وجدت نظم القرآن أصحّ وأبين ، وأسهل وأحسن .

والتهديب في كون تركيب الجملة وضع على أصح ترتيب ، وأسهل تهذيب إذ تقدّم فيها ذكر المدعو وثني بالطلب ، وثُلّت بالمطلوب . وحسن البيان ، فلأنّ القارئ يسابق إلى فهم معنى الكلام من غير توقف بمجرد سماعه أوله وهلة لعدم التعميد في النظم وخلوّه من أسباب اللبس من التقديم والتأخير وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك . والتمزيج ، فلا مزاج الفنون بمعاني البديع ، فإنّ فنّي الأدب والهجاء أمزجاً بمعنى الإرداف والتسيم ، ولم يظهر

(١) في الأصل : «إلا» وهو تحريف من الناسخ يفسد به المعنى .

(٢) في د ، س ، «التيسير» .

(٣) كذا في أ ، ب وهو الصواب والقى في الأصل ، د ، س ، «ق» وهو خطأ أيضاً .

في اللفظ لكل معنيين سوى صورة واحدة ، فظهر فن^(١) الأدب ، وأدمج
فيه فن الهجاء ، وظهر الإرداف ، وأدمج فيه التتميم . والإبداع
التضمن كل لفظة من الجملة الضرب والضربين فصاعدا من البديع ،
والتتميل ، فلأن قوة البلاغة ورونق الفصاحة أخرجت هذه اللفظات
مخرج المثل السائر الذي يصلح لأن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته .
• والتوليد لأن الإرداف لما زوج بالتتميم تولد بينهما الإيضاح ، وتولد من
الإيضاح ، والإرداف ، الإدماج ، ولما ظهرت فائدة الإتيان بالجاء والمجرور ،
وثبت التتميم ، وظهرت العلة في المدول عن لفظ الدعاء الخاص إلى لفظ
الإرداف ، وثبت فن الأدب تسوقا من ذلك ، ومن فن الأدب فن
الهجاء ، ولما ثبت الأتلاف والتهذيب وما وقع في النظم من حسن
الترتيب ، تولد من ذلك المثل السائر ، ولذلك غلب التوليد [١٠٦]
على جميع ما فيها من الضروب ، وأثبتت في بابها دون أبوابها ؛
والله أعلم .

(١) عبارة الأصل « تظهر في الأدب وأدمج فيه فن الهجاء » وهو تحريف ، وما أئتمناه
عن باقي النسخ .

باب التنكيت*

وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذکر دون غيره مما يسدّ مسدّه ،
لأجل نُكْتَةٍ في المذكور ترجّح بحجته على سواه ، ومن ذلك في القرآن
العزيز قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّمْسِ ﴾ ^(١) ، فإنه عزّ وجلّ خصّ
الشَّمْسَ بالذكر دون غيرها من النجوم ، وهو ربّ كلّ شيء ، لأنّ
العرب كان قد ظهر فيهم رجلٌ يُعرَفُ بابن أبي كبشة عَبْدَ الشَّمْسِ ودَعَا
خَلْقًا إلى عبادتها ، فَأَنزَلَ اللَّهُ عزّ وجلّ - (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّمْسِ) التي
ادّعت فيها الربوبية دون سائر النجوم ، وكقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَسٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ^(٢) ، فإنه سبحانه خصّ
تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم ، لأنّه انحصرت في
المعلوم بعد علمه واستنباط الأحكام منه ، والمراد الذي يقتضيه معنى
الكلام التفقه في معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد وكلّ
ما يدخل تحت لفظة شيء مما لا يعقل ولا ينطق ، إذ تسبيح ذلك بمجرد وجوده
الخالق على قدرة موجدِهِ وحكمته ؛

ومن أمثلة التنكيت قوله تعالى : ﴿ نَلَّكَ ^(٣) حَدُودُ اللَّهِ وَمَنْ

(*) بحجته في بدیع ابن منقذ « ٢٩٠ » ، خزائن ابن حجة « ٣٧٠ » .

(١) سورة النجم آية ٤٩ .

(٢) سورة الإسراء آية ٤٤ .

(٣) من هنا ساقط من أ ، ب وما أبتناه عن باقي النسخ . وهما آيتا ١٣ ، ١٤ من

سورة النساء .

- يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ فالنكته التي من أجلها جاءت الجنّات بلفظ الجمع ، والخالد فيها بلفظ الجمع ، ولفظ النار بلفظ الواحدة والخالد فيها بلفظ الواحدة أن أهل الطاعة فيها ، وفوا بالطاعات ، ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾^(١) ، لكلّ أهل الطاعة وإن تعددت طاعاتهم ، وتفاوتت درجاتهم ، فكلمهم خالدون ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾^(٢) ، وإن تعددت المساكن ، فلهذا أتى لفظ مساكن أهل الطاعة مجموعاً ، وأنت هيئتهم بالخلود مجموعة أيضاً ، ولما كان المخلدون في النار فرقة واحدة كان مسكنهم واحداً ، فأقتضت البلاغة محيى مسكنهم بلفظ الواحدة ، وصفه^(٣) خلودهم بلفظ الواحدة ، كما اقتضت صفة [١٧٠] أهل الطاعة ، لفظ الجمع ، ومساكنهم كذلك ، وإنما قلت : إن مسكن أهل الخلود في النار واحد لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾^(٥) ، والمنافقون كفار^(٥) في الحقيقة ، لأن ما أظهرها من الإيمان غير معتد

(١) الزخرف آية ٣٢ .

(٢) سورة الحجر آية ٤٨ .

(٣) كذا في الأصل . والذي في د ، س « وهيئة » وكلاماً بمعنى واحد

(٤) سورة النساء آية ١٤٠ ، ١٤١ .

(٥) مكان هذه الكلمة بياض في « ت » .

به ، لخالفته ما يبطنون ، فإنما الأعمال بالنيات ، وقوله تعالى « في الدَّرَكِ الأسفل » يؤذن بأن النار درَكات : منها ما هو أسفل ، ومنها ما هو أعلى ، ولهذا كانت أبوابها سبعة فأذنت بأن دركاتها سبع لكل دركة قوم على اختلاف معبوداتهم ^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْشُورٌ ^(٢) 〉 .

فان قيل : ما النكتة التي لأجلها أبواب النار سبعة ، وأبواب الجنة ثمانية ؟ فالجواب عن ذلك من خمسة أوجه :

الأول أن النار سبعجن ، والحكمة تقتضي ضيق السجن ليضيق فيه على المسجون ، والجنة دار رحبة ، فتقتضي الحكمة سعة ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ 〉 ، مقتصرأ على وصف العرض المستلزم ذكر الطول ، وإذا أنست الدار احتملت كثرة الأبواب ، وإذا ضاقت لا تحتمل كثرتها .

والثاني أن عدة دركات النار أعادها الله منها جمات وفق عدد سكانها وعدد داخلها ، ووفق عدد معبوداتهم ^(٣) ؛ والأمم سبع : أمة عبدت الله وحده ، وأمة عبدت الجن ، وأمة عبدت الإنس ، وأمة عبدت النباتات ، وأمة عبدت المعادن ، وأمة عبدت الكواكب ، وأمة عبدت النار ، وهم في الدركات طبقات بحسب معبوداتهم ، فعباد الله سبحانه إنما يدخل منهم النار أصحاب الكبر مع التوحيد ، فهم غير مخلدين في أعلى الدركات ، لأنها أقرب إلى الروح ، وأدنى إلى الخروج ، ثم بعضهم فوق بعض وخلاصة المؤمنين الذين لم يذنبوا ^(٤) الذين قيل فيهم ﴿ لَا يَسْمَعُونَ 〉

(١) كذا في جميع النسخ . والذي في ت « معبودهم » وكلاهما تؤدي المعنى المراد .

(٢) سورة الحجر آية ٤٤ .

(٣) كذا في د ، س ، ت والذي في الأصل « يندبو » وهو تصحيف من التاسع .

حَسِبَهَا^(١)) فرقة ثامنة ، ومؤمنو كل فرقة سبع ، لهذا كانت أبواب الجنة ثمانية ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾^(٢) ، فإن لقائل أن يقول : ما النكته^(٣) التي رجحت اختلاف الصيغتين ، من الفعل وأسم الفاعل ، على اتفاقهما مع اتفاق زمانيهما ؟ فإن مدة مقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مخاطبين منقسمة على الحال والمستقبال ، وكذلك مدة الاستغفار ، وهل يجوز مجيء كل واحدة [١٠٨] من الصيغتين في مجاز الأخرى أم لا يجوز إلا ما جاء به الرسل ؟ أو هل يجوز الاختصار على الفعل الدال على الزمانين دون أسم الفاعل ، (أم لا) ؟ والجواب أن معرفة النكته التي رجحت مجيء الكلام على ما جاء عليه بحيث لا يجوز غيره ، أن المخاطبين به هم المناسقون الذين لم يؤذن النبي - صلى الله عليه وسلم - في إهمالهم مدة مقامه فيهم . لا من قبل نزول الآية ولا من بعدها ، والخبر الصادق يجب أن يكون طبق الخبر .

ولما كان الرابع الذي أمر الخبر به نفي تعذيبهم في الماضي^(٤) والحال دون الاستقبال ، فإن الخبر الصادق قد أخبر بعذابهم في الاستقبال حيث قال : ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ ﴾^(٥) ، اقتضت البلاغة مجيء الفعل المضارع الدال مع الإطلاق على الزمانين مع القرينة على

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٢ .

(٢) سورة الأفعال آية ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) كذا في الأصل ، د ، س والذي في ت « بالثلاثة » وهو خطأ من الناسخ مبد

للمعنى الذي نحن بصدده .

(٤) هذه التكملة التي بين قوسين ساقطة من ت ؛ وما أثبتناه عن باقي النسخ .

(٥) كذا في الأصل ، د ، س . وهو الصواب . والذي في ب « المعامى » وهو تحريف .

أحدهما ، بحسب ما يدلّ عليه ، وأقترن به قوله تعالى : « وأنت فيهم » فأفاد دلالاته على الحال دون الاستقبال، ونفى حصول العلم بنفى تعذيبهم فيما مضى من الزمان قبل زول الآية ، فأتى سبحانه بصيغة أسم الفاعل المضاف ليبدل على الماضي ، فأقتضى حسن الترتيب أن يقدم صيغة الفعل لدلالاتها على الحال الذي هو مدة مقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، لأن نفي العذاب فيما هو الأمم ^(١) .
ومن أمثلة التنكيت قوله تعالى أيضاً : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ^(٢) ﴾ ،

فإن لقائل أن يقول : لأى نكتة عدل عن لفظ الحقيقة ؟ فلم يقل : ومن يعرض عن ذكر الرحمن ، فاستعار لفظه العشا للضلال ^(٣) ، فنقول : النكتة فى ذلك أن لفظ الاستعارة موفٍ بالمعنى المراد ، بخلاف لفظ الحقيقة ، فإن الإعراض إعراضان : إعراض يُرجى بعده الإقبال ، لأن المعرض متمكن من الإقبال ، وذلك إعراض المؤمن المعتقد أحسن معتقد ، فيعرض له من الملاذاتى تستغرق فكره ، وتشغل قلبه وعقله شغلا يترك اللذة أو ضدها أو غيرها من أمور الدنيا ، فيعرض عن الذكر فى تلك الحالة ، فصاحبه الشيطان لذلك غير دائم ، لأنه يمكن أن يؤوب إلى الله سبحانه ويتوب من ذلك ، فيقبل على ما كان أعرض عنه من الذكر الذى عرف قديماً طريقه ، واحتدى له سبيلاً ، ويربى عليه ، أو لأجل عناية إلهية اقتضتها سابقة أزلية تجذبه إليه .

(١) إلى هنا ساقط من ١ .

(٢) سورة الزخرف آية ٣٦ .

(٣) من هنا ساقط من د ، س .

وإعراض ضلال عن طريق الرشد وسبيل الخير، حتى لو قدرنا أنه أراد الإقبال على الخير لمنعته منه سابقة الضلال والشقوة التي غلبت عليه .

والمراد بالإعراض في الآية إعراض الضلال لا إعراض الفعلة ، فلا جرم أنه [١٠٩] حسن استعارة المشا للضلال فيها ، وهذا المعرض هو الذي يقيض لمقارنة الشيطان أين كان وحيث كان ، وبذلك يتبين موضع النكته التي رجحت العدول عن لفظ الحقيقة إلى لفظ الاستعارة^(١) .

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ^(٢) ﴾ ، ثم قال سبحانه بعد ذلك : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ^(٣) ﴾ الآية ، فإن لقائل أن يقول : ١٠ ما النكته التي أوجبت وصف المنافقين والمنافقات بالتلاحم الشديد دون المؤمنين والمؤمنات ، بحيث لا يجوز التبديل في الخبرين فيجعل التلاحم بين المؤمنين ، وغيره بين المنافقين ؟ فيقال : لما كان المنافقون والمنافقات كلهم يهود ، وهم من بنى إسرائيل كان اتصال بعضهم ببعض اتصال نسب ، ولما كان المؤمنون من شعوب متفرقة ، وأمم شتى كان اتصالهم اتصال سبب ، ١٥ وهو جعل الإسلام بينهم من التحاب في الله والولاء فيه والتناصر في سبيله ، ومن هنا لم يحز التبديل بين الخبرين ، بأن يجعل اتصال النسب للمؤمنين واتصال السبب للمنافقين .

(١) إلى هنا ساقط من د ، س .

(٢) سورة التوبة آية ٦٧ ، ٧١ .

ومن ^(١) التنكيت قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ ^(٢) يقال ما النكته التي لأجلها عدل عن طويل إلى عريض ؟ فيقال : لأن الداعي يتوجه إلى السماء إذ هي قبلة الدعاء ، وهو تحتها ، والذي يظله منها إنما هو نصف الكرة ، إذ هو تحت مكورها ، (فالذي يظله ^(٣)) إذا عرض لأطول ، وإذا كان الظرف عرضاً وجب أن يوصف المظروف بالمرض دون الطول ، فيكون المراد - والله أعلم - ذُو دُعَاءٍ يَمْلَأُ السَّمَاءَ ، يعني ما يتوجه إليه من السماء ، فإنه الذي يطلق عليه سماء ، بالنسبة إليه ، فإنه الذي يظله ، وهذا إرداف ، فإن الحقيقة ذُو دُعَاءٍ يَمْلَأُ السَّمَاءَ فعدل إلى لفظ الإرداف موجهاً للإيجاز ^(٤) ، فإن لفظه أوجز من لفظ الحقيقة ^(٥).

ومن غريب التنكيت قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ ^(٦) فيقال : لأي نكته خصص الماء بالذِّكر دون سائر العناصر ، وكل دابة بل كل نوع من المولِّدات الثلاث مخلوق من التراب ، كما هو مخلوق من الماء ، ومن الهواء ومن النار ؟ والجواب مبني على قاعدة نأخذ في تقريرها أولاً ، وهي أن المولِّدات الثلاث وإن كانت مخلوقات من العناصر الأربع ، لا بد أن يغلب عنصر فيها على بعض أنواعها حتى ينسب إليه دون بقيتها ، وإن كان مخلوقاً من مجموعها ، كالضباب ، والحيتات ، وكثير من الحشرات ، فإن هذا النوع

(١) من هنا ساقط من ا ، ب .

(٢) - سورة فصلت آية ٥١ .

(٣) هذه العبارة التي بين قوسين ساقطة من ت .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ت .

(٥) إلى هنا ساقط من ا ، ب .

(٦) - سورة النور آية ٤٥ .

قد غلبت عليه الترابية حتى صارت حياته في ^(١) التراب وغذاؤه منه ، وبقاؤه فيه ، ومنه ما لا يقرب المائية كالآب ، ولا يمكن أن يعيش فيه جملةً ، وهذا النوع يُعرف بالحيوان الترابي ، ومنها الحيوان المائي الذي خلق منه ، فزاجه مزاجه ، وطبعه طبعه ، وحياته فيه ، وبقاؤه معروف بالانغماس فيه ، بحيث لو فارقه مات ، بخلاف بقية الحيوانات ، ولأجل ذلك عرف به قليل : الحيوان المائي ، وقد يكون بعض الحيوانات الغالب عليه الاعتدال ، فالعناصر الأربع فيه على حد سواء غالباً ، كالإنسان ، وبعض الحيوان ، ولا بد من غلبة التراب عليه ، ولذلك كان يحسن نسبته إليه ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ^(٢) ﴾ لأن ما مركزه التراب ومقره فيه تغلب التراب عليه أولى في البلاغة ، بخلاف الحيوان المائي فإنه لا يجوز أن يغلب عليه شيء من العناصر إلا الماء ، فإنه لا حياة له إلا فيه ، ولا بقاء له إلا به ، وبقية الحيوانات تعيش في غيره ، ويطول بقاؤه فيه ، ولا يمكن أن يكون مقامه [١١١] في الماء ولا يعيش فيه ، ولا يبقى مع الانغماس فيه ، فلو قال سبحانه : والله خلق كل دابة من تراب أو من هواء أو من نار ، لما دخل فيه الحيوان المائي ، فأوجبت البلاغة ترجيح ذكر الماء ، ونسبة جميع الدواب إليه ليدخل الحيوان المائي في ذلك العموم ، لما تقتضيه لفظة كل من استغراق أجناس

(١) في الأصل «من» وهي مفسدة المعنى ، والتصويب عن باقي النسخ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩ .

ما تضاف إليه ، ولو خصَّ غير هذا العنصر بالذكر لتناقض المعنى ، لكون كلِّ يقتضى الاستغراق ، وقد أضيفت إلى لفظة دابَّة ، فاقتضى ذلك استغراق كلِّ مادبٍّ ودرَج^(١) ، وإذا خرج من الدوابِّ بعض الحيوان ناقصَ ذلك مفهوم كلِّ ، فهذه النسكته التي رجحت تخصيص الماء بالذكر على بقيّة العناصر . والله أعلم .

فإن قيل : تخصيص الماء أيضاً بالذكر يلزم منه المحذور الذى خفتموه ، فإنه يخرج بعض الحيوان من العموم . قلت : إنما يخرج من ذلك الضباب فقط ، فقطع النظر عن الصَّنَف من الحيوان لقلته وقلة ارتفاع المسكف المتد عليه بهذه النعمة من جملة النعم به واجب ، ويحسن الأدب مع الخالق سبحانه وتعالى ، فإنه عز وجل وإن كان خالق كلِّ شيء . لا ينسب إليه إلا أعظم المخلوقات وأشرفها من كلِّ جنس ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَنْتِمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ^(٢) ﴾ وقد علمنا أنه لا يقال : يا خالق الضباب ، ولا يا خالق الحيات ولا الحشرات في معرض الثناء على الله سبحانه والتمدح بذلك ، ويجوز أن ينسب إليه خلق المحقرات في معرض تعجيز من ادعى الإلهية أو ادعيت له ، لا في معرض التمدح بذلك كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ^(٣) تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ ولما أراد سبحانه التمدح قال : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

(١) مادبٍّ ودرج ، يعنى الأحياء والأموات (فاموس) .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) سورة الحج آية ٧٣ .

عَلَّمَهُ الْبَيَانَ^(١)»، والآية التي نحن نتكلم فيها خرج الإخبار فيها مخرج التمدّح بالقدرة على خلق كلّ دابة ، فإذا فسر هذا الجمل وجب إلغاء ما كان منه محتمراً قليلاً ، قليل النفع ، ثم إنه سبحانه لم يهتمل كلّ الحيوان البرّي ، بل ذكر منه ما خلقه أعجب ، وما هو أقوى في بابه ، وأشدّ تسليطاً من بقية أصناف نوعه فقال تعالى بعد قوله كل دابة مفسراً لذلك الجمل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ^(٢)﴾ فذكر الحيات وما شابهها^(٣) فإن قيل على ظاهر هذه الآية سؤالان داخلان في هذا الباب :

أحدهما أن يقال: لآية نسكتة قدم ما يمشي على بطنه على ما يمشي على رجلين وعلى أربع ؟

الثاني لم حصل فيها الإخلال بصحة التقسيم إذ أهمل منها قسم ، وهو ما يمشي على أكثر من الأربع ؟

[١١٢]

والجواب عن الأول أن الآية سقت للتمدّح بالخلق والقدرة

عليه ، ولتمجيب المخاطب ، فلذلك قدّم ما يمشي على بطنه ، لأن خلق ما يمشي بنير آله أعجب من خلق ما يمشي بأله ، فاقترضت البلاغة مراعاة الترتيب في التنقل

على طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى ، فأتبع ذلك بما يمشي على رجلين ليقع وسطاً لأنه خير الحيوان ، وهو الإنسان ، ويشركه الطائر لما في كمال خلق

الإنسان من الإتيان والحكمة ، ولما في الطائر من الخفة والطيران مع ما فيه من كثافة الأرضيّة ، وانتقل إلى أقوى الحيوان ، وهو ما يمشي على الأربع ،

وأهمل القسم القليل نفعه وقوته بما يمشي على أكثر من الأربع .

* * *

(١) سورة الرحمن آيتا ٣ و ٤ .

(٢) سورة النور ٤٥ .

(٣) كذا في جميع الأصول . والذي في ١ ، ب وما شابهها .

باب النوادر*

وهو الذى سماه قدامة^(١) الإغراب والطرفة ، وهو على أقسام : قسم يكون الإغراب منه فى اللفظ ، وهو الإغراب فى البديع كما جاء لأبى تمام ، فإنه وقع له من الإغراب فى التشبيه ما لم يقع لغيره ، فإن عادة الفصحاء قديما وحديثا أن يشبهوا الحسان من النساء بالشمس ، ويخرجوا ذلك فى صور مختلفة على مقادير قوام ، فلما أراد أبو تمام أن يفعل ذلك أتى بنوع أغرب به لم يسمع لمن قبله حيث قال^(٢) (الطويل) :

فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ فَاجِمٌ بِشَمْسٍ لَمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
فَوَاللهِ مَا أَذْرَى أ أَحْلَامُ نَائِمٍ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ^(٣)

فانظر إلى حذق الشاعر كيف جاء إلى معنى قد ابتذله الناس حتى ذهبت طلاوته ، وهو تشبيه النساء الحسان بالشمس ، فلما أراد ارتكابه تحيل على الإتيان بزيادة بصورها ما كان معروفا غربيا طريفا ، فأخرج التشبيه مخرج الحقيقة ، إذ أخبر فى بيته الأول أن الشمس فى الليل ردت عليهم من وجه هذه المحبوبة ، وأتى

(١) بحثه فى قد الشعر تحت اسم الإغراب والطرفة ٥٤ ، بديع ابن منقذ تحت عنوان النادر والبارد ٨٣ ، خزائن ابن حجة : ٢٢٣ .

(٢) قد الشعر : ٥٤ .

(٣) ديوانه : ١٨٩ طبع المعارف ؛ وقد ورد فيه بين هذين البيتين بيت هذا نصه :

فناضوؤا ما صبغ الدجى وانطوى لبهجتها نوب الظلام الجدى

(٤) كنا فى ت وفى الديوان « راغم » وما معنى ؟ والتى فى باقى النسخ : « فاعم » بالعين للهمزة ؛ وهو تصحيف من الناسخ . والفاحم : صفة ليل بمعنى الشديد الظلمة . (القاموس) .

بني البيت الثاني بتشكيك أخرج مخرج تجاهل العارف ، لتحقق أن ذلك النور الذي أصار الليل نهراً حتى ظن أنه نور الشمس الحقيقية لتساوى المشبة بالمشبه به يلفظ عدل فيه عن مجاز التشبيه إلى حقيقة الخبر ، فقال (الطويل) :

غواقه . ما أدرى أ أحلامُ نائمٍ أَلْت بنا أم كان في الركب يوشع^(١)

- فأغرب في هذا البديع إغراباً لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ، وإنما كان إغراب الإغراب أولى به من باب سلامة الاختراع من الاتباع ، لكون أبي تمام لم يخترع [١١٣] معنى تشبيه الحسان بالشمس ، وإنما زاد فيه زيادة صار بها غريباً بعد أن كان معروفاً .

وقسم يكون الإغراب فيه في المعنى كقول المتنبي^(٢) (البسيط) :

- ١٠ يطع الطير فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيانهم تقع فأنه عد إلى المعنى المعروف في هذا الفن من كون الطير تقع على القتل وتتبع الجيوش قبة بالشبع ، فتجاوزه بزيادة المبالغة للمستحسنة لاقترانها بتكاد إلى ما قال ، فحصل في بيته من الإغراب والطرفة ما لا يحصل لغيره .

- وقسم لا يكون الإغراب في معناه ولا ظاهر لفظه ، بل في تأويله وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام مميباً ، وإذا تووّل ردّه التأويل

(١) يوشع : فني موسى عليه السلام وأراد الشاعر هنا الشمس ، وهو من أسمائها
(٢) ديوانه ٤١٩ : ١ يشرح المكبري ، وقد ورد هذا البيت في الصناعتين طبع الحلبي غير منسوب للمتنبي وإنما نسبته محققوه كما فعل أبو هلال إلى بعض المحدثين وهو موجود أيضاً في ابن معصوم ٦٩٩ . (وروايته على هامتهم)

إلى نَمَط الكلام الفصيح ، فأماط عن ظاهره العيب ، فيكون التأويل هو الموصوف بالإغراب .

ولم أغفر في الكتاب العزيز بشيء من أقسام هذا الباب إلا بهذا : القسم فوجدت فيه قوله تعالى : ﴿ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ^(١) ﴾ ، فإن على ظاهر هذه الآية مؤاخذه من حيث إن لفظة « أصبحوا » في الظاهر حشو

لا فائدة فيه ، فإن هؤلاء الخبَر عنهم بالخسران قد أَمَسُوا في مثل ما أصبحوا ، ومتى قلت : أصبح المسمل حلوا « كانت لفظة » أصبح « زائدة من الحشو الذي لا فائدة فيه ، لأنه أَمَسَ كذلك ، وقد تحيل الرَّمَانِي لهذه اللفظة في تأويل تحصل به الفائدة الجليلة التي لولا مجيئها لم تحصل ، وهو أنه قال : لما كان الليل الذي

قد بات مكابدا آلاما شديدة تعتبر حاله عند الصباح ، فإذا أصبح مقيقا مستريحا من تلك الآلام رَجَى له الخير، وغلب على الظن بَرُوءه ، وإفادته من ذلك المرض ، وإذا أصبح كما أَمَسَ تَبَيَّنَ هلاكه بمرجان العادة بهيَجَان الإعلال ^(٢) في الليل وسكونه في الصباح ، وشبهت حال الأشقياء بالطيل الذي أصبح من الألم على ما أَمَسَ ، فهو ممن يش من صلاحه ، وعلى هذا تكون لفظة « فأصبحوا » قد أفادت

معنى حسنا جليلا ، وخرجت عن كونها حشوا غير مفيد ، وعندى أن ظاهر الآية لا عيب فيه يحتاج إلى تكلف هذا التأويل الذي يميّط عنه العيب ، وأن لفظة « أصبحوا ^(٣) » يحتاج الكلام إليها ، ومعناه مبنى عليها ، وذلك أنه لما كان

(١) سورة المائدة آية ٥٣ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ا ، ب ، والاعلال : جمع علة . والذي في ت الأعلول

ولا معنى له .

(٣) تسكمت من ا ، ب إذ بدونها لا يستقيم الكلام .

- مدّة الموت والمقام في البرزخ كالليل ، والليل محلّ النوم لكون الموت كالنوم ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ^(١) ﴾ ، وكان آخر ليلة من ليالي البرزخ يتمخض عن يوم القيامة ، والصباح أوّل كلّ يوم ، وأوّل يوم القيامة هو وقت الحساب ، ووزن الأعمال ونشر الصحف ، والوقت الذي ينطق فيه الكتاب ، وهناك يتبين الرّنج من الخسران ، وذلك الوقت هو صباح يوم القيامة ، وباقى ذلك اليوم خرف للنواب والعقاب فن قبلت أعماله أصبح فيه رابحا ، ومن حبّطت أعماله أصبح فيه خاسرا ، ولما أخبر سبحانه عن هؤلاء الأشقياء (بأنهم حبّطت أعمالهم ^(٢)) علم بالقطع أنهم أصبحوا خاسرين ، فلفظة « أصبحوا » لا يصلح غيرها في موضعها ، ولا يتمّ المعنى إلّا بها ، ومماثل به من قوله : أصبح المسلم حلوا ، وقد أسمى كذلك .
- ١٠ إنما يقال هذا في الأمور الواقعة في دار الدنيا ، لأنّ زمانها فيه صباح ومساء ، فلما أصبح فيه على الحال التي يسمّى عليها فذكر الصباح فيه والمساء حشو لا فائدة فيه ، وأما يوم القيامة الذي لا مساء فيه فإنّ تمثيله بما أصبح في الزمن الذي صاحبه مساء تمثيل غير مطابق له .
- • •

(١) سورة الزمر آية ٤٢ .

(٢) هذه العبارة التي بين قوسين ساقطة من ت .

(م - ١٥ - بديع القرآن ب)

باب الإلجاء*

وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهره موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى رده بشيء يلجئه إلى الاعتراف بصحته ، وملخص تعريفه أن يقال : لكل كلام يرد فيه على المعارض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ^(١) ﴾ قال الله تعالى في جواب هذا القول : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ . فإن للخصم أن يقول : نحن إنما أردنا القصص والأخبار ، ونحن نعلم أن الأعجمي إذ ألقى الكلام إلى العربي لا يخرج من كونه تعلم معانيه من الأعجمي ، فظاهر الكلام لا يصلح أن يكون ردًا على المشركين ، فيقال لهم : هب أن الأعجمي علمه المعاني فهذه العبارة الماثلة التي قطعت أطعاعكم عن الإتيان بمنزلها من علمها له ؟ فإن كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه كازعمتم ، فقد أقررت أن رجلا واحدا منكم أتى بهذه المقدار من الكلام الذي هو مائة سورة وأربع عشرة سورة ، وقد عجزتم بأجمعكم ، وكل من تدعونه من دون الله عن الإتيان بأقصر سورة . فإن قلتم : إن الأعجمي علمه المعاني والألفاظ ، فهذا أشد عليكم لأنه إقرار بأن رجلا أعجميا قدر على ما بين من الآيات المتضمنة للأخبار والقصص

(*) هذا الباب بأ كمله ساقط من ١ ، ب ، وقد تكلم عنه أسامة بن منقذ في بدعيه

تحت اسم الالتجاء والمغالطة ورقة ٨٢ .

(١) سورة النحل آية ١٠٣ .

وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن ، يلجئهم ذلك إلى الإقرار بأنه من عند الله .

* * *

باب الالتزام*

- وهو أن يلتزم (النار^(١) في نثره) ، والشاعر في شعره حرفاً أو حرفين فصاعداً قبل حرف الروى على قدر طاقته ، ومقدار قوة عارضته ، ومشروطاً بعدم الكلفة . وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ^(٢) ﴾ فجاءت الطاء قبل واو الردف لازمة ، والواو ردفاً مع جواز تبديلها بالياء ، وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَازِ الْجَوَارِ الْكُنَاسِ ^(٣) ﴾ ، فالتزمت ^(٤) النون قبل السين .

١٠. وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ^(٥) ﴾ ، فلتزمت السين . وكقوله سبحانه : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ^(٦) ﴾ ، فلتزمت الهاء قبل الراء ، وفي هاتين الفاصلتين مع الالتزام تنسكت عجيبة ، فإنه يقال : هل يجوز التبديل في القرينتين فتأني كل واحدة منهما مكان أختها ؟ فيقال :

(*) هذا النوع هو الأول من أنواع الأجدابي ، وهو بعينه لزوم ما لا يلزم الذي تكلم عنه ابن المعتز وغيره من علماء البديع ، ومنهم من سماه الإعانت .

(١) ما بين قوسين ساقط من ١ ، به وما أبتناه عن الأصل وباقي النسخ .

(٢) سورة الطور آيتا ١ و ٢ .

(٣) سورة التيسير آيتا ١٥ و ١٦ .

(٤) في ١ ، ب فانت وهما بمعنى واحد .

(٥) سورة الانشقاق آيتا ١٧ و ١٨ .

(٦) سورة الضحى آيتا ٩ و ١٠ .

لا يجوز ذلك ، لأن النكته في ترجيح مجيئها على ما جاءنا عليه أن اليتيم مأمور بأدبه وأقل ما يؤدب به الاتهار ، فلا يجوز أن ينهى عن اتهاره ، وإنما (الذى^(١)) ينهى عنه قهره وغلبته لانكساره باليتيم وعدم ناصره ، فمن هاهنا ترجيح مجيء كل قرينة على ما جاءنا عليه ولم يحز التبديل ، كقوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا^(٢)﴾ ، وهذه الآية كأول آية في الباب ، فإنها لزمت فيها ألفاء قبل ياء الردف ، ولزمت الياء مع جواز تبديلها بالواو . وكقوله تعالى : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ^(٣)﴾ ، وهذه كالتي قبلها لزوم الواو ردفاً بعد النون . وكقوله جلّت قدرته : ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الظَّيِّ مُنَّمٌ لَا يُقْصِرُونَ^(٤)﴾ ، وقد ألزمت في هاتين الفاصلتين الصاد ، والراء ، والواو ، ردفاً مع جواز التبديل . وقوله جلّ جلاله ﴿كَلَّا^(٥)﴾ إِذَا بَلَغَتِ النَّرَاقِي وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ^(٦)﴾ ، فلزمت الراء في هذه القواصل قبل ألف الردف ، وقوله في الآية ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ^(٧)﴾ فلزمت السين قبل ألف الردف وبعد لام التعريف في الحرفين ؛ ثم قال بعد ذلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ^(٨)﴾ على لزوم السين ؛ وكقوله عز وجل :

١٠

[١١٦]

(١) ساقطة من الأصل ، وهي عن باقي النسخ .

(٢) سورة الإسراء آية ١٦ .

(٣) سورة القلم آيتا ٣ و ٤ .

(٤) سورة الأعراف آيتا ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٥) في جميع الأصول حتى ، وهو خطأ من الناسخ .

(٦) سورة القيامة ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ .

(لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شَمِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي
مِلَّتِنَا^(١)) ، فلزمت التاء قبل النون في أشياء كثيرة من فواصل القرآن العزيز
تُعجز الفصحاء أشدَّ تعجيز ، لجيئها سهلة منسجمة كما ترى ؛ فسيحان التكلم
بهذا الكلام .

باب تشابه الأطراف*

هذا الباب أنفرد الأجداني^(٢) أبو إسحاق صاحب (كفاية المتحفظ)
في اللغة باستنباطه ، وسمّاه تسمية غير هذه التسمية ، فإنه سماه التسييع ، فلما
تدبّرت شواهد لم أجدها تطابق تسميته ، لأن أصل التسييع في اللغة الطول ،
ومن ذلك قولهم : درّع سابعة ، إذا كانت طـويلة الأذيال ، والتسييع في
اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر
الجزء وهو من الأول ، وعلى هذا لا تكون تسمية أبي إسحاق لائحة بسمى الباب .
وإذا سمعت ما أنشده بالباب علمت صحّة ما قلت ، فإنه أشد في الباب

(١) سورة الأعراف آية ٨٨ .

(*) هو من أنواع الأجداني وقد تكلم عليه تحت اسم التسييع ، خزائن ابن حجة : ١٠٢ ،
حسن التوسل : ٩٠ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٨١ .

(٢) كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول . والمعروف أنه ابن الأجداني ، وهو أبو
إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي اللقوى المغربي الإغريق ، له أدب
وحفظ ولغة وتصانيف ومن مشهورها كتابه « كفاية المتحفظ ونهاية التاليف » وهو في اللغة
وما يحتاج إليه من غريب الكلام ١٥٠ . ملخصاً من معجم المطبوعات لسركيس .

قول ليلي الأخيلية^(١) في الحجاج بن يوسف (الطويل) :

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِيهَا نَشْفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ^(٢) دِمَاءُ رِجَالٍ يَحْلِبُونَ صَرَاهَا^(٣)
وقد كنت رأيت في شعر أبي نواس^(٤) ما يدخل في هذا الباب ، ورأيت
أكثر بديعاً لكونه شعر مولد ، والأول أجزل وهو (السريع) :

خَزِيمَةُ خَيْرُ بَنِي خَازِمٍ وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ
وَدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا مَثَلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَمِ
إِلَّا الْبَهَاءُ لَيْلُ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا سِوُفَ لَبْنِي مَاشِمٍ
والبيتان الأولان أردت ، لأنهما من شواهد هذا الباب ، وقد تبين

ما أراد ، وأن التسمية لا تليق بما أتى به من الشواهد ، ولم أظفر من الكتاب
العزيز في هذا الباب إلا بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ
نُورِهِ كَمِثْكَافَةٍ فِيهَا مِضْبَاحٌ الْمِضْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الزُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ
دُرِّيٌّ^(٥) ﴾ فالخط تشابه أطراف هذه الجملة ، لتقدر هذا النظم قدره .

* * *

- (١) الأغاني ١١ : ٢٤٨ طبع دار الكتب المصرية ، والأمال ١ : ٨٦ ر ٨٧ طبع دار
الكتب ، وسيف بن مروان للاستاذ عبد الرازق حميدة : ١٦٨ طبع دار الفسحة ، ونهاية الأرب
٧ : ١٨١ طبع دار الكتب ، وحسن التوسل ص ٩٠ طبع بولاق سنة ١٨٨١ هجرية .
(٢) السجال : جمع سجل يفتح فسكون ، وهو الدلو المطجمة (القاموس) .
(٣) الصرى : بقية اللبن في الضرع . وعنت بها هنا اللبن الفاسد المنفجر الطعم : استعارته
هنا للدما . (نهاية الأرب ٧ : ٨١ طبع دار الكتب المصرية) :
(٤) لم نجد هذه الأبيات في الديوان ، ولا فيما راجعناه من المظان التي فيها شيء من شعره .
(٥) سورة النور آية ٣٥ .

باب التوهم*

وهذا الباب أيضاً مما أستنبطه أبو إسحاق وسمّاه التشريع ، وفسره بأن قال هو أن يبنى الشاعر بيته من الشعر ، والنثر الفصل من النثر على قافيتين إذا اقتصر على الأولى كان للشعر وزناً غير وزنه إذا أتى بعد الأولى بالقافية الثانية ، ولا يختلف الوزن إلا من جهة الضروب ، وإلا فالشعر لا بد أن يكون من بحر واحد ، والقافيتان يحوز تماثلهما ويحوز اختلافهما ، وكذلك يكون الحكم في الفصل من النثر فإنه إذا اقتصر (فيه ^(١)) على السجعة الأولى كان الكلام تاماً مفيداً ، وإن ألحقت بها السجعة الثانية كان في التمام والإفادة على حاله مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ ، وأنشد أعنى أبا إسحاق قول الشاعر ^(٢)

(الكامل) :

وإذا الريحُ مع العشيِّ تناوحتْ هُجج الرِّثالِ تسكبن شمالاً ^(٣)
أَلْقَيْتَنَّا نَفَرِي المَبِيطَ لَضِيفِنَا قَبْلَ القِتَالِ وَنَقَتْلُ الأَبْطالِ

(*) هو من أنواع الأجداب وسمّاه التشريع ، ونقله عنه بهذا الاسم ابن حجة في خزانة ١١٩ ، ونقل فيه عن ابن أبي الإصبع وهو يعلم العروض أولى ، ومن علم البديع براء .

(١) ساقطة من الأصل . وهي عن بقية النسخ .

(٢) الأخطل ديوانه : ٤٣ .

(٣) هكذا في جميع النسخ ورواية الديوان :

ولقد علمت إذا العشار تروحت هُجج الرِّثالِ تسكبن شمالاً

أنا نمجل بالمبيط لضيفنا قبل العيان وقتل الأبطال

وهما أيضاً في الطراز ٣ : ٧١ ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٠٠ وفي أنوار الربيع وخزانة

ابن حجة غير منسوبة وبروايات مختلفة . والرِّثال : أولاد النعام ، والهذج : عدو متقارب ،

المبيط : جمع عبط وعباط وهو الذبيحة تنحر من غير علة وهي سميعة فتية .

قإن هذا الشاعر لو اقتصر على الرئال والقتال كان البيتان من الضرب
المجزوء المرفل من الكامل ، وإذا أتم^(١) البيتین صارا من الضرب المقطوع
على تمام أجزائه منه ، فيقدر لكل بيت قافيتين على تساوي القافيتين في الردف
ونماثلهما في الروي ، وإن اختلف المجري فيهما .

وعلى هذا بنى الحريري قوله في القامات^(٢) (الكامل) :

يا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنِّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَبَكْتَ غَدًا بُمُذًا لَهَا مِنْ دَارٍ

لأن اقتصاره على قوله : شرك الردي « وأبكت غدا » يجعل الشعر من
الضرب المجزوء السالم من الكامل ، وتماثل البيت يجعل كل بيت من الضرب
المضمر المقطوع منه ، وإن اختلفت القافيتان والرؤيان والمجري فيهما .

وقد جاءت من هذا الباب معظم سورة الرحمن ، كقوله تعالى فيها
(يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

[١١٨]

تُكذَّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَتُحَاسَرُونَ فَلَا تَنْفَصِرَانِ . فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ^(٣)) ، وهكذا إلى آخر السورة ، فإن الكلام
لو اقتصر نافية على أولى الفاصلتين دون الثانية - لو كان التنزيل كذلك - لكان

١٥

(١) عبارة ١ ، ب التام البيتان .

(٢) مقامة ٣٣ : ١٢٧ ، الإيضاح ٦ : ١١٥ وخطب الدنيا : طالها . وشرك الردي :

الهلاك . وقرارة الأكدار : مجتمع الموم .

(٣) سورة الرحمن الآيات من ٣٣ - ٣٦ .

الكلام تاماً مفيداً ، وبتكيل الكلام بالفاصلة الثانية يفيد معنى زائداً على معنى الكلام الذى خرج مخرج تجاهل العارف للاستفهام فيه عما هو معلوم لقصد التوبيخ بعد تمديد النعم ، والتحذير من حلول النقم ، فكانت الفاصلة الأولى فى غاية التمكين ، والثانية متضمنةً إيفالاً حسناً جاء مقترباً بتجاهل العارف ، وقس على ذلك ما تلحظه مثله من سور الكتاب العزيز .
والله أعلم .

تمت جميع أبواب المتقدمين من الأصول والفروع ، ومن هنا أبتدى
سياقة أبوابى التى استنبطتها ، والأنواع التى أستخرجتها ، فأولها :

* * *

باب التخيير*

وهو أن يأتى الشاعر أو النازر بفصل من الكلام ، أو بيت من الشعر
يسوغ أن يبقى بقواف شتى ، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل ،
يدل اختياره لها على حذقه ، كقول الشاعر (البسيط^(١)) :
إنَّ الغريبَ الطويلَ الذليلَ ممَّنْ فكيف حالُ غريبٍ ماله قوتُ

* اختلط هذا النوع على ابن أبى الاصم فظن أنه من مخترعاته ، وقسمه إلى قسمين
ومثله بيت من الشعر ، وعلق على هذا البيت بأنه يجوز أن يقال فيه كذا وكذا وهذا الذى
عده تخييراً عده غيره تمكينا وتقسيما ، وقد تكلم عن ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه
سائر الكلام ، ومن شاء أن يعرف ذلك فلينظر التمكين فى خزانة ابن حجة : ٧٨ .

(١) البيت للحريرى وهو فى شرح المقامات : ٢٩٥

فإنه يسوغ أن يقول : ماله حال ، ماله نشب^(١) ، ماله سبب ، ماله صفد^(٢) . ماله سبد^(٣) ، ماله أحد ، وإذا نظرت في قوله : « ماله قوت » وجدتها أبلغ من الجيم ، وأدل على الفاقة ، وأمسّ بذكر الحاجة ، وأبين للضرورة ، وأشجى للقلوب ، وأدعى للاستعطاف ، فلذلك رجّحت على كلّ ما ذكرناه .

وفي الكتاب العزيز من هذا النوع ما لا يلحق سبباً كقوله تعالى في أول سورة الجاثية : ﴿ إِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٤) فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى للمؤمنين دون غيرها ، لأنه سبحانه ذكر العالم بمجملته حيث قال :

السموات والأرض ، ومعرفة ما في العالم من الآيات الدالة على أن مخترعه قادر عالم حكيم مختار ، فرع على التصديق بوجود صانع على هذه الصفات ، إذ لا بد من اعتقاد وجود ذات أولاً موصوفة بهذه الصفات ، وإذا اقتضت البلاغة تقديم التصديق بالذات حتى يترتب عليها الصفات ، ترجّح أن تكون الفاصلة^[١١٩] ١٥ المؤمنين دون غيرها ، لا سيما والعلم بذلك ، والإيمان به متلقًى من الشرع ، فهو موقوف على التصديق بالرسول الذي تلقينا منه ذلك ، فلا تكون الفاصلة إلا كما جاءت . وكذلك قوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ فإن نفس الإنسان ، وتدبر خلق الحيوان ، أقرب إلى فهمه من الأول

(١) النشِب بالتحرّك : المال الأصيل من الذائق والاصامت (شرح الغاموس) .
 (٢) الصفد محرّكة : الوثاق (تاج العروس) .
 (٣) السبد بالتحرّك : القليل (الغاموس) .
 (٤) سورة الجاثية الآيات من ٣ — ٥ .

وتفسركه في ذلك مما يزيد يقيناً في معتقده الأول ، وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار ، وتعاقبهما بسبب ظهور الشمس للحس من وراء مخروط ظل الأرض ، واستتارها عن الحس بمخروط ظل الأرض ، فإن الأول عبارة عن النهار ، والثاني عبارة عن الليل ، وإزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض به بعد موتها ، وتصريف الرياح التي تُلْقِح السحاب فتمطر الماء به ، فينبت به النبات ، وتعيش الحيوانات ، يقتضى رجاحة العقل ورصافته ، ليعلم أن من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع الكلّيات التي هي كرة الأفلاك وما اشتملت عليه ، لأن هذه الجزئيات من عوارض تلك الكلّيات ، ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلّي صانعاً مختاراً ، وإذا كان الكلّي مركباً من أجزاء ، فالأحكام الجارية عليه من حيث هو كلّي جارية على الأجزاء التي هو مركب منها .

فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثامنة « يعقلون » ، وإن احتيج إلى العقل في الجميع إلا أن ذكره هاهنا أس بالملف من الأول ، إذ بعض الناس مع كونه يعتقد أن للعالم صانعاً ، أو يرى أن العالم بعضه يصنع بعضاً ، كما تزعم أهل الهيئة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فلا بد من التدبر بتدقيق الفكر وراجع العقل في هذه الأمور ، ليعلم أن من قدر على اختراع خلق الفلك التاسع أو العاشر على ما يرى بعفهم لا يعزب عن قدرته خلق الفلك الثامن ، وهكذا إلى أن يستغرق جميع العالم ، ومن العجب أن أرباب علوم الأوائل يزعمون أن فلك زحل (هو النجس الأكبر ، وفلك المشتري هو السعد الأكبر ، ويرون أن فلك زحل ^(١)) هو الذى صنع فلك المشتري ، وما يعقل غافل كيف يصدر السعد عن النجس ، وهذا لعمري من أدل الدلائل على أن صانع فلك المشتري غير ما يزعمون ؛ والله اعلم .

(١) ما بين فو-ين ساقط من ت .

ومن شواهد هذا الباب قوله تعالى : ﴿ إِن تَعَدُّهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَأِنْ تَقْفَرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١) ، فإن قوله سبحانه : وإن
« تقفر » بهم أن الفاصله تكون الغفور الرحيم ، لمناسبة ما بين الغفران والغفور ،
[١٢٠] ويذهل هذا المتوهم عن كونهم مستحقين المذاب دون الغفران ، فيجب أن يكون
العزیز الحكيم ، إذ لو جاءت الغفور الرحيم بعد ذكر الغفران لكان في ذلك
تسجيل بالغفران ، وهم لا يفر لهم ، فوجب أن تكون الفاصله العزیز الحكيم
لأنه^(٢) لما جاء في تقسيم الشرط الذي جاء توطئة ، « وإن تقفر لهم »
وجب أن يقول ، العزیز ، لأنه لا يفر لمن يستحق المذاب إلا من ليس فوقه
أحد يردّ عليه حكمه ، ولا يعارضه فيه ، فهو ممتنع من القهر والمعارضة ، والعزیز :
المتنعم القاهر ، ولا بد أن يوصف بعد وصفه بالعزة بالحكمة لأنه الحكيم
الذي يضع كل شيء في موضعه ، وربما ظهر من فعله ما يتوهم الضعفاء أنه جار
على غير الحكمة لخفاء وجوه الحكمة ، وامتناع علم الغيب على المخلوق القاصر
عن إدراك أسرار الربوبية .

ومن التخيير ضرب غير هذا ، وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام ، أو بيت
من الشعر جملة ، وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير ، كقوله تعالى :
﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ
كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾^(٣) ، ومن شرط هذا النوع من التخيير أن

(١) سورة المائدة آية ١١٨ .

(٢) في الأصل « لا لما » ، وهو خطأ من الناسخ .

(٣) سورة المائدة آية ٨٩ .

يتضمن صحة التقسيم ، فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذى المتكلم آخذ فيه ، كما جاء فى هذه الآية فإنه — سبحانه وتعالى — حصر فيها أصناف الكفارة التى لا يجزئ الموتر غيرها .

ومن هذا القسم أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ^(١) ﴾ ، فانظر إلى هذا التخيير ، وصحة التقسيم ، وحسن الترتيب فى الانتقال على طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ سبحانه النهاية فى أوجز إشارة ، وأعذب عبارة ، حيث قال بعد الانتقال من الحجارة : « أو حديداً » فانتقل من الحجارة إلى ما هو أصلب من الحجارة وأقوى ثم قال بعد ذلك : « أو خلقا مما يكبر في صدوركم » غير حاصر لهم فى صنف من الأصناف .

٦٠

والفرق بين التخيير « بأو » ، وبين حسن النسق من وجهين : أحدهما أن حسن النسق يكون بجميع حروف النسق ، وأغلب وقوعه بالواو للجمع ، وربما جاء بالناء للتعقيب ، أو بنم للمهلة ، أو بيل للإضراب ، أو بلسكن للاستدراك ، ووقوعه بالواو أكثر ، والتخيير لا يكون إلا بأو للتخيير خاصة ^(٢) . والثانى أن

١٥

التخيير يشترط فيه صحة التقسيم ، ولا كذلك حسن النسق .

والفرق بين تخيير مقطع الكلام ، وبين التسهيم ، أن صدر الكلام من التسهيم يدل على ما زاد على المقطع إلى أن يبلغ نصف البيت أو الجملة ، وصدر الكلام من التخيير لا يدل على المقطع بشرط ألا يكون المقطع منه متعلقاً بالصدر .

(١) سورة الإسراء آيتا ٥٠ و ٥١ .

(٢) فى ت « خامس » وهو تحريف .

والفرق بين التخيير والتوشيح أن التوشيح مقطع بتقديم مقطع الكلام فيه ما يكون في معناه ، ونحله أول الصدر .
والفرق بينه وبين التصدير أن تكون لفظة المقطع في أول الصدر ، أو في أثنائه ، أو في آخر الصدر ، ولا كذلك التخيير .

* * *

باب التنظير*

وهو أن ينظر الإنسان بين كلامين إما متقفي المعاني ، أو مختلفي المعاني ليظهر الأفضل منهما : مثال الأول قولُ يزيد بن الحكم الثقي من شعراء الحماسة ^(١) (كامل مجزوء) :

يأبدر والأمثالُ يَفْـ ربهما الذي ألب الحكيمُ
دُم للخليلِ بودَّه ما خيرُ ودَّ لا يدومُ
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريمُ
وأعلم بأنَّ الضيف يو ما سوف يحمدا أو يلومُ

١٠

فنظـر بين هذه الوصايا وبين قوله تعالى ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ^(٢) وما جمعت هذه الآية من الوصايا

١٤

(*) هذا النوع من الأنواع التي لم تسلم المؤلف وقد تكلم عنه ابن الأثير في كتابه الاستدراك : ٧٥ تحت اسم المفاضلة بين الشعراء وهو أيضا بعينه نوع الموازنة الذي تكلم عنه في الفروع وهو إلى التقدير أقرب منه إلى البديع .

(١) الحماسة شرح التبريزي : ٢٢٩ طبع أوروبا .

(٢) سورة النساء آية ٣٦ .

وما حصل في نظمها من صحة التقسيم لاستيفائها جميع أقسام من تجب الوصية به والاحسان إليه ، والايحاز ، والمساواة لكون لفظها طبق معناه ، والتهذيب لما وقع فيها من حسن الترتيب ، إذ بدأ سبحانه بذى القربى ، وعطف عليهم اليتامى ، لما يجب من تقديمهم على المساكين ، وعطف الجارذى القربى مقدماً ذكره على المساكين ، وأفرده بالذكر بعد دخوله في عموم المساكين لينبه على العناية به ، وعطف عليه الجار الجنب ، أى صاحب ، وقدمه على صاحب المجاور^(١) في السفر والحضر ، وعطف على ذلك ابن السبيل ، وختم الوصية بحسن الملكة .

ومثل ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ تَمَآلَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالَّذِينَ إِحْسَانًا^(٢) ﴾ إلى آخر الوصايا .

ومثال الثاني ما اقتضه الأعشى^(٣) من قصة السمومل في وفاته بأدراع امرئ القيس التي أودعه إياها عند دخوله الروم ، وقصد الحارث الأعرج الغساني صاحب الشام السمومل ، ومحاصرته له في حصنه المعروف بالأبلق الفرد ، وقتله لولد السمومل ، وهو مشرف ينظر ، ولم يسلم الأدراع ، ولم تزل عنده حتى سلمها لورثة

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت . والذي في ا ، ب « المحاذى » والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٣) هو أعشى ميمون ، ديوانه ص ١٢٦ و ١٢٧ مع اختلاف في الرواية .

أمرى القيس في قصيدته الرائية المشهورة ، وذلك قوله في القصيدة يخاطب النعمان بن المنذر (اليسيط) :

[١٢٢] كن كالسموئل إذ طاف الهمامُ به في جحفَلٍ كسوادِ الليل جرَّارٍ^(١)
بالأبلقِ القردِ من تيماء منزله حصنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدارٍ
إذ سامه^(٢) خطتي خسفٍ فقال له مهما تَقَلَّه فإني سامعٌ حارٍ
فقال غدرٌ وشكلٌ أنت بينهما فاختَرِ فما فيها حظٌّ لاختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له أقتل أسيرَكَ إني مانعٌ جارِي
إنَّ له خلفاً إن كنت قاتله وإن قتلْتَ كريماً غيرَ عَوَّارٍ^(٣)
ملاً كثيراً وعرضا غير ذِي دَنَسٍ وإخوةً مثله ليسوا بأشرارِ
جرَّوا على أدبٍ متى بلا نَزَقٍ^(٤) ولا إذا شمرتْ حربٌ بأغمارٍ^(٥)
وسوف يخلِّفه إن كنت قاتله ربُّ كريمٍ وببيضٍ ذاتُ أطهارِ
لاسيرُهمْ لدينا ضائعٌ هَدَرًا وكأماناتٍ إذا استودِعْن أسرارِي
فقال تقدِّمهُ إذ قام يقتله أشرفُ سموئلٍ فانظر لدمِ الجارِي

(١) الجحفَل : الجيش الكثير (قاموس) .

(٢) سامه خطتي خسف ، أى أهانه ، من قولهم سمته ذلاً : إذا أذلتَه وأهنته (المصباح المنير) .

(٣) العوار : الضعيف الجبان (قاموس) ، ورواية الديوان « إناله خلف » .

(٤) النزق بالتحريك : الخفة والطيش (قاموس) .

(٥) الأغمار : جمع غمر ، وهو الذي لم يجرب الأمور (قاموس) .

(٦) رواية الديوان « وسوف يعقبنيه إن ظفرت به » . وأراد بالبيض النساء .

- أَقْتُلْ أَبْنَكَ صَبْرًا^(١) أَوْ نَحْيَ، بِهَا طَوْعًا فَأَنْكَرَ هَذَا أَيْ إِنْكَارِ
فَشَكَ أَوْ دَاجَهَ^(٢) وَالصَّدْرُ فِي مَضَضٍ عَلَيْهِ مُنْطَوِيًّا كَالَّذِعِ بِالنَّارِ
وَأَخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْلًا يُسَبِّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِمُخْتَارِ^(٣)
وَقَالَ لَا تَشْتَرِ عَارًا بِمَكْرُمَةٍ فَأَخْتَارَ تَكْرِمَةَ اللَّهِ نِيَا عَلَى الْعَارِ
وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شَيْئَةً خُلُقٌ وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِي •

هذه القصيدة أجمع العلماء البُصراء بنقد الكلام على تقديمها في هذا
الباب على جميع الأشعار التي اقتضت فيها القصص وتضمنت الأخبار ، وإذا
نظرت بينها وبين قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ
وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي
حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ^(٤) ﴾ ، رأيت
تفاوت ما بين الكلامين ، وأدركت الفرق ما بين البلاغتين ، وكذلك اقتصاصه
سبحانه قصة الطوفان مستقصاة بجميع ما اتفق فيها من قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ
يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ^(٥) ﴾

• • •

(١) صبرا : حبسًا .

(٢) الأوداج : جمع ودج ، وهو غرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى منه حياة

(٣) المختار : صيغة مبالغة للمختار ، وهو الفادر ، البالغ في القدر .

(٤) سورة يوسف آية ١٠٠ .

(٥) هود : ٤٤ .

باب التديج*

[١٣٧] وهو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد الكناية بها ، والتورية بذكرها عن أشياء ، من وصف ، أو مدح ، أو هجاء ، أو نديب ، أو غير ذلك من الفنون ، أو لبيان فائدة الوصف بها ، كقوله تعالى : (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ^(١)) فإن المراد بذلك والله أعلم الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق ، لأن المادة البيضاء هي الطريق الملقب التي كثر السلوك عليها جدا ، وهي أوضح الطرق وأبينها ولهذا قيل ركب بهم الحجة البيضاء ، ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السوداء ، كأنها في الخفاء والالتباس (ضد ^(٢) البيضاء) في الظهور والوضوح ، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما فالطرف الأعلى في الظهور البياض ، والطرف الأدنى في الخفاء السواد ، والأخر بينهما على وضع الألوان في التركيب .

وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والمداية بكل

(*) ذهب المؤلف إلى أنه من مخترعاته ، وأنه لم يسبق إليه ، والحقيقة أنه مسبق إلى من علماء البديع ، فهو بينه التورية أو الكناية أو هو بعينه ما ساء ابن سنان (الخالف) وألفقه بالطباق فالنؤف لم يكن له من النوع إلا الاسم فقط ، بحسب في خزنة ابن حجة ٤٤١ ، حسن التوسل : ٩٠ نهاية الأرب ٧ : ١٨٠ : والتديج مشتق من الديباج وهو نوب سدها ولحمته إبريسم وهو مرب (ديبا) ثم كثر حتى اشتقت العرب منه فقالوا : ديج النيث الأرض ديجا من باب ضرب ، ودجيجا تدييجا بالتضعيف إذا سقاها فأنبئت أزهارا مختلفة لأنه عندئذ أسم للمنفقش

(١) سورة فاطر آية ٢٧ .

(٢) العبارة التي بين قوسين ساقطة من ت .

عَلَّمَ نَصَبَ للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية السكينة على هذا التقسيم
لخصل فيها ، التدبير ، وصحة التقسيم ، وهي مَسْوُوقَةٌ للاعتداد بالنعم على ما هدت
إليه من السعي في طلب المصالح والمنافع ، وتجنب المصائب والمهلكات الدنيوية
والآخروية .

- والطف خَبْرٌ وقع في هذه الآية إشارته سبحانه فيها بقوله تعالى : (تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا) إلى ما في الألوان من الوسائط بين مركباتها ، وهي
لا تدخل تحت الحصر ، فعبّر — سبحانه وتعالى — عنها بعبارة غير حاصرة لها ،
واكتفى بذكر الاختلاف عن تعديد الألوان ، والله أعلم .

ومن التدبير قول بعض العرب المرَّاء^(١) (الطويل)

- ١٠ زيادُ بنُ عَيْنٍ عَيْنُهُ تَحْتَ حَاجِبِهِ وَيَبِضُ الثَّنَائِيَا تَحْتَ خُضْرَةِ شَارِبِهِ
وقد ساق بعضُ النقاد هذا البيتَ في شواهد العيوب ، وقال : وجه العيب
فيه كون العين لا تكون إلا تحت الحاجب ، والثنايا تحت الشارب . وقال
بعضهم في الرد على هذا المائب : إن الشاعر أراد أن هذا المدوح خلق في أحسن
تقويم ، وولد كذلك ، ولم يولد مشوّه الخلق ولا معيب الصورة ، ولم يطرأ
عليه وهو جَفِينٌ ما ينقص خلقه أو يشوّهه .

وعندى أن مثل هذا لا يعدّ عيباً ، ولا يحتاج إلى تكليف مثل هذا العذر ،
لجى أمثاله في الكلام الفصيح ، ويكفي ما جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى :

(١) البيت في بديع أسامة : ٨٥ غير منسوب ورواية تختلف قليلاً . وساقه شاهداً على الرذالة .

[١٢٤] ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(١) ، والسقف غالباً لا يكون إلا من فوق

قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَخْفُوظًا﴾^(٢) ، لا سيما في هذا الموضع

الذى رفع سبحانه وتعالى فيه الاحتمال الذى يتوهم من أن السقف قد يكون

تحت بالنسبة ، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً تقوم ، وسقفاً تقوم الآخرين ،

• فرفع الله تعالى هذا الاحتمال بجمليتين ، وهما قوله «عليهم» وقوله «خر» لأنها

لا تستعمل إلا فيما يهبط أو يسقط من العلو إلى السفلى كقوله تعالى ﴿وَنَزَحَ

مُوسَى صَعِقًا﴾^(٣) وقوله سبحانه ، ﴿وَنَزَحَ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٤) فلم يبق لقوله :

(من فوقهم) محمل إلا التمويل على سماع هذه الموعظة ليحصل الازدجار عن

فعل من حل به ذلك ، وهو من بليغ الموعظ ، ومن ذلك حديث أبى بكر

رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب في حجته فقال : (إن الزمان

قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، الست فيها)^(٥) اثنا عشر شهراً

منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب

الذى بين جمادى وشعبان ، ورجب لا يكون إلا كذلك ، وإما هو - صلى الله

عليه وسلم - لما علم أن العرب كانت تارة تحل المحرم فتقاتل فيه ، وتحرّم عوضه

صفر ، ولهذا نهى عنه بقوله - عليه السلام - «لا صفر» فى حديث الترمذى وأبى

(١) سورة النحل آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٣٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٤) سورة م آية ٢٤ .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من أ ، ب ، والحديث فى تفسير الطبرى ١٠ : ٧٧

شأود ، وهذا هو النسب الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، وعلم - صلى الله عليه وسلم - أنهم إذا عظموا صفر ، وحرّموا فيه ما كانوا يحرمونه في المحرم ، لزم تبديل الشهور ، فعلى هذا يحىء تبديل شهر رجب على هذا الحكم من تجليلهم القتال فيه ، وتحريم ما يليه عوضاً عنه ، كما فعلوا ذلك في المحرم وصفر ، وعلم - صلى الله عليه وسلم - أن الأشهر الثلاثة السرد^(١) لا تلتبس لتواليها ، وأن رجب هو الذي يلتبس لكونه فرداً ، عرفه بما قبله وما بعده حتى يعرف بعينه ولا يجعل موضع غيره ، والله أعلم .

والتأويلات أوسع وأفصح من أن يخطئ معها عربى في لغته التى وضعها وهو أعرف بمواقفها منا ، لاسبأ وقد قال امرؤ القيس ما يؤيد ذلك (مقارب) :
لها ذنبٌ مثل ذنبِ العروسِ تسدُّ به فرجَها من دُبُرٍ^(٢)
وفرَج الفرس لا يكون إلا من دُبُرٍ ، فإن فرجها الذى يسدُّ بذنبها هو ما بين قائمتي رجلها من عَجَبٍ^(٣) الذنب إلى حافري الرجلين ، وفي بعض ذلك ما يخرج بيت الشاعر عن العيب ، ولا يخرج عن التأويل .

* * *

(١) السرد : المتابعة ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

(٢) ديوانه ١٧ طبع الطبعة الحزبية سنة ١٣٠٧ هـ من نصيدة أولها :

أحارب عمرو كأنى غمر ويعدو على المرء ما يأنحور

(٣) عجب الذنب : أسننه ، وهو مؤخره الذى يدق

باب التمزيج*

[١٢٥] وهو أن يمزج التشكلم معاني البديع بفنون الكلام ، بشرط أن يكون ذلك^(١) في الجملة الواحدة ، أو الجمل من النثر ، والبيت الواحد من الشعر أو البيوت ، والتمزيج يلتبس بأربعة أبواب من البديع ، وهي التكميل ، والأفتنان ، والتعليق ، والإدماج .

والفرق بينهما أن التمزيج لا يكون إلا بالفنون ومعاني البديع .
والمعاني فيه ظاهرة ، وإن كان في الكلام فنان فلا بد أن يظهر أحدها ويخفى الآخر بخلاف التكميل ، فإن التكميل بالفنون ومعاني النفس ، لا معاني البديع ، ولا بد أن يكون الفنان فيه إما ظاهرياً ، ١٠ معاً ، أو مخفيين^(٢) معاً . وهما في التمزيج يظهر أحدهما ويخفى الآخر . والفرق بين التمزيج والأفتنان : أن الأفتنان مثل التكميل في كونها لا يكونان إلا بالفنون دون المعاني ، لأن التكميل يكون فيه الفنان ظاهرياً أو مخفيين أبدأً ، وهما في الأفتنان يجوز ظهورهما وخفاء أحدهما . والفرق بين التمزيج والتعليق : أن الفنان في التعليق يكونان ظاهريين معاً ١٥ وأحدهما متعلق بالآخر يلزم من ثبوته ، ومن عدمه بخلاف التمزيج

* الذي ثبت لنا بعد البحث وكثرة الاطلاع أن هذا النوع مما سلم لابن أبي الأصم

(١) نكالة عن ا ، ب .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت ، والذي في ا ، ب « مخفيين »

في الإتيان بالمعاني والفنون فيه ، ويكون أحد الفئتين متميزاً بالآخر متحداً به .
والفرق بين التعزيج والإدماج : (أن الإدماج ^(١)) لا يكون إلا بالمعاني البديعية
دون الفنون .

وقد جاء من هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى :
(قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ^(٢)) ، فإنها أمتزج فيها فننا الأدب والمجاء بمعنى
الإرداف والتسيم ، ونولد من ذلك ما تقدم ذكره من الأنواع ، وهي أربعة
عشر نوعاً ، وقد تقدم ذكرها مفصلة في باب التوليد .

باب الاستقصاء*

وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه
بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا
يقوله ، كقول البحترى في وصف الإبل التي برأها السير ^(٣) والشرى
وأنضاه ^(٤) مكابدة جذب البرى ^(٥) فقال فيها ما أجمع الناس على تقديمه في
بابه ، وهو قوله ^(٦) (الخفيف) .

(١) تكملة عن ا، ب، د، س ، وهي سالطة من الأصل ، ت .

(٢) انظر باب التوليد .

* هو من الأبواب التي سلمت للمؤلف ولم يسبقه أحد إلى هذه التسمية .

(٣) السرى : سير عامة الليل

(٤) أنضاه : أمزها وأهلكها كثرة السير (قاموس)

(٥) البرى : جمع برة وهي الحلقة تكون في أنف البعير (اللسان)

(٦) هذا البيت له من قصيدة بمدح فيها أبا جعفر بن محمد ، ويستوهمه غلاما وهذه

القصيدة أولها

وسلوا بزئب عن نوار

ابكاء في الدار بعد الدار

ديوانه ٣ . ٢ ، المثل السائر ٣٦ . ٢

كَالْقِسَى الْمُعْطَفَاتِ بَلِ الْأَسْمِ مَبْرِيَّةٌ بَلِ الْاَوْتَارِ

- فإن هذا البيت جمع التشبيه ، والتتيم في موضعين ، وحسن النسق ،
والتهذيب ، والإيفال ، وذلك أنه شبه هذه الركائب بالقسى ، وهو من التشبيه
[١٢٦] البليغ الذي^(١) ما وراءه مطمع ، ولم يقف عند ذلك حتى تتم معنى الوصف
ليقع التشبيه من أكثر الوجوه التي يقرب بها المشبه من المشبه به ، فقال : « المعطفات »
لما في خالق الإبل من الحدب والانحناء ، فكان التشبيه بذلك أوقع ، والمعنى
في الوصف أنهم ، ثم انتقل على مقتضى طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى ،
فقسبها بعد التشبيه بالقسى إلى الأسهم ، لأنها أنحف من القسى ، ثم تتم
معنى الوصف ليقع التشبيه الثاني موقع الأول في القرب ، فقال : « مبرية »
١٠ ثم انتقل من الأسهم مبرية إلى « الأوتار » التي هي أنحف من الأسهم ، وكرّر
ذلك على الترتيب المرضي الذي استحق الكلام بسببه وصفه بالتهذيب ، ونسق
جعل البيت بعضها على بعض بلفظة « بل » التي هي للاضراب ليشير إلى أنه
غلطاً أولاً في تشبيهها بالقسى ، إذ كانت أنحف منها ، فشبهها بالأسهم ، ثم تبين أنه
غلطاً أيضاً فانتقل إلى تشبيهها بالأوتار ، ولذلك أضرب عن كل تشبيه كان
١٥ آخذاً فيه ، وأخذ في غيره ، وجعل الأوتار قافية لشدة مشابقتها بتلك الركائب ،
إذ كانت لم تبق إلا أعصاباً جافة فكانت أشبه الأشياء بها ، وأقرب إليها من
كل ما تقدم من الكلام ، ولم يخرج عن الألفاظ الملائم بعضها لبعض ، ليأتي

(١) من هنا خرم بالأصل إلى آخر هذا الباب ، وسطرين من باب البسط .

- الكلام موصوفاً بالاختلاف ، إذ الأسهم من أنسب الأشياء للقسى ، والأوتار أنسب وأقرب إليها ، وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء لمولّد ، وما بلغ هذا المبلغ في الجودة إلا لأنه ^(١) أشرقت عليه أنوار كلام النبوة الذى أخذ معناه بلفظه مصالحة ^(٢) منه ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لوصلتكم لله حتى تعودوا كالقسى ، وصتمت حتى تعودوا كالأوتار» وقال فى الأول : كالحنايا • أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

- وإذا نظرت بين بيت البحرى وبين قوله تعالى : ﴿أَبَوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ^(٣)﴾ ، علمت مقدار ما فى نظم القرآن من ١٠ البلاغة ، وتبينت أن الإعجاز فيه بالقصاحة ، وذلك أنه سبحانه بعد قوله « جنة » التى لو اقتصر على ذكرها لكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال فى تفسيرها : « من نخيل وأعناب » إذ لفظة الجنة تطلق على أى شجر كان سائر بظل ورقه الأرض ، فإذا قال « من نخيل وأعناب » كان مصاب ربها بها أعظم ، ثم لم يقف عند ذلك حتى قال سبحانه : « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » متمماً لوصفها بذلك ، ثم كل وصفها بعد التثمين بأن قال عز وجل

(١) كذا فى ا ، ب ، ث . وهو أنسب . والذى فى د ، س « إلا أنه » والمعنى عليها يستقيم أيضاً .

(٢) مصالحة : من الصلتان محركة وهى المدة والالتهاب .

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٦ .

« له فيها من كل الثمرات » ، وذلك لما علم - الله سبحانه وهو أعلم - أن الأقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب لا يكون به وصفها كاملا ، فأتى بكل ما يكون في الجنان ليشدد الأسف على إفسادها ، ثم قال في وصف صاحب الجنة (وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ) ، ثم استقصى (المعنى ^(١)) في ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بمد وصفه بالكبر : « وله ذرية » ، ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف ، ثم ذكر استئصال تلك الجنة التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر ، وليس لذريته الضعفاء غيرها بالهلاك في أسرع وقت حيث قال : « فأصابها إعصار » ولم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا تحصل به سرعة الهلاك ، فقال : « فيه نار » ، ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر سبحانه باحتراقها ، لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تبقى باحتراقها ، لما فيها من الأنهار ، ورطوبة الأشجار ، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله : « فاحترقت » وهذا أحسن استقصاء وقع في كلام وأتمه وأكمله . (وَكَنتُ ذَكَرْتُ هَذِهِ الْآيَةَ لِلْفَقِيهِ تَقِيٍّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ وَهْبٍ الْقَشِيرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ مِنَ الذَّكَاةِ وَالْمَعْرِفَةِ عَلَى حَالَةٍ لَا أَعْرِفُ أَحَدًا فِي زَمَنِ عَلَيْهَا ، وَذَكَرْتُ لَهُ عِدَّةَ وَجُوهِ الْمِبَالغةِ فِيهَا ، وَهِيَ الْعَشْرَةُ الْمَذْكُورَةُ هَاهُنَا ، وَلَمْ أَذْكُرْهَا لَهُ مَفصَّلةً ، وَغَبْتُ عَنْهُ قَلِيلًا نَحْنُ اجْتَمَعْنَا بِهِ فَذَكَرْتُ أَنَّهُ اسْتَنْبَطَ مِنْهَا أَرْبَعَةً وَعَشْرِينَ وَجْهًا مِنَ الْمِبَالغةِ ، وَسَرَدَهَا عَلَيَّ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَهَا لِي ، فَكَتَبَهَا بِخَطِّهِ ، وَسَمَّيْتُهَا مِنْ بَقَرَاتِهِ ، وَاعْتَرَفْتُ لَهُ بِالْفَضْلِ فِي ذَلِكَ ، وَكَنتُ قَدْ اسْتَخَرْتُهَا مِمَّا وَقَعَ لِي فِيهَا عَشْرَةٌ مِنَ الْبَدِيعِ ، وَسَأَنْظُرُ

(١) ساقطة من د ، س .

فما وقع له ، فإن حصل في ضروب بديعها زيادة على تلك العشرة ذكرتها ،
وكان هذا الفاضل قد سألني عن قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾^(١)
إلى آخر الآية ، فأستخرجت منها عشرة أوجه من المبالغة لم يتسع هذا المامض
لذكرها ، قد علقتها في أوراق مفردة توضع في هذا الباب إن شاء الله تعالى .

والفرق بين الاستقصاء (والتكميل)^(٢) والتتيم ، ورود التتيم على المعنى
الناقص ليتم ، والتكميل على المعنى التام فتكمل أوصافه ، والاستقصاء
على المعنى التام الكامل ، فتستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه ، حتى
يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لأخذه مساع ، ولا لاستحقاقه
تحال ؛ والله أعلم .

باب البسط*

١٠

وهو ضد الإيجاز وغير الإطناب ، وهو أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد
الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير ، لا قصد
إفهام البليد وإسماع البعيد ، والتقرير والتوكيد ، بل الإتيان بمعانٍ من معاني

(١) سورة إبراهيم آية ١٢ .

(٢) الكلمة التي بين قوسين مكانها يياض في نسخة (ت)

* هذا النوع اختلط على المؤلف فظن أنه سابق إليه والحقيقة أنه مسبوق إليه ، فهذا
النوع بعينه الذي يعرف بالإطناب ، وتكلم عنه ابن منقذ تحت أسم التضييق والتوسيع
والساواة : ٥٩ ، وهو التمام انظر خزائن ابن حجة : ٢٠٠ .

البدیع ، ومعانی النفس لا یثنای بحیثها فی اللفظ الوجیز ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَتْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لَيْنِ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ^(١) ، فانظر - هداك الله - إلى هذا البسط بالنسبة إلى قوله تعالى في هذا المعنى في غير موضع من القرآن : « إنه خلق السموات السبع والأرضين وما بينهما في ستة أيام أتعلم أنه سبحانه بسط الكلام هاهنا ليفيد البسط معاني شتى من إضاح إشكال ، وتفصيل إجمال ، وإخراج الكلام مخرج التفرع لمن جعل لله سبحانه أعداداً من مخلوقاته .

فإن قلت : التفرع يحصل مع الإيجاز بقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ^(٢) 〉 فما فائدة البسط ؟ قلت : فائدته فائدة جليلة ، فإن الاستدلال بما قرب من نظر الخصم أوضح من الاستدلال بما بعد ، فإن تقدير أقوات الحيوان البري والبحري ، وتخصيص كل صنف بقوت مألوف يميل إليه بطبعه الذي خلق له وطبع عليه كالأحوم للسمك ، والحبوب للبهائم والأوساخ للهمج ، والتراب للحشرات ، والبقول والخضروات لغير هذه

(١) سورة فصلت الآيات من ٩ إلى ١٢

(٢) سورة السجدة آية ٤ .

الأصناف ، وجعل بعض الحيوان يجمع في الأكل بين ذلك كله ، أغنى اللحوم
والحب والنبات على اختلاف أصنافه ، كالإنسان ، وبعض الحيوان ، وتركه
تلك الأقوات الموجبة لكفاية جميع الحيوانات بما تخرجه الأرض من الأقوات
أقرب لقهم المخاطب وأرفع لاحتمال ما يقع لبعض الضعفاء من توهم أن هذه
الأمور من صنع السموات والأرض ، لا من صنع صانعها المختار كما يعتقد بعض
الناس من الطبائعيين وأمثالهم ، فاقضت البلاغة أن يقدم ذكر الأرض وما
يترتب على ذكرها من ذكر لوازمها ، لقربها من المخاطب ، ولأن الأنداد التي
عُبدت منها ، فالأصنام من حجارتها ، والأوثان من خشبها ، وألوان
الشخص من معادنها ، ليمرّف سبحانه بعظمته قدرته في خلقه الأرض كلها في
يومين ، ثم تبي بذكر الجبال التي تثبت الأرض بإذنه ، والتي تكون الجواهر
المعدنية وغيرها منها ، ثم ذكر البركة التي لولاها لما نبت النبات ، ولا عاش
الحيوان ، ولا تنوع الجماد ، ولا حصلت المنافع التي بها قوام الأجسام ، ممثلاً
بذلك على عباده ، وحق له الامتنان ، ثم ثلث سبحانه بذكر تقدير الأقوات
في جميع الأوقات ، ليحضّر بذلك على التوكل ، ويبعث النفوس على
الاشتغال عن التفكير في التكسب بصلاح الأعمال ، كما قال رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — في خطبة خطبها عند منصرفه من أحد: « أيها الناس ،
أقبلوا على ما كُفِّتُموه من أمرٍ آخرتكم ، وأعرضوا عما ضُمِّنَ لكم من
أمر دنياكم ، ولا تستعملوا جوارح غُذِّيتْ بِنِعْمته ، في التعرّض لسخطه
بمعصيته ، واجعلوا سمعكم لالتماس معرفته ، وأصرفوا همكم للتقرب إليه

بطاعته ، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ، ولا يدرك
 منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا وأدرك
 من الآخرة ما يريد ، ثم أخبر سبحانه أن ذلك كله في يومين آخرين داخلين
 في اليومين المتقدمين حيث قال : (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) يعنى - وهو أعلم - أنه أرسى
 الجبال ، وبارك في الأرض ، وقدر فيها الأقوات ، مع خلقه لها في أربعة
 أيام ، ثم ختم بذكر خلق السموات السبع ، وما تعرف العرب وغيرهم من
 نجومها والمداية بها ، وأنوائها وإنزال النيث من جهتها ، ومُقدّمات ذلك من الرعد
 والبرق وتصريف الرياح ، ومنافع النَّبَرَيْنِ ، ثم أخبر أنه سبحانه خلق ذلك
 كله في يومين ، ثم اقتصر - عز وجل - في هذه الآية وفي غيرها على ذكر الأفلاك
 البسيطة ، لما في هذا العدد من السرّ الإلهي الذي لا يتسع هذا المكان لذكره ،
 وقد ذكرته في مواضع من كتابين : أحدهما (الخواطر ^(١)) السوانح في ذكر
 سرائر القوامع) ، وفي (الكافّة) ، بتأويل تلك عشرة كاملة) ، ولكون العرب
 لا تعرف من الأفلاك إلا المكوكبة منها ، لرفقبتها لها عند تَمَرِّها في الليالي ،
 ومُراها فيها ، ولمعرفتها الكواكب الفلك الثامن من المزيّة التي ليست أغيرها ،
 لكونها كواكب الأنواء التي ينتجع عليها ، وتعرف علامات الجذب والخصب
 منها ، أتى بذكر فلكها في الكتاب العزيز منفرداً لينبئ عن فضله على سائر
 المكوكبة حيث قال تعالى : (وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ ^(٢)) ، ولكون الفلك

(١) لم نقف على هذين الكتابين فيما راجعناه من الظان على كثرتها فتأمل .

(٢) سورة البروج آية ١ .

التاسع أطلس ، لا كواكب فيه ، لاتعرفه العرب ، فأنفى ذكره في الكتاب العزيز ، وإنما أستدل أهل الهيئة على وجوده بحركته اليومية ، فإن بها تطلع الشمس بإذن الله سبحانه وتعالى في كل يوم ، من المشرق ، وتغرب في المغرب ، ثم تعود تطلع من الموضع الذي طلعت منه أبداً ، فيظهر لأحسن أنها [١٢٩] قطعت دائرة الفلك في يوم وليلة ، وقد دلت أدلة الهيئة على أن فلكها الرابع • يقطع دائرته في اثني عشر شهراً ، فلم أن حركته اليومية ليست حركة فلكه الطبيعية ، وإنما هي حركة قسرية قسره عليها الفلك التاسع بحركته .

وهذه ليست من علوم العرب ، فلذلك لم يصرح الكتاب العزيز بذكره وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الفلك التاسع هو العرش ، والثامن هو الكرسي وأستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً ^(١) ﴾ وزعم أنه سبحانه أراد الأفلاك السكونية وأراد وهو أعلم بالعرش الفلك التاسع ، وبقوله سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ^(٢) ﴾ يريد الفلك الثامن المسمى منطقة البروج ، كأنه محيط بالأفلاك السبعة : زحل وفلك المشتري ، وفلك المريخ ، وفلك الشمس ، وفلك الزهرة ، وفلك عطارد ، وفلك القمر ، وبكرة الأرض وما بينها ، وبين فلك القمر من كرات بقية العناصر ، وهذا التفسير فيه نظير ، لأنه مستند لقائله من جهة النقل الصحيح ، ومثل هذا لا يتلقى إلا من الرسول - صلى الله عليه

(١) سورة الحاقة آية ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

سلم ، فقد أفاد^(١) هذا البسط ما ذكرت من المعاني ، وتضمن لفظه عدة ضروب من البديع ، لولا البسط لم يحصل ذلك ، فإنه تضمن للمذهب الكلامي ، والإدماج ، والإرداف ، والتعليق ، والافتنان .

فأما المذهب الكلامي ففي قوله تعالى (ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فإن ذلك نتيجة قوله سبحانه: (ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ، فإن تقدير الكلام أن يقال : لا تطيع السماء والأرض إلا ربهما لأنهما عبارة عن العالمين ، وقد أطاعتا الله سبحانه فهو رب العالمين .
والإدماج : هو إدماج الإرداف في المذهب الكلامي لأنه أراد هو أعلم - أن يقول : « قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ » بالقدر المطلق ، فمدل عن اللفظ الخاص إلى إفاضة لفظ الإرداف من ذكر تفاصيل المخلوقات لينبئ على عظمة القدرة ، فعظم سبحانه الإنكار على من عبد غيره .

والتعليق في كونه سبحانه خلق فن الفخر إذ مدح بالقدرة على اختراع هذه المصنوعات من العتات فإنه - عز وجل - وصف نفسه بما يستحقه ، وأثنى على ذاته ما هو أهله ، في ضمن العتب الموضح ، والتفريع المترب^(٢) حيث قال سبحانه : (أَنتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي)

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت ، والقى في ا ، ب . لما أفاد البسط ، والمعنى عليها يستقيم أيضا .

(٢) والمترب : اللام المعبر بالترتب قال تعالى : لا تترهب عليكم اليوم ، وفي الحديث « أقيموا الحد ولا تتربوا » وقال الشاعر :

وعفوت عنهم عفو غير مترب وتركتم بقاب يوم سرمد

فعل وصنع ﴿ وَتَجْمَعُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ فحصل التعليق والافتنان ، فهذه فائدة البسط في الكلام الذي عدل فيه عن الإيجاز والاختصار .

باب العنوان*

- وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف ، أو خبر ، أو مدح ، أو عتاب ، أو هجاء ، أو غير ذلك من الفنون ، ثم يأتي لقصد تكميله وتوكيده بأمثله من ألقاظ تكون عنوانات لأخبار متقدمة وقصص سالفة .

- ومنه نوع عظيم جدًا وهو ما يكون عنوان العلوم (وذلك^(١)) أن تذكر في الكلام ألقاظ تكون مفااتيح للعلوم ، ومداخل لها ، وقد جاء النوعان معاً في الكتاب العزيز . فمن النوع الأول قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْنَهُمْ نَبَأٌ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴾^(٢) ، إلى آخر الكلام ، فإن هذا عنوان قصته بتمام^(٣) . ومن النوع الثاني قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾^(٤) . الآية فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية .

- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إِنْ طَلَقْتُمْ إِلَى ظُلَلٍ ﴾

* هذا من الأنواع التي سلكت للألف (بحسب في خزائن ابن حجة : ٣٨٢ ، وحسن التوسل : ٨٤ ، ونهاية الأرب ٧ : ١٦٦) .

(١) مكان هذه الكلمة يياض بالأصل . وهي عن جميع النسخ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٥ .

(٣) تقدم التعريف به في ص ٢٦ من هذا الكتاب .

(٤) سورة النور آية ٤٣ .

ذِي ثَلَاثِ شَعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ^(١) ، وهذا عنوان العلم المنسوب إلى إقليدس^(٢) فإن الشكل الثالث أول الأشكال وهو أصلها ، ومنه تتركب بقية الأشكال ، وهو شكل إذا نصب في الشمس كيفما نصب على أى ضلع كان من أضلاعه ، لا يكون له ظل ، لتحديد رموس زواياه ، فأمر الله سبحانه هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكماً بهم .

ومن النسبونات أيضاً في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ رَأَى مِنْهُم مَلَائِكَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) ﴾ ، ثم ذكر سبحانه في تفصيل ما أجمل (من ملكوت السموات والأرض^(٤)) ، أقول الكواكب والنيرين ، وأقول ذلك إنما يكون بما يحول بين الأبصار وبين رؤية الكواكب والنيرين من مخروط ظل الأرض ، وهذا عنوان العلم المعروف بالمجسطي ، وهو علم الهيئة .

وفي قوله تعالى من هذا الكتاب في بقية^(٥) هذه الآية : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ إلى آخر الآية ، عنوان علم الكلام ، لأن منها ينظم الدليل على حدث العالم بما دل عليه من أقول الكواكب و بزوغ القمر وأفوله ، و بزوغ الشمس وأفولها ، فإن في ذلك تصريحاً بقبول العالم الحوادث ، وقبوله التغير دليل على كونه ممكناً ،

(١) سورة المرسلات ٣٠ و ٢١ .

(٢) إقليدس ويقال أوقليدس : اسم رجل وضع كتاباً في علم الهيئة والهندسة والحساب ونقله إلى العربية الحاج بن يوسف البكوفي (ما خلا من تاج العروس) .

(٣) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من « ت » .

(٥) ليست بقية آية وإنما هي آية فاعمة بذاتها ، الأنعام آية ٧٦ .

أعنى ممكن الوجود ، والممكن ما تساوى طرفاً وجوده وعدمه ، فلا يترجح أحدهما على الآخر إلا بمرجح ، ولا يجوز أن يكون المرجح ممكناً [١٣١] هو إلا لزم أحد المُحالين ، إما الدور ، وإما التسلسل ، فيجب أن ينتهي الأمر إلى مرجح هو واجب الوجود لذاته ، ولا بدّ وأن يكون وجوده متقدماً على وجود العالم بالزمان ، إذ لا يجوز أن يكون متقدماً بالرتبة تقدّم العلة على معلولها ، فإنه يكون غير مختار ، ووجود العالم في الهيئة التي وجد عليها في غاية الإيقان ، فلا بدّ وأن يكون مُوجده مختاراً .

باب الإيضاح*

وهو أن يذكر التكلم كلاماً في ظاهره لبس ، ثم يوضّحه في بقيّة كلامه .
والإشكال الذي يحله الإيضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ ، وفي إعرابها ، ومعاني النفس هون الفنون .

والفرق بينه وبين الاحتراس وقوع الاحتراس في الفنون . ومنه قوله تعالى ﴿ كَذَّبُوا رُسُوفًا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِه مُتَشَابِهُونَ ^(١) ﴾ ، فإن هذه الآية لو اقتصر فيها على قوله « مِنْ قَبْلُ » دون بقيّة الآية لأشـكل على المخاطب ، لا يدري هل أراد سبحانه

* وهو من الأنواع التي سلمت للمؤايد ، ولا يصح أن يجعل من التفسير ، لأن الإيضاح هو إبراز المعنى في صورتين مختلفتين : الإبهام ثم الإيضاح ، لتمكين المعنى في النفس تمكيناً زائداً تحصل به لذة العلم ، لأن الشيء إذا علم من وجه دون وجه تشوقت النفوس إلى العلم بالمجهول فتحصل لها بسبب العلم لذة لسبب حرمانها من الباقي (بحثة في ابن حجة : ٤١٣ ، حسن التوسل : ٨٥ ، نهاية الأرب ١٧٩/٧) .

(١) سورة البقرة آية ٢٥

بما حكاه أهل الجنة إشارتهم إلى صنف الثمرة ، أو مقدار ما يؤتون^(١) منها ، بحيث تكون مقادير الثمار متساوية ، فأوضح سبحانه هذا الإشكال بقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ أى يشبه بعضه بعضاً فى الكمية وإن تغيرت أصنافه . وتقرير الإشكال فى قولهم : ﴿ هَذَا الَّذِى رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ (فإن ظاهر هذا اللفظ يدل على أن الذى رزقوه الآن هو عين ما رزقوا من قبل^(٢)) والمداومة على المأكول الواحد وغيره من الملاذ موجب للسامة والملل ؛ وكل النعم ، وغاية النفكة ، والتلون فى الطعام ، والتفنن فى المأكول . ونعيم الجنة أتم نعيم وأكمله ، فقتضى البلاغة أن يكون سبحانه وتعالى أرادوه وأعلم - المقدار لاعتين الصنف ، ويؤيد ذلك قوله فى تمة الآية : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ أى متمايزاً ، فإن الشيء لا يشبه نفسه ، فاتضح أنه سبحانه أراد بقوله « هذا الذى رزقنا من قبل » أى هو فى المقدار لا فى الصنف والله أعلم .

ومن الإيضاح نوع آخر يأتى موضحاً لإشكال فى جملة من الكلام متضمنتين معنى واحداً قد اختلفت العبارة فيهما ، فيتوجه على الظاهر إشكال أوجبته اختلاف العبارة ، فيجب إيضاحه ، كقوله تعالى فى الأنعام : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِنْثِلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾^(٣) وقال سبحانه فى بنى إسرائيل : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِنْثِلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [١٣٢] وتقرير الإشكال أن المعنى فى الآيتين هو النهى عن قتل

(١) هكذا فى جميع النسخ . والذى فى أ ، ب « يؤزن » وهو نصحيح .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) انظر باب التمايز من هذا الكتاب .

الأولاد ، لما تقتضيه زيادة الكلف من الفقر ، والمدة بأن الرزق من عند الله ، فيقال : لم قال في الآية الأولى : « نحن نرزقكم وإياهم » ؟ بتقديم : عدة الوالدين بالرزق على عدة الأولاد به ، وبالعكس في الآية الثانية ، وهل يجوز العكس فيهما أم لا يجوز إلا ما جاء به التنزيل ؟ ولما علم سبحانه أن ذلك قد يشكك على من لم ينعم النظر في الكلام جاء في الآيتين خب^(١) .

يوضح هذا الإشكال ، وذلك قوله تعالى في الأولى (من إملأ) ليشير إلى الخطاب للفقراء دون الأغنياء ، فأوجبت البلاغة تقديم عدتهم بالرزق وتكميل المدة برزق الأولاد ، لاحتمال ، أن يظنوا أنهم إذا رزقوا رزقا فاستغنوا به استنفدت كلفة الأولاد ، فعادوا إلى الفقر ، . وقال في الآية الثانية (خشية إملأ) ليشير إلى أن الخطاب للأغنياء دون الفقراء ، الذين يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى ، فوجب تقديم ، العدة برزق الأولاد ليعلموا أنه سبحانه التحمل عنهم كلفتهم ، فيأمنوا ماخوفه من الفقر ، ثم كل العدة بضمان رزقهم بعد الأولاد ، ليعلموا أن ما بأيديهم من الغنى هو الذي رزقه ، وهو قادر على أن يرزقهم مثله .

ومن معجز هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾^(٢) ، فإن على ظاهر هذه الآية إشكالين : أحدهما من جهة الإعراب ، والآخر من جهة المعنى ؛ فأما الذي من جهة الإعراب فمطلف ما ليس

(١) الحب هنا : من خبا الشيء إذا ستره (قاموس) .

(٢) سورة آل عمران آية ١٦١ .

مجزوم على المجزوم ، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يفنى عن فاصلتها ، لأن
توأيهم عند المقاتلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لا يجتمعان والجواب أن الله
سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا إن قاتلهم انهزم ، ثم أراد - وهو أعلم -
تكميل العدة بإخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبداً في الاستقبال ، فهو
مخدول أبداً ما قاتلهم ، فيثق المؤمنون بنصر الله تعالى لهم على هذا العدو ،
ويتيقنوا أنه متى قاتلهم كان مخدولاً ، فيقدموا على لقائه كلما أرادوا ذلك
بنيات قلوب ، وقوة نفوس ، وطمأنينة وسكينة ، لا يتوقعون في لقائه ، ولا
يخشون مغيبه قتاله ، ولو وقع الاختصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا
المعنى المراد ، لأنه لا يعطى قوله : { وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يَوَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارَ }
أنهم متى قاتلهم كان الأمر كذلك ، فإن قولك : إن جاء زيد أكرمه ،
لا يلزم منه أنه متى جاء على الدوام والاستمرار كان له عليك الإكرام ، وإنما يعطى
أنه إن جاءك أكرمه لتلك الجيئة ، ولما علم سبحانه وهو أعلم أن الاختصار
على ما دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد ،
والمقصود دوامها ، قال : « ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ » ومنع الفعل
الجزم ، وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وضعت له صيغة المضارع
من الدلالة على الحال والاستقبال ، فيعلم أنه أراد وهو أعلم أنهم لا ينصرون في الحال
ولا في الاستقبال ، ونوى في الفعل الاستئناف لا العطف على ما تقدم فيقدّر أنه
قال : « ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ » ، وسوّغ المدول عن الظاهر إلى هذا التأويل ما يوجب
التأويل من تمام المعنى الذي هو بدونه ناقص ، وتصحيح المراد من استمرار

١٠
[١٣٣]

١٥

- البشرى . وأحسن ما وقع في هذا النظم اختيار لفظة «نم» دون سائر حروف العطف .
لما تدل عليه من التراخي والمهلة الملائمة لما قصد من الاستقبال ، فاتضح المعنى ،
وارتفع الإشكال ، فتضمنت هذه اللفظات السبع ستة عشر ضربا من البديع ، وهي
التعليق ، والمطابقة المعنوية ، والاحتباس ، والتكميل ، والتنكيث ، والمقارنة ،
والإيضاح ، والإدماج ، والترشيح ، والإيفال ، والإيجاز ، والافتتان ، وحسن
النسق ، والتهذيب ، وحسن البيان ، والمثل السائر ؛ وأعجب ما وقع فيها أن حرفا
واحدا منها وقع فيه على انفراده من ذلك ثمانية أضرب ، والحرف لفظة «نم»
وقع فيها الاحتباس ، والتنكيث ، والمقارنة ، والإيضاح ، والإدماج ، والتكميل ،
وحسن النسق ، والترشيح ، توجد هذه الضروب بوجودها ، وتعدم بدمها ،
وبيان ذلك أننا لو قدرنا موضعها الواو سقط ذلك كله .
- ١٠

- فأما تفصيل ما جاء من المحاسن في جملة الآية ، فالإيضاح منها في عطف آخر الكلام
على أوّله : «نم» لتحصل الفائدة التي شرحناها ، ولأجلها أتى بالآية ، وهي تبشير
المؤمنين بأن عدوهم مخذول أبدا ، كما تقدم ، ولأجل ذلك منع الفعل المضارع
من الجزم ليبدل على الاستقبال فيتكمّل المعنى المراد . والإدماج هو إدماج
التكميل في الإيضاح ، فإن لفظ الإيضاح ظاهر ، والتكميل مدمج فيه ،
لا يظهر إلا بعد التفسير ، وكذلك الاحتباس ، فإن الكلام الآخر لو عطف
على الأوّل بالواو لظن من لا يحب أن يتسرع إلى الموت إنما وعدوا بالنصر
في تلك الحالة لا غير ، ويحتمل أن ينصر العدو بعد هذه ، لأن الحرب أكثر [١٣٤]

ما يقع سجلاً ، فيكون ذلك موجباً لعموده عن القتال بعدها ، فأتى بالجملة الثانية معطوفة : « ثم » ليحتمس بها من ذلك . والتنكيك وهو النكته التي رجحت العطف : « ثم » دون بقية حروف العطف لما يقتضى من الملاءمة لما يدل عليه الفعل المضارع من الاستقبال ، لتكميل المعنى المراد . وأما التعليل ، وهو تطبيق الوعيد بالوعد ، فإنها تضمنت وعد المؤمنين بالنصر ووعيد الكافرين بالخذلان . وأما المطابقة المنوية فلجميع الكلام بين الوعد والوعيد بغير لفظهما . وأما المقارنة فلا قران الأفتنان الذى دل عليه الوعد والوعيد والمدح والمجاء بالمطابقة . وأما الإيغال فلأن معنى الكلام « ثم » عند قوله (يُوْثِقُكُمْ الْأَذْبَارَ) ، ولما احتاج الكلام إلى فاصلة توافي بقية فواصل الآي أفادت معاً زائداً يكمل به معنى الكلام التام ؛ وأما الترشيع فهو ترشيح « ثم » لحيء الفعل الثانى الذى عطف بها على الأول دالاً على الاستقبال . وأما الإيجاز فللدلالة هذه الألفاظ السبع على ما دلّت عليه من معانى النفس ، ومعانى البديع ، وأما الأفتنان فإشارة الوعد والوعيد إلى من سبق لهم الوعد أهل المدح ومن سبق لهم الوعيد أهل اللذم ، وأما حسن النسق ، ففي اختيار العطف : « ثم » دون حروف النسق ، وأما التهذيب ففي تقديم ما يجب تقديمه من الوعد فى حال المقابلة ، وتأخير ما يجب تأخيره من الوعد والوعيد بعد ذلك فى الاستقبال ، وملاءمة العطف : « ثم » للمعطوف حيث كان ^(١) صيغته صيغة المضارع الدال على

(١) فى ا ، « جاءت » وهما بمعنى واحد .

الاستقبال . وأما حسن البيان فلا يأتها عن بشارة المؤمنين بما يثبت قلوبهم ، ويُبلِّج صدورهم ، ويحرضهم على قتل المشركين أبدا بأرشق عبارة دلت على المعنى المراد وأوصله إلى الأفهام بأقرب الطرق وأسهلها . وأما المثل السائر فلخروج الكلام فيها مخرج مثل يليق بكل واقعة تشبه واقعته .

- وما يؤيد هذا التأويل ويدل على أن المتوعدين في هذه الآية مخذولون أبدا في كل مكان وزمان ما قاتلوا المسلمين ، قوله تعالى على سياقتها : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحِجْلٍ مِنَ النَّاسِ ﴾^(١) فأخبر سبحانه أنهم أينما أدرتهم المسلمون ذلوا ، وأستثنى منهم من دخل تحت الذمة طلبا للسلامة ، وذيل سبحانه وعيد الدنيا بعيد الآخرة حيث قال : ﴿ وَبَاؤُوا بِمِصْرٍ مِنْ [١٢٥] اللَّهِ ﴾ ، وأخبر عزم وجل بضرب المسكنة عليهم مع الذلة ، وعلل وقوع ذلك ١٠ ليدل على استحقاقهم ما حل بهم بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ .

- ومن إيضاح الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهَ فَاَلِقُ الْحَبَّ وَالنَّوَى بِخُرْجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَخُرْجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾^(٢) ، الآية فإن الإشكال فيها محي هذا الحرف منها على خلاف ما جاء عليه أمثاله ، وهو قوله تعالى : ١٥ « وَخُرْجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ » باسم الفاعل ، ولم يأت كما أتى في آل عمران ﴿ وَخُرْجِ ﴾^(٣)

(١) سورة آل عمران آية ١١٢ .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٥ .

(٣) ساقطة من الأصل ، د ، س ، ت ، وهي عن ا ، ب ، وهي آية ٢٧ من سورة

آل عمران .

- مَنْ نَشَأَ بِفَيْرِ حِسَابٍ ﴿ وكذا آتينا يونس والروم مركبة كلتاها من صيغ الأفعال ، فجاء اسم الفاعل في آية الأنعام ملأنا لما جاورها من أسماء الفاعلين . وبقية الآيات صيغة الفعل فيها ملأنا لما جاورها من صيغ الأفعال فإنه سبحانه وتعالى قال في آية يونس : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۖ ﴾ [١٣٧]
- وكذلك جاءت آية الروم ، فإنه سبحانه وتعالى قال فيها : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَبِّرُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ۖ ﴾ .
- فإن البليغ إذا نظم كلاما وجب عليه أن يلائم بين ألفاظه ، ليأتي كلامه موصوفا بالاشتلاف ، بحيث لا تأتي لفظة منافرة لأخواتها موضوعة في غير موضعها ، فإنَّ الكلام إذا وقع فيه مثل ذلك عيب بسوء الجوار ، ولما أوجبت البلاغة أن يأتي خبر «إن» في سورة الأنعام بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَابِ ﴾ يكون اسم الفاعل المضاف بدل على المضي ، والفعل المضارع بدل على الحال والاستقبال دون المضي ، والآية سبقت للتمدح بالقدرة المطلقة التي هي صفة ذاتية لله سبحانه ، والأعتداد بالنعم على عباده ، فكان التمدح بها مع الإتيان بصيغة اسم الفاعل أبلغ من الإتيان بصيغة الفعل ، لما يدل عليه اسم الفاعل

(١) انظر الصحيفة السابقة الهامش ١ ، ٢ .

من المضي المطلق الدال على العدم ، فإن مجيء ذلك على ما جاء عليه يستفاد منه قدم القدرة ، ويلزم من قدمها قدم الموصوف بها ، ولما علم — سبحانه وتعالى — أن تمدحه بمجرة دَفَلَقَ الحب والنوى في بطن الأرض غير تام لأنه لا ينتفع به حتى يخرج نباته إلى ظهر الأرض ، فحينئذ يكون نعمة بعثتها بها على العبيد لانتفاعهم به ، وليظهر لأعينهم فيشاهدون به قدرة مخبره ، ومخبره ، أخبر بأنه يخرج نباتا من الأرض ليمتحن معنى التمديد ، ووجب أن يكون الخبر عنه بصيغة الفعل المضارع ليقم الإخبار به على ترتيب وقوعه في الوجود ، لا^(١) يتقدم منه ما يجب تأخير ، ولا يتأخر ما يجب تقديمه ، إذ كان انفلاق الحب والنوى في بطن الأرض مقدما على خروج النبات إلى ظهر الأرض ، فكان زمن انفلاق الحب والنوى ماضيا بالنسبة إلى زمن خروج النبات ، وخروج النبات مستقبلا بالنسبة إليه استقبالا أوله زمن الحال ، وآخره زمن الاستقبال ، فكان مقتضى البلاغة الإتيان بصيغة المضارع الدال على الحال والاستقبال بعد اسم الفاعل المضاف الدال على المضي فوق هذا التهذيب [١٣٧] في هذا الحرف مدحجا في الكناية ، فإنه سبحانه — وهو أعلم — كنى بالحي عن النبات لكونه مغتزيا ناميا . وكنى بالبيت عن الأرض لكونها جماد ، وكان حمل هذا الكلام على هذا التأويل أولى من حمله على ما يدل عليه الظاهر من كون الحي والبيت من الحيوان ، لكون الحي والبيت من الحيوان لا يلائم ذكر الحب والنوى ، فيجب الرجوع إلى تأويلنا لما تقدم من ذكر الحب والنوى ليرتبط بعض

(١) في الأصل « ولا » بزيادة الواو ، والسياق يقتضي حذفها .

- الكلام ببعض ، ويتم المعنى المراد من التمدح بهذه الأفعال ، والاعتداد بهذه النعم على الحيوان ، فكان مقتضى البلاغة أيضا تقديم ذكر الحب على ذكر النوى لكونه قوت المحاطب المعتد عليه بهذه النعم ، وقوت دوابه (١) (و) وجب أن يقتصر على ذكر الحب دون النوى لأن في ذكر النوى إشارة إلى ما يعتد به على المحاطب أيضا من الثرات التي يتفككها ، وتنوع له الملاءم بسببها ، فكان ذكرها من كمال معنى التمدح ، ثم لما علم سبحانه أن القدرة المطلقة إذا وصفت بإيجاد النبات والتصرف في الجماد دون إيجاد الحيوان ، كان الوصف ناقصا فاستأنف الإخبار عنه بإخراج الميت من الحي ، لأن المعنى الأول قد تم الكلام فيه ، وحسن السكوت عليه ، فقطعه وأفاد ما أفاده مما أبدينا
- أنفا ، فقال بعد ذلك منتقلا من الإخبار عن إخراج الثبات من الجماد إلى ١٠ الإخبار عن إخراج الحيوان من الحيوان لتمام المعنى الذي كان بدون ذلك ناقصا وصار قوله (وَخُجِرَ الْمَيِّتُ مِنَ الْحَيِّ) مكمل ، وأتى في هذه الجملة باسم الفاعل لأنه خبر مبتدأ مستأنف تقديره ، وهو مخرج الميت من الحي ، أي أتى نظم الجملة الثانية على ما أتى عليه نظم الجملة الأولى ، حيث قال — عز وجل — :
- ١٥ (إِنْ اللَّهُ فَالِقَ الْهَجْلِ وَالنَّوَى) فجاء خبر إن إسماع ، فكذلك أوجبت البلاغة أن يأتي خبره المبتدأ في الجملة الثانية (إسماع) (٢) واقتصر سبحانه على التمدح بإخراج الميت من الحي ، وأكتفى بذلك دون إخراج الحي من الميت ، لكون إخراج

(١) سقطت هذه الواو من الأصل ، د ، ت ، س وقد أثبتناها عن ا ، ب إذ هما يستقيم الكلام .

(٢) ما بين قوسين ساقط من الأصل ؛ وهو عن باقي النسخ ؛ ولا يستقيم المعنى بدون .

الميت من الحيّ أعسر من إخراج الحيّ من الميت في معترف عادتنا ، ومدارك عقولنا ، لأنّ الحيّ ربما أعان على خروجه بحركته ، وربما ركّب الله في طبيعته من طلب الخروج من الضيق إلى السعة عند صلاح قوته للخروج ، ومن قدر على إخراج الأصعب كان على إخراج الأسهل أفدر ، كما قل سبعاثه في المعاد : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١) 〉 . وإذا علمت ذلك تحققت الحكمة في مجيء آية الأنعام مخالفةً لبقية أمثالها من الآيات ، فيتضح الإشكال ويندفع السؤال ، والله أعلم .

[١٣٨] ومن الإيضاح نوع يتقدّم الإيضاح فيه على الإشكال ، كقوله تعالى :

﴿ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ ^(٢) 〉 ، فإن ظاهر

١٠ هذه الآية يحتمل إباحة الوطء في أيّ محل شاء الزوج من المخلّين ، وفي ذلك

من الإشكال ما لم يخف عن ذى عقل ودين ، لكن لما تقدم قوله تعالى :

﴿ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ 〉 والحَرْث موضع البذر ، ومحل الزرع ،

ورجاء النبت ، ومظنة النمو والزيادة ، علم أن المراد بقوله « أَنْتُمْ شَتْمٌ » تخيير الواطئ

في الهيئات التي يأتي أهلها عليها في الحل ، فيكون معنى « أَنْتُمْ شَتْمٌ » أي كيف

١٥ شَتْمٌ من الهيئات ، أو يكون بمعنى متى ، فيكون المعنى متى شَتْمٌ من الزمان

والله أعلم .

(١) سورة الروم آية ٧٢ ،

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

ومن الإيضاح قوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(١) أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ

بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ

بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَقَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ) ، فإن على ظاهر

• هذه الآية أسئلة أولها : ما الفائدة في الإخبار برفع الجناح عن أكل من بيته ؟

وكيف يظن أن على من أكل بيته جناحا ؟

والثاني أن يقال لم لم يذكر بيوت الأولاد كما ذكر بيوت غيرهم من الأقارب القريبة ؟

والثالث ما فائدة قوله تعالى : (أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَقَاتِحَهُ) وظاهر الحال أن هذا

القسم داخل في قوله من بيوتكم ؟

١٠ والرابع ، كيف وقعت التسوية بين الصديق وبين هؤلاء الأقارب ؟ والجواب

الذي تنضح به هذه الإشكالات الأربعة أن تقول : أما فائدة الإخبار برفع الجناح

عن أكل بيته فإنما ذكر ذلك توطئة ليعنى عليه ما يعطيه على جملة من البيوت

التي قصد إباحة الأكل منها ، فإنه إذا علم أن الإنسان لا جناح عليه أن يأكل من

بيته ، فكذلك لا جناح عليه أن يأكل من هذه البيوت ، ليشير إلى أن أموال هذه

١٥ القرابة كالإنسان ، وإذا تساوت هذه الأموال سرى ذلك التساوى إلى

الأزواج ، فيكون سبحانه قد أدمج في ذلك الحضي على صلة الأرحام ، ومعاملتهم

بما يعامل الإنسان به نفسه . والجواب عن السؤال الثاني وهو قول السائل . لم

لم يذكر بيوت الأولاد ؟ أنا نقول : إنما ذكر من الأموال ما يظن بأن الأكل منه

(١) سورة النور آية ٦١ وبلاحظ أن في الأصول تقديمها وتأخيرها في ترتيب الآية إذ

قدم قوله تعالى « ليس عليكم جناح » في أول الآية مع وروده في آخرها ، والصحيح ما أثبتناه .

محظور ، فاحتاج إلى بيان الإباحة ، وأما أموال الأولاد فتصرف الوالدين فيها
كتصرفهم في أموال أنفسهم ، ألا ترى أن الشرع يوجب على الولد نفقة الوالدين إذا
[١٣٩] كانا محتاجين . والجواب عن الثالث وهو قول السائل : إن الكلام فيه تدخل ، لأن

قوله : (أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) هو ما في بيوتهم ، أنا نقول : يحتمل أن يراد بما في
البيوت المال التليد المتيد ، وما ملك الإنسان مفاضة : المال الطريف المكتسب الذي
يتسبب الإنسان في تحصيله ، ويتعب في اكتسابه . والجواب عن الرابع ، وهو
قوله (أَوْ صَدِيقَكُمْ) تعريف حق الصديق الذي ساوى بباطنه ظاهره في إخلاص المودة ،
ولا يسمى ، صديقا حتى يكون كذلك ، فإن اشتقاق اسمه من صدق الحبة وصفاء
للمودة ، وهو الذي أشار سبحانه وتعالى بقوله : (وَلَا صَدِيقٌ خَيْرٌ)^(١) فإذا
كان الصديق بهذه المثابة ، وعلى هذه الصفة ساوى هذه القرابة القريبة ، فليس على
الإنسان جناح إذا تصرف في ماله تصرفه في مال نفسه .

وقد جاء في هذه الآية الكريمة بعد إيضاح هذه الإشكالات عشرة أضرب من
البديع ، وهي صحة التقسيم ، والتهذيب ، وحسن النسق ، والسكناية ، والمناسبة ،
والمثل السائر ، والمطابقة ، والمقارنة ، والتمكين . فأما صحة التقسيم فلاستيعاب الكلام
جميع أقسام الأقارب القريبة ، بحيث لم يغادر منها شيئا . وأما التهذيب ففي الانتقال
على مقتضى البلاغة في هذا المسكان ، فإن مقتضى البلاغة تقديم الأقرب فالأقرب ،
كما جاء فيها . وأما حسن النسق فاختيار « أَوْ » لعطف الجمل للإباحة . وأما السكناية
فكفائته سبحانه عن الأموال بالبيوت التي هي حرز الأموال ومقرها من باب

(١) سورة الشعراء آية ١٠١ .

تسمية الشيء بما جاوره ، كقولهم : « سَالَ الْمِيزَاب » « وَجَرَى النهر » .
 وأما المناسبة فللمناسبة الألفاظ بعضها ببعض في الزنة ، لما بين لفظة آبائكم
 وأخواتكم ، وأعمامكم ، وأخوالكم من المناسبة في الزنة . وأما المثل فلأن قوله :
 (لَيْسَ عَنَّاكُمْ جَنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا) ، خرج مخرجَ المثل
 السائر ^(١) الذي يصلح أن يتمثل به في كل واقعة تشبه واقعته . وأما التذييل
 فإن الكلام الذي خرج مخرج المثل جاء تذييلاً لمعنى الكلام المتقدم ،
 لقصد توكيده وتقريره . وأما المطابقة ففي قوله تعالى : « جميعاً أو أشتاتاً » فإن
 هاتين اللفظتين تضاداً تضافاً أو جابهما وصفهما بالمطابقة ، لأن المعنى جميعاً
 أو منفرداً . وأما المقارنة ففي موضعين : أحدهما اقتران التمثيل بالتذييل ، كما
 تقدم بيانه ، والثاني اقتران المطابقة بالتسكين ، فإن فاصلة هذا الكلام في
 غاية التمكن قد حصل بهذا التمكن ، وما تقدم فيه من الإيضاح أحد عشر
 ضرباً من البديع والله أعلم .

ومن الإيضاح قوله تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَائِلٍ [١٤٠]
 مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلَدِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذَخْلَهُمْ
 ١٥ جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ
 الثَّوَابِ ^(٢)) ثم قال بعد ذلك : (لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

(١) ساقطة من ت .

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٠ .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْآبِرَارِ^(١) ، فإن هذه الآية يتوجه على ظاهرها أسئلة منها قوله تعالى
« منكم » بعد قوله « أنى لأضيع عمل عامل منكم » فيقال : ما فائدة هذا التفسير
وقد أغنى عنه ما قبله ؟ ومنها قوله تعالى « من ذكر أو أنثى » والأول يغنى
عنه . ومنها قوله تعالى : « بعضكم من بعض » ، ومنها قوله في جزء أعمال
الَّذِي وصفهم بتلك الأعمال الصالحة « نوابا » . ومنها قوله تعالى في الذين وصفهم
من بعد « نزلا » ، وهل يجوز التبديل ليأتى قوله (نزلا) موضع « نوابا »
والعكس أم لا يجوز إلا ما جاء به التفسير ؟ ومنها وصف مقام الطائفة الثانية
في الجنة بالخلود دون الأولى . فهذه الإشكالات يجب الاتصاف عنها ، وإيضاح
ما ألتبس منها . ١٠

والجواب : أما قوله « منكم » فإن بعض الناس^(٢) أجاب عنه بأنه
محتاج إليه لأنه سبحانه يضع عمل من شاء من العتال ، بدليل قوله تعالى :
(وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ جَمَلْنَا لَهُ بَعْدَ مَنَورٍ^(٣)) ، وهذا الجواب
مدخول من أجل أن هذا العامل هاهنا لا يظن به أنه ممن يضع عمله ،
لما احتفت به من القرائن الدالة على أنه ممن قبل عمله ، فإن ذكره جاء بعد
قوله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ^(٤))

(١) سورة آل عمران آية ١٩٨ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والى في ا ، ب « الشايع » .

(٣) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩١ .

إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّمَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ^(١) ﴾ إلى أن قال سبحانه لهم بعد انتهاء دعائهم : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ) فقد وضع أن العامل المذكور هاهنا المراد به منهم ، وإنما أتى به منكراً ليتناول هذا الوعد كل من عمل مثل أعمالهم ، وعقب ذلك بقوله : (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى آخر الآية ، ولما توسط ذكر العامل بين هذين الكلامين المتضمنين وصف هؤلاء بهذه الأعمال الصالحة ، علمنا أنه لا يدخل فيمن قال سبحانه وتعالى فيه : (وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) لأنه وقع ذكره في نفس إجابة الدعاء ، وقد قال سبحانه : (إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ^(٢)) .

وقد أخبر أن هؤلاء ممن أحسن العمل ، وهذا الدخول إنما يتوجه على الاستشهاد بقوله تعالى : (وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) لا غير ، وأما [١٤١] كون الكلام لو اقتصر فيه على قوله تعالى : (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ) دون « منكم » لكان المعنى ناقصاً ، لأنه من حيث الجملة سبحانه يضيع عمل بعض العمال ، فلا بد من الإتيان بمنكم ليتم المعنى ، وعلى هذا يبقى الإشكال على حاله .

١٥

ووجه الانفصال عنه أن يقال : إنه سبحانه أخرج هؤلاء الداعين من عموم مادلت عليه لفظة « عامل » ليفردهم بالذكر عناية منه — سبحانه وتعالى — بهم ، وورفعا لشأنهم ، كما قال تعالى :

(١) سورة آل عمران آية ١٩٣ .

(٢) سورة الكهف آية ٣٠ .

﴿وَمَلَأْنَاهُ رُؤُسَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(١) ، وأما الجواب عن قوله بعد ذلك : «مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى» ، فإن سبب نزولها أن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا رسول الله ، ذهب الرجال بالخير كله في كلام غير ذلك قالته^(٢) ، فنزلت ليعلم سبحانه النساء الصالحات أن لهم ما للرجال من الخير .
وأما الجواب عن قوله تعالى : «بعضكم من بعض» فإن في ذلك إشارة إلى أن حال نساء الموعودين بذلك الخير كحال رجالهم لأنهن من الرجال بمنزلة البعض من الكل . أو يكون المراد بذلك أن قوة الإيمان لاحت بين الأبعد من المؤمنين إلى أن صيرتهم^(٣) أقارب ، فقامت نخبة الإيمان مقام نخبة النسب ، وعرفهم ذلك ليحضهم على التراحم بينهم والتعاطف والتواصل ، ونهى في ضمن ذلك عن التقاطع كما أمر بصلة الأرحام ، ونهى عن قطعها ، وقد كانوا كذلك ، قال الله تعالى يُخَيِّرَا عَنْهُمْ : ﴿أَشِدَّاهُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(٤) .

وأما الجواب عن قولهم في جزاء الذين وصفهم بالإيمان والمجرة والجهاد في سبيله بعد وعدم الجنة : (تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) فإن وعدم الجنة جزاء لأعمالهم ، فوجب أن يسمى ثوابا كما قال سبحانه : (فَأَنآبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا)^(٥) .

(١) سورة البقرة آية ٩٨ . كذا في الأصل ، د ، ت ، س ، وفي نسختي أ ، ب وجبرائيل وميكائيل ، وهي قراءة حمزة .

(٢) الضمير من « قالته » ساقط في الأصل ، د س ، ت ، وقد أثبتناه عن أ ، ب إذ به يستقيم الكلام .

(٣) في (١) « أصارتهم » ، وهو يستقيم أيضا .

(٤) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٥) سورة المائدة آية ٨٥ .

- ولهذا قال : (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) . وأما الجواب عن قوله تعالى في جزاء الذين اتقوا ربهم (نُزُلًا) . وتخصيص مقامهم في الجنة بالخلود دون الفرقة الأولى التي وصفها بتلك الأعمال ، لكون التقوى أشرف الأعمال وأعظمها ثوابا عند الله ، ولأن المتقين هم الأبرار ، بدليل قوله تعالى :
- (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّارِغِينَ [١٤٢] فِي النَّبْأِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ النَّبَأِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ^(١)) وبذلك احتج أبو بكر الصديق رضي الله عنه على الأنصار يوم السقيفة حين قالوا : (منّا أمير ومنكم أمير) فقال : إن الله أمركم أن تكونوا معنا معاشرة المهاجرين حيث قال مخاطبا لكم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ^(٢)) وإذا كان المتقون هم الأبرار ، وقد سألت الفرقة الأولى في دعائهم فقالوا : (رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ) ، فسألوا الله أن يكونوا مع الأبرار ، وأخبر عن الفرقة الثانية أنهم هم المتقون حيث قال : (لَسِكَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) فَعَلِمَ

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

(٢) سورة التوبة آية ١١٩ .

أنهم أعلى درجة، وأرفع منزلة، وأحسن حالاً من الفرقة الأولى، فوجب تمييزهم عليهم بتخصيص مقامهم في الجنة بالخلود دون أولئك، وإن كان كل من دخل الجنة خالداً فيها، بدليل قوله تعالى: (وَبَايَعْتُمْ مِنْهَا مَخْرَجِينَ) لكن تمييز هؤلاء بهذا الوصف إنما جاء تنبيهاً لنا على فضلهم وميزتهم على إخوتهم الأول، فلا جرم أنه جعل ما وعدهم به من الخلود في الجنة وما أعد فيها نُزْلاً، والنُّزُل ما يُعَدُّ للضيف النازل من الكرامة والقَرَى، ولما كان الضيف لم يقدم للضيف شيئاً من الأعمال، يستحق به قِراه سوى قصده له، والقصد من أعمال الباطن، والتُّشَقُّق من أعمال الباطن، ناسب أن يسمى ما أعد للمتقين نُزْلاً، تشبيهاً بما أعد للضيف. ولما كانت أعمال الفرقة الأولى الغالب عليها أعمال الظاهر الذي يستحق عليه العامل الأجرة، ناسب أن يسمى ما وعدوا به ثواباً، ولا خلاف في أن الأبرار أرفع درجة من غيرهم من سائر العمال، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : (حَسَنَاتُ^(١) الأبرار سيئاتُ المقربين) وقد ثبت أن المتقين هم الأبرار، وقد أخبر سبحانه عن الفرقة الثانية أنهم متقون، فوجب أن يأتي لفظ ما وعدوا به على ما جاء.

* * *

(١) ليس هذا كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما زعم المؤلف، وإنما هو كلام أبي سعيد الخزاز وكان من كبار المتصوفة انظر الكلام عليه مطولاً في كشف الحفاء ومنزل الألباس ١ . ٣٥٧ .

باب التشكيك *

وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي حشو، أو أصلية لا غنى للكلام عنها، مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ^(١) ﴾ الآية فإن لفظة « بدین » - الجار والمجرور - تشكك السامع هل هي فضلة ؟ إذ لفظة « تداینتم » تغني عنها ، أم هي يحتاج ^(٢) إليها ؛ والجواب أنها أصلية ، لأن لفظة الدين لها محامل [١٤٣] في اللسان تقول : دأنت فلانا المودة ، يعني جازيته ، ومنه : (كما تدین تُدان ^(٣)) قال رؤبة بن العجاج ^(٤) (السريح) :

دَايَنْتُ أَرْوَى وَالِدِيُونَ تُقْضَى قَطَلَتْ بَعْضًا وَأَدَّتْ بَعْضًا

وكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب به ، ولا يشهد عليه ولا فيه .
ولما كان المراد في الآية تبين الدين الذي يكتب عليه وفيه ، وتبيين الأحكام المتعلقة به ، وما ينبغي أن يعمل فيه ، أوجبت البلاغة أن يقول سبحانه :
(بدین) معناه يكتب به ويشهد عليه ليقول بعد ذلك : (فاكتبوه) فيعود

(*) من الاتواع التي سلمت للمؤلف (بحته في حسن التوسل : ٨٥ ، ونهاية الأرب ١٦٩ : ٢) .

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٢) كذا في الأصل ، ت ، س ، والهي في ١ ، ب « مما يحتاج » .

(٣) هذه عبارة من حديث أوله ، « البر لا يبل والديان لا يموت عمل ما شئت فسمكها تدین تدان » الجامع الصغير ٢ : ١٧٦ ، كشف الخفاء ٢ : ١٢٦ .

(٤) تاج العروس مادة (دين) وروايته فيه (فطالت) والبيت في تنزيل الآيات على

الشواهد من الآيات ٧٤ ، مجموعة أشعار العرب جمع وترتيب وليم بن الورد ٣ : ٧٩ .

الضمير على الدين المخصوص الذي يكتب ، لا على مطلق الدين الذي يدل عليه (تداينتم) ، والمصادر تأتي في موضع لبيان النوع ، كقولك : ضربت ضرباً شديداً ، فإنك إنما جئت بالمصدر لتصفه بالشدة لتبين نوع الضرب ، فإن الضرب يكون شديداً ويكون غير ذلك ، ولم ترد أن يخبر بوقوع الضرب منك ، فإن ذلك علم من قولك ضربت .

ومن التشكيك نوع آخر : وهو أن يأتي التشكُّم بجُمْل من المعاني معطوف بعضها على بعض (بأو) التي للتشكيك خاصة ، لا التي للتخيير ، ولا التي للإباحة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ^(١) ﴾ ، وكقوله عز وجل (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسْئُومٍ ^(٢)) .

باب الحيدة والانتقال *

وهو أن يجيب المسئول بجواب لا يصلح أن يكون جواباً عما سئل عنه ، أو ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذاً ، فيه وإعما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدل بعد معارضته بما يدل على أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله ، فينتقل عنه إلى استدلال يقرب من فهم الخصم يكون فيه قطعه

(١) سورة الأنعام آية ٩٣ .

(٢) سورة المائدة آية ٦ .

(*) هذا النوع مما سلم لابن أبي الإصبع ولم يسبق إليه .

عن المعارضة ، فيكون استدلاله الأول محتملا للمعارضة ، وأستدلالة الثاني لا يحتمل ما يبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم ، كما جاء في مناظرة الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - مع الجبار ^(١) لما قال (له) ^(٢) الخليل ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ^(٣) ﴾ فقال الجبار: (أنا أحيي وأميت) ، ثم دعا من وجب عليه القتل فأعتقه ، ومن لا يجب عليه قتله ، فلم الخليل - عليه السلام - أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة ، أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل ، فانتقل - صلوات الله عليه - إلى استدلال لا يمد الجبار له وجها يتخلص منه ، فقال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ﴾ فاقطع الجبار ، وكان منه ما أخبر الله - سبحانه وتعالى - به عنه حيث قال : ﴿ قَبِهُتِ الَّذِي كَفَرَ ﴾ ورأيت الإمام فخر الدين بن الخطيب - رحمه الله - تعالى قال في تفسيره في هذا الموضع كلاما معناه : إن الله سبحانه أراد حراسة نبيه وخليفه عن التكذيب ، فصرف الجبار عن أن يقول : أنا آتى بالشمس من المشرق ، فإن ذلك كان يمكنه أن يقوله عنادا .

وعندي أن الجبار أبان بسكوته عن ذلك - وإن كان ممكنا له - عن رجاحة عقله ، لأنه لو قال هذا لأكد به أهل مجله خصوصا ، وأهل مملكته عموما ؛ ومن لم يحصر على مواجهته بالتكذيب أسر ذلك في نفسه ، فإن من كان أسن منه يعرف أن هذه الشمس تطلع في كل يوم من المشرق من قبل وجود

(١) هو الثمود بن فالح بن عابر بن شالح بن ارضخند بن سام ، حكى ذلك ابن عطية الجاهل لأحكام القرآن ٣ : ٢٨ طبع دار الكتب المصرية .

(٢) هذه الكلمة التي بين قوسين ساقطة من الأصل .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٨

الجبار ، ويرى ذلك عيانا ويسمع به صاغر عن كابر من آلاف من السنين
وهذا أمر لا يحتاج إلى دليل (الوافر) :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل^(١)

فلو قال ذلك لكان من الخذلان الذى هو أشد الأشياء تنفيذا عنه ،
وربما كان ذلك سببا للخروج عن طاعته ، وداعيا لهدم مملكته .

* * *

باب الشهادة *

ولم أظفر منه في الكتاب العزيز بشيء إلا قوله تعالى لفرعون وقد قال
فرعون : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢)
إلى قوله تعالى ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٣) إلى
قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ، فَمَاؤَاهُمْ النَّارُ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾^(٤)
وعجز الآية أردت ، وكفوله سبحانه : ﴿ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِدُونَ فَذُوقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾^(٥) ومن تتبع هذه المعاني وجدها كثيرة .

* * *

(١) البيت للفتي انظر ديوانه (شرح البرقوقى) ٢ : ٧٦ طبع الرحمانية سنة
١٣٤٨ هـ . ورواه في الأفهام .

(*) من الأنواع التي سلمت للمؤلف ولم يسبق إليها .

(٢) سورة يونس آيتا ٩٠ و ٩١ .

(٣) سورة السجدة آية ٢٠ . وفي جميع الأصول في «النار» وهو خطأ .

(٤) سورة التوبة آية ٣٥ .

باب التهم*

التهم في الصناعة عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة ،
والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له ، واستهزاء به ، كقوله تعالى :
(**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ^(١)) ، وقوله تعالى (**ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ**
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ^(٢)) ، وكقوله عز وجل : (**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**
وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ^(٣)) ، فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنهم [١٤٥]
حول السلطان يحفظونه على رغبة من أمر الله على سبيل التهم به ، فإنهم في
الحقيقة لا يحفظونه من أمر الله إذا جاء .

ومن هذا الباب أيضا قوله تعالى : (**بَشِّرْهُمْ بِإِيمَانِكُمْ** ^(٤)) ، وقوله سبحانه : « **إِيمَانُكُمْ** » تهكم به ، ومنه قوله
تعالى خطابا لمشركي قريش يوم بدر : (**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ**
الْفَتْحُ ^(٥)) فإنهم كانوا عندما عزموا على الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا :

(*) هذا النوع مسبق إليه من الزمخشري حيث قال في تفسير قوله تعالى :
(**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**) تهكما (بحقه في الخزانة لابن حجة :
٩٨ ، وحسن التوصل : ٨٩) . والتهكم في اللغة : الاستهزاء والسخرية .

(١) سورة النساء آية ١٣٨ ،

(٢) سورة النخان آية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد آية ١١ .

(٤) سورة البقرة آية ٩٣ .

(٥) سورة الأفعال آية ١٩ .

«اللهم انصر أقرانا للضعيف ، وأوصلنا للرحيم ، وأفكنا للعاني»^(١) ، إن كان محمد على حق فانصره ، وإن كنا على حق فانصرنا » وروى أنهم قالوا : «اللهم انصر أعلی الجندين ، وأهدى الفتيين ، وأكرم الحزبين» ، وروى أن أبا جهل قال : «اللهم أينما كان أهجر وأقطع للرحم فاخلذه»^(٢) اليوم ، فقال سبحانه (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الِاتِّتَحُ) إن تدعوا فقد أجبتكم إلى مادعونكم به ، وأخرج ذلك بلفظ التهكم في تسميته فتحا .

وقد قيل إن الخطاب في الآية للمؤمنين ، وقوله تعالى بيد ذلك : (إِنْ تَفْتَحُوا) خطاب للمشركين ، وهو على هذه الرواية لا يكون تهكما ، والأول اردت . والفرق بين التهكم ، وبين الهزل الذي يراد به الجد «أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل ، لجيشه على سبيل الاستهزاء . هذا على ما تعارفناه بيننا ، والتهكم من الله تعالى حق كنهه ، والهزل الذي يراد به الجد ظاهره هزل وباطنه جد .

(١) العاني : الأسير (قاموس) .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في ا ، ب « فاحته » أى امته وهي أبلغ معنى .

باب التندير *

وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة، أو نكتة مستطرفة، وهو يقع في الجد والهزل.
ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى : ﴿ فَأِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ^(١) ﴾ ، فانظر
إلى مبالغة سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالجن والنفوس ، حيث أخبر
عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم حالة الملاحظة كحالة من
يُفْشَى عليه من الموت ، ولو اقتصر سبحانه - وهو أعلم - على قوله كالذي يُفْشَى
عليه من الموت لكان كافياً في المقصود ، ولكنه لم يقف - سبحانه - عند ذلك
حتى زاد شيئاً بقوله من « الموت » إذ حالة النفس عليه من الموت أشد حالة
من غيره ولوجاء - عز وجل - في موضع الموت بالخوف لكان الكلام بليغاً ، والذي
جاء به التنزيل أبلغ ، وهو مع ذلك خارج مخرج الحق ، وجار مجرى الصدق ،
فإن المنافقين من الجن والجزع بهذه المثابة ، وذلك الذي دعاهم إلى النفاق ، [١٤٦]
فإن من كان قوى النفس ، شجاع القلب ، لا يرضى بالنفاق ، بل يظهر ما يبطنه
الخائف لقلة مبالاته بالموت .

١٥ وفي هذا الكلام من التندير لمن يتدبره ما يبهج كل نادرة .
والفرق بين التندير ، والتهمك ، والهزل الذي يراد به الجد ، أن التندير

(*) من الأنواع التي لم تسلم للدولف وهو مسبوق إليه ، فهو بعينه المبالغة ، بل إنه يأتي
بعض في كلامه على هذا النوع يدل على صدق ما نقول حيث يعاق على قوله تعالى (فإذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون إليك) الخ فانظر إلى مبالغة سبحانه في وصف المنافقين بالجن والخوف
حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم ، انظر نهاية الأرب ٧ : ١٧٢ -
(١) سورة الأحزاب آية ١٩ .

ظاهر لفظه جدّ ، وباطنه هزل ، بخلاف البابين بالنسبة إلى كلامنا .

* * *

باب الإسجال بعد المغالطة*

وهو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح فيأتى بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض إسجالاً منه على الممدوح به ، وبيان ذلك أن يشترط شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض ، ثم يجبر بوقوعه مغالطة ، وإن لم يكن قد وقع بعد ، ليقع المشروط . وقد يقع الإسجال لغير مغالطة ، والقسم الأول يأتي في الشعر ، وغيره من كلام البشر ، ولا يقع في الكتاب العزيز إلا القسم الثاني ، وهو الإسجال بغير مغالطة ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ^(١) ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ^(٢) ﴾ إلى كثير من هذه المواضع لمن تتبعها . ١٠

ومثال القسم الأول من هذا الباب وهو ما تقع فيه المغالطة قول الشاعر ^(٣) (البيط) :

جاء الشتاء وما عندي له عُدْدٌ إلا ارتعادِي وتَصْفِيقِي بِأَسْنَانِي
فإنْ هَلَكْتُ فقولانا يكفِنِي هبْنِي هَلَكْتُ فهبْنِي بَعْضُ أَكْفَانِي

وهو من اللفظ ما روي في هذا الباب . ١٠

* * *

(*) سلم هذا النوع المؤلف ، بحثه في نهاية الأرب ٧ : ١٧٣ ، حسن التوسل : ٨٦ .

(١) سورة آل عمران آية ١٩٤ .

(٢) سورة غافر آية ٨ .

(٣) هو ابن نباتة السعدي كما في معاهد التنصيص ٣ : ١١ ، والبيتان في نهاية

الأرب ٧ : ١٧٣ غير منسوبين ، وروايته « وما عندي لقرته » أي لشدة برودته .

باب الفرائد *

وهو مختص بالفصاحة دون البلاغة ، لأنه عبارة عن إتيان التكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حبّ المقد ، وهي الجوهرة التي لا نظير لها ، تدلّ على عظم فصاحته ، وقوة عارضته ، وحزالة منطقته ، وأصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظة إذا سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرايتها ، فقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز غرائب لا يقع مثلها لخلق ، وهي من الكثرة في القرآن بحيث يعسر ^(١) حصرها ، ومنها قوله تعالى : ﴿ الْآنَ خَصَصَ [١٤٧] الْحَقُّ ^(٢) ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا اسْتِأْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ^(٣) ﴾ فألفاظ هذه الجملة كلها من هذا الباب ، وأجزأها قوله تعالى : ﴿ اسْتِأْذِنُوا ﴾ وأصحها قوله سبحانه : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، وقل أن تجميع الفصاحة والبلاغة في جملة من هذا الباب إلا في هذه الجملة ، فإن هاتين اللفظتين تضمنتا مع الفصاحة الإيجاز — وهو أعلى ضروب البلاغة —

ولقد رأيت بعض شعراء المحدثين ضمنها شعرا له ، فأتى له من الوقع في النفوس ما لا تطيق الألسن الفصيحة أن تعبّر عنه ، وإن كان كل شعر ضمن شيئا من لفظ القرآن فهو كذلك ، ولا مثل الشعر الذي يتضمن أفصح ألفاظه ، فقال هذا الشاعر ^(٤) (الطويل) :

(*) هذا النوع مما سلم للؤلف ، ولم يسبق إليه ، بحسنه في خزنة ابن حجة : ٣٧٢ .

(١) في ١ ، « يعز » والمعنى يستقيم عليها أيضا .

(٢) سورة يوسف آيتا ٥١ ، ٨٠ .

(٣) لم أوفق لفائل هذين البيتين بعد البحث الكثير « فنأمل » .

أَجِيرَتَنَا بِالْفَوْزِ كَيْفَ خَلَصْتُمْ نَجِيًّا وَأَخْفَيْتُمْ حَدِيثَكُمْ عَنِّي
لَقَدْ سَمِعْتُ أَذْنَائِي نَجْوَى فِرَاقِكُمْ فَلَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي

فَتَأَمَّلْ هَذَا الشَّعْرَ الَّذِي يَجِدُ اللَّيْلِبُ لِسَمَاعِهِ نَشْوَةً كَنَشْوَةِ الْحُمْرِ ، وَمَا
ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ أُلْقِيَ عَلَى شَبِّهِ (١) الْفَاضِلِ أَكْثَرًا مِنْ لَفْظَةِ الْقُرْآنِ ، فَصَارَ ذَلِكَ
الشَّبَّهَ تَبْرًا خَالِصًا ، وَمَزَجَ بَاطِلَهُ بِحَقِّهِ ، فَتَجَلَّى عَلَى الصَّدَقِ ، وَلِلصَّدَقِ رَوْنَقٌ .

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ (٢) ﴾

فَانْظُرْ إِلَى لَفْظَةِ « فُزِعَ » وَتَأَمَّلْ غَرَابَةَ فَصَاحَتِهَا لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفِكَرَ لَا يَكَادُ يَقَعُ

عَلَيْهَا ، وَكَقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (٣) ﴾

فَالْمَحْضُ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ تَجِدُهَا كُلُّهَا فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْفَصَاحَةِ ، وَكَقَوْلِهِ :

تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (٤) ﴾ وَهَذِهِ الْفَرِيدَةُ أَعْجَبُ

مِنْ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ ، فَإِنَّ لَفْظَةَ « خَائِنَةُ » بِمُفْرَدِهَا مُسَهَّلَةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ ، كَثِيرَةٌ الْجَرَيَانُ

عَلَى الْإِلْسَانِ ، فَلَمَّا أُضِيفَتْ إِلَى الْأَعْيُنِ حَصَلَ لَهَا مِنْ غَرَابَةِ التَّرْكِيبِ مَا جُمِلَ

لَهَا فِي النُّفُوسِ هَذَا الْوَقْعُ بِحَيْثُ لَا يُسْتَطَاعُ الْإِتْيَانُ بِمِثْلِهَا ، وَلَا يَكَادُ يَقَعُ

ذَوْ فِكْرٍ سَلِيمٍ ، وَذَهْنٍ مُسْتَقِيمٍ عَلَى شَبِّهِهَا ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ

لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَضَرِ .

(١) الشَّهْرُ بِالْتَحْرِيكِ : النُّجُومُ الْأَصْفَرُ (الْقَامُوسُ) .

(٢) سُورَةُ سَبَأٍ آيَةُ ٢٣ .

(٣) سُورَةُ الصَّافَّاتِ آيَةُ ١٧٧ .

(٤) سُورَةُ غَافِرٍ آيَةُ ١٩ .

باب الاقتدار*

وهو أن يُبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارا منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة وطورا يُبرزه في صورة الإرداف، وآونة يُخرجه مخرج الإيجاز، وحينما يأتي به في ألفاظ الحقيقة، كقول أُمريء القيس^(١) في صفة الليل مما أخرجه بلفظ الاستعارة (الطويل) :

[١٤٧]

وليل كموج البحر أرخى سدولهً على أنواع الموم ليثلي
قلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وفاء بكنكلك

ثم أتى بهذا المعنى بعينه في لفظ البسط فقال^(٢) (الطويل) :

١٠ فيالك من ليل كأن نجومه بكل مفار القتل شدت بيذبل

فإن ملخص معنى هذا البيت : فيالك من ليل طويل ، فبسط الصفة ليحصل من البسط ما حصل من التشبيه الدال على عدم سير النجوم ، ليبدل بذلك على طول الليل ثم أخرج هذا المعنى بلفظ الإرداف ، فقال (الطويل) :

* هذا النوع سماه المؤلف في تحرير التحرير من ٢٦٤ (٤٨ بلاغة تيمور) المتصرف وسار على هذه القسمة صاحب حسن التوسل : ٥٩ ، وهو من الأنواع التي سلت المؤلف (١) ديوانه ٣٢ الطليعة الحيرية سنة ١٣٠٨ هـ ، بديع ابن المعتز : ٢٤ ، العمدة ١ : ٢٤٥ ، الصناعتين : ٢٤٧ ، حماسة ابن الشجري ٢١٦ ، الموشح ٣١ (٢) المفار : المحكم (هامش بالأصل) ، ديوانه ٣٣ ، الموشح ٣١ ، حماسة ابن الشجري ٢١٦ .

(م — ١٩ بديع القرآن ب)

كَانَ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا^(١) بِأَمْرٍ كَثَانٍ إِلَى صُمٍّ جَنْدَلٍ

فإنه أراد أن يقول مستشهدا على صحة ما أدعاه في البيت الذي قبله من شد النجوم بمجال إلى صُمٍّ حجارة، ألم تر إلى الثريا — التي لا تكاد تخفى على أحد لكبرها واجتماع نجومها وشهرتها — واقفة، فعدل عن ذلك إلى قوله : « كان الثريا » البيت لما أفاد الإرداف من التشبيه ، ثم أبرز هذا المعنى في لفظ الحقيقة بطريق الإيجاز قال^(٢) :

أَلَا أَيُّهَا النَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلْ بِصَبْحٍ رَومَا الْإِصْبَاحَ مِنْكَ بِأَنْجِلْ

ولا شبهة في أن هذا إنما يأتي من قوة الشاعر ، وقدرته على التلاعب بالكلام ، وعلى هذا أنت جميع قصص القرآن العزيز ، فإنك ترى القصّة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صور مختلفة ، وقوالب من الألفاظ متعددة ، حتى لا تكاد نشبته في موضعين منه ، ولا بد أن تجد الفرق بين صورها ظاهرا ، وإلى هذا المعنى أشرت بقولي في وصف القرآن العزيز من قصيدة مدحت بهار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نظمت فيها ما في (الشفاء) للقاضي عياض بن محمد بن موسى — رحمه الله عليه — من دلائل نبوة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وخصائصه ، عدتها ثلاثمائة بيت وخمسة عشر بيتا ، أولها (الطويل) :

بُسْكُرَ الصَّبَا أَعْطَاهَا تَبَاوَدُ فَالْحَاظُهَا سُكْرًا عَلَيْنَا تَعْرِبُ

(١) المصام : موضع الوقوف (هامش بالأصل) ديوانه ص ٣٣ .

(٢) ديوانه ٣٣ طبع مصر ١٣٠٧ هـ ، نقد الشعر : ١٤ ، البوشع ٣١ ، حاشية

ابن الشجري : ٢١٦ .

جاء فيها من وصف القرآن العزيز بعد تمديد معظم آياته :

- وآيته العظمى بلاغة ما به أنى من كتاب فضله ليس يُجحدُ
تفرّد في عصر البيان بيانه بأسلوبه إذ نظمه متفرّد [١٤٨]
وفي نظمه بعد القراءة مُعجزٌ بحاسنه لم تنحصر فتمدّد
هدى الناس منه للبديع بديعه فصاغوا حلّي القول منه وولّدوا
بمعنى يزين المرء^(١) منه كلامه فيحلو بأسماع الورى حين يورد
ويُضحى لما يأتي به أى رونق يعظمه المصنّى له ويمجد
وجاء سليماً نظمه من معائب بلا سقط فيه لمن يتفقد
به قصص تأتيك طوراً بسيطة ليفهمها من بسطها المتبلّد
وطوراً بإيجاز يثبت لدى حجي له زند فهم ثاقب ليس يصلد ١٠

والبيتان الأخيران أردت ، لدخولهما في هذا الباب ، وفي أوصافه بعد هذه
الآيات آيات أخرى تأتي على معظم أوصافه ، تركت ذكرها لئلا نطول
بذكرها في غير موضعه ، فإن هذا الكتاب لم نذكر فيه من الشعر إلا ما يتعلق
به ، ونس الحاجة إلى ذكره ، والقصيدة مشهورة من أراد الوقوف عليها بجمليتها
وجدها في جزء أفرده من شعري بمدائح — صلى الله عليه وسلم — ومدائح
الخلفاء الراشدين الأربعة من أصحابه ، وقطع في مدائح أهل بيته — عليهم
السلام — وسميته (صحاح المدائح)^(٢) .

* * *

(١) كذا في ا ، ب ، د ، س ، والتي في الأصل ، ت د الحر ، وهو تصحيف .
(٢) لم أعر على هذا الكتاب فيما لدى من المظان فأمل .

باب النزاهة*

وهو مختصّ غالباً بالمجاء ، وإن وقع نادراً في غيره من الفنون ، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ المجاء وغيره من النحش حتى يكون المجاء كما قال فيه أبو عمرو بن الملا وقد سئل عن أحسن المجاء ، فقال : عو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها ، مثل قول جرير^(١) (الكامل) :

لو أن تغلبَ جَمَعَتِ أحسابها يومَ التَّفَاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقَالاً
وكفوله^(٢) في الراعي التميمي (الوافر) :

فَفُضِّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فلا كِمْياً بلغت ولا كِلَاباً
وكقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي^(٣) (الطويل) :

فَظَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَاكِ دَرِيئَةٌ أَطَاعِينَ عَنْ أَبْنَاءِ جَرَمٍ وَقَرَّتْ

١٠

(*) من الغريب أن يحنى على المؤلف قول أبي عمرو بن الملا : خير المجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها ، وقول ابن بسام في الدخيرة : المجاء ينقسم إلى قسمين : قسم يسمونه مجاء الأشراف ، وهو ما لم يبلغ أن يكون سباباً أو هجواً مستتبها ، والثاني السباب الذي أحدثه جرير وطبقته . فهذا النوع مسبوق إليه ، ولم يعلم للمؤلف إلا التسمية فقط (خزائن ابن حجة : ٧٧ . وهي ضرب من الهجو غير أنه يتعين أن يكون بألفاظ منزهة عن النحش) .

(١) ديوانه ص ٤٥٢ مطبعة الصاوي .

(٢) ديوانه ص ٧٥ مطبعة الصاوي .

(٣) الخزانة ١ : ٤٢٢ والحامسة بشرح التبريزي ١ : ٨٤ مع اختلاف في الرواية حيث

يقول فيها « ظلت » مكان « فظلت » ويروى في نسخه (١) ، (ب) « حرب » بدل « جرم » وما أتيتاه من الأصل وبقية النسخ ، والخزانة ، والحامسة ، والدريئة : هي الحلقة يتعلم عليها الطعن ، وقد تكون من الدرء بمعنى الدفع .

وقال ابن الأعرابي : أهدى بيت وأمضه قول الشاعر^(١) (الطويل) :

وقد غلّت عرسك أنك آيبٌ تخبرهم عن جيشهم كل مرتع

وكقول أبي تمام^(٢) في المولدين (البسيط) :

[١٤٩]

مودّة ذهب أثمارها شبه وحة جوهر معروفها عرض

وكقوله^(٣) أيضاً (البسيط) :

بني لهية ما بالي وبالكُم وفي البلاد مناديج ومضطرب

لجاجة لي فيكم ليس يشبهها إلا لجاجةكم في أنكم عرب

فانت ترى مضاعفة هذا الهجاء ، وزاخرة ألفاظه من الفحش .

ومن أمثلة هذا الباب في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ

الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفَبَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ

يَحْجِفَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^(٤) ﴾ . فإن ألفاظ ذم

هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزّهة عما يقع في الهجاء من غير هذا القسم .

واتفق في الآية مع الزاخرة ، صحة التقسيم ، فإنها لم تُبق قسماً يقع

(١) هو أوس بن حجر ، النقاش : ٣٨٦ ، سخط الآلى : ٧٦٧ تحقيق الأستاذ عبدالمزيم

(٢) ديوانه باب المعانيات ص ٤٠١ الجامع الكبير لابن الأثير ٢٤٩ ، الطراز : ٣

٣٢٩ .

(٣) ديوانه باب الهجاء ص ٤٨٨ وهما من أبيات يهجو بها عياش بن لهيعة أولها :

النار والمار والكروه والعلب والقتل والصلب والران والحشب

(٤) سورة النور الآيات من ٤٨ — ٥٠ .

باب التسليم*

- وهو أن يفرض المتكلم فرضاً محالاً إما منفيّاً أو مشروطاً بحرف الأمتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع لأمتناع وقوع شرطه ، ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدائياً ، ويدلّ على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه ، كقوله سبحانه :
- (مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)^(١) خلاصة معنى هذا الكلام أن ليس مع الله من إله ، وكأنّ قائل ذلك قال : ولوسلّمنا أن معه سبحانه إلهاً لزم من ذلك التسليم ذهاب كلّ إله من الاثنين بما خلق وعلوّ بعضهم على بعض ، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ، ولا تنظم أحواله والواقع ، خلاف ذلك ، ففرض الإلهين فصاعداً محال ، لما يلزم منه من المحال .

باب الافتتان*

- وهو أن يفتن المتكلم فيأتى في كلامه بفنيين إما متضادين أو مختلفين أو متفقين ، مثال المتضادين جمع المتكلم بين النزل والحاسة ، لأنّ النزل

(*) هذا النوع مما سلم لابن أبي الإصبع وإن كان بطل البحث والناظرة أجدر كما لا يخفى
(١) سورة المؤمنين آية ٩١ .

(*) هذا النوع مما سلم للمؤلف وإن كان يلتبس بالادماج إلا أن الإدماج تضمنين المتكلم للكلام معنى آخر بشرط ألا يصرح به ولا يشعر في كلامه بأنه مسبوق لأجله بخلاف الافتتان ، بحته في خزنة ابن حجة : ٦١ ، حسن التوسل : ٨٦ ، نهاية الأرب : ٧ : ١٧٣ .

لَيْن ، والحاسة شدة كقول عبد الله بن طاهر^(١) بن الحسين من المولدين
(الوافر) :

أحبك يا ظلوم وأنت يني مكان الروح من جسد الجبان^(٢)
ولو اني أقول مكان رُوحى خشيتُ عليكِ بادرة الطمان
فأنظر كيف جمع في هذا الشعر ، وخصوصاً البيت الثاني منه بين الفزل
والحاسة بأرشفة عبارة وأبلغ إشارة ، وقد تقدّم غيره في ذلك في الجاهلية^(٣)
فقال (الكامل) :

إن تُفدني دُوني القناع فأتني طَبَّ بأخذ الفارس المستلثم
وهذا أفضل بيت سمعته في هذا الباب ، فإنه جمع فيه بين الفزل والحاسة
والجدّ والمزل ، فأتى فيه بنادرة طريفة ، وطُرْفَة غريبة ، حيث قال : بعد
وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل
[١٥١] المذهب الذي يحول بين الأبصار وبين البصرات : إنني طَبَّ بأخذ الفارس
المستلثم ، يقول : إن تبرقعي دُوني فإني خير لدربي بالحرب بأخذ الفارس الذي
سترته^(٤) لأمته ، وحالت دُوني ودون مقاتلته ، فأبرز الجدّ في صورة المزل ، فجاء
في بيته مع الأفتنان التندير الطريف ، وعبر عن معناه اللطيف بهذا اللفظ

(١) هذان البيتان ينسبهما ابن حجة (س ٦١) لأبي دلف مرة ، ولجبد الله هذا نارة
أخرى ونسباً أيضاً في ابن مضمون س ١٠٣ لأبي دلف ، وكذلك في الكامل للبرد :
٧٠٢ طبع أوربا مع اختلاف في روايتها فيهما ، والأغاني ٢٠ : ١٤٨ مع اختلاف في
روايتها أيضاً .

(٢) في نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٣ « يا جنان » و « محل » .

(٣) البيت لعنزة العيسى ديوانه ٩٣ ط مطبعة هندية سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٨ م بمصر .

(٤) الأئمة : الدرر (القاموس) .

الشريف ، فهذا شاهد ما جمع بين الفزل والحاسة ، وأما ما جمع بين المدح والمهجا فكقول الخطيئة^(١) (البسيط) :

قد ناضلونا وسلوا من كِناَتِهِمْ مجددا تليدا ونبلا غير أنكاسٍ

- ومعنى هذا البيت لا يعرفه إلا من عَرَفَ أَنَّ عادة العرب إذا مَنُوا على أسير أعطوه نبلا من نبلهم عليها إشارة نذل على أنها لأولئك القوم لا تزال
- في كِنَاتِهِ . فقال الخطيئة لهذا المدوح الذى عنه بهذا المدح : إن عداك لما فأكروك سلوا من كِنَاتِهِمْ تلك التى أعطيتها لم حتى مننت عليهم ، تشهد لك بأنهم مضاؤك ، فكان هذا مجددا تليدا لك لا يَقْدِرُونَ على جَحْده ، تثبتة لك هذه النبيل التى ليست بأنكاس ، يعنى الصائبات التى لا تنكب إذا ناضلت بها عن الفَرَض ، وهذا غاية المدح للمدوح ، ونهاية المهجا لعداء ، إذ أخبر بأنهم
- ١٠ مع معرفتهم بفضله عليهم يفاخرونه بما إذا أظهره أثبت له الفضل عليهم ، وهذا غاية الجهل منهم والغباوة ، وأما ما جمع فيه بين تهنيئته وتمزيته فلم أسمع مثل قول المُمَزَّى ليزيد بن معاوية عندما جلس فى دَسْت الخلافة وأتت الوفود لتهنئته وتمزيته بأبيه ، فلما اجتمعوا لم يفتح على أحد بما فتح به لهم باب القول ، حتى

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها بغيضا ويهجو الزرقان وقد شكاه الزرقان بسببها إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ديوانه من ١٣٥ طأوريا وروايته « ناضلوك » و« نبلا » أما رواية اللسان مادة « نكس » فرواية البيت « ناضلونا » و« عزا » بدل « نبلا » وعليها يستقيم المعنى لأن المعنى على رواية الديوان يكون مدحا للزرقان لا مهجا ولذلك علق عليه صاحب اللسان بما يفسر معناه فقال : الانكاس : النكس من السهام وهو أضعفها قال : ومعنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خبروه بين التخلية وجز الناصية ، أو الأسر فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر فى كِنَاتِهِمْ فإذا افتخروا أخرجوه وأروه مفاخرهم .

تقدم هذا المقدم ذكره ، فاستأذن في الكلام ، فلما أذن له قال : « أجرك الله يا أمير المؤمنين على الرزية ، وبارك الله لك في العطية ، فلقد رزئت عظيما ، وأعطيت جسيما ، رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله ، فأصبر على مارزئت ، واشكر على ما أعطيت ، وأنشد^(١) : (البسيط)

• اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ وأشكرُ حياءَ الذي بالملك أضفا
لارزءُ أصبح في الأقوام تعلمه كما رزئت ولا عني كمقبا كما
أصبحت راعي^(٢) أمور الناس كلهم فانت ترعاهم والله يرعا
[١٥٢] وفي معاوية^(٣) الباقي لنا خلف إذا نعت ولا نسمع بمنعنا كما

فتفتح للناس باب القول : فقالوا ، وكان له فضل السبق ، وما رأيت أحسن من هذا الكلام فإن النثر المتقدم هو جل الشعر المتأخر ، والشعر المتأخر فقد النثر المتقدم مع ما في مفردات جملته من ضروب المحاسن وفنون المقاصد ، مثل المقابلة ، والمناسبة ، والتعطف ، والمساواة ، وتمكين المقاطع ، إلى ما جاء في الشعر زائدا على ما في النثر من التندير ، والأحتراس ، والمقارنة ، والألفاظ ، والإيغال في سلامة سبك ، وبراعة عبارة ، وخفة ألفاظ ، وصحة معان ، وفراط إيجاز ، وأما قول أبي نواس للعباس بن الفضل يعزى بالرشيد ، ويهنته بخلافة الأمين (الطويل) :

١٥ تمرُّ أبا العباس عن خير هالكٍ بأكرمٍ حيٍّ كان أو هو كائنُ

(١) الأبيات في زهر الآداب ١ : ٤٩ منسوبة إلى عبد الله بن همام السلولى من بى مرة بن معصمة من قيس عيلان ، وبنو مرة يعرفون ببني سلول . لأنها أمهم وهى بنت ذهل بن شيبان ابن تطلبة انظر هامش (١) س ٧٤ من ديوان سراقه تحقيق الدكتور حسين نصار .
(٢) في زهر الآداب « والى أمر الناس » والمضى يستقيم على كلتا الروايتين .
(٣) يريد أبا ليلي : معاوية بن يزيد ، وولى بعد أبيه شهورا ، ثم خلع عن الأمر فقال القائل : « والملك بعد أبى ليلي لمن غلبا » انظر زهر الآداب ١ : ٤٩ وما بعدها .

حوادثُ أيامَ تدورُ صُروفُها لهنَّ مساوٍ مرّةً ومحاسن
وفي الحى باليت الذى غيبَ الترى فلا أنت مغبون ولا الموت غاب
وبما جمعت فيه بين فنّ العتاب وفنّ الاعتذار قولى (البسيط) :

أعرضت عني ولم أذنب وملت إلى الـ واشى وهبني قد أذنبت فاعف
ولا تضع ماحباك الفكر من مدحى عن صفو ودّ حماه الله من كدر
وكل هذه المعاني تتبرج وتزيف عند قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا ^(١) ﴾ فانظر إلى ما جمعت هذه اللفظات التي هي
بعض آية من الوعد والوعيد ، والتبشير والتحذير ، وما يلزم من هذين الفئتين من
المدح للمختصين بالبشارة ، والذم لأهل الذمارة .

وقد جاء في الكتاب العزيز من هذا الافتنان نوع غريب ، وهو الجمع
بين التعزية والفخر ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ^(٢) ﴾ فإنه سبحانه عزى جميع المخلوقات
من الإنس والجنّ وسائر أصناف الحيوانات ومشى على الأرض من كل قابل
للحياة ، وملائكة السموات ، وتمتدح بالأنفراد بالبقاء بعد فناء الموجودات . في
عشر لفظات ، مع وصفه سبحانه ذاته بعد أنفاده بالبقاء بالجلال والإكرام ،
[١٥٣]
وحق له ذلك سبحانه .

* * *

(١) سورة مريم آية ٧٢ .

(٢) سورة الرحمن آيتا ٢٦ ، ٢٧ .

باب المراجعة*

وهو أن يحكى التكلم مراجعةً في القول جرت بينه وبين محاور له
في الحديث ، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة ، وأبلغ إشارة ، وأرشق محاورة ،
وأعدل سبك وأسهل ، وأغذب ألفاظ وأجزها ، إما في بيت واحد أو أبيات أو
جملة واحدة أو جمل ، ومن شواهد الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي^(١)
(الرمل) :

بينما يَنْمَتْنِي أَبْصَرْتَنِي مِثْلَ قَيْدِ الرُّمَحِ يَدُوبِي الْأَغْرَ
قَالَتِ الْكُبْرَى تُرَى مِنْ ذَا الْفَتَى قَالَتْ الْوَسْطَى لَهَا هَذَا عَمْرُ
قَالَتْ الصُّغْرَى وَقَدْ تَيْمَنُهَا قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَحْفَى الْقَمَرُ
وقع في هذه الأبيات خبثان يدلان على قوة عارضة هذا الشاعر ، وفراط حذقه
ومعرفته بوضع الكلام مواضعه ، أحدهما وهو الدال على قوة العارضة أن قوافي
الأبيات الثلاثة لو أطلقت لكانت كلها مرفوعة ، كما قيل في أرجوزة^(٢) رُوْبَةُ
الَّتِي أَوَّلَهَا ، (الرجز) :

* قد جبر الدين الإله فَجَبَرَ *

(*) ذكر المؤلف أن هذا النوع من مخترعاته وقد وجدته في كتب كثيرة لمن تقدمه
باسم آخر وهو السؤال والجواب والتي تحدث عنه فخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز في
دراية الإعجاز ص ١١٤ تحت هذا الاسم . والحقيقة أن هذا النوع ليس له كبير أثر في البديع
وهو بطل النحو أخلق ، وبأسلوب الحكاية الذي قتل بحثاً أقرب . بحثه في خزنة ابن حجة : ٩٩
(١) ديوانه برواية أخرى ٢٦٤ ط السعادة مم حذف البيت الثاني وفي الأغاني ج ١
ص ١١٩ طبع الدار مع اختلاف يسير عما هنا وخزنة ابن حجة : ٩٩ .

(٢) البيت لابنه وليس لرؤبة ، وهو عبد الله بن رؤبة ليلى ابن صخر بن عبيدة ابن ربيعة
بن سعد بن زيد بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن إلياس بن نزار بن معد
بن عدنان ، ديوانه مخطوط ومحفوظ بدار الكتب برقم ٤٤٤ أدب ش

فإنه قد روى عن الأصمعي أنها تزيد عن تسمين سطرا ، ولو أطلقت قوافيها لكانت كلها مفتوحة .

والحب الثاني كونه جعل التي عرفته من جملة البنات ، وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها بحبه هي الصغرى منهن ، ليدل على أنه فتى السن ،

● بدليل الالتزام إذ الفتية من النساء لا تميل إلا إلى الفتى من الرجال غالبا ليدمج في ذلك عذره في الصبوة ، وإنه إنما كان ذلك منه في أيام الشبية ، وقد ختم قوله

بالتذييل الذي أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال في الحكاية عنها : « ... وهل يخفى القمر » ولا يقال إنما مالت الصغرى إليه لضعف عقلها وعدم تمييزها وقلة

تجربتها ، فإني أقول : قد يخلص من هذا الدخل بإخباره أولا عن الكبرى أنها

١٠ ما كانت تعرفه ، وقد أعجبها حين رآته حتى سألت عنه ، ويحتمل أن تكون

قد سألت عنه وهي عارفة به ، تسمية لأمرها فيه ، من باب تجاهل العارف ،

إما إظهارا للتدله والتوله في الحب ، أو لقصد أن تجاب بأسمه فتلد بذلك ،

والوسطى صرحت بأسمه لأن منزلتها في رجاحة العقل ورصانة اللب دون منزلة

الكبرى ، فلما سترت الكبرى نفسها بالسؤال عنه لما يقتضيه عقلها ، صرحت [١٥٤]

١٥ الوسطى بأسمه ومعرفته بالنسبة ، وأبانت الصغرى عما في نفسها منه بوصفها له

بصفة تدل على عظم مكانه من قلبها ، لمكان سنّها من الأختين ، وإن كان ذلك

لم يخطر ببال الشاعر في وقت العمل ، فإن قوة كلامه تقتضيه وتحتمله .

ومن شواهد هذا الباب ، في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنْ جَاءَكَ

لِلنَّاسِ إِيمًا مَّا قَالِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ^(١) ﴾ فأنظر إلى هذه

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

القطعة من الكلام التي عدة لفظاتها ثلاث عشرة لفظة ، وإلى ما حوته من ضروب البلاغة وهي بعض آية ، وذلك أنها جمعت معاني الكلام من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، أما الخبر ففي قوله تعالى : « إني جاعلك » فأخبره بهذا الخبر الذي هو وعد في الحقيقة بأستخلافه على الناس . والاستخبار في ضمن الخبر ، فإنه فرع على الخبر ، إذ الخبر يصير استخبارا بتصدير ما يدل على الاستفهام والأمر في قوله « ومن ذريتي » فإن معناه والله أعلم : الطلب لذريته ما وعد به من الاستخلاف ، فكأنه قال عليه السلام : رب وأفضل ذلك لبعض ذريتي ، وكل طلب أمر ، لكنه إذا كان من الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان من العبد ، أوجب حسن الأدب مع الله عز وجل أن يسمى دعاء ، ولا يطلق عليه لفظ الأمر وإن كان أمرا في أصل الوضع ، والأمر بالشئ نهى عن ضده على أصح المذهبين ، فكان معناه ولا ريم بعض ذريتي ذلك . والوعد قد تقدم بيانه . وأما الوعيد ففي قوله تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » فإن حاصل ذلك أن الظالمين من ذريتك لا ينالهم أستخلافي ، وحرمان ذلك غاية الوعيد ، وحصل في هذا الكلام مع ذلك تنكيت عجيب في قوله « إني جاعلك » بصيغة لفظ أسم الفاعل المضاف الدال على المفعول ، أي إني قد جعلتك في سابق علمي ، بتحقيق الوعد ، ليثيق الخليل — عليه السلام — بوقوعه ، فإنه وعد قد سبق به علم الله ، والله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد ، وعلمه لا يتغير ، فأ نظر كم بين حاصل هذه اللفظات التي هي بعض آية وبين حاصل ما تقدم من آيات ابن أبي ربيعة الثلاثة ؟

* * *

باب إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء *

وهو أن يقصد المتكلم أن يفرد إنساناً بصفة مدح لا يشرك فيها غيره ، [١٥٥]
فينفي تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس ، ويثبتها له خاصة ^(١) كقول
الخنساء ^(٢) في أخيها صخر (الطويل) :

وما بَلَغَتْ كَفْ أَمْرِي مَتَنَاولاً من المَجْدِ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَطْوَلَ
وما بَلَغَ المَهْدُونُ للنَّاسِ مِدْحَةً وإن أَطْنَبُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ
فتناوله أبو نواس ^(٣) فقال في محمد الأمين (الطويل) :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُنْشِي وَفَوْقَ الَّذِي نُنْشِي
وإن جَرَّتِ الأَلْفَاظُ مِنَّا مِدْحَةً لِمَعْبُودِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَمْنِي

١٠ لم يتعرض أبو نواس لليت الأول من بيتي الخنساء البتة ، وإنما تناول
معنى الليت الثاني ، فعمله برمته في بيته الأول ، وعلم لحذقه أن المعنى ناقص
من جهة أنه لم يأت منه إلا بتفضيل ما قيل في ممدوحه على ما قيل في غيره من
سائر الناس ، هو معنى الخنساء ، وقد بقي من تمام معنى هذا الممدوح المخصوص

(*) هذا النوع مما سلم للمؤلف ولم يسبق إليه .

(١) كذا في الأصل ، ا ، ب ، د ، س والذي في ت « لمدوحه » .

(٢) ديوانها ٢٥ طبع بيروت وروى فيه برواية تختلف في بعض ألفاظها .

(٣) ديوانه : ٤١٥ بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد عبد الحميد الفزالي .

بما يقوله هو في مدح غير ممدوحه ، فأخبر أنه يعني به ممدوحه وثبوت به ، وإن واجهت الألفاظ غيره فحمل لفظ مدحه لغير ممدوحه ، ولمدوحه مضاه .

ومن هذا الباب قسم يقع في التشبيه والإخبار ، وهو أن يكون للمشبه أو المخبر عنه صفات ، فيعمد المتكلم إلى نفي بعضها نفيًا يلزم منه إثبات ما في تلك الصفات له ، كقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي - عليه السلام - : « أما ترضى ^(١) أن تكون متي بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي » ؛ فسلبه النبوة مستثنيًا لها من جميع ما كان لها من موسى عليهما السلام .

ومن القسم الأول من هذا الباب جميع معجزات الرسل - صلوات الله عليهم وسلامه هي ، فإن صورة المعجزة تنسب للنبي الذي جاءت على يده وتُمد من فعله مجازًا ، وهو في الحقيقة فعل الله تعالى ، ومن ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : ١٠ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ ^(٢) فأثبت الرمي للنبي - صلى - الله عليه وسلم - إذ جاءت صورته على يده ، ونفي معناه عنه ، إذ كان لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلا من الله سبحانه ، فإن كل حصاة أصابت عين كل إنسان من القوم ، وهذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى .

* * *

(١) الجامع الصغير ٢ : ٩٨ .

(٢) سورة الأَنْفَال آية ١٧ .

باب الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى [١٥٦]

توكيدا أو تمييزا المدلوله عن غيره *

مثال ما أفادت زيادته اللفظ فصاحة والمعنى توكيدا قوله تعالى : ﴿ قِيمًا رَحْمَةً مِنْ

اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ ﴾ (١) فإن كل ذى ذوق سليم (وذهن مستقيم) (٢) ونظير صحيح

- يفرق ما بين هذا اللفظ بهذه الزيادة وبينه عَرَبِيًّا عَمَّا ، فإنه لو قيل : « فبرحمة من

الله لنت لهم » لم نجد لها من الوقع في النفوس ما لقوله : ﴿ قِيمًا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ ﴾

ويشهد الطبع الجيد المعتدل بأنها بالزيادة أفصح ، وأن الزيادة أفادت هذه

الجزالة والطلاوة ، مع كونها جاءت مؤكدة للمعنى .

ومثال الزيادة التي من القسم الثاني قوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ

- ١٠ وَعَلَيْهَا مَا أُكْتَسَبَتْ ﴾ (٣) فإنه كان يمكن أن تأتي اللفظتان بغير زيادة ،

فيقال : « لها ما كسبت وعليها ما كسبت » وإنما منع من ذلك ما يحصل للنظم من

العيب ، وإغماض المعنى الذي قصد (٤) ، أما العيب فاستتقال تكرار لفظه « كسبت » بغير

زيادة في نظم قرأت فيه الثانية من الأولى فصح ، وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى

أن الفطرة التي فطر الله - سبحانه وتعالى - الناس عليها فطرة الخير ، فالإنسان بتلك

(١) أرى أن المؤلف ليس له في هذا الباب فضل اختراع ، فهو بعينه ما سبق السلام

عليه تحت اسم التتميم أو الاحتباس وهو بعينه ما تكلم عنه الديري في بديعه تحت تسمية ابن

أبي الأسيم : ٦٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩ .

(٣) الميمارة التي بين قوسين سابقة من ت .

(٤) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٥) كذا في ١ ، وهو الصواب والذي في باقي النسخ « يصل » ، وهو تحريف .

(م - ٢٠ - بديع القرآن ب)

الفطرة السابقة في أصل الخلق لا يحسن أن ينسب إليه إلا كسب الحسنات ، وما يعمل من السيئات ، يعمل لمخالفة الفطرة ، فكأنه تكلف من ذلك ما ليس في جبلته ، فوجبت زيادة التواء التي للافتعال ، فحصلت زيادته إمالة العيب عن النظم ، لمخالفة إحدى اللفظتين أختها ، والإشارة إلى المعنى المراد ، ليوافق معنى هذا الكلام معنى قوله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(١) ومعنى قوله - عليه السلام - « كل مولود^(٢) يولد على الفطرة حتى يكون أبواء يهودانه وينصرانه ويمجسانه » .

ومن هذا القسم قوله تعالى أيضاً : ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاةً ﴾ ، زيادة لام التوكيد لأن أمر الزرع يحتمل أن يظن الضعيف بادی الأمر أنه من صنع متولى أمره ، وجعله حطاماً من فعل الشمس ، وعدم السقي فأكد للأخبار بآته من فعله سبحانه لدفع هذا الاحتمال بخلاف الماء ، فإنه لا يظن أحد أن أحداً يقدر على إنزاله من المزن غير الله تعالى ، فلم يحتاج إلى توكيد .

باب الإيهام

بياء معجزة من تحت واحدة ، وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متفايرين ، لا يتميز أحدهما عن الآخر ، والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب

[١٥٧]

١٥

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

(٢) الجامع الصغير ٢ : ١٧١ ؛ وكشف الحفاء ٢ : ١٢٥ .

(*) لم يسم المؤلف من هذا النوع إلا اسمه فقط ، أما المسمى فقد سبقه إليه السكاكوت تحت اسم التوجيه (الفتاح : ٢٢٦) بحثه في خزائن ابن حجة ٣٥٧ ، وحسن التوسل : ٧٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٧٧ .

أن الاشتراك لا يقع إلا في لفظة مفردة لها مفهومان لا يعلم أيهما أراد المتكلم .
والإيهام لا يكون إلا في الجمل المؤلفة المفيدة ، ويختص بالفنون كالمدح ، والمجاء
والعتاب ، والأعتذار ، والفخر ، والثناء ، والتوبيخ ، وغير ذلك ، ولا كذلك
الاشتراك .

ومنه نوع آخر يقع لأحد أمرين : إما لامتحان جودة الخطاط ،
وأما لامتحان قوة الإيمان من ضعفه .

- ومثال هذا النوع — وهو الذي يأتي لامتحان الإيمان — ما جاء في الكتاب
العزير من عدم التصريح بمعجزات بعض الأنبياء — صلوات الله عليهم
أجمعين — ليقال : ما الفائدة في اختصاص موسى وعيسى وأمثالهما — عليهم
السلام — ممن صرح بذكر معجزاته دون نوح وهود ولوط وشعيب
وأمثالهم — عليهم السلام — ممن لم يصرح بذكر معجزاتهم ، وقد علم أنهم رُسل الله ،
ولا بد لكل رسول من الإتيان بخارق قرين دعوى النبوة يتحدى به من بعث
إلهم ليكون علامة صدقه ، فيقال : إنما أبهم الأمر في هذا لتعلم قوة إيمان
المؤمن من ضعفه ، فإن المؤمن القوى الإيمان يصدق بنبوة هؤلاء الذين نطق
الكتاب بنبوتهم ، وشهد برسالتهم ، وإن لم يسمع لهم بمعجزة ، كما سمع لنبيهم
فربما كان من ضعف إيمانه ونقص عقله ميل إلى اعتقاد أهل الكتاب فيهم ،
فإن أهل الكتاب لا يعتقدون نبوة نبي إلا من بنى إسرائيل من لدن موسى
— عليه السلام — إلى قبيل زمن عيسى — عليه السلام — غير أن البلاغة وما يؤثر فيها
من حسن البيان توجب على المتكلم الإشارة إلى ما أبهمه في كلامه لتأني الإشارة
مدحجة في أثناء الكلام ، كما جاء ذلك في الكتاب العزير ، فإن قصة نوح
— عليه السلام — قد جاءت في هود وغيرها . غريّة عن ذكر معجزاته مصرّح ،

بذكره ، وأنت في سورة يونس — عليه السلام — مشاراً فيها إلى أنه جاء قومه -
 بآيات في الجملة ، وإن لم يذكر عينها ، وذلك قوله تعالى في سورة يونس — عليه
 السلام : ﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهِنَّ نَبَأًا نُّوحٍ إِذْ قَالَتْ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ
 عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ ^(١) ﴾ فأخبر عن نفسه أنه ذكرهم بآيات
 في الجملة ، ولم يعينها ليبقى اسم الإيهام على هذا المكان ، وإن كان يجوز أن تكون
 الآيات التي ذكرهم بها مواظب يذكر فيها قدرة الله ^(٢) تعالى وصفته في العالم وغير
 ذلك ، وإن لم يرد بها المعجزات ، ويحتمل أن يريد المعجزات . والله أعلم .
 وأصرح من هذا الموضع قوله تعالى في قصة شعيب في سورة الأعراف ^(٣) : ﴿ قَدْ
 جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ وتقدير الكلام قد جاءكم آية بينة من ربكم ،
 فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه .

ومن القسم الذي يمتحن الخاطر فيه ما يخرج المتكلم مخرج الملح ومنه
 ما حكى أن بعض الشعراء ^(٤) هنا الحسن بن سهل بصيره المأمون حين بنى بآفته
 بوران فيمن هنأه ، فأتاب الناس كلهم وحرّمه ، فلقية يوما وقال : والله لئن
 دُمت على حرمانى لأعلن فيك شعرا لا يعلم أحد مدحتك فيه أم هجوتك ،
 فضحك الحسن وقال : والله لا أعطيك شيئا حتى تعمل ذلك ، فقال (مجزوء
 الخفيف) :

(١) سورة يونس آية ٧١ .

(٢) من هنا ساقط بالأصل . وهو عن باقي النسخ .

(٣) في جميع الأصول : « هود » وهو خطأ من الناسخ في جميعها ، والصواب ما أنبتناه
 وقد وردت في هذه السورة مرتين مرة في آية ٧٣ ومرة في آية ٨٥ .

(٤) هو محمد بن حازم الباهلي من شعراء الدولة العباسية (خزانة ابن حجة : ٧٩ ،
 ونهاية الأثر ٧ : ١٧٤ ، وأنوار الربيع لابن معصوم : ١٣١ .

بارك الله للحسن^(١) ولبنورات في الخلق

يا إمام الهدى ظفرت ولكن بيئت من ؟

فلم يدر أحد قوله: « بيئت من » في العظمة والجلالة ، أم في السفالة والدناءة ،
فما تحسن الحسن ذلك منه وسأله : هل أتكرت هذا المعنى ، أو نقلته ؟ فقال :

- بل نقلته فقال : بمن ؟ فقال : من شاعر^(٢) في بلدنا خامل فصل قباء
عند خياط أعور اسمه زيد ، فقال له الخياط بطريق العبث به : سأتيك به
لا يعرف أحد ممن يراه أهو قباء أم دواج^(٣) . فقال : إن فعلت لأعلن فيك بيتا
لا يعرف أحد دعوتك فيه أم دعوتك عليك ، فوقى الخياط بما وعد ، وأتاه
بالقباء لا يعرف هل هو قباء أم دواج فقال (الرمل) :

- ١٠ خاط لي زيد قباء ليت عني به سواء
فما علم أحد ما أراد بتمنيته ، أراد أن تساوى الصحيحة السقيمة ، أو العكس ،
قال : فأزاد الحسن إعجاباً لحذقه وصدقته ، وأضعف له جائزته .
ومن إبهام العرب قول رجل^(٤) من بني عبد شمس بن سمد بن نعيم (الطويل) :
تضيئني وهنا^(٥) قلت أسابقي إلى الزاد شلت من يدي الأصابع
ولم تلق للعددي ضيفاً بقررة من الأرض إلا وهو صديان جائع
- ١٠

(١) في د ، س : « في الحسن » والصواب ما أثبتناه ، والبيان في معاهد التنصيص

١٢٩ : ٣

(٢) هو بشار بن برد كما في نهاية الأرب ٧ : ١٧٤ ، ولا أدري كيف يصف بشاراً بالحقول ؟

(٣) الدواج كرمات : لحاف يلبس .

(٤) ديوان الحماسة ج ٤ : ١٧١ طبع بولاق مع اختلاف بسير في بعض الألفاظ .

(٥) الوهن : القطعة من اللد .

فإن ظاهر هذا الشعر مبهم معناه ، لأن سامع الشعر يظن أن الشاعر أراد ضيفا من البشر فيعتقد أنه قد هجا به نفسه ، والمائل لا يهجو نفسه فيهم عليه الأمر فيه ، والشاعر إنما أراد ذنبا عصى رجله في الليل ، فرماه فقتله وقال ما قال .

ومن القسم الذي يتمتع به الإيمان في الكتاب العزيز قوله تعالى في صفة النار — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — (عَلَيْهَا تِسْمَةُ عَشْرٍ^(٢)) فإن معنى ذلك مبهم أشد الإبهام ، فإن لقائل أن يقول : ما التسمية في ذكر هذا العدد ؟ ولا يقال إن هذا السؤال ساقط ، فإنه يرد على أي عدد فرض ، بحيث لو قيل عليها خمسة عشر ، أو أحد عشر ، أو عشرون ، أو غير ذلك ورد عليه السؤال ، وما كان بهذه المثابة فهو ساقط لأننا نقول : هذا فيما يرد من الخلق الذي يدخل خبره الخلف ، وليس بمعصوم عن الكذب ، ويجوز عليه أن يفرض فرضا محالاً كلامه ، أما الباري — سبحانه — الذي لا يدخل خبره الخلف فهو إذا أخبر بشيء كان خبره على ما أخبر به ، فإنه إذا أخبر بحد لا يخل فيه لو قال غيره ورد عليه السؤال ، فإنه لا يجوز لأحد أن يعتقد أنه يخبر بغير ذلك العدد ، فإنه الحق الواقع ، وإذا كان كذلك يمكن لقائل أن يقول : ما الحكمة في جعل ملائكة العذاب على هذه العدد ؟ ، فيكون السؤال واردا مستحقا للجواب ، ليزول هذا الإبهام الذي على ظاهر الكلام ، وقد رأيت الإمام فخر الدين

ابن الخطيب رحمه الله تعالى أجاب عنه في (شرح أسماء الله الحسنى) بأن قال :
 لما كان المكلف عبارة عن حواس ظاهرة ، وحواس باطنة ، وهى عشر ، وطبائع
 وقوى خمس ، وهى الهاضمة ، والمترزة ، والغاذية ، والماسكة ، والدافعة ، وكانت
 هذه الأشياء هى التى تدعو إلى الاشتغال بالملاذذ الدنيوية ، والشهوات البهيمية ،
 • ودفع المضار البدنية عن الاشتغال بما يدنى من الجنان ، ويباعد من الثيران ،
 وكانت عدة هذه الأشياء تسعة عشر ، جعلت للملائكة الموكلة بتعذيب
 الإنسان وفق هذه العدة ليكون بازاء كل شئ من هذه الأشياء ملك موكل
 باستيفاء مايجب على ذلك الشئ الذى هو أحد الأسباب المانعة من الخير .
 ورأيت هذا الجواب لا يخلو من دخل عليه على ما فيه من التعسف والتكلف
 كما ترى ، ووجه الدخّل عليه أنه يلزم أن يكون لكل إنسان هذه العدة
 ١٠ من الملائكة ، ولم تكن هى جملة عدة الملائكة للجنّ ، ولجميع من حوت
 من المحدثين .

وعنّ لى جواب أسهل منه وأقرب وأنس ، ولعله إن شاء الله تعالى
 يكون سديدا ، وهو أنه ^(١) لا مَرَبَّةَ فى أن أهل النار يزيدون على أهل [١٥٨]
 الجنة بأضعاف مضاعفة ، لأن المؤمنين من كل أمة عشر معشار كفارها ،
 ١٥ وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الجنة أن عرضها السموات والأرض ، فما
 ظنك بطولها ، والطول من كل شئ فى معترف العادة أكثر من العرض ،
 فأهلها على هذا لا يحصيهم العدّ ، ولا يحصرهم الحدّ ، وقد تبين أن أهل النار

(١) إلى هنا ينتهى الحرم الذى نبهت عليه قبل .

أضعافهم ، فهم إلى تجاوز الحد في العد أقرب ، وأقل ما يظن بالملائكة
 الموكلين بعذابهم أن تكون عدتهم وفق عدتهم ليكون يلزاه كل معذب
 معذب وهذا عدد لا نهاية له ولا لكميته ، فلما أراد الحق الإخبار بحد
 هذه الملائكة عدل عن ذكر عددهم الذي هو معلوم عنده - وإن تجاوز النهاية
 بالنسبة إلينا - لئلا يخرج الكلام بكثرة الألفاظ وطول الفصول عن حد البلاغة
 إلى إشارة يفهم منها أن عدة هذه الملائكة عدد لا يتناهى مرتبة ، فاقصر سبحانه
 على ذكر آخر مرتبة الآحاد من العدد وأول مرتبة العشرات منه ، فإن مراتب العدد
 أربع ، آحاد ، وعشرات ، ومئين ، وألوف ، الأصول منها الآحاد ، وأول
 مرتبة العشرات ، فإن نهاية مرتبة الآحاد التسعة ، وهى عبارة عن تكرار
 الواحد تسع مرات ، ثم ينتقل إلى ذكر العشرة التى هى أول مرتبة العشرات ،
 ثم يكررها كما كرر الواحد من العشرين إلى التسعين ، كما فعل فى المرتبة الأولى ،
 ثم ينتقل إلى أول مرتبة المئين ثم يكررها بلفظ الآحاد والعشرات إلى التسعمائة ، ثم
 ينتقل إلى أول مرتبة الألوف ، فيكررها تكرار الواحد بلفظ الآحاد ، وهكذا
 إلى غير النهاية ، وإذا انتهت مرتبة الألوف عاد إلى مرتبة العشرات ، فقال :
 عشرة آلاف إلى ما لا نهاية له ، لا يزيد على أن يضيف إلى الألف لفظ الآحاد ،
 والعشرات ، فيعود إلى أصول الأعداد ، فدل ذلك على أن أصول جميع الأعداد
 التى تتناهى ، الآحاد ، وهى تسعة ، وأول العشرات ، وهى العشرة ، فالاقتصار
 على ذكرهما للعرب الواضعين لهذه الأسماء ، يشير إلى أعداد لا نهاية لها ، واستغنى
 عن ذكر لفظي المائة ، والألف لما جاء فى الكلام من المثال الذى يُحتذى

على مثاله ، والأصل الذي يقاس الفرع عليه ، واللفظتان يعني المائة والآف عند المخاطب معروفتان ، والطريق في التكرير قد وضحت .

• • •

باب التفريق والجمع* (١)

[١٥٩]

وهو أن يفرق التشكلم بين كلامين مرتبطين متلاححين بكلام يتلو به الأول من

- كلامه ، يوم السامع أنه غير مرتبط ، ليفيد بذلك معنى لا يفيد الكلام لوحده على مقتضى وضع النظم وترتيبه ، ثم يعود فيجمع ما تفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدم لتأهيله لنظم (٢) الأول وملائمته له ، وارتباطه به ، وكونه في الظاهر لا يصلح أن يجاوره غيره كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَمَلَّهِمْ بِتَضَرُّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرُّعُوا وَآسَكْنَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ (٣) ﴾ ومقتضى حسن الجواب في النظم أن يقول هاهنا : أخذناهم بغتة ، فلم يقل ذلك وقال : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » ، « فلما فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » فأوهم ظاهر النظم أن قوله « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » بدقوله : « فلما نسوا ما ذكروا به » غير ملائم ، وأن الأليق أن يقال : « أخذناهم بغتة » ، ولو جاء النظم على توهم السامع لحصل الإخلال بما أفاده الفصل من المعاني

(*) سلم هذا النوع لابن أبي الإصبع ولم يسبق إليه (خزائن ابن حجة : ٣٥٧ ،

حسن التوسل : ٧٧ ، نهاية الأرب ٧ : ٧٧ .

(١) يلاحظ أن هذا الباب بأ كله ساقط من أ ، ب .

(٢) في الأصل ، « ليقع » وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا عن د ، س .

(٣) الأنعام الآيات من ٢٢ — ٤٤ .

لأن الإخبار بفتح أبواب كل شيء عقيب معاملتهم بما يبطل أعذارهم ، وينبئهم بأمر معاصيهم ، ويسلكهم في خير الكتب المنزلة من الله ، المتضمنة الوعيد بأخذهم من وسط ما أستدرجهم به من النعم ، لتكون المحبة أشد ، وألم الأخذ أعظم ، والعذاب أشق ، ثم قال بعد الإخبار بفتح أبواب النعم العميمة « أخذناهم » فاجتمع ما تفرق من الكلام ، وانتظم ما أنقص من ذلك النظام ، وهذا سرٌّ من أسرار البلاغة ، ولا يمتدّ إلى إلا أهله .

* * *

باب القول بالموجب *

وهو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام ، فيعمد المخاطب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فينبئ عليها من كلامه ما يوجب عكس معنى المتكلم ، لأن حقيقة القول بالموجب ردّ الخصم كلام خصمه من لحوى كلامه ^(١) كقول ابن حجاج ^(٢) (الخفيف) :

(*) القول بالموجب . قال بعض العلماء إن هذا النوع والأسلوب الحكيم الذي تكلم عنه الجاحظ في بيانه ٢ : ١٤٧ نوع واحد والحقيقة أن الأسلوب الحكيم الذي تكلم عنه الجاحظ يخالف القول بالموجب ، فإنهما وإن اتفقا في أن كلا منهما إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، فإنهما يفتران باعتبار الغاية والنتيجة فإن غاية القول بالموجب ردّ كلام المتكلم وعكس معناه وغاية الأسلوب الحكيم هو تلقى المخاطب بغير ما يترقب بمحمل كلام المتكلم على خلاف مراده تنبيهها على أنه الأولى (بحثه في خزائن ابن حجة : ١١٦ حسن التوصل ، نهاية الأرب ج ٧ ص ١٧٠ ، وألف فيه الصفدي كتاباً بأكمله سماه المولع بالموجب في القول بالموجب رقم ٤٣٠ بلاغة (مخطوط) .

(١) في ١ ، ب لفظه « وهما بمعنى واحد .

(٢) هو أبو عبيد الله أحمد البغدادي المعروف بابن حجاج الشاعر الماحن المعروف كما في ديوانه . والذي في القيمة ٣ : ٣ « أبو عبد الله الحسن » وهو خطأ . والشاهد في قوله : « طولت وأبرمت » وانظر نهاية الأرب ٧ : ١٧١ خزائن ابن حجة : ١١٦ طبع بولاق ، وأنوار الريم لابن معصوم ص ٢٠٠ .

قلتُ : ثقلتُ إذ أتيتُ مراراً قال ثقلتُ كاهلي بالأيدى
قلتُ : طوتُ قال لي بلى تطوأت وأبرمت قال حبل ودادي
والفرق بين القول بالموجب وبين التعتف في الصناعة أن التعتف في [١٦٠]
الألفاظ ، والقول بالموجب في المعاني .

- ومنه قول ابن الدؤينة المغربي في رجل أودع بعضَ القضاة مالا قاضي
ضياعه من أبيات (الكامل) :

إن قال قد ضاعتَ فصدّقْ ، أنها ضاعتَ ولكن منك يعني لَوَيْمِي^(١)

أو قال قد وقعتَ فصدّقْ أنها وقعتَ ولكن منه أحسنَ موقعٍ

ومن أمثلة هذا الباب من القرآن المجيد قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا

- ١٠ إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ وموجب هذا القول إخراج
الرسول — صلى الله عليه وسلم — المنافقين منها ، لأنه الأعز وهم الأذلون ،
وقد كان ذلك ، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قال على إثر ذلك ﴿ وَفِي الْعِزَّةِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ لَا يَمْلِكُونَ ﴾^(٢) .

* * *

باب حصر الجزئي والخاص بالكلّي

- ١٥ وهو أن يأتي التسكّم إلى نوع ما فيجمله بالتعظيم له جنسياً بعد حصر

(١) وردت هذه الأبيات في كتاب الهول المعجب في القول بالموجب لأصفدي ، الإيضاح

٨٩ : ٦ .

(٢) سورة المنافقين آية ٨ .

(*) هذا النوع من مخترعات ابن أبي الإصبع ولم يسبقه أحد إليه ، خزائن ابن حجة

٣٧١ ، حسن التوسل ٨٧ نهاية الأرب ٧ : ١٧٤ .

أقسام الأنواع منه والأجناس ، كقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ^(١) ﴾ فإنه سبحانه وتعالى بعد إخباره بأنّ عنده مفاتيح كلِّ غيب إذ اللام للجنس ها هنا مجمّلا في القول ، تمدح بأنه يعلم ما في البرِّ والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد وحاصر الكلّيات المولّدات ، ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لا يكمل به معنى التمدح ، لاحتمال أن يظن ضعيف أنّه يعلم الكلّيات دون الجزئيات ، فإن المولّدات الثلاث وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى العالم فكل واحد منها كلّي بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس المتوسطة والأنواع وأصنافها ، فقال لكمال التمدح : « وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا » ، وعلم أن علم ذلك قد يشاركه فيه من مخلوقاته كلٌّ من خلقه إدراكا ، وهداه إلى طريق ذلك فشارك فيه ، فتمدح سبحانه بما لا يشارك فيه بقوله : « وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ » ، ثم ألحق هذه الجزئيات بعد حصرها بالكلّيات حيث قال : « وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ » لأن جميع المولّدات وعناصرها التي تولدت منها ما كان منها في باطن الأرض ، وما خرج إلى ظاهرها لا يخرج عن هذين القسمين ، وألغى ذكر المعتدل فإنه ممتزج من هذين القسمين ، فاستغنى بذكر الأصل عن الفرع ، ثم قال « إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » إشارة إلى أن علمه بذلك علم من معلومه مقيّد في كتاب مبين ، فهو يأمن الضلال والنسيان ، كما قال [١٦١]

سبحانه : ﴿ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ^(١) ﴾
ورأيت من شواهد هذا الباب الشعرية قول الشاعر ^(٢) (الطويل) :

إليك طوى عَرْضَ البَسِيطَةِ جَاعِلٌ قُصَارَى الْمَطَالِبَا أَنْ يَلَوِّحَ لَهُ الْقَصْرُ
وَكُنْتُ وَعَزَمِي وَالظَّلَامَ وَصَارِمِي ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ ^(٣) . كَمَا أَجْتَمَعَ النَّسْرُ
فَمِيزْتُ بِأَمَالِي لِمَلِكٍ هُوَ الْوَرَى وَدَارِهِ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمُهُ هُوَ الدَّهْرُ ^(٤) •

والبيت الأخير أردت ، فإن هذا الشاعر قصد تعظيم المدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ، وتبجيل يومه الذي لقيه فيه ، فجعل المدوح جميع الورى ، وجعل داره التي قصده فيها كل الدنيا ، وجعل يومه الذي لقيه فيه جملة الدهر ، فجعل الجزئى كلياً بعد حصر أقسام الجزئى ؛ أما جعله الجزئى كلياً فإن المدوح جزء من الورى ، وداره جزء من الدنيا ، ويوم لقائه جزء من الدهر .
وأما حصر أقسام الجزئى فلأن العالم عبارة عن أجسام ، وظروف زمان ، وظروف مكان ، وقد حصر ذلك كله في ذكر المدوح ، وذكر داره ، وذكر يوم لقائه .
وأما إلحاق الجزئى بآنسكلّى فلأنه الحلق المدوح بجميع الورى في كونه جعله وزن جميع الورى من قول أبى نواس ^(٥) (السريع) :

(١) سورة طه آية ١٥٢ .

(٢) هو السلاوى كما فى ابن معصوم ص ٦٢٧ وروايته جاملاً ، ومطابق التنصيص ٢ :

١٩ وروايته « جاعلاً » .

(٣) كذا فى بقيمة الدهر ٢ : ١٦٣ وخزانة الأدب للحموى : ٤٥٤ ، تحرير

التجوير ، وفى الأصول « أشياء » وما أثبتناه أقرب إلى معنى البيت وأظهر .

(٤) كذا فى جميع الأصول . والذى فى خزانة ابن حجة ونهاية الأرب وحسن

التوصل وأنوار الربيع والقيمة « فيشترت آمالى بملك » والمعنى عليها يستقيم أيضاً .

(٥) الصناعتين : ٢١٦ نهاية الأرب ج ٧ : ١٦٦ .

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَفْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وَأَلْحَقَ دَارَهُ بِالْدُنْيَا الَّتِي هِيَ كُلٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى دَارِهِ ، وَأَلْحَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِالدَّهْرِ الَّذِي هُوَ كُلٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَمْ أَسْمَعْ فِي هَذَا الْبَابِ بِمِثْلِ
هَذَا الْبَيْتِ .

* * *

باب المقارنة *

وهو أن يقترن بديعان في كلمة من الكلام ، والفرق بين هذا الباب وباب
الإبداع ، أن الإبداع عبارة عن الإتيان ببديعين فصاعداً في الكلمة المفردة من
غير اقتران .

وقد جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَخْلَوْنَ
أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ^(١) ﴾ فإنه قد اقترن في لفظتين من هذه
اللفظتين ضربان من البديع : التنكييت ، والمبالغة مقترنة « به ^(٢) » فإن لقائل
أن يقول : ما التنكييت التي رجحت اختصاص الظهور بالحل دون الرموس ؟
فيقال : السكتة في ذلك الإشارة إلى ثقل الأوزار ، لأن الظهور أحمل للثقل
من الرموس ، وما يلزم من ذكر الظهور عن عجز الرموس عن حمل هذه الأوزار
من المبالغة في ثقلها مقترن بالتنكييت ، وما اكتنف هذا الاقتران من تجنيس
المراوحة في قوله تعالى « أوزارهم » قبل قوله « على ظهورهم » وقوله تعالى « يزرون »

[١٦٢]

١٥

(*) سلم هذا النوع المؤلف فلم يسبقه إليه أحد ونسكى لأرى فرقا بينه وبين الإبداع
الذي اخترعه أيضاً وما ذكره لا ينض فرقا ، حين التوسل : ٨٧ ، نهاية الأب ٧ : ١٧٥ .
(١) سورة الأنعام آية : ٣١ .

(٢) هذه الكلمة عن ا ، ب ، ت ، وهي ساقطة من باقي النسخ .

بعدها ، وترشيح هذا التجنيس لتمكين الفاصلة بالتصدير ، واقتران الترشيح بالتجنيس ، واقتران التجنيس بالتصدير .

ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول إدريس بن اليمان من شعراء المغرب (الطويل) :

• وكنتَ إذا استُنزِلتَ من جانبِ الرُّضَى
نَزَلَتْ نَزولَ الغَيْثِ في الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
وإنْ هَيَّجَ الأعداءُ مِنْكَ حَفِظَةً
وقمتَ وقوعَ النَّارِ في الحَطَبِ الْجَزَلِ

فإن هذا الشاعر قرّن في البيت الأول الاستعارة في قوله من البيت :
« نزلت نزل الغيث » أما الاستعارة فاستعارة الشاعر النزول للمدوح ، فإن حقيقة ما أراد إذا استرُضيت رُضيت ، وأما التشبيه ففي قوله « نزل الغيث »
فإن التقدير : نزلت نزولا مثل نزل الغيث ، وقرن بتجنيس التمايز في قوله : « نزلت نزل الغيث » فإن اللفظة الأولى فعل ، والثانية أسم بالترشيح ، فإنه رشح بذلك التجنيس للإيغال ، فإن كلامه تمّ عند قوله : « نزلت نزل الغيث » ولما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدا على معنى الكلام فإن قوله : « في البلد المحل » زيادة في المعنى ، إذ الغيث قد ينزل في بلد مخصص فيكون السقي له مضرّا ، فلما قال :
« في البلد المحل » علم أنه وقع موقعه ونزل في الموضع الذي هو محتاج إلى نزوله ،
فإن موقعه أحسن ، ومنفعته أكثر ، وجاءت المبالغة مدحجة في التشبيه ، إذ شبه

(١) انظر نهاية الأرب ٧ : ١٧٥ ، وتحرير التعبير ص ٢٧١ .

نزوله بنزول الغيث ، وقرن في البيت الثاني الاستعارة التي في قوله « وقعت »
 بالتشبيه الذي في لفظ « وقوع النار » ، وأدمج المبالغة في هذا التشبيه لأن قوله :
 « وقعت وقوع النار » مبالغة ، وأدمج في تجنيس التباير الذي في لفظي « وقعت »
 « ووقوع » الترشيح للإيغال ، فإن كلامه قد تمّ عند قوله : « وقعت وقوع
 النار » ولما احتاج إلى القافية أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت ، إذ جعل وقوع
 النار الذي يشبه وقوع المدوح بوقوعها في الخطب الجزل ، فيكون أقوى لها
 وأشدّ إحراقا ، ولو لم يقل : وقوع النار لما حُسن قوله : في الخطب الجزل ،
 كما أنه لو لم يقل في البيت الذي قبله : « نزول الغيث » لما حسن قوله : « في
 البلد المحل » ، ولقد أحسن في هذا المعنى تميم بن مقبل^(١) حيث قال (الطويل) :

[١٦٣] لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى زَعْنَا عَشِيَّةً

وقد مَكَتَ شَطْرُ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مُدْنَفٌ

فإنه قرن في هذا البيت الإرداف بالاستعارة لأنه عبّر عن الغروب بموت
 شطر الشمس في أوائل التجز ، وهذا هو الإرداف ، وأستعار للشطر الآخر
 البدن ، وهو شدة المرض في آخر العمر ، وهذا بليغ جدا حيث أتت المقارنة
 منه في قسم واحد من البيت .

والفرق بين المقارنة وبين التعليق والإدماج ، أن المقارنة في معاني البديع
 فقط ، والتعليق والإدماج في المعاني والفنون معاً .

(١) البيت في نهاية الأرب ٧ : ١٧٥ طبع دار الكتب المصرية .

ومن المقارنة قسم آخر ، وهو ما يقرن الشاعر به شعره من شعر غيره ، وهو عكس الإبداع . والاستعانة ، فإن الإبداع والاستعانة يقدم الشاعر فيهما شعر نفسه على شعر غيره ، والمقارنة تقدم فيها شعر غيره ويبني عليه ما شاء من شعره ، كما حكى عن الرشيد هارون أنه قال يوما للجماز : أجز وأبذه : الملك لله وحده ، فقال الجماز : وللخليفة بعده ، والمحبة إذا ما حبيبه بات عنده .

* * *

باب الرمز والإيماء*

هذا الباب فحواه أن يريد المتكلم إخفاء أمر ما في كلامه ، مع إرادته إضمار المخاطب ما أخفاه فيرمز له في ضمته رمزا يهتدى به إلى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه ، والفرق بينه وبين الوحي والإشارة ، أن المتكلم في باب الوحي والإشارة لا يودع كلامه شيئا يستدل منه على ما أخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره ، بل بوحى مراده وحيا خفيا لا يكاد يعرفه إلا أحذق الناس ، فحقا الوحي ، والإشارة أخفى من خفاء الرمز والإيماء ، والفرق بينه وبين الإلغاز أن الإلغاز لا بد فيه ما يدل على المعنى فيه ، بذكر بعض أوصافه المشتركة بينه وبين غيره وأسمائه ، فهو أظهر من باب الرمز ومثال الرمز قول النابغة الذبياني^(١) (البيسط) :

(*) من العجب أن يدعى المؤلف أن هذا النوع من مخترعاته ، والحقيقة أنه مسبق إليه من ابن رشيقي في الممددة حيث تكلم عنه وجعله من أنواع الإشارة ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

(١) ديوانه : ٣٢ وشراء النصرانية ٢ : ٦٦٥ .

(م — ٢١ بديع القرآن ب)

فَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فَتَاةٍ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِي الشَّمْدِ
يَحْفُهُ جَانِبًا نَيْقٍ وَيَنْبِغُهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نَصْفَهُ فَقَدْ
فَكَلْتُ مِائَةَ فِيهِمْ حَمَامَتِنَا^(١) وَأَسْرَعْتُ حِسْبَةَ فِي ذَلِكَ الْقَدَدِ

[١٦٤]

فإنه رمز عدة الحمام التي رأتها الزرقاء — وعدته ست وستون حمامة — ، فأخفى
هذه العدة ، ولم يدل عليها بصريح الدلالة ، ورمز الدلالة على عدتها بهذا الطريق .
ومن هذا الباب قول الأعشى^(٢) ، (البسيط) :

* واختار أذراعه كيما يسب بها *

فإنه بصيغة هذا الجمع دل على أن عدة الأذراع دون العشرة ، إذ جمعها جمع
القلة ، كاقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ^(٣) ﴾ ، فإنه روى من طريق أنهم كانوا أربعة آلاف ،
وروى من طريق آخر أنهم كانوا ثلاثين ألف ، وصحح العلماء الرواية الثانية
بقوله تعالى — « أُلُوفٌ » فجاءها جمع الكثرة ، ولو كانت الرواية الأولى أصح
لقال سبحانه : آلافا ، ولم يقل : ألوف .

ومن أمثلة هذا الباب قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النُّهَارِ

١٥

(١) كداني الأصل ، د ، س . وفي ا ، ب « حمامتها » وهو مستقيم أيضا .

(٢) هذا صدر بيت له وعجزه * ولم يكن عهده فيها بختار * انظر ديوانه ٢٥ ط

سنة ١٩٣٧ م .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٣ .

وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ^(١)) فَإِنْ صدر هذه الآية دلّ على أن الصلوات خمس ، لأنه — عز وجل — أشار إلى صلاتي النهار بقوله : « طرفي النهار » ودلّ على صلوات الليل بقوله تعالى « وزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ » وبقية الكلام يضيق عنه هذا المكان ، وسأكتبه في ورقة منفصلة أودعها هذا المكان إن شاء الله تعالى .

باب المناقضة *

وهو تعليق الشرط على نقيضين : ممكن ومستحيل ، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق على عدم وقوع الشروط ، فكان المتكلم ناقص نفسه في الظاهر ، إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين ، ومثال ذلك قول النابغة الذبياني (الوافر) :

وَأَنْتَ سَوْفَ تَحْمِلُ أَوْ تَنْهَى ^(٢) إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

فإنه علق حلم المخاطب على شبيه وهو ممكن ، وعلى شيب الغراب وهو

(١) سورة هود آية ١١٤ .

(*) لم يسلم هذا النوع المؤلف فقد سبقه إليه ابن منقذ في بديعه ، حيث تكلم عنه تحت اسم المعارضة والمناقضة : ٧٨ (بحثه في خزنة ابن حجة : ١١٣) .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س ، وشعراء النصرانية ١ ص ١٥٧ ، الصنائع ٣٥٨ ، مختار الشعر الجاهلي ص ١٩٢ ، أمالي المرتضى ١ : ٥٥ ، والذي في أ ب « يحكم » وعليها سار ابن حجة وترجع الرواية الأولى لأنها هي التي تناسب « يحلم » .

مستحيل ، ومراده شيب الغراب لأن حاصل مقصوده قوله : أنك لا تعلم حتى .
يشيب الغراب ، والغراب لا يشيب أبدا ، فأنت لا تعلم أبدا .

والفرق بين هذا الباب وبين باب « نفى الشيء بإيجابه » أن هذا الباب ليس فيه لفظ نفى ولا إيجاب ، ونفى الشيء بإيجابه ليس فيه شرط ولا معنى شرط .

ومن المناقضة معنى آخر يرجع أصله إلى الأول ، وهو أن يأتي المتكلم

في لفظ الوعد بما يدل على الوعيد ، فيسر المخاطب ويسوءه في وقت واحد

[١٦٥] بكلام واحد ، فيتوجه على ذلك اللفظ إشكال يوضحه ما بعده ، ومثال هذا

النوع قوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ^(١) ﴾ فقوله تعالى

« إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا » ، وعد ، ووصف كشف العذاب بالقلّة وعيد ،

ففي هذا الكلام ما يسرّ وما يسوء في حال واحدة وكلام واحد ، وإنما وصف

سبحانه كشف العذاب بالقلّة المنافية لمعطاء الكريم من أجل أنه علق كشف

العذاب بعدم العود إلى فعل يوجب العذاب فأقتضت البلاغة أن يقول :

« قَلِيلًا » ليذم في دلائل النبوة الإخبار بالغيب ، وهو وقوع العود ، فرشح

سبحانه بذكر لفظ « قَلِيلًا » للايضاح والإخبار بوقوع العود الذي اقتضى أن

يكون كشف العذاب قليلا من أجله ، والشرط المأخوذ من قوة الكلام هو

الذي يردّ هذا النوع إلى النوع الأول .

ومن المناقضة نوع آخر ، وهو مناقضة المتكلم غيره في معنى ما ، كمنافضة

أبي القاسم بن واسانة نَصَبِيَا ، أو عبد بن الحَسَنَاس ^(٢) في قوله (الطويل) :

(١) سورة الدخان آية ١٥ .

(٢) عبد بن الحَسَنَاس هو سحيم بن وثيل الرياحي والبيت في ديوانه : ٢٠ .

بتحقيق الأستاذ عبد العزيز المعنى طبع دار السكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م .
وأتهج البرد : أخلق وبلى (القاموس) .

فما زال بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبَزْدَ بَالِيَا
فَقَالَ الْوَاسَانِي^(١) (المنسرح) :

فَصَاكَ بِي طَيِّبُهُ وَصَاكَ بِهِ مَنَى صُنَانٌ فِي حِدَّةِ الْبَصَلِ^(٢)
فَأَخَذَ مَعْنَى بَيْتِ الْمَرْزِيِّ فِي صَدْرِ بَيْتِهِ ، وَنَاقَضَهُ فِي بَقِيَّتِهِ لَكِنَّهُ قَصَرَ عَنْهُ .

وَكُنَّا قِضَةَ ابْنِ حَجَّاجٍ دَرِيدَ بَنِ الصَّمَّةِ فِي قَوْلِهِ^(٣) (الطويل) :

صَبَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَا قَالَ لِلْبَاطِلِ أَبَدِ
فَقَالَ ابْنُ حَجَّاجٍ (كامل مجزوء) :

لَا تَقْتَرِزْ بِمَشْيِهِ فَالشَّيْخُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ^(٤)

وَقَالَ أَيْضًا (البسيط) :

شَيْخٌ يُفَارِزُهُ الْمَلَوَى وَيُخَدِّعُهُ إِلَـهٌ مَمْنَى وَيَعْمَلُ فِيهِ الْبَمَّ وَالزَّرِيرَ^(٥)

وَمِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ
عَمَلٍ مِمَّا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ^(٦) ﴾ فَشَرَطَ سَبْحَانَهُ الثَّلَاثِيَّةَ فِي الْجَازِأَةِ أَمْرًا بِالْعَدْلِ

(١) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين الواساني من شعراء البتيمة (مجمع الأدباء لياقوت)

(٢) البتيمة ١ : ٣١٢ طبع الصاوي سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م — وهو من

قصيدة يهجو بها أبا الفضل يوسف بن علي . وصاك بن طيبه ، أي عبق بن طيبه وصاك به أي
لزنق به ، وصاك : عرق فهاجت منه ريح منتنة . (أساس البلاغة صوك ملخصا) ،

(٣) شعراء النصرانية ج ١ : ٧٥٩ .

(٤) سقط المتاع : رديته .

(٥) الملوى : ما تلوى به الأوتار وتربط . والثني : الوتر الذي يلي الزير . واليم : الوتر

الغليظ من أوتار المزهر وهو يلي الثلث ، ويدعى الأنج لغلظ صوته ، والزير : الحقيق من
أوتار العود . الإفصاح في فقه اللغة . طبع دار الكتب المصرية ١١٢ .

(٦) سورة البقرة آية ١٩٤ .

فناقض في ذلك الجاهلية فيما كانوا عليه من مدح الظلم ، كقول عمرو بن كلثوم^(١) (الوافر) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

...

باب الانفصال*

- وهو أن يقول المتكلم كلاماً يتوجه عليه فيه دَخَل ، فلا يقتصر عليه حق ، يأتي بما يفصل به عن ذلك ، إما ظاهراً أو باطناً يُظهره التأويل ، كقوله تعالى في القسم الثاني منه : (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ^(٢)) فإن لقائل أن يقول : جملة قوله تعالى : « يطير بجناحيه » لا فائدة في الإتيان بها ظاهراً ، إذ كل طائر يطير بجناحيه ، وهذا إخبار بمعلوم . والآن انفصال عن ذلك أن يقال : إنه سبحانه وتعالى أراد وهو أعلم بمراحده أن يُدمج في هذا الخبر النعي عن قتل الحيوان الذي لا يؤذى عبثاً ، بدليل قوله تعالى : « إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ » ففي مساواته بين ذلك وبين المكلفين في قوله تعالى : « أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ » إشارة إلى أن الإنسان يدان بما يفعله مع كل جسم قابل للحياة ، وفي دواب^(٣) الأرض ما لا حرج على قاتله ، وكذلك ما يطير فإن فيما يطير ما يطير بغير جناح حقيق كالذباب

(١) شرح المعلقات السبع للتبريزي ص ١٢٤ طبع أوروبا .

(٢) سلم هذا النوع للفؤلف (بحته في حسن التوسل : ٨٨ ، نهاية الأرب ٧ : ١٧٧)

(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .

(٣) كذا في أ ، ب ، ت . والذي في باقي النسخ « ذوات » وهو تصحيف .

- والبعوض والنمل والعقارب والجملان وسائر الهمج ، فأراد تبين الصنف من هذا النوع وهو أشرف أصنافه الذي أمتن سبحانه على نبيه داود — عليه السلام — بتسخيره له ، وعلى ابنه سليمان بتعليم منطقته ، وقال فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مصرّحاً بأن الإنسان يدان به : « من قتل عصفوراً^(١) عبثاً »
- الحديث فخصّ هذا الصنف بصفة مميزة له من بقية الأصناف ، قال : « يطير بجناحيه » لأنه لا يطلّق الجناح حقيقة إلا على العضو الذي له ريش وقصب وأباهر وخوافي وقوادم ليستدلّ بكون هذا الصنف من بين جميع أصناف الطائر هو المقصود بالنهي عن قتله وتعذيبه ، على أن المراد بالدابة المذكورة في صدر الآية هي الصنف الشريف من أصناف الدواب ، لتخرج الحشرات من ذلك النوع ، كما خرجت الهمج من نوع الطائر بتمييز الصنف المشار إليه منه ، واكتفى بتبيين الثاني عن تبين الأول لعله أن العارف بترتيب نظم الكلام يقيس الأول منه على الثاني .

- ومن الأنفصال قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ^(٢) ﴾ فإن لقائل أن يقول : ما جاء في هذه الآية جواباً للقائلين : « إنما يعلمه بشر » لا يليق أن يكون جواباً صحيحاً في الظاهر لما يرد عليه ، فإن لقائلهم أن يقول عند سماع قوله تعالى : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » نحن نعلم أن لسان المعلم أعجمي ، وأن هذا لسان

(٢) الجامع الصغير ٢ : ١٨٧ .

(٣) سورة النحل آية ١٠٣ .

- عربي مبين ، لكن ذلك لا يمنع من ككون الأعجمي ألقى القصص والأخبار بعجمته لهذا العربي الفصيح ، فأخرج ما ألقاه إليه بعجمته في قوالب ألفاظه العربية المبينة ، فجاء كما وصف ، وأما عجمة الذي نسبنا تعليمه إليه
- [١٦٧] بأشد من لغة الأمم الماضين الذين يتلو علينا قصصهم وأخبارهم ، فإن السنتهم كانت قبطية ، وعبرانية ، ورومية وغيرها ، فيأخذ معانيها ويعبر عنها بفصاحة لسانه العربي المبين ، وهذا أمر ظاهر لا يكاد يخفى عنهم ، ولم ينقل أنهم مع عنادهم وتعنتهم على الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأقل من هذا قالوا هذا القول ، ولو كانوا قالوه لنقل ، وحيث لم يُنقل لم يقولوه وحيث سكتوا عنه مع ظهوره دل سكوهم عنه على أنهم لو قالوه لاثقلت الحجة عليهم بسببه ، فلاجل ذلك سكتوا عنه ، وإذا نظر في السبب الذي أسكتهم عنه استفيد منه الانفصال عن الإشكال ، والذي يظهر من سبب سكوهم عن ذلك تفتظهم إلى أنهم لو قالوا ذلك لزمهم الإقرار بنبوت المعجزة ، وقيام الحجة على صحة النبوة ، فإنه يقال لهم : إذا أقررتم بأن هذا النظم العجيب ، والأسلوب الغريب الذي عبر به عن هذه القصص هو كلامه لا كلام ربه ، وقد عجزتم مع فصاحتكم وتضافركم عن الإتيان بمقدار ثلاث آيات منه في المدة المتطاولة ، مع تكرار التوبيخ ، وترداد التقرير ، وأنتم من أوتيتم قدرة على الكلام ، وآفة من العار ، فقد اعترقتم بالعجز عما تحدّاكم به رجل منكم لغته لفتكم ، وأقررتم بأن فصاحته قد خربت العادة المعروفة عندكم ، فحينئذ يلزمكم تصديقه ، ولا يضرنا عنادكم بقولكم : إنه ليس من عند الله ، فإن الحجة لزمّت فرعون باخراج موسى — عليه السلام — يده بيضاء من غير سوء ،

- وظاهر الحال ، وشاهد العيان يشهد أنه الذي أخرجها ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — لم يتحدّ العربَ بمعرفة الأخبار الماضية والقصص المتقدّمة ، فإنه يشاركه في ذلك أهل الكتاب وكلّ من شارك في طريق ذلك ، وإنما تحدّاهم بنظم القرآن المعبر به عن هذه الأخبار ، وإذا عجزوا عما تحدّاهم به من هذا النظم حصل المراد من إثبات الإعجاز ، سواء أَعترفوا أنه من عند الله أجراه على لسان نبيّه — صلى الله عليه وسلم — أو أتى به من تلقاء نفسه ، فإن قيل : هذا لا يجوز إيرادُه ، فإنه يحصل للمشركين مرادهم ، لأن مرادهم تكذيب الرسول — صلى الله عليه وسلم — في دعواه أنه رسول الله ، وأن آية صدقه في دعواه هذا القرآن الذي أجراه الله على لسانه ، ليقوم مقام قول الله تعالى صَدَقَ في دعواه ، وإذا أقررناهم على ذلك بقيت دعوى الرسالة بلا بينة ، فيحصل ١٠
- لهم ما أرادوا من تكذيبه ، وحاشاه — صلى الله عليه وسلم — . [١٦٨]
- قلت : لم يقل ذلك إلا على سبيل التنزّل الجدليّ ، لإلزامهم الحجة بنفس ما قالوه ، فنقدّر قولنا « هب أنا سلّمنا أن الأعجميّ أتى إليه كما زعمتم ما أتى بهجمته ، فمبّرعه بفصاحته ، أليس يلزم ذلك أنكم عجزتم عن الإتيان بمثل ما أتى به من العبارة ، ويكون هذا أشدّ عليكم ، إذا أتى مخلوق مثلكم نسبه نسبكم ، وبلده بلدكم ، ولقته لفتكم بنوع من الفصاحة لا تقدرون على الإتيان بالقليل منه ، فيكون ذلك أنكم لقلوبكم ، وأبكمى لعيونكم ، فإنه لا عجب من عجز المخلوق عمّا يأتي به الخالق ، إنما العجب من عجز المخلوق عمّا يأتي به مخلوق مثله ، مع التصميم على أن ذلك من فعله لا من فعل خالقه ،

ألا تراكم معترفون بأن الله تعالى خالق السموات والأرض ، لا يمتارون في ذلك ، ولا يدعى جبار منكم ، ولا من غيركم ممن تجبر وتكبر وأدعى الربوبية أنه يقدر على خلق مقدار شبر من أحدهما ، ولو سمعتم بأن إنساناً أوجد نجماً من نجوم السماء لتعجبتم من ذلك ، بل كذبتهم هذا السماع ، ولو قدرنا أنه أراكم ذلك شمعذة وسحراً الكذبتهم عيانكم ، ورجعتم إلى عقولكم ، فعلمتم أن أحداً لا يقدر على ذلك ، فإذا تقرر هذا علم أن عجزكم عما تعتقدون أن واحداً منكم أتى به أشد عليكم من عجزكم عما تعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أتى به ، وأظن المشركين فطنوا لهذا الإلزام الذي يلزمهم إذا قالوا ما أوردناه آنفاً ، فسكتوا عنه سكوتاً انقطاعاً ، وقد ثبت بما قلناه الانفصال عما ورد على ظاهر الكلام من الإشكال . ١٠

ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْمٍ إِلَّا هُوَ رَاصٌّ وَلَا تَخْشَى إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ ^(١) فإن هذه الآية الكريمة يتوجه على ظاهرها أسئلة ، منها : لِمَ أُلغى فيها الابتداء بالاثنتين وهي أول رتبة المتناجين ؟ ومنها لِمَ انتقل من الثلاثة إلى الخمسة ، وعدل عن الترتيب في الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة ؟ ومنها لِمَ لم يتجاوز الخمسة كما تجاوز الثلاثة ؟ ومنها لم لم يقل ما يكون من نجوم ثلاثة ، ويقف عند ذلك ، ويستغنى بقوله بعدها : « ولا أدنى من ذلك ولا أكثر » فيتناول الأدنى من الاثنين ، والأكثر من الأربعة إلى ما لا نهاية له من الأعداد ، ولم عدل عن الأوجز إلى الأطول ، مع توفية الأوجز بالمعنى المراد ؟ . ١٠

(١) سورة المجادة آية : ٧ .

- والانفصال عن ذلك أن يقال : الآية نزلت في سبب ، قد اختلف أهل النقل فيه ، فقال قوم : اجتمع للمشركون جماعات على هذين المدينين ثلاثة ثلاثة ، [١٦٩] وخمسة خمسة ، يتناجون في رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم يظنون أن ذلك يخفى عنه ، فنزلت : لِيُعْلِمَ اللَّهُ نَبِيَّهٗ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِحَالِهِمْ . وقال قوم : ورووه عن ابن عباس ^(١) إنه أجمع ثلاثة نفر من قريش ، وهم ربيعة ، وحبيب ابن عمرو وصفوان بن أمية يوما كانوا يتحدثون ، فقال أحدهم : أرى الله يعلم ما نقول ؟ فقال الآخر : يعلم بعضا ولا يعلم بعضا ، فقال الثالث : إن كان يعلم بعضا فهو يعلم الكل فنزلت ، وقد صحح أهل النقل على هذه الرواية الثانية . وقال الزمخشري ^(٢) في الجواب عن بعض ما قدّم من الاعتراض على ظاهر الآية بعد نقل سبب النزول الذي ذكرته أن الباري — عز وجل — قصد —
- ١٠ — وهو أعلم — أن يذكر ما جرت به العادة من إعداد أهل النجوى ، وأهل الشورى والمتدنون لذلك ليسوا كل الناس وإنما هم طائفة محتجبة من أولى النهى والأحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب ، وأول عددهم الاثنان فصاعدا إلى الستة على ما تقتضيه الحال ، ويحكم به الاستصواب ، ألا أن عمر بن الخطاب —
- ١٥ — رضى الله عنه — ترك الشورى في ستة ، ولم يتجاوز بها إلى سابع هذا نص كلام الزمخشري حكيت بلفظه ، لم أغادر منه شيئا ، ولم تبدل فيه لفظة بلفظة ، وأما ما حكاه من الرواية الأولى في سبب النزول فلا إشكال فيه ولا دخل عليه ، وأما الرواية الثانية التي وقع التصحيح عليها ورويت عن ابن عباس — رضى الله عنه —

(١) روح المعاني للآلوسي ٩ : ١٧ طبع بولاق سنة ١٣٠١ .

(٢) الكشف له ٤ : ٣٩١ ط الاستقامة بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م

فيتوجه عليها الإشكال ، وأما قول الزمخشري : إن الكلام جاء على عادة العرب في أهل النجوى وأهل الشورى لأن عدد هاتين الطائفتين لا يتجاوز الستة ، ونظر بقضية عمر — رضى الله عنه — وجمله الشورى في ستة ، وأكد ذلك بقوله : ألا تراه لم يتجاوز بها معنى الشورى إلى سابع ، فما أدري من أين له ذلك ؟ وكيف تصح دعواه في أن عادة العرب إنما يكون أهل النجوى وأهل الشورى على هذين العددين دون سائر الأعداد ، وقد جاء القرآن العزيز بخلاف ذلك ، قال الله تعالى في الإخبار عن أولاد يعقوب : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ^(١) ﴾ وكانوا عشرة فسمى سبحانه وتعالى محاورتهم تناجيا ، وقال عز وجل حكاية عن ملا فرعون وأسرثوا النجوى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ^(٢) ﴾ وكانوا لا يَخْصُونَ كثرة ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ^(٣) ﴾ ومُتَاجُوا الرسول يحتمل أن يكونوا هم الاثنين فصاعدا إلى منتهى عدد الأمة ، فإن الخطاب لسكافة المؤمنين ، والمتاجون منهم لم يحصر سبحانه عددهم في كمية معينة ، وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْأَنفِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ^(٤) ﴾ غير حاصر ذلك في عدد مضبوط ، وقال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ^(٥) ﴾ لغير عدد معين ، وبعض هذه الآيات وإن نزلت في واقعة مخصوصة ، فقد أنزل الله معناها بلفظ

(١) سورة يوسف آية ٨٠ .

(٢) سورة طه آية ٦٣ .

(٣) سورة المجادلة آية ١٢ .

(٤) سورة المجادلة آية ٩ ،

(٥) سورة الشورى آية ٣٨ .

الصوم لتتناول كل الأئمة ، فالحكم فيها عام . وأما قضية عمر - رضى الله عنه -
فمن المعلوم أنه لم يجعل الأمر شورى في تلك الستة مراعاة لهذا العدد ، وإنما راعى
من يصلح للأمر ، فإن الستة الذين جعل الأمر فيهم هم أعيان الصحابة ، وأفضل
من بقى بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد الشيخين - رضى الله
عنهما - وأنه لا يجوز أن يخرج هذا الأمر عنهم ، ولا يتجاوزهم إلى غيرهم ،
ولو كان الصلحاء لهذا الأمر أكثر من هذا العدد ، أو أقل لجعل الأمر فيهم ،
ولم يقل ^(١) نقصوا عن هذه العدة أم زادوا عليها .

والذى يصلح أن يكون جواباً ينفصل به عن الإشكال المقرر في أول
الكلام أن يقال : الذين صح نزول الآية فيهم هم الثلاثة الذين ستمهم ابن عباس -
رضى الله عنهم - . ولما كان هذا العدد أعنى الثلاثة هو المقصود بالآية ،
ذكر مقدماً فيها على العدد الأخير ليعلم التهتم به ، فإن التكلم ^(٢) إذا كانت
له عناية بشيء قدم ذكره في كلامه على غيره في مثل هذه المعاني ، ثم ذكر الأدنى
والأكثر ليرفع الاحتمال الذى قد مناه ، وإذا كانت هذه هي الواقعة التى نزلت
الآية بسببها سقط السؤال الأول ، الذى قيل فيه : لم لم يذكر أول رتب
المقتاجين ، واستغنى بذكر الأدنى بعد ذكر الثلاثة ليتناول الاثنين أو الأكثر
لتناول ما فوق الثلاثة .

والجواب عن قوله : ما الفائدة في ذكر الخمسة بعد ذكر الثلاثة وقوله تعالى
« ولا أكثر » تغنى عنها وعن غيرها إلى ما لا يتناهى من وجهين : أحدهما أنه

(١) في جميع الأصول : « ولم يقال » وهو خطأ .

(٢) كذا في الأصل ، د ، س والذى في ا ، ب ، ت « إذا » وبها يستقيم المعنى أيضاً .

سبعانه أراد أن يعرفنا كيفية التنقل في هذه الأعداد صاعدا من الثلاثة إلى الخمسة ، ليعلم أن الإشارة إلى جميع رتب الأعداد وأن كيفية التنقل في البقية [١٧١] ككيفية الخمسة ، فإن قيل : فلم لا كان هذا التعريف بالأربعة التي أُلغيت وكان ذكرها أولى ؟ لأن الانتقال من الثلاثة إلى الأربعة أصح من الانتقال من الثلاثة إلى الخمسة ، فإن مجيء العدد على ترتيب أصح من مجيئه على غير ترتيب ، وكان يحصل الغرض من تعريف كيفية الانتقال بذلك .

قلت : منع من ذلك أمران : أحدهما الخشية من مجيء نظم الكلام معينا لنقله على النطق والسمع ، لبشاعة تكرار لفظ التبيين بغير حاجز تباعد أحد اللفظين من الآخر ، فإنه لو قيل بعد قوله : « إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ » ولا أربعة لنقل الكلام ، لمجاورة لفظتين فيهما أربعة أحرف من حروف الحلق ، وهما العينان ١٠ والماءان ، وقد عاب الآمدي على أبي تمام مثل هذا في قوله ^(١) (الطويل) :

كَرِيمًا مَتَّى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى مَعِي وَمَتَّى مَا لَمَتَّهُ لَمَتَّهُ وَخَدِي وَتَمَّامَ مَسَاظِلَهُ ، وَهِيَ أَفْظَحُ الْعُيُوبِ الَّتِي نَفَّاهَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —

عن شعر زمير حين وصفه . وإن كان غير الآمدي قد عدّ العاظمة غير هذا . والأمر الثاني الذي منع من ذكر الأربعة فرار ناظم الكلام البليغ من تكرار المعاني والألفاظ بغير فائدة ، ولو انتقل إلى الأربعة لتكرر الحكم ، فإن الحكم عليها قد جرى في الخمسة ، فإن الخمسة أربعة وزيادة ، فالأربعة داخلة فيها ، ١٥

(١) ديوانه ١٢٩ وهو من قصيدة يمدح فيها موسى بن إبراهيم الرافقي ويمتنر إليه ديوانه وروايته « كرم » ومعاهد التنصيص ١ : ٣٥ .

- فما جرى عليها من الأحكام جرى على الأربعة ، وللفرار أيضاً من ذكر الشفع والعدول عنه إلى ذكر الوتر فإن للوتر من المزايا التي يستوجب بها الذكر دون الشفع ما ليس لغيره ، وفي هذا الجواب الذي جاء عن السؤال الثاني جواب عن السؤال الثالث . وأما الجواب عن السؤال الرابع وهو قوله : لِمَ لم ينتقل من الخمسة إلى السبعة كما انتقل من الثلاثة إلى الخمسة وينتهي إلى ذلك الحد ولا يهمل هذا العدد المختص بخصائص أودعها الله تعالى فيه من أجلها جاء وقته عدد السموات والأرض وأيام الدهر وأقاليم الأرض ، وأشياء لا يتسع هذا المكان لذكرها ، وهي مستوعبة في كتابي الموسوم (بالخواطر السوانح في ذكر سرائر الفوائض) وقد تقدم ذكره والتنبيه عليه ، فنقول : كان المراد تعريف كيفية الانتقال ، وقد حصل [١٧٢]
- ذلك بذكر الخمسة ، فإعادته في عدد آخر إطالة لا فائدة فيها ، قد أستغنى عنها ١٠ بما قبلها ، ولوروعي للسبعة ما لها من الخصائص لَوَجِبَ أن يراعى للتسعة ما لها من الخصائص أيضاً ، وليس المراد من الآية التنبيه على خصائص الأعداد ، إنما المراد ما ذكرناه ، وإلا متى أعتبرت خصائص الأعداد وجدت الخمسة مختصة بما لم يخص به غيرها من العدد ، فمن خصائصها التي انفردت بها أنها أول عدد جمع ثلاثة أوتار الواحد والثلاثة والخمسة ، ومنها أن عدد أوتارها وتر ، وهذا ليس لغيرها من جميع أعداد مرتبة الآحاد ، ولا ما بنى على أصلها وتفرع منه ، فإن الثلاثة إنما جمعت وترين ، وعدد أوتارها شفع كذلك ، والسبعة وإن جمعت أربعة أوتار فعدد أوتارها شفع ، وهي مركبة بالنسبة إلى الخمسة ، لأنها خمسة وزيادة ، والخمسة بسيطة بالنسبة إليها ، والبسيط أصل المركب ، والتسعة وإن جمعت أكثر

من السبعة وجاء عدد أوتارها وترافى مركبة بالنسبة إلى السبعة التي هي مركبة بالنسبة إلى الخمسة ، فالخمس بالنسبة إليها أصل الأصل ، هذا إلى ما فيها من الخصائص التي اختصت بها حتى جاءت عدد فوائح الكتاب العزيز على وفق عددها ، وقد استوعبت ذلك كله في كتاب (الفوائح) الذي أشرت إليه ، ولما كانت بهذه المثابة كان ذكرها أولى من ذكر السبعة ، ووجب الإتيان به لينبه على ما لها من الشرف والفضل دون غيرها ويحب الوقوف عندها ، ويقتصر في تعريف الانتقال عليها ، وبذلك يتحقق أن محيى نظم هذه الآية على ما جاء عليه أبلغ مما توجهه مورد السؤال وفرد الاشكال ؛ وقد حصل مما بيناه الانفصال عن السؤال والله أعلم .

ومن الانفصال قوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عن زكريا عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اُنِّىْ يَكُوْنُ لِىْ وَلَدٌ وَقَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَامْرَأَتى عَاقِرٌ ۚ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ^(١) ﴾ ؛ وقال سبحانه في قصة مريم عليها السلام ﴿ قَالَتْ رَبِّ اُنِّىْ يَكُوْنُ لِىْ وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشْرٌ ۚ قَالَ كَذٰلِكَ اَللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ^(٢) ﴾

فلنقابل أن يقول : لم قال فى حق زكريا « يَفْعَلُ » وقال فى قصة مريم « يَخْلُقُ » والمعنى واحد ، فإنه بشارة بولَدٍ فى الموضعين ؟ ، والانفصال عن ذلك

(١) سورة آل عمران آية ٤٠ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٧ .

أن استبعاد زكريا لذلك استبعاد لأمر غير خارق للمادة ، وإنما وقوع مثله [١٧٣] نادرٌ بعيد ، فحسن أن يعبر عنه بلفظة « يفعل » لأن صيغة الفعل يخبر بها عن تكرار منه مثل ذلك الفعل ، واستبعاد مريم — عليها السلام — استبعاد أمر لا يقع مثله إلا خارقاً غير ممتد ، فكان الإخبار عنه سبحانه ، بوقوعه بلفظة الخلق أنسب ، لأن الخلق في اللغة هو التقدير ، والتقدير مقدم على التصوير ، وهو في اصطلاح الشرع الاختراع ، وفصل ما لا يقع مثله أولى بالاختراع ، فناسب الإخبار عنه بلفظة الخلق .

ومن الأنفصال قوله تعالى في سورة المائدة مخاطباً لعيسى — عليه السلام — وممتناً عليه بنعمه حيث قال : ﴿ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا ^(١)) فمدد سبحانه جميع النعم التي أنعم بها عليه مؤقته بالزمن الماضي الدال عليه لفظة « إذ » في قوله تعالى : « إذ أيدتك » و « إذ علمتك » إلى أن أتى على جميع النعم التي عددها ما خلا نعمته عليه بإبراء الأكمه والأبرص ، فإنه تعالى

(١) سورة المائدة آيات ١١٠ ، ١١١ .

(م — ٢٢ بديع القرآن ب)

لم يؤتَها بوقت ، ولم يقيدَها بزمن كما فعل في غيرها من جميع النعم المذكورة قبلها وبعدها .

والأنفصال عن ذلك أن جميع ما عُدَّه من النعم وقمت كلُّ نعمة منه في زمن واحد ولم تتكرر ، وكان زمن وقوعه متقدما على زمن الإخبار به ، فوجب أن يقيد بالزمن الماضي ، وإبراء الأكمه والأبرص لم يزل منذ ظهر إلى حين رُفِع إلى السماء بفعله ، فلم يكن فعله له مقيدا بزمن ولا محصورا في وقت ، فلذلك جاء الأعتداد عليه به مطلقا غير مقيد بزمن كما كان وقوعه منه والله أعلم .

ومن الأنفصال قراءة أبي عمرو ، وابن كثير هذا الحرف بالرفع والتنوين دون الباقيين ، وهو : ﴿ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾^(١) فانه يقال : لم خصص هذين الحرفين بذلك دون قوله « ولا جدال » ؟ وأبقى هذا الحرف الأخير على قاعدة الإعراب من بناء النكرة مع « لا » على الفتح . ويقال^(٢) : إن للنُّحاة في هذا الحرف ستة [١٧٤] أقوال : وهي مسألة « لاحول ولا قوة إلا بالله » ، رفع في الجميع مع التنوين ، ورفع السكّل بغير تنوين ، والنصب مع التنوين في الجميع ، والنصب في الجميع بغير تنوين ، ورفع البعض ونصب البعض بغير تنوين ، ورفع البعض ونصب البعض مع التنوين ، فإذا سلّم ذلك سقط السؤال ، فإني أقول : لو كان هذا الحرف الذي سئل عنه عُوِّل بهذه المعاملة ، وقراءة أبي عمرو ، وابن كثير على هذه الطريق لجاز في روايتهما التبديل ، وقرأ به فسكانا يقولان بتجويز « فلا رَفَثَ ولا فسوق

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

(٢) كذا في الأصل ، وهو الصواب كما لا يخفى . والذي في بقية النسخ (ولا يقال بزيادة لا) وهي مفسدة المعنى .

ولا جدال ، ولم يحز عندهما ذلك ، فدلّ على أن الوجه الذي ذهبوا إليه من هذه القراءة إما أن يكون من الوجوه الستة المذكورة - وقد رجحناه دون بقية الوجوه فما وجه الترجيح ؟ ، وإما أن تكون لقراءتهما هذا الحرف على هذه الهيئتين على أخرى غير ذلك ، فما العلة ؟ ، وقد قرأ أبو عمرو مثل هذا الحرف على القاعدة المعروفة في بناء النكرة مع « لا » على الفتح في الجميع ، ورجح هذا الوجه على سائر الوجوه الستة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾^(١) بالفتح بغير تنوين في الجميع ؟ فما الفرق بين الموضوعين والعلّة التي لأجلها قرأ^(٢) أبو عمرو وابن كثير هذا الحرف بهذه القراءة في الأسمين الأولين من الآية دون الثالث ، أن حرف « لا » التي رتبها الاسمان الأولان غير « لا » التي رتبها الاسم الثالث ، فإن « لا » الأولى لا تأتي لا للنفي ، والثانية للنفي ، والمعنى . فمن فرض فيهن الحج فلا يكن رفث ولا فسوق ، أي لا يحدث منه ذلك ، واستأنف بعد ذلك قوله « ولا جدال » لنفي الجدال فنهي في الأول ، ونفي في الثاني ؛ والله أعلم .

والفرق بين الانفصال ، والإيضاح أن الإيضاح يكون إشكاله في مضمّن الكلام الواحد وإيضاحه في بقيته ، والانفصال وإشكاله مما في موضع واحد من الكلام ، وربما جاء الدّخل والانفصال في كلمة واحدة ، وغالب مجيئه في جملة واحدة ، وبيت واحد ، ويندر مجيئه في الأبيات المتعدّدة ، والجل المترددة ، والله أعلم .

* * *

(١) سورة البقرة آية ٢٥٤ .

(٢) روح المعاني ١ : ٤٦٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢ : ٢٠٤ .

باب الابداع*

وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنةً بديعاً
أو بديعين بحسب قوة الكلام ، وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد ،
[١٧٥] والجملة الواحدة عدةٌ ضروب من البديع ، ولا تخلو لفظةٌ منه من بديع ، فما زاد عليه .

وما رأيت ولا رويت في الكلام المنشور والشعر الموزون كآية من كتاب
الله تعالى أستخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع ، وعددها سبع عشرة
لفظةً وهي قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُدِّئَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ^(١) ﴾ وتفصيل
ما جاء فيها من البديع : المناسبة التامة في ابلعي وأقلمي ، والمطابقة اللفظية في ذكر
السماء والأرض ، والاستمارة في قوله أبلعي وأقلمي للأرض والسماء ، والجاز في قوله :
« يا سماء » ، فإن الحقيقة : ويا مطر السماء أقلمي ، والإشارة في قوله : (وَغِيضَ
الْمَاءِ) فإنه سبحانه وتعالى عبر بهاتين اللفظتين عن معانٍ كثيرة ، لأن الماء
لا يفيض حتى يُقْلِعَ مطرُ السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء فينقص
الحاصل على وجه الأرض من الماء ، والإرداف في قوله : « واستوت على الجودي »
فإنه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلسها جلوساً متمكناً لا زينغ
فيه ولا ميل ، لطأئنة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة ، والتمثيل

(*) سلم هذا النوع المؤلف (بحثه في خزنة ابن حجة : ٣٧ ، حسن التوسل : ٧٢ ،
نهاية الأرب ٧ : ١٦٤ .

(١) سورة مود آية ٤٤ .

- في قوله « وقضى الأمر » فإنه عبر بذلك عن هلاك المالكين ونجاة الناجين بلفظ فيه بعد ما من لفظ الحقيقة بالنسبة إلى لفظ الإرداف ، والتعليل لأن غيظ الماء علة الاستواء ، وصحة التقسيم حين أستوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه ، إذ ليس إلا احتباس ماء السماء ، واحتقان الماء الذي ينبع من الأرض ، وغيظ الماء الحاصل على ظهر الأرض ، والاحتباس في قوله : (وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لا يستحق الهلاك ، فجاء سبحانه بالدعاء على المالكين ليعلم أنهم مستحقوا الهلاك ، فإن عدله منع أن يدعو على غير مستحق للدعاء عليه ، والأفصال فان قائل أن يقول : إن لفظة القوم مستغنى عنها ، فإنه لو قيل : « وقيل بعدا للظالمين » لم الكلام ، والأفصال عن ذلك أن يقال : لما سبق في صدر الكلام قبل الآية قوله تعالى : (وَكَلَّمَا مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ^(١)) وقال سبحانه قبل ^(٢) ذلك مخاطبا لنوح عليه السلام : (وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُجْرِمُونَ ^(١)) فأقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة القوم التي آله التعريف فيها للمعبد ، ليتبين أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله [١٧٦]
- تعالى : « وَكَلَّمَا مَرْءًا عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ » ووصفهم بالظلم ، وأخبر بسابق عمله أنهم هالكون بقوله : « وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُجْرِمُونَ » فحصل الانفصال عن الإشكال وعلم أن لفظة القوم ليست فضلا في الكلام .

(١) سورة هود آية ٣٨ ، ٣٧ .

(٢) في جميع الأصول : « بعد » وهو خطأ في جميعها .

والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه ، وحسن النسق في عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت أولا فأولا ، فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع ، ثم عطف على ذلك أمر السماء بالإقلاع ثم عطف غَيِضَ الماء على ذلك ، ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك المالكين ونجاة الناجين ، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودي ، ثم عطف على ذلك الدعاء على المالكين ، فجاء عطف هذه الجمل على ترتيب وقوعها في الوجود ، واثتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها ، والإيجاز لأنه سبحانه اقتضت القصة بلفظها مستوعبة ، بحيث لم يخل منها شيء في أحصر عبارة ، بألفاظ غير مطوّلة ، والتسليم لأن من أوّل الآية إلى قوله تعالى : « أَقْلَمِي » يقتضى آخرها ، والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، كل لفظة سهلة مخارج الحروف عابها رونق الفصاحة ، مع الخلوة من البشاعة ، والتركيب سليم من التعقيد وأسبابه ، وحسن البيان من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ، ولا يشكّل عليه شيء منه ، والتمكين لأن الفاصلة مستقرة في قرارها ، مطمئنة في مكانها غير قائمة ولا مستدعاة ، والانسجام وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبّك ، مع جزالة لفظ كما ينسجم الماء القليل من الهواء ، وما في مجموع ألفاظ الآية من الإبداع ، وهو الذي سُمّي به هذا الباب ، إذ في كل لفظة بديع وبديعان ، لأنها كما تقدم سبع عشرة لفظة تضمّنت أحدا وعشرين ضربا من البلاغة سوى ما يعمدّ من ضربها ، فإن الاستعارة

وقعت فيها في موضعين : وهما استمارة الابتلاع والإقلاع ، فانظر : رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام ، وما انطوى عليه نظمه ، وما تضمنته لفظه لتقديره قدره ، وهذا ما ظهر لي منه على ضعف نظري وقلة مادتي من العلوم وغلل ذهني ؛ والله أعلم .

باب حسن الخاتمة*

يجب على المتكلم شاعراً كان أو فناناً أن يختم كلامه بأحسن خاتمة ، [١٧٧] فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، ولأنها ربما حُفِظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال ، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها ، وحلاوتها وجزالتها . ومن أمثلة هذا الباب خاتمة^(١) ختم بها الإمام : عليٌّ - عليه السلام - كتاباً أجاب به معاوية قبيل وقوع الحرب في صيفين بينهما ، يقول فيها : ١٠
وذكرت أن ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف ، فلقد أضحكت بعد استعبار متى ألفت بني عبد المطلب من الأعداء ناكلي ، وبالسيف مخوفين ؟

(*) تحدث ابن أبي الأصبع على أن هذا النوع من مخترعاته ، ولكنه مسبوق إليه من القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في وسطه : ٤٨ والتيفاشي في بديعه تحت اسم حسن للقطع . خزنة ابن حجة : ٤٦٠ .

(١) انظر نهاية الأرب ٧ : ٢٣٣ طبع دار الكتب المصرية ، وصيغ الأعمى

لَبْتُ^(١) قليلاً يَلْحَقُ الهَيْجَا حَمَلٌ « فسيطلبك من تطلب؛ ويقرب منك ما تستبعد، وإني مُرَقِلٌ^(٢) » نَحْوَكُ يَحْفَلُ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتائمهم، متسرِّلين سرايل الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بذرية، وسيوفٌ هاشمية، قد عرفت مواقع نصلها في أخيك وخالك وجدك (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ^(٣)) .

وحسن الخاتمة في أشعار المتقدمين قليلة جداً، وإنما غنى بها المولدون إلى الآن، ومن ذلك قول أبي نواس في محمد الأمين مما ختم به قصيدته المشهورة فيه التي أولها (الطويل) :

يَادَارُ مَا صَنَعْتُ بِكَ الْيَأَمُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسْتَأَمُّ^(٤) ١٠
فإنه ختمها بقوله :

فَبَقِيتُ لِلْعِلْمِ الَّذِي نُهَذَى لَهُ وَتَقَاعَسْتُ عَنْ يَوْمِكَ الْيَأَمُ^(٥)
وكقوله في الخصيب عامل مصر من قصيدة أولها (الطويل) :

أَجَارَةٌ يَبْتَنَّا أَبُوكَ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ^(٦)
فإنه قال في خاتمتها : ١٥

(١) لبث : توقف ، اللسان ، وجمع الأمثال للعبداني ١ : ٣٨٤ ويعني به حل بن بدر .

(٢) مرقل : مسرع .

(٣) سورة هود آية ٣٨ .

(٤) روايته في ديوانه يادار ما فعلت ، « ضامتك والأيام ليس تضام » . انظر صفحتي

٦٣ و ٦٤ ط المصموية .

(٥) ورد صدر هذا البيت في الديوان هكذا « فسلمت للأمر الذي ترجى له » ... الخ .

(٦) ديوانه صفحتا : ١٠١ ، ١٠٢ ،

فَإِنْ تَوَلَّيْ مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عَازِرٌ وَشَكُورٌ

وكقول أبي تمام في خاتمة قصيدته التي ذكر فيها فتح عمورية .

(البسيط) :

• إِنْ كَانَ بَيْنَ الْبَالِيِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضٍ^(١)

فَبَيْنَ أَبَائِكَ اللَّائِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ بَذَرَ أَقْرَبُ النَّسَبِ

أَبَيْتَ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَرَضِ^(٢) كَأَسِيهِمْ صُفْرُ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

وكقوله في خاتمة قصيدة اعتذر بها إلى ابن أبي دؤاد (الوافر) :

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَاشِينَ يَسْلُقُ مَسَامِيحَهُ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ^(٣)

وكقوله في خاتمة قصيدة اعتذر بها إلى موسى بن إبراهيم الرافعي

(الطويل) :

١٠

فَإِنْ يَكُ ذَنْبٌ عَنْ أَوْتَاكَ هَفْوَةٌ عَلَى خَطَايَايَ فَمَذْرَى عَلَى عَمْدِي^(٤) [١٧٨]

وكقول أبي الطيب المتنبي في خاتمة قصيدة ن السيفيات (الوافر) :

فَلَا حَظُّ لَكَ الْمَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقُ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(٥)

(١) ديوان صفحات ١١-١٢ ط بيروت مع خلاف بيد في الرواية ، والذمام : الحرمة ،

منقضب : منقطع .

(٢) المراض : المصفر (ديوانه : ١٢) .

(٣) ديوانه : ٨١ .

(٤) ديوانه ، الطراز ٣ : ٣٢٨ : ١٢٩ .

(٥) ديوانه بشرح المبكرى ١ : ٤٢٨ .

وكقوله في خاتمة قصيدته التي هُتأ بها أبا وائل بن حمدان بالخلاص من الأسر
(المقارب) :

فَذِي الدَّارِ أَغْدَرُ مِنْ مُومِسٍ وَأَخَذَعُ مِنْ كِفَّةِ الحَابِلِ^(١)
تَفَانَى الرِّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَلَا يَحْصِلُونَ مِنْهَا عَلَى طَائِلِ
وقوله في خاتمة قصيدته التي ودَّع بها ابنَ التَّمِيدِ (الطويل) :

فَجَدُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَلَتْ فَأَتَنِي أَخْلَفَ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي^(٢)
فَلَوْ فَارَقْتُ جَسْمِي لِلْيَلِكِ حَيَاتِهِ لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ التَّهْدِ

وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال ، لأنها بين
أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ومواعد ، إلى غير ذلك من
الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوف إلى ما يقال ، كتفضيل صلة
الموصول^(٣) في خاتمة الفاتحة ، والدعاء الذي خُتِمَتْ به البقرة ، والوصايا
في خاتمة آل عمران ، والفرائض في خاتمة النساء ، والتبجيل والتعظيم في خاتمة
المائدة ، والوعد والوعيد اللذين خُتِمَتْ بهما الأنعام ، والتحريض على العبادة
بوصف حال الملائكة الذي خُتِمَتْ به الأعراف ، والحض على الجهاد وصلة
الأرحام اللذين خُتِمَتْ بهما الأنفال ، ووصف الرسول - صلى الله عليه وسلم -
ومدحه والأعتداد على الأم به ، وتسليته ووصيته وتهليل في خاتمة براءة ، وتسليته

(١) ديوانه ٢ : ٣٨ — ٣٨ وأغدر : أخون ، مومس : كل امرأة فاجرة ،
وكفة الحابل ، المراد الشرك بها هنا ، وهي معروفة ، لأن الكفة هي آلة الشرك ، الحابل :
آلة الصيد ، ملخصاً من المخلص لابن سيده ٨ : ٨٩ ط بولاق سنة ١٣١٨ هـ .
(٢) ديوانه ١ : ٢٨٠ .
(٣) في ١ ، ب صلة المطلوب وهو تحريف .

- صلى الله عليه وسلم — التى خُتِمتَ بها يونس ، ومثلها خاتمة هود ، ووصف القرآن ومدحه الذى خُتِمتَ به يوسف ، والرد على من كذب الرسول — صلى الله عليه وسلم — الذى خُتِمتَ به الرعد ، ومدح القرآن وذكر قاعدته والعلّة فى إنزاله الذى خُتِمتَ به إبراهيم ، ووصية الرسول التى خُتِمتَ بها الحجر ، وأمر الرسول — عليه الصلاة والسلام — بالصبر، ونهي عن الحزن، وتسليته عما يهجه من كفر من كفر ، ووعده المتقين المحسنين الذى خُتِمتَ به النحل، وأمره — عليه السلام — بالمحذ لربه سبحانه ، وتنزيهه وتكبيره الذى خُتِمتَ به الإسراء ، وتحضيض الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الإبلاغ والإقرار بالبشرية ، وأمره بالتوحيد الذى خُتِمتَ به الكهف ، وعلّة إنزال القرآن ووصف من أنزل [١٧٨]
- ١٠ عليه ، وتخويف الناس بذكر من هلك قبلهم الذى خُتِمتَ به مريم ، والوعد والوعيد بذكر المتربّصين العُدّة والفُؤاة الذى خُتِمتَ به طه ، والاستعانة بالله على ما يصف المشركون فى خاتمة الأنبياء ، والتحضيض على أتباع دين إبراهيم ، والإخبار بشهادة الرسول على أمته بذلك ، وشهادة أمته على الأمم ، وأمرهم بالصلاة والزكاة ، والاعتصام بالله ، ووصف الحق سبحانه بما يرغب فى الاعتصام به فى خاتمة الحج وأمر النبي — صلى الله عليه وسلم — بالدعاء بالغفران والرحمة ،
- ١٥ ووصف الرب سبحانه بالرحمة فى خاتمة المؤمنين ، والإخبار بأن الله سبحانه يعلم ما عباده عليه فى الدنيا ، وأنه ينبئهم بأعمالهم إذا رجعوا إليه فى الآخرة ، وأنه القادر المطلق على كل شيء فى خاتمة النور ، والتحضيض على الدعاء فى خاتمة الفرقان ، ووعيد الظلمة فى خاتمة الشعراء ، والتحميد والوعيد ووصف الله سبحانه بعلم

مانعمل عبادُهُ في خاتمة النمل ، ووصف الحق سبحانه بالبقاء بعد فناء خلقه ،
 وأن المرجع إليه ، والحكم له في خاتمة القصص ، ووعد من جاهد في الله بالهداية ،
 وأنه مع المحسنين في خاتمة العنكبوت ، وأمر الرسول — عليه السلام —
 بالصبر ونهى غيره ، والخطاب له عن استخفاف الشاكِّين في خاتمة الروم^(١) وأمر
 الرسول — عليه السلام — بالإعراض عن الكافرين ، وانتظار أمر الله فيهم في
 خاتمة السجدة ، وتعظيم حمل الأمانة وإشفاق أشدِّ مخلوقات الله تعالى منها ،
 وحمل الإنسان لما لظلمه وجهله ، وجعل ذلك علة لتمعذيب المنافقين والمشرِّكين ،
 والتوبة على المؤمن والأخبار بقرانه ورحمته في خاتمة الأحزاب ، والتحذير من
 الاعتقار بالأمانى ، كفعل من شك وارتاب بالحق في خاتمة سبأ ، والإخبار
 بأنه سبحانه يمهِّل عباده ، وأنه بصير بهم في خاتمة فاطر ، وإخباره بأن بيده
 ملكوت كل شيء وأن إليه المرجع في خاتمة يس ، والتسبيح والتتزيه لله تعالى
 عما يصف المشركون والتسليم على المرسلين والتحميد لرب العالمين الذي
 حُتِّمَتْ به الصافات ، وأمر الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالبراءة من طلب
 الأجر على الهداية ممن هداه ومن التكلف والأخبار بأن القرآن ذكر للعالمين
 في خاتمة ص ، وذكر أحوال القيامة والتحميد في خاتمة الزمر ، والتخصيص
 [١٨٠] على الإيمان قبل نزول العذاب ، والتحذير من الكفر بخسران الكفار ، في

(١) يلاحظ أنه قد سقط تعريف خاتمة سورة لقمان من جميع الأصول وقد ذكر
 في الأصل ، أ ، ب خاتمة السجدة وقال المؤلف عنها إنها خاتمة لقمان . فتأمل . وكان يصح أن
 يذكر عنها أنها الإخبار عن علم الساعة ، ونزول النيث وما في الأرحام مستور وما للنفس
 وما عليها وبأى أرض تموت .

خاتمة حمّ — المؤمنين — ، والإخبار بأن الكفار في مِرْية من البعث ، وأنه
 محيط بكل شيء في خاتمة حمّ — فصلت — ومدح الرسول بالهداية في خاتمة
 الشورى ، والإعلام الرسول — عليه السلام — بأن الكفار من قومه لا يؤمنون ،
 وأمره بالصفح عنهم ، ووعدهم في خاتمة الزخرف ، والأعتماد على الرسول —
 عليه السلام — بتفسير القرآن على لسانه للتذكّرة ، وأمره بارتقاب ما يرقب
 المؤمنون في خاتمة الدخان ، واستقصاء عمر الدنيا وتشبيه قلتها بساعة من نهار ،
 وتقرير هلاك الفاسقين في خاتمة الأحقاف ، ووعد الكفار بالاستبدال بهم في
 خاتمة سورة القتال ، ووعد صالحى المؤمنين بالمغفرة وعظيم الأجر في خاتمة الفتح ،
 والإعلام بأنّ المنّة له سبحانه في هداية من أسلم ، وأنه بصيرٌ بأعمالهم في خاتمة
 الحجرات ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالتذكير بالقرآن لمن يخاف في خاتمة
 « ق » ، والدعاء بالويل على الكافرين في خاتمة القاريات ، وأمر الرسول —
 عليه السلام — بالصبر والتسبيح والتحميد في خاتمة الطور ، وذكر حال
 المشركين وأنهم لا يكون عند سماع القرآن ، وأمرهم بالسجود في خاتمة
 النجم ، وتبشير المتقين بمقعد صدق عند ربهم في خاتمة القمر ، وتعظيم اسم الله
 ووصفه بالجلال والإكرام في خاتمة الرحمن ، والإعلام بأن القرآن حقّ
 يقين وأمر الرسول بالتسبيح باسم ربه العظيم في خاتمة الواقعة ، والإخبار
 بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لأنه ذو الفضل العظيم في خاتمة الحديد ، والوعد
 بأن حزب الله هم المفلحون في خاتمة المجادلة ، ووصف الله سبحانه بأن له
 الأسماء الحسنى ، وانفراده بالعرّة والحكمة في خاتمة الحشر ، وإخباره بانقطاع

رجاء الكفار من أصحاب القبور إنكارا للبعث والنشور في خاتمة الممتحنة ، والامتنان
 على المؤمنين بظهورهم على الكفار بتأييده سبحانه في خاتمة الصف ، والتخصيص
 على تقديم الصلاة على التجارة ، ووعد من قدمها بالرزق في خاتمة الجمعة ،
 والإخبار بأن الأفيس لا تتعدى آجالها وأنه سبحانه خير بأعمالها في خاتمة
 المنافقين ، والإخبار بأنه سبحانه يشكر على الأعمال الصالحة ، ويحلم عن الأعمال
 السيئة ، والتمدح بملئه الغيب والشهادة والعزة والحكمة في خاتمة التائب ، والإخبار
 بأنه سبحانه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهما ، ونصب ذلك دليلا
 على قدرته على كل شيء وإحاطته علما بكل شيء في خاتمة الطلاق ، وضرب
 [١٨١]
 المثل للكافرين بحال امرأتى نوح ولوط ، وللمؤمنين بامرأة فرعون ومريم ابنة
 عمران في خاتمة التحريم ، والاعتداد على الخلق بالماء المعين في خاتمة الملك ، والرد
 على من عَصَهُ ^(١) الرسول — عليه السلام — بالجنون بالإخبار أن القرآن ذكر
 للعالمين في خاتمة القلم ، ووصف القرآن بأنه الحق المبين وأمر الرسول — عليه
 السلام — بتسبيح اسم ربه العظيم في خاتمة الحاقة ، وذكر البعث ووصف
 حال المبعوثين في خاتمة المعارج ، والدعاء على الكفار بالدمار وتأكيد الدعاء
 عليهم بمحو الآثار في خاتمة نوح ، وتمدحه سبحانه بإحاطته بما عند رسله
 عليهم السلام وإحصائه كل شيء عددا في خاتمة سورة الجن ، والحث
 على الاستغفار في خاتمة المزمّل ، والإخبار بأن القرآن تذكرة ،

(١) عَصَهُ الرسول ، أى كذب عليه ورماء له ما وبهتاناً .

وما يذكّر به إلا بمشيئة الله وأنه أهل التقوى وأهل المغفرة في خاتمة المدثر ،
والاستدلال على إحياء الموتى بخلق الإنسان في خاتمة القيامة ، ووعد من
سبقت له المشيئة من المؤمنين بإدخاله في رحمة الله تعالى ، ووعد الظالمين بالعذاب
الآليم في خاتمة سورة الإنسان ، والاستفهام عن الحديث الذي يؤمن
المكذبون بالقرآن بعده استبعاداً لذلك وتمظيلاً للقرآن في خاتمة المرسلات ،
• وذكر تمتى الكافرين يوم القيامة بأن يكونوا تراباً في خاتمة النبأ ، واستقصار
مدة انتظار الساعة في خاتمة النازعات ، ووصف إسفار وجه المؤمنين وتغيير
وجوه الكافرين ^(١) في خاتمة عبس ، والإخبار بأن القرآن ذكر لمن أراد
الاستقامة بمشيئة الله تعالى في خاتمة التكوير ، ووصف القيامة والإخبار بأن
الأمر فيها لله وحده في خاتمة الانفطار ، والاستفهام عن مجازاة الكفار للتوبيخ
٩ في خاتمة المطففين ، والوعد بأن أجر صالحى المؤمنين غير ممنون في خاتمة الانشقاق ،
وتمجيد القرآن والإخبار بأنه محفوظ في خاتمة البروج ، والأمر بإمهال
الكافرين قليلاً في خاتمة الطارق ، والإعلام بأن ما في القرآن في صحف
إبراهيم وموسى في خاتمة الأعلى ، والإعلام بأن مرجع المكلفين إلى الله
سبحانه وعليه حسابهم في خاتمة الفاشية ، وذكر دخول النفس المطمئنة
١٥ راضية مرضية في عباد الله وجنته في خاتمة الفجر ، وذكر حال أصحاب
اليمين وأصحاب المشاة في خاتمة البلد ، والموعظة بما حلّ بشمود في خاتمة
الشمس ، والحض على إيتاء الزكاة في خاتمة الليل ، والنهي عن قهر اليتيم

(١) كذا في الأصل ، د ، س ، ت والذي في « ١ » « الكفرة » . وهما بمعنى واحد .

وانتهار السائل والأمر بالتحدث بالنعم في خاتمة الضحى ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالرجعة إلى ربه في خاتمة الانشراح ، والإخبار بأنه سبحانه أحكم الحاكمين في خاتمة التين ، وأمر الرسول — عليه السلام — بالسجود والاقتراب في خاتمة العلق ، ووصف ليلة القدر وتحديد وقتها في سورة القدر ، وذكر رضى المؤمنين الذين هم خير البرية عن ربهم ورضاه عنهم في خاتمة البرية ، وذكر تدقيق الحساب ومجازاة صغير الأعمال في خاتمة الزلزلة ، ووصف النشور ووصف الحق بالخير بعباده في خاتمة العاديات ، ووصف جهنم — أعادنا الله منها — في خاتمة القارعة ووعيد المكلفين بسؤالهم عن النعم في خاتمة التكاثر ، وأمر المؤمنين بالتواصي بالحق والصبر في خاتمة العصر ، ووصف النار في خاتمة الحمزة ، وذكر هلاك أصحاب الفيل في سورة الفيل ، وأمر قريش بعبادة رب البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف في خاتمة الإيلاف ، والنهي عن الرياء ومنع الماعون في خاتمة الدّين ، وذمّ عدو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في خاتمة الكوثر ، ونخلة الكافرين ودينهم في خاتمة الكافرين ، والأمر بالاستغفار عند الفتح في خاتمة النصر ، وذمّ أم جميل امرأة أبى لهب في خاتمة تبت ، ونزله الله سبحانه وتعالى عن الأشباه والأمثال في خاتمة الإخلاص ، والتعوذ من شرّ الحاسد في خاتمة الفلق ، والعوذ من شرّ وسوسة الشّقيّين في سورة الناس .

هذه خواتم السور القرآنية على الإجمال ، ولو ذهبتُ إلى ذكر تفاصيل ما أنطوت عليه من المحاسن والفنون ، وما يُبرهن عن تمكينها ورشاقة مقاطعها وانتهاء البلاغة إلى كلِّ مقطع منها ، لاحتجتُ في ذلك إلى تدوين كتاب بذاته ، وإلحاق ذلك بهذا الكتاب ممّا يطيله ويُعظم قله على من يريد تقييده ، وقد تقدّم في هذا الكتاب تبين طرق الاستنباط والاستخراج ، [١٨٣] فمن أدام على مطالعته ، اختلط بلحمه ودمه ، وقدر على استنباط كلِّ ما فيها وفي غيرها من الكلام البليغ الفصيح ؛ والله أعلم .

تم كتاب بديع القرآن المجيد وعدة أبوابه مائة باب وثلاثة أبواب ، وتمّ بتمامه كتاب البرهان في إيجاز القرآن^(١)

(١) هذه الحاشية كما وردت في الأصل . وهي تختلف عن خاتمة بقية النسخ ، وليس لهذا الخلاف أي أثر لأنه من صنع النساخ .
(م — ٢٣ بديع القرآن ب)

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الموضوعات .
- ٢ - فهرس الآيات القرآنية .
- ٣ - فهرس الشعر والشعراء .
- ٤ - فهرس الاعلام والامم والقبائل .
- ٥ - فهرس مراجع المؤلف .
- ٦ - فهرس مراجع التحقيق .
- ٧ - فهرس الايام .

فهرس الموضوعات

رقم المسألة	اسم النوع	رقم سلسل	رقم المسألة	اسم النوع	رقم سلسل
٧٧	باب ائتلاف اللفظ مع المعنى	٢٠	١٧	باب الاستعارة	١
٧٩	المساواة	٢١	٢٧	التهجينيس	٢
٨٢	الإشارة	٢٢	٣١	الطباق	٣
٨٣	الإرداف	٢٣	٣٦	رد الأجاز على الصلور	٤
٨٤	التمثيل	٢٤	٣٧	المذهب الكلامي	٥
	ائتلاف الفاصلة مع	٢٥	٤٢	الآلتفات	٦
	ما يدل عليه سائر		٤٥	التمام أو التسميم	٧
٨٥	الكلام		٤٩	الاستطراد	٨
٨٦	التوشيح	٢٦		تأكيد الملح بما	٩
٨٧	الإيغال	٢٧	٤٩	يشبه الذم	
٩٣	الأحتراس	٢٨	٥٠	تجاهل العارف	١٠
٩٤	الموازنة (براء مهجلة)	٢٩	٥٢	حسن التضمين	١١
٩٥	الموازنة (بزاى معجبة)	٣٠	٥٣	الكناية	١٢
٩٦	التزويد	٣١	٥٤	الإفراط في الصفة	١٣
٩٧	التعطف	٣٢	٥٨	التشبيه	١٤
٩٨	التقويف	٣٣	٦٣	عتاب المرء نفسه	١٥
١٠٠	التسميم	٣٤	٦٤	حسن الابتداءات	١٦
١٠١	التسميط	٣٥	٦٥	صحة الأقسام	١٧
١٠٢	التورية	٣٦	٧٣	صحة المقابلات	١٨
١٠٣	الترشيع	٣٧	٧٤	صحة التفسير	١٩

رقم المصحفة	اسم النوع	رقم سلسل	رقم المصحفة	اسم النوع	رقم سلسل
١٦٦	باب الانسجام	٦١	١٠٤	باب الاستخدام	٣٨
١٦٧	» راحة النظم	٦٢	١٠٥	» التناير	٣٩
١٧١	» التعليق	٦٣	١٠٧	» المائلة	٤٠
١٧٢	» الإدماج	٦٤	١٠٨	» التسجيع	٤١
١٧٣	» الاتساع	٦٥	١٠٩	» التمليل	٤٢
١٧٥	» الحجاز	٦٦	١٠٩	» الطاعة والعصيان	٤٣
١٧٩	» الإيجاز	٦٧	١١١	» العكس والتبديل	٤٤
	» سلامة الاختراع	٦٨	١١٢	» القسم	٤٥
٢٠٠	من الاتباع		١١٦	» السلب والإيجاب	٤٦
٢٠١	» حسن الاتباع	٦٩	١١٧	» الاستدراك والرجوع	٤٧
٢٠٣	» حسن البيان	٧٠	١٢١	» الاستثناء	٤٨
٢٠٧	» التوليد	٧١	١٢٣	» التلخيص	٤٩
٢١٢	» التنكير	٧٢	١٢٧	» جمع المؤنثة والمختلفة	٥٠
٢٢٢	» التوارد	٧٣	١٣١	» التوهم	٥١
٢٢٦	» الإجماع	٧٤	١٤١	» الأطراد	٥٢
٢٢٧	» الالتزام	٧٥	١٤٣	» التكميل	٥٣
٢٢٩	» تشابه الأطراف	٧٦	١٤٥	» المناسبة	٥٤
٢٣١	» التوام	٧٧	١٥١	» التكرار	٥٥
٢٣٣	» التخيير	٧٨	١٥٢	» نفي الشيء بإيجابه	٥٦
٢٣٨	» التنظير	٧٩	١٥٤	» التفصيل	٥٧
٢٤٢	» التدبير	٨٠	١٥٥	» التذليل	٥٨
٢٤٦	» التمزيج	٨١	١٥٨	» التهذيب	٥٩
٢٤٧	» الاستقصاء	٨٢	١٦٤	» حسن النسق	٦٠

رقم سلسل	اسم النوع	رقم الصحيفة	رقم سلسل	اسم النوع	رقم الصحيفة
٨٣	باب البسط	٢٥١	٩٩	باب الزيادة التي تفيد اللفظ	
٨٤	» العنوان	٢٥٧		فصاحة وحسنًا، والمعنى	
٨٥	» الإيضاح	٢٥١		توكيدا أو تمييز المدلوله	
٨٦	» التشكيك	٢٧٩		عن غيره	٣٠٥
٨٧	» الحيدة والانتقال	٢٨٠	١٠٠	» الإيهام	٣٠٦
٨٨	» الشماعة	٢٨٢	١٠١	» التفريق والجمع	٣١٣
٨٩	» التهكم	٢٨٣	١٠٢	» القول بالموجب	٣١٤
٩٠	» التندير	٢٨٥	١٠٣	» حصر الجزئي والخاصه	
٩١	» الإسجال بعداخالطة	٢٨٦		بالكلى	٣١٥
٩٢	» الفرائد	٢٨٧	١٠٤	» المقارنة	٣١٨
٩٣	» الاقتدار	٢٨٩	١٠٥	» الرمز والإيماء	٣٢١
٩٤	» النزاهة	٢٩٢	١٠٦	» المناقضة	٣٢٣
٩٥	» التسليم	٢٩٥	١٠٧	» الانفصال	٣٢٦
٩٦	» الاقتصنان	٢٩٥	١٠٨	» الإبداع	٣٤٠
٩٧	» المراجعة	٣٠٠	١٠٩	» حسن الخاتمة	٣٤٣
٩٨	» إثبات الشيء بنفيه				
	عن ذلك الشيء	٣٠٣			

فهرس الآيات القرآنية (١)

سورة فاتحة الكتاب :

آية ٥/٤٤ .

سورة البقرة :

آية : ٣ ، ٤/٦٩ : ٦/٣٢ : ٧/٨٦ : ١٦/١٩ : ٣٢ : ١٧/٢٦ ،
 ٦١ : ١٩ ، ٢٠/٦٢ : ٢٤/٤٢ : ٢٥/٢٥٩ : ٢٠/٩٨ : ٩٦/١٩٥ :
 ١٢٤/٣٠١ : ١٣٢/١٤٢ : ١٤٣/١٠٣ : ١٩٨/٣٦ : ١٧١/١٣٦ :
 ١٧٩/٨١ : ١٩٢ : ١٩٤/٢٨ : ٤٢ : ١٩٧/٢٣٨ : ٢١٦/٢٣ :
 ٢٢٣/٢٧٠ : ٢٣٥/٥٤ : ١٠٤ : ٢٥٤/٢٣٩ : ٢٥٥/٢٦٦ :
 ٤٦ ، ١١٠ : ٢٦٩/٢٤٩ : ٢٧٣/١٥٢ : ٢٨٦/٣٠٥ .

سورة آل عمران :

آية : ٨/٣٦ : ٢٧/٩٩ : ٣٣/١٧٠ : ٣٨/٩٠ : ٥٩/٢١٩ : ١٠٦ :
 ١٠٧/١٥٤ : ١١١/١٣٢ : ٢٦١ : ١١٢/١٢ : ٢٦٤ : ١١٧/٦١ :
 ١٣٢/٥٨ : ١٥٦/١٧٢ : ١٥٩/٣٠٥ : ١٧٦/١١٣ .

سورة النساء :

آية : ٣/١٧٤ : ١٣ : ١٤/١٣٠ : ٢١/٥٤ : ٢٢ : ٢٤/١٥٥ : ٣٦ :
 ٢٣٨ : ٦٦/٧٥ : ١٢٤ : ١٢٥/١١١ : ١٣٤/١٢٥ : ١٤٠/٢١٣ :
 ٤١/٩٧ : ١٤٣/٢٩ : ١٤٥/٢١٣ : ١٦٦/٣٦ : ١٧١/١٩١ .

سورة المائدة :

آية : ٥٦/٥٣ : ٢٨/١٦٠ : ٣٧ : ٣٨/١٤٩ : ٤٥/٥٢ : ١٦ : ٥٠ :
 ٩٢ : ٥٣/٢٢٤ : ٥٤/١٤٣ : ١٧١ : ٥٩/٥٠ : ٦٤/٢٤ : ٧٥/٥٣ :

(١) يلاحظ أني التزمت في فهرس الآيات ما يأتي : ترتيب السور ، وترتيب الآيات
 عدديا في السورة ووضعت شرطة مكسورة بين رقم الآية ورقم الصحيفة وفصلت بين رقم
 الصحيفة ورقم الآية التالية لها بفاصلة منقوطة .

١٥٩/٨٩ : ١٥١/٩٣ : ٣٧/١٠٥ : ١١٠ : ٣٣٧/١١١ : ٣٢/١١٦ : ٢٣٦/١١٨ : ٥٥ : ٥١

سورة الأنعام :

آية : ٤٤/٦ : ٣٧/١٠ : ٣٦٥/٢٧ : ٢٠٥/٢٨ : ٣١٨/٣١ : ٣٢ : ١١٣ : ٢٩/٦ : ٤٣ : ٤٢ : ٣١٣/٤٤ : ١١١/٥٢ : ٣١٦/٥٩ : ١٤٥/٩٣ : ٣٧/٨٢ : ٣٧/٨٠ : ٢٨/٧٩ : ٢٥٨/٧٦ : ٨١/٦٨ : ٢٦٦/٩٦ : ١٠٣ : ١٤٦/١٠٣ : ٣٦٥/١١٢ : ٣٢/١٢٢ : ١٤٤/١٤٧ : ١٠٦/١٥١ : ١٣٣ : ٢٣٩ : ٨٢/١٦٠

سورة الأعراف :

آية : ١٣٥/١٢ : ٤٣/٢٦ : ٤٠ : ٥٦ : ١٠٥/٧٦ : ٧٥ : ٢٢٩ : ١٤٣ : ٢٤٤/١٤٦ : ٣٢/١٥٤ : ١٥٠ : ٢٣/١٥٦ : ١٤٥/١٥٦ : ٥٨/١٧١ : ٢٥٧/١٧٥ : ٤١/١٧٦ : ٦١ : ٢٢٠/١٨٠ : ٢٢٠/١٩٥ : ١٥٢ : ١٩٩/٨١ : ١٦٧ : ٢٠١ : ٢٢٨/٢٠٢

سورة الأنفال :

آية : ١٧٦/٢ : ١٢٠/٧ : ١١٨/١٧ : ٣٠٤ : ١٥٣/٢٣ : ١٠٥/٢١ : ١٨٨ : ٢٣ : ٢١٥/٣٢ : ٤٢ : ١١٨/٤٣ : ٨٢/٥٨ : ١٠٩/٦٨

سورة التوبة :

آية : ٥٩/١٩ : ١٩٠/٢٠ : ٢٨/٣٨ : ٩٧/٥٢ : ٦٧ : ٢١٧/٧١ : ١٠٦/١١١ : ٨١/١٠٣

سورة يونس :

آية : ١٥٠/٢ : ٦٧/١٢ : ٢٦٦/٣١ : ٣٥ : ٤١ : ٤٢ : ٤٣ : ٤٤ : ١٦١ : ٣٠٨/٧١ : ١٠٢/٩٢

سورة هود :

آية : ١٣٧/٢٤ : ٢٠٨/٣٦ : ٣٧ : ٨٠/٣٨ : ٣٤١ : ٨٠/٤٤ : ٩٣ : ١٦٤ : ١٧٩ : ٣٤١ : ٣٤٠ : ٥١/٨٧ : ١٠٩/٩١ : ٤٩/٩٥ : ١٠٠ : ١٠٦ : ١٠٨/١٠٤ : ١١٣ : ٧٨/١٦٢ : ١٦٧/١٢٣

سورة يوسف :

آية : ١٦٩/٣ ؛ ١١٤/٢٥ ؛ ٥١/٣١ ؛ ٥١ ؛ ٥٢/١١٤ ؛ ١٤١/٣٨ ؛
١٠٤/٤٢ ؛ ١٧٩/٨٢ ؛ ٧٧/٨٥ ؛ ١٠٧/٨٦ ؛ ١٦٦ ؛ ١٦٧/٨٧ ؛
٢٤١/١٠٠ ؛ ١٠٢/٩٦ .

سورة الرعد :

آية : ٣٣/٨ ؛ ١٥٩/٩ ؛ ١٠/٥٧ ؛ ١٢/٦٥ ؛ ٣٨ ؛ ١٠٤/٣٩ .

سورة إبراهيم :

آية : ١٧٦/٢٥ ؛ ٢٥١/١٧ .

سورة الحجر :

آية : ٣٠ ؛ ١٣١/٣١ ؛ ٤٤/١١٤ ؛ ٤٨/١٣١ ؛ ٧٢/١١٢ ؛ ٩٤/٢٢ .

سورة النحل :

آية : ٨٧/٩ ؛ ٢٤٤/٢٦ ؛ ٤٦/٣٧ ؛ ١٩٥/٦٩ ؛ ٨١/٩٠ ؛ ٨٣ ؛
١٠٣/٢٢٦ ؛ ١٩/١١٢ ؛ ١١٣/١٢٧ .

سورة الإسراء :

آية : ٨٧/٧ ؛ ٢٢٨/١٦ ؛ ٢٣ ؛ ١١٦/٢٤ ؛ ٣٧/٣١ ؛ ١٠٦ ؛ ٣٣/٣٣ ؛
٨١ ؛ ٢٥/٣٤ ؛ ٢١٢/٤٤ ؛ ٥٠ ؛ ٢٣٧/٥١ ؛ ١٠٢/٥٥ ؛
١٨٩/١٠٥ .

سورة الكهف :

آية : ١١٣/٦ ؛ ٦٣/١٨ ؛ ٥٧/٣٤ ؛ ٢٠٣/٧٧ ؛ ٢١/٩٩ ؛ ٢٩/١٠٤ .

سورة مريم :

آية : ٢٠/٤ ؛ ٩٤/٥٢ ؛ ٢٩٩/٧٢ .

سورة طه :

آية : ١٧ ؛ ١٢٦/١٨ ؛ ٨٢/٥٥ ؛ ٣٠/٩٤ ؛ ١١٨ ؛ ١٣٩/١١٩ ؛
٣١٧/١٥٢ .

سورة الأنبياء :

آية : ١٨/٢١ ، ٢٢/٣٩ ، ٢٢/٢٤٤ ، ٢٤/١٥٦ ، ٢٤/٥١ ، ٢٤/٩٨ ،
٢٩/٩٩ ، ١٠٢/٢١٥ .

سورة الحج :

آية : ٥/٢٤ ، ٧/٢٨ ، ٧٣/٢٠٠ ، ٢٢٠/٢٢٤ ، ١٣٤/١٢٥ .

سورة المؤمنون :

آية : ١/١٥٥ ، ٢/٣٣ ، ٣/٥٥ ، ٧/١٥٥ ، ٢٤/١٠٠ ، ٢٦/١٥١ .

سورة النور :

آية : ١/١٩٠ ، ٢٤/٥٧ ، ٢٥/٦٠ ، ٢٣/٥٦ ، ٢٩/٥٨ ،
٤٣/٢٥٧ ، ٤٥/٧٥ ، ١٨/٢١ ، ٢٢١/٤٨ ، ٤٩/٢٩٣ ، ٦١/٢٧١ .

سورة الفرقان :

آية : ٢/٢٠٣ ، ٢٨/٢٩ ، ٢٩/٦٤ ، ٦٠/٢٤ .

سورة الشعراء :

آية : ٧٨/٩٩ ، ١٦٢/٧٨ ، ٧٩/٧٩ ، ٨٠/٩٩ ، ١٦٢/٨١ ، ٨٢/٨٢ ،
٨٣/٩٩ .

سورة النمل :

آية : ٨٠/٩١ ، ٨٨/٦٠ ، ٩١/١٥٧ ، ١٨٨/٨٧ .

سورة القصص :

آية : ٧/١٩٨ ، ٢٣/١٨٦ ، ٤٤/٨٣ ، ٤٥/٢٩ ، ٤٦/٩٤ ،
٧٠/١٧٢ ، ٧١/١٤٧ ، ٧٢/٧٣ .

سورة العنكبوت :

آية : ١٤/١٢٢ .

سورة الروم :

آية : ٩٨/٧ ؛ ١٧ ؛ ١٨٠/٦٥ ؛ ٢٦٦/١٩ ؛ ٣٩/٢٧ ؛ ٣٠٦/٣٠ ؛
٢٧٠/٧٢ ؛ ٢٨/٤٣ .

سورة لقمان :

آية : ٧١/٢٧

سورة السجدة :

آية : ٢٥٢/٤ ؛ ٢٦ ؛ ١٤٨/٢٧

سورة الاحزاب :

آية : ٦٠/٦ ؛ ١٤٨/٢٥ ؛ ١٠٨/٣١ ؛ ١٢٤/٤٠ ؛ ٤٤/٥٠ .

سورة سبا :

آية : ٢٢٩/٢٣ .

سورة قاطر :

آية : ١١٣/٨ ؛ ١٧٧/٩ ؛ ١٦ ؛ ٤٥/١٧ ؛ ٢٤٢/٢٧ ؛ ٧٥/٣٢ ؛
٧٨/٤٢ .

سورة يس :

آية : ٢٠٥/٥ ؛ ١٦ ؛ ١٧ ؛ ٢٦ ؛ ٩٠/٢٧ ؛ ٧٦/٣٦ ؛ ٩١/٢٧ ؛
٢٠٥/٣٩ .

سورة الصافات :

آية : ٧٢ ، ٢٩/٧٣ .

سورة اداس :

آية : ٢٤٤/٢٤ ؛ ١٨٠/٣٢ .

سورة الزمر :

آية : ١٠/٥٦ ؛ ٢٢٥/٤٢ ؛ ٦٤/٥٦ .

سورة غافر :

آية : ١٥٢/١٨ .

سورة فصلت :

آية : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ / ٢٥٢ ؛ ٥١ / ٢١٨ .

سورة الشورى :

آية : ٢٨ / ٦٦ ؛ ٤٠ / ٢٨ ، ٨١ ، ١٦٢ ؛ ٤٩ ، ٥٠ / ٦٨ .

سورة الزخرف

آية : ٤ / ٢٠ ؛ ٥ / ٢٠ ؛ ٢٢ / ٢١ ؛ ٢٦ / ٢١ ؛ ٢٩ / ٢٠ ؛ ٧١ / ٨٢ ؛

٨١ / ٣٩ .

سورة الدخان

آية : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٥١ ، ٤٠ / ٢٠ .

سورة الجاثية

آية : ٣ ، ٤ ، ٥ / ٢٣ .

سورة القتال (محمد) :

آية : ٢١ / ١٩٠ .

سورة الفتح :

آية : ٢٩ / ٥٢ ؛ ١٤٤٠ .

سورة الحجرات :

آية : ١٢ / ٥٥ ؛ ١٤ / ١٢١ ، ١٣١ .

سورة « ق »

آية : ١٠٨ / ٢٤١ ، ١٠٨ ، ١٥٠ ، ٣ / ١٠٨ .

سورة الذاريات :

آية : ٢٣ / ١١٢ ؛ ٤١ / ٢١ .

سورة الطور :

آية : ١ ، ٢ / ٢٢٧ .

سورة النجم :

آية : ٣١ / ١٦٢ ؛ ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ / ٣٣ ؛ ٤٩ / ٢١٢ ؛ ٥٨ / ٨٧ .

سورة القمر :

آية : ١٢ / ٢٠ ، ٢٤ / ٥١ .

سورة الرحمن :

آية : ١ / ٢٠ ، ٢ / ١٠٩ ، ٣ / ٤٠٩ ، ٤ / ٢٢١ ، ٥ / ٦٠٩ ، ٦ / ٢٤٠٩ .

٢٦ ، ٢٧ / ٢٩٩٦ ، ٢٣ / ٣٤٠٣٤ ، ٣٥ / ٣٦٢٣٢ ، ٥٤ / ٢٩٦٥٦ / ٨٤ .

سورة الواقعة :

آية : ١٠ / ١١٠١ ، ١١ / ١٥١ : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ / ٦٨ ، ١٠٠ / ٦٨ : ٧٠ .

٦٨ ، ٧١ / ١٠١ : ٨٩ / ٢٩ .

سورة المجادلة :

آية : ٣ / ١١٦ .

سورة الممتحنة

آية : ١٠ / ١١١ .

سورة الحشر :

آية : ٩ / ٨٢ .

سورة الجمعة :

آية : ٥ / ٦١ .

سورة المنافقون :

آية : ٨ / ٣١٥ .

سورة التحريم :

آية : ٦ / ١١٦ .

سورة القلم :

آية : ١ / ٣٠٤ ، ٢ / ١٥٠ ، ٣ / ٢٢٨ .

سورة الحاقة :

آية : ١ / ٢٠١ ، ١١ / ٢٣ : ١٧ / ٢٥٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ / ٨٤ .

سورة نوح:

آية: ٢٦/٢٠٨

سورة المدثر:

آية: ٣٠/٣١٠

سورة القيامة:

آية: ٢٦/٢٧، ٢٨/٢٢٨؛ ٢٩/٣٠، ٣٠/٢٢٨

سورة الإنسان:

آية: ٣/١٤٠؛ ٨/٤٨

سورة المرسلات:

آية: ٣٠/٣١، ٣١/٢٥٨؛ ٣٣/٥٧

سورة التكويد:

آية: ١٥/١٦، ٢٢٧/١٨؛ ٢١/٢١

سورة الانفطار:

آية: ١٧/١٨، ١٥١/١٥١

سورة الانشقاق:

آية: ١٧/١٨، ٢٢٧/٢٢٧

سورة البروج:

آية: ١/٢٥٤، ١٦/٥٥

سورة الطارق:

آية: ١/٢٥٤، ٤/١٠٧

سورة الفجر:

آية: ٢٢/٥٦

سورة الضحى:

آية: ٩/١٠، ٢٢٧/٢٢٧

سورة العاديات:

آية: ٦/٤٥، ٨٠٧/٣٠، ٤٤٥/٢٩١١

سورة الزلزلة

آية : ١٧٦/٢ .

سورة القارعة

آية : ١٥١/٢٤١ .

سورة التكاثر

آية . ١٥١/٤٠٣ .

سورة الكوثر

آية : ٤٤٠٤٠/٢٠١ .

سورة الكافرون

آية : ٣٠/٢٠١ .

سورة الإخلاص

آية : ١٨٩/٢٠١ .

فهرس الشعر والشعراء

الصفحة	البحر	الشاعر	الثافية
(أ)			
٣٠٩	الزمل	بشار	سواء
٢٦	المقارب	أبو تمام	البهاء
(ب)			
٩٥	الطويل	عتبان الحروري	وجيب
٦٣	البيسط	الكيمت	الكلب
٢٩٣	»	أبو تمام	ومضطرب
٣٢٣	الوافر	الناطقة الدياني	الغراب
١٧٩	»	جرير	غضابا
٢٩٢	»	»	كلابا
١٠٧	البيسط	أبو تمام	كنب
٣٢٥	»	»	منقصب
٢٤٣	الطويل	الشاعر	شاربه
(ت)			
٢٣٣	البيسط	الحريري	قوت
١٨٥	الطويل	طفيل النوى	فزلت
٢٩٢	»	عمر بن معدى كرب	وفوت
(ح)			
١٨٣	مجزوء السكامل	عبد الله بن الزبيري	ورمحا
(د)			
١١٠	الطويل	المتنبي	راقد
٢٩٠	»	ابن أبي الإصبع	تعربد

القافية	الشاعر	البحر	الصفحة
ياردا	ذو الرومة	الرجز	١٨٢
بالجند	ابن أبي الإصبع	الطويل	٢١٤
عمدى	أبو تمام	»	٣٤٥
زندى	»	»	١٠٨
عندي	المتنبي	»	٣٤٦
وجدى	أبو تمام	»	٣٣٤
النمد	النايفة الديباني	البيسيط	٣٢٢
حداد	أبو تمام	الوافر	٣٤٥
الأيادى	أبو عبد الله	الخفيف	٣١٥
واحد	الحسين ابن الحجاج	السريع	٣١٨
أبعد	أبو نواس	الطويل	٣٢٥
	دريد بن الصمة		
(ر)			
تمحصر	المهزلى	الطويل	١٣٩
القصر	السلامى	»	٣١٧
عسير	أبو نواس	»	٣٤٤
إدبار	الخنساء	البيسيط	٦٠
الزير	ابن حجاج	»	٣٢٥
المنبر	البحترى	الكامل	٢٠٢
نزر	ذو الرمة	الطويل	٧٩
الأمر	عمر بن ضبيعة الرقاشى	»	١١٥
الأكدار	الحريرى	الكامل	٢٣٢
بقادر	الشاعر	»	٨٦

القافية	الشاعر	البحر	الصحيفة
الصارف	الفرزدق	الكامل	٢٧
الحضري	الخفساء	»	١٢٧
الأوتار	البحترى	الخفيف	٢٤٧
جرار	الأعشى (أعشى ميمون)	البسيط	٢٤٠
فاغفر	ابن أبي الإصبع	»	٢٩٩
دبر	امرؤ القيس	المتقارب	٢٤٥
جبر	المعاج بين رؤبه	رجز	٣٠٠
الأغز	عمر بن أبي ربيعة	رمل	٣٠٠
(س)			
أنكاس	الحطيفة	البسيط	٢٩٧
(ض)			
عرض	أبو تمام	البسيط	٢٩٣
بعضا	رؤبة بن المعجاج	السريع	٢٧٩
(ع)			
الأصابع	رجل من بني عبد شمس	الطويل	٣٠٩
أوسع	الخرمى	»	١٨٨
تطلع	أوتام	»	٢٢٢
تقع	المتنبى	البسيط	٢٢٣
يجزع	أبو ذؤيب الهذلى	الكامل	٨٨ هامش
مرتع	أوس بن حجر	الطويل	٢٩٣
يعى	ابن اللويذه المغربى	الكامل	٣١٥
التاع	ابن حجاج	مجزوء الكامل	٣٢٥
واع	البحترى	الخفيف	١٨٥

القافية	الشاعر	البحر	الصحيفة
ما اتسع	سميد بن أبي كاهل البشكري	الزمل	٨٨ هامش
	(ف)		
مدنف	تميم بن مقبل	الطويل	٣٢٠
	(ق)		
عاشق	جميل بن معمر	الطويل	١١٥
خلقوا	الشاعر	الكامل	١٢٨
فراقا	المتنبى	الوافر	٣٤٥
حقا	أبو العتاهية	خفيف	١١٥
النقا	ابن دريد	رجز	٨٨ هامش
	(ك)		
أصفا كا	عبد الله بن ممام السلولى	البسيط	٢٩٨
	(ل)		
تراسله	كثير	الطويل	١١٤
لأميل	الشنفرى	»	٨٧ هامش
وأجز لوا	مروان بن أبي حفصة	»	١٠١
أطول	الخنساء	»	٣٠٣
ثملا	الشاعر	الكامل	٢٣١
مقالا	جرير	»	٢٩٢
مثلا	البحتري	الخفيف	١٨٨
خلخال	امرؤ القيس	الطويل	
ليبتلى	»	»	٢٨٩
الحل	إدريس بن اليمان	»	٣١٩
أمل	ابن نباته السمدى	البسيط	١٥٧

القافية	الشاعر	البحر	الصحيفة
الطلر	الطمرأى	البسيط	٨٨
ذلك لى	المتنبى	»	١٥٧
البصل	أبو القاسم الحسين الواسى	المفسر ح	٣٢٥
الحابل	المتنبى	المتقارب	٢٤٦
دليل	»	الوافر	٢٨٣

(م)

تستام	أبو نواس	الطويل	٣٤٤
نأتم	المتنبى	»	١٣٨
يستلم	الفرزدق	البسيط	٢٠٢
زمامها	ليبد	الكامل	١٨
حمية	ديك الجن	مجزوء الكامل	١٠٨
الحكيم	يزيد بن حكيم الثقفى	»	٢٣٨
عم	زهير بن أبى سلمى	الطويل	٢٦
تقلم	»	»	٧١
التقدم	شريح بن أوفى البسى	»	١٧٣
القدم	أبو تمام	البسيط	٢٠٢
ونحميم	عنزة	الكامل	٢٠٢
الغمام	المتنبى	الوافر	٦٥
دارم	أبو نواس	السريع	٢٣٠

(ن)

كائن	أبو نواس	الطويل	٢٩٨
رحمانا	شاعر من بنى حنيفة	البسيط	٥٥
الأغصنا	المتنبى	الكامل	٢٠٢
الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	الوافر	٣٢٦

القافية	الشاعر	البحر	الصحيفة
عنى	الشاعر	الطويل	٢٨٨
ثنى	أبو نواس	»	٣٠٣
بأسنان	ابن نباته السعدي	البسيط	٢٨٦
الجبان	عبد الله بن طاهر	الوافر	٢٩٦
	ابن الحسين		
الحنن	محمد بن حازم الباهلي	مجزوء الخفيف	٣٠٩
	(هـ)		
وشفاها	ليلي الأخيلية	الطويل	٢٣٠
يها	الأعشى	البسيط	٣٢٢
	(ي)		
باليا	عبد بن الحساس (سحيم)	الطويل	٣٢٥
المشى	الصلتان المبدى	المقارب	١٧٧

فهرس الأعلام والأمم والقبائل

[هذه العلامة (=) معناها انظر]

(١)

ابن خالويه = أبو عبد الله بن أحمد	آدم (عليه السلام) ١٤١
ابن خالويه	آل عمران ١٧٠
ابن الخطيب = فخر الدين بن الخطيب	الآمدى = أبو القاسم الحسن بن بشر
الرازي	الآمدى
ابن دريد = أبو بكر محمد بن الحسن	إبراهيم (عليه السلام) ١٤١، ١٧١
ابن دريد	ابن أبي البرجان = أبو الحكم
ابن الدوبده المغربي ٣١٥	عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد الأشعبي
ابن رشيقي = أبو علي الحسن بن علي	ابن أبي البركات ١٦٨، ٨
ابن رشيقي	ابن الأثير = نصر الله بن أبي الكرم
ابن الرومي = أبو الحسن علي بن	الشياني (أبو الفتح ضياء الدين)
العباس بن جريج	ابن الأجدابي = إبراهيم بن اسماعيل
ابن سنان الخفاجي = عبد الله بن	ابن أحمد بن عبد الله الطرابلسي
محمد بن سعيد بن سنان	(أبو اسحاق)
ابن شداد = القاضي بهاء الدين بن	ابن الأعرابي ٢٩٣
شداد	ابن البطليوسي = أبو محمد عبد الله
ابن صمدح ٦	ابن محمد
ابن عباد = اسماعيل بن عباد	ابن حبيب = أبو الحسن علي بن محمد
ابن العباس	ابن حبيب
ابن عباس رضي الله عنه ١٧٣	ابن حجاج = أحمد البغدادي
ابن عبد ربه = أبو عمر أحمد بن	ابن حجة الحوي = تقي الدين بو
محمد بن عبد ربه	بكر بن علي ابن محمد بن حجة
ابن عطية = أبو محمد عبد الله بن	ابن خاقان = أبو نصر الفتح بن محمد
عبد الحق بن أبي بكر بن غالب الغرناطي	ابن عبد الله

ابن العميد = أبو الفضل محمد بن الحسين
 ابن قتيبة = أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
 ابن كثير = أبو القدا إسماعيل بن عمر القرشي
 ابن كثير = عبد الله بن كثير بن عمر ابن عبد الله
 ابن ماجه = أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه
 ابن المعتز = أبو العباس عبد الله بن المعتز
 ابن معصوم = علي صدر الدين بن احمد نظام الدين الملقب بالحسيني
 ابن منقذ = أسامة بن منقذ
 ابن ميكائيل
 ابن نباته السعدي = أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل
 ابن وكيع = أبو محمد الحسن بن وكيع
 ابن يعيش = أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش
 أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن اسماعيل العسكري
 أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد
 ابن عبد الله الطرابلسي ١٢، ٢٢٧
 أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ٨٦
 أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى
 أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله صول
 تكين الشطرنجي ١٠
 أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ٨٨، ٨
 أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي
 أبو جعفر بن محمد ٢٤٧
 أبو حامد بن محمد بن احمد الفزالي ١٠
 أبو الحسن عبد الجبار ٦
 أبو الحسن علي بن أبي الطيب الباخري ٩
 أبو الحسن علي بن العباس بن جريح ٨٨
 أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ٦
 أبو الحسن محمد بن الطاهر بن احمد ابن موسى ١١
 أبو الحسن محمد بن عبيد السلامي ٣١٧
 أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن
 ابن محمد الأشيلي ٨٠٦
 أبو حيان = محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان
 أبو داود = سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد السجستاني
 أبو دلف ٢٩٦
 أبو ذؤيب = خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم
 أبو زيد السروجي ١٢
 أبو سعيد عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن العلاء بن أبي صفرة ٨
 أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد المطلب الأصمعي ٢٧، ٨٧
 أبو سفيان ١١٩

ابن العميد = أبو الفضل محمد بن الحسين
 ابن قتيبة = أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة
 ابن كثير = أبو القدا إسماعيل بن عمر القرشي
 ابن كثير = عبد الله بن كثير بن عمر ابن عبد الله
 ابن ماجه = أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه
 ابن المعتز = أبو العباس عبد الله بن المعتز
 ابن معصوم = علي صدر الدين بن احمد نظام الدين الملقب بالحسيني
 ابن منقذ = أسامة بن منقذ
 ابن ميكائيل
 ابن نباته السعدي = أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل
 ابن وكيع = أبو محمد الحسن بن وكيع
 ابن يعيش = أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش
 أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن اسماعيل العسكري
 أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد
 ابن عبد الله الطرابلسي ١٢، ٢٢٧
 أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ٨٦
 أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى
 أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله صول
 تكين الشطرنجي ١٠

أبو علي محمد بن الحسن بن المنظر الحاتمي

١٣٩، ٤٩، ٤٥، ١٠، ٤

أبو عمرو بن عامر القرطبي : ١٩٠

٢٣٨

أبو عمرو بن العلاء ٢٩٣

أبو عمر أحمد بن عبد ربه ١٢

أبو عيسى بن محمد بن السلي

الترمذي ٨٧

أبو الفتح الكندي ١١

أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي ٩٥

١٩٠

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن

سعيد الحمذاني ١١

أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن

إبراهيم الميداني ٧

أبو الفضل بن الكمال أبو بكر جلال

الدين السيوطي ٥

أبو الفضل محمد بن الحسين ٢٤٦

أبو القاسم إسماعيل بن عباد ١٢

أبو القاسم الحسين بن الفضل المعروف

بالراغب الأصبهاني ٩

أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد السهيلي ٦

أبو القاسم علي بن أحمد بن موسى

الموسوي ١٠

أبو ليلى = معاوية بن يزيد

أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع ٧

أبو محمد عبد الله بن عطية ٦

أبو محمد عبد الله بن محمد البطليوسي ١٠

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن

ابن عبد الصمد المتني : ٤٩، ٧

١٥٧، ١٣٨، ١٠٩، ٨٨، ٦٥

٣٤٥، ٢٢٣

أبو الطيب الباقلاني ٥

أبو عبادة الوليد بن عبد بن يحيى الطائي

البحري : ٢٤٧، ٨٨، ٨٧، ٤٩، ٧

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن

يسار الشيباني ٣١

أبو العباس عبد الله بن المعتز : ٢٤، ٤

٥٠، ٤٩، ٣٧، ٣٦

أبو عبد الله بن أحمد بن خالويه ٨

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أبي

الحسن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ٨٧

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الرجاء

حامد بن عبد الله بن علي الأصبهاني ٩

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ٤١

أبو عبد الله هارون بن علي بن يحيى بن

أبي منصور المنجم ٨

أبو عبيد القاسم بن سلام ٧

أبو عبيدة معمر بن المثنى ٢٠٤، ١١

أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم بن

سويد

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الملاحظ : ٣١٤، ٢٠٢، ٣٧، ٨

أبو علي الحسن بن علي بن رشيق : ٤

١٧٩، ١٤١، ٣٦

الأخفش = سعيد بن مسعدة
 ٣١٩ إدريس بن النمان
 ١٠ ارسطوطاليس
 ٢٠٠، ٩٣، ١٢، ٤ أسامة بن منقذ :
 ٢٥١، ٢٤٣، ٢٢٦
 ١٤١ اسحاق (عليه السلام)
 ١٨٨ اسحاق بن حسان
 ١٤٢ اسماعيل (عليه السلام)
 اسماعيل بن عباد بن العباس
 ٧ (الصاحب)
 اسماعيل بن القاسم بن سويد : ١١٥
 اسماعيل بن محمد العجلوني ١٢٦
 الأصمعي = ابو سعيد عبد الملك بن
 قريب بن عبد المطلب
 الأعشى (أعشى قيس) = ميمون بن
 قيس بن جندل الأسدي (ابو بصير)
 اقليدس بن نوقطرس بن بريقس ٢٥٨
 ام معبد ٧٩
 امرؤ القيس = ٢٣١، ١٣٨، ٣
 ٢٨٩، ٢٤٥
 الأمين ٣٤٤، ٣٠٣، ٢٩٨
 أمية بن خلف ٢٠٦
 الأنصار ٢٧٧
 أوس بن حجر ٢٩٣

أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: ٢٠٣
 ابو محمد القاسم بن علي بن محمد عثمان
 الحريري ١١، ١٢، ٢٣٢، ٢٣٣
 ابو المعالي سعيد بن علي المعروف
 بالوراق ٩
 ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل
 الثعالبي: ١٣٨، ٨، ٦
 ابو نصر الفتح بن محمد عبد الله بن
 خاقان ١١
 ابو نواس = الحسن بن هانئ بن
 عبد الأول بن الصباح الحكمي
 ابو هلال العسكري ٢٢٣، ٤
 ابو الهيثم = عامر بن عمارة الخريبي
 ابو وائل بن حمدان ٣٤٦
 ابو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن
 اسماعيل ١٥٧
 ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد
 ابن سراج الدين السكاكي ٣٠٦، ٥٠
 أبي بن خلف ٢٠٦
 احسان عباس ٩
 احمد بن أبي عبد الله الحسين البغدادي
 ٣٢٥، ٣١٤
 احمد امين ١٣، ٩
 احمد عبد المجيد الغزالي ٣٠٣
 احمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي
 (البلاذري) ١٠
 الأخطل = غياث بن غوث

(ب)

٢٩٧	بغض	الباخرزي = أبو الحسن علي بن
	البلاذري = احمد بن يحيى بن جابر	الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخري
	ابن داود البغدادي	باقل ٢٠٤
٤٢	بلعام بن باعورا	البحري = أبو عبادة الوليد بن عبد
١٨٥	بنو جعفر بن كلاب	بن يحيى الطائي
٥٥	بنو حنيفة	البخاري = أبو عبد الله محمد بن
٢٩٣	بنو لهيعة	أبي الحسن اسماعيل بن ابراهيم البخاري
١٤٩	بنو النضير	البديع الحمداني = أبو الفضل احمد
٣٠٨	بوران بنت الحسن بن سهل :	ابن الحسين بن يحيى بن سعيد الحمداني
	البيهقي = أبو بكر احمد بن الحسين بن	بشار بن برد : ١٣٩ ، ٣٠٩
	علي بن عبد الله بن موسى	البغدادى (عبد القادر بن عمر) ٦٠

(ت)

٢٩٦ ، ٢٣١ ، ٣٦٠ ، ١٢	حجة	تقى الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن	التبريزي = يحيى بن علي بن الحسن
	تقى الدين محمد بن علي بن وهب	ابن محمد بن موسى بن الخطيب التبريزي	
٢٥٠	القشيري	الترمذي = أبو عيسى بن محمد بن	
٣٢٠	تميم بن مقبل	سورة السلى الترمذي	

(ث)

ثعلب = أبو العباس احمد بن يحيى بن	الثعالبي = أبو منصور عبد الملك
زيد بن يسار الشيباني	ابن اسماعيل

(ج)

الجاحظ = أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب	جرير بن عطية بن الخطمي ١٧٧
الجبار = الثمود بن قالج بن عابر بن شالح	٢٩٢، ١٧٩
الجرجاني = عبد القاهر الجرجاني	الجماز = محمد بن عبد الله الجماز
	جميل بن معمر ١١٥
	جورج فرناج ٨

(ح)

الحاتمي = أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي	الحريري = أبو محمد القاسم بن علي
الحارث الأعرج القساني ٢٣٩	ابن محمد عثمان الحريري
الحارث بن همام البصري ١٢	الحوين الكنائي ٢٠٢
حبيب بن أوس الطائي : ٢٦٠، ٧	الحسن بن سهل ٢٠٨
٢٩٢، ٢٢٢، ١٠٨، ١٠٧، ٨٨	الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكي : ٨٨، ٤٤، ١٠
٢٤٥	٢١٧، ٢٠٣، ٢٩٨، ٢٣٠
حبيب بن عمرو : ٢٣١	حسين نصار ٢٩٨
الحجاج (بن يوسف) ٢٣٠، ٢٧	الخطيئة (أبو مليكة جروم بن أوس)
٢٥٨	٢٩٧
الحجاري = عبد الباقي بن محمد بن سعيد الحجاري	حفص (بن سليمان بن المغيرة) : ٥١
	٢٦٦، ٢٠٨، ٩٦، ٥٧

(خ)

الخريبي = اسحاق بن حسان	الخطيب الاسكافي ٨
الخصيب (عامل مصر) ٣٤٤	الخليل ابراهيم عليه السلام ١٦٠، ٩٨، ٣٧

خليل عساكر :	١٠		خويلد بن خالد بن زيد بن مخزوم :
الحنساء (تماضر بنت عمر) ٦٠، ٢٧			٨٨
٢٠٣ ، ١٢٨			

(د)

داود (عليه السلام) ١٢٩ ، ١٢٨		ديك الجن المحصى = عبد السلام
٣٢٥		ابن غيات
دريد بن الصمه		

(ذ)

ذو الأصبع العدواني		ذو الرمة (أبو الحارث غيلان بن عقبة)
١٣٦		١٨٢ ، ٧٩

(ر)

الراعي النيفري		رحان النمامه = مسيلة الكذاب
٢٩٢		الرشيد (هارون) ٢٩٨
الراغب الأصهباني = أبو القاسم		الرماني = علي بن عيسى الرماني
الحسين بن الفضل		٣٠٠
الرامهرمزي		رؤبة بن المعجاج
٧		
ربيعة بن عمرو :		٣٣١

(ز)

الزبرقان		الزملكاني = عبد الواحد بن
٢٩٧		عبد الكريم بن خلف الأنصاري
١٧٤		٧٠ ، ٢٦
زكريا (عليه السلام)		زهير بن أبي سلى
١١٥		١٢٤
زليخا		زيد بن حارثة
الزخشرى (محمود بن عمر بن محمد بن		
عمر جارا الله) ٢٠٦ ، ٥٥ ، ٧٠ ، ٥		

(س)

السمول (بن عادياء) ٢٣٩ ، ٩٥	٨٨	ساعدة بن جؤية
السهيلي = أبو القاسم عبد الرحمن بن	٣٢٤	سحيم (عبد بن الحساس)
عبد الله بن احمد السهيلي	٢٢٩	سركيس
سوار بن عبد الله القاضي العنبري ١٣٩	٧٦	سعيد بن مسعدة
سويد بن أبي كاهل ٨٧		السكاكي = أبو يعقوب يوسف بن
سيويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن		أبي بكر بن محمد بن سراج الدين
قنبر) ٦٠٠ ، ٥٨		السكري = أبو سعيد عبد الله بن
السيد احمد صقر : ٥		عبد الرحمن بن العلاء السكري
سيف الدولة بن حمدان ١٣٨		السلامي = أبو الحسن محمد بن عبيد
السيوطي = أبو الفضل بن الكمال		سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير
أبو بكر جلال الدين	٨٧	ان شداد السجستاني
	١٢٩ ، ١٢٨	سليمان (عليه السلام)

(ش)

شعيب (عليه السلام) ٢٠٧ ، ١٠٩	١٣	شرف الدين التيفاشي
شكري فيصل ٩	١٧٣	شريح بن أوفى العبسي
شمس بن مالك الشنفرى ٨٧		الشريف الرضى = أبو الحسن محمد
الشنفرى = شمس الدين بن مالك		ابن الطاهر احمد بن موسى
شوقي ضيف ٩		الشريف المرتضى = أبو القاسم علي
		بن احمد بن موسى الموسوي

(ص)

صخر بن عمرو بن الشريد ١٢٧	الصاحب بن عباد = أبو القاسم اسماعيل
الصفدي = صلاح الدين خليل الصفدي	ابن عباد

١٥٣	صهيب (رضى الله عنه)	٣٣١	صفوان بن أمية :
	الصولي = أبو بكر محمد بن يحيى بن		صلاح الدين خليل بن أيك الصفدى
	عبد الله بن صول تكين الشطرنجي	٣١٤	
			الصلتان العبدى = قثم بن خيثه بن
			عبد القيس

(ط)

١٨٥	طفيل الغنوى		الطفرانى = مؤيد الدين أبي اسماعيل
٤	طه حسين		الحسين بن على

(ع)

٤	عبد الحميد العبادى	٢٠٦	العاص بن وائل
٢٣٠	عبد الرزاق حميده	١٨٨	عامر بن عمارة الحريرى
	عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل	١٢٦	عائشة (رضى الله عنها)
١٥٠	(أبو يحيى)	٢٩٨	العباس بن الفضل
١٠٨	عبد السلام بن غياث	٣٠٠	عبد الله بن روبة
٨	عبد السلام هارون	١٨٢	عبد الله بن الزبعرى
٢٩٣	عبد العزيز الميمنى	٢٩٦	عبد الله بن طاهر بن الحسين
١٨٩، ١٧٧، ٥	عبد القاهر الجرجاني		عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله
١١	عبد المتعال الصعيدى	٣٣٨	
	عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف		عبد الله بن محمد بن سعيد بن ستان ١١
٣٦	الأنصارى :	٢٤٢	
٩٤	عتبان الخرورى	٢٠٢	عبد الله بن مروان
١٨٨	العمم	٢٩٨	عبد الله بن همام السلولى
	عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن		عبد الباقي محمد بن سعيد الجبارى ١١
٧	أبى الحديد		عبد الجبار = أبو الحسن عبد الجبار
١٩١	عزيز		ابن احمد بن خليل الحمذاني

(م — ٢٥ بديع القرآن ب)

العسكري = بر هلال العسكري	
العكبرى (عبد الله بن الحسين	
أبو البقاء)	٢٢٣، ٦٥
علي بن أبي طالب	٢٤٣، ٧
علي الجاوي	٥
علي الجندي	١٠٨، ٥٨، ٢٧
علي بن الحسين	٣٠٢
علي صدر الدين بن احمد نظام الدين	
المدني	٢٩٦، ٢٢٣، ٧٧
علي بن عبد الرحيم البيهقي	١٣
علي بن عبد العزيز الجرجاني	٣٤٣، ٥
علي بن عيسى الرمانى	٣٩، ١٧، ٥
العلاء الأصهباني = أبو عبد الله محمد	
بن أبي الرجا حامد بن عبد الله	
عمر بن أبي ربيعة المخزومي	٣٠٠
عمر بن الخطاب	٣٣٢
عمر بن ضبيعة الرقاشي	١١٥
عمر بن كلثوم	٣٢٦
عمرو بن معدى كرب الزبيدي	٢٩٢
عنزة العبسي :	٢٩٦، ٢٠٢
عياض بن لمعة	٢٩٣
عياض بن محمد بن موسى	٢٩٠، ١١
عيسى (عليه السلام)	٣٠٧
عيسى بن هشام	١١

(غ)

الغزالي = أبو حامد بن محمد بن احمد	
الغزالي	
غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة	
	٢٣١

(ف)

فخر الدين بن الخطيب الرازي	١٧٠، ٥
فؤاد شريكين	١٧٦، ١١٧، ٣٦، ١٩، ١٨
	٣٠٠، ١٨٩، ١٧٨
الفرزدق:	٢٧، ١٧٧، ١٧٩، ٢٠٢
	١٠

(ق)

القاسم بن واسانه	٣٢٥
القاضي بهاء الدين بن شداد	٧
القاضي الفاضل = علي بن عبد الرحيم	
البيساني	
قثم بن خبيثة بن عبد القيس	١٧٧
قدامة بن جعفر	٤٤، ١٤، ٤٥، ٤٤
	٨٥، ٨٣، ٨٢، ٧٩، ٥٤
	٢٢٢، ٩٣، ٩١، ٩٠، ٨٩

قريش ١١٩ || القزويني (جلال الدين) ٦٥٠، ١٧
القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) ٢٠٦

(ك)

كثير بن عبد الرحمن الخزاعي ١١٤ || كال مصطفي ٤
كثير بن كثير السهمي ٢٠٢ || الكميث بن زيد الأسدي ٦٣
كرانشفوسكي ٤

(ل)

ليد العامري ١٨ || ليلي الأخيلية ٢٣٠
لوط (عليه السلام) ٢٠٧

(م)

المبرد (محمد بن يزيد) ١٧٥ || محمد عبد الغني حسن ١٠
المتني = أبو الطيب أحمد بن الحسين ٤ || محمد عبد المنعم خطابي ٤
ابن الحسن بن عبد الصمد ١١ || محمد عبده ١١
محب الدين (أفندي) ٥٥ || محمد بن علي بن الحسن ٢٠٢
محمد (صلى الله عليه وسلم) ١١٣، ٤١ || محمد عبي الدين عبد الحميد ١٣٩، ٦٣
٢٠٦، ١٦٨، ١٢٤ || محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن
محمد أبو الفضل إبراهيم ١٠، ٥، ٤ || حيان ٢٠٦
محمد أحمد خلف الله ٥٢ || مروان بن أبي خضعة ١٠١
محمد بن حازم الباهلي ٣٠٨ || مسلم بن الحجاج ١٧٠
محمد سيد كيلاني ١٠ || المسيح (عليه السلام) ١٧٠
محمد بن طلحة السجاح ١٧٣ || مسيلة الكذاب ٥٤
محمد بن عبد الله الجاز ٣٢١ || المشبة ٢٤

٣٤٥	موسى بن ابراهيم الرافقي	٥٥	مصطفى محمد
	الموفق البغدادي = موفق الدين	٢٠٧	مصعب بن الزبير
	عبد الطيف البغدادي	٣٤٣	معاوية بن أبي سفيان
	موفق الدين عبد الطيف البغدادي	١٧٩	معاوية بن مالك
	مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين بن	٢٩٨	معاوية بن يزيد
٨٨	علي الطغرائي	١٠٩	المعري (أبو العلاء)
٧	ميثم بن علي بن ميثم البحراني		معمود الحكاه = معاوية بن مالك
	الميداني = أبو الفضل أحمد بن محمد		الملك الضليل = امرؤ القيس بن حجر
	ابن أحمد بن إبراهيم الميداني	٢٧٧	المهاجرون
	ميمون بن قيس بن جندل الآبدي		موسى (عليه السلام) ٨٣، ٤٢، ٢٣
٢٣٩			١٦٨، ١٢٦، ١٠٣، ٩٤
			٣٠٧، ٢٢٣، ١٨٦

(ن)

٣٤٠	النعمان بن المنذر	٢٠٨، ١٩٠، ٥٧	نافع بن عبد الرحمن
	النمروذ بن قالج بن عابر بن شائع بن	٥١	نافع بن الأزرق
	سالم ٢٨١	٨٧	النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد)
٣٠٧، ١٢٢، ٨٠	نوح (عليه السلام)	٢٢٤	نصيب (الشاعر)

(هـ)

٧٩	هند بن أبي ماله	٨٣	هارون (عليه السلام)
٣٠٧	هود (عليه السلام)	١٣٩	الهنلي
		٢٠٢	هشام بن عبد الملك

(و)

	الواساني = القاسم بن واسانه		الواحدى = علي بن أحمد بن علي
	الوراق = أبو المعالي سعيد بن علي		
٢٠٨، ٩٦، ٥٧	ورش (أبو سعيد بن عثمان)		الواحدى النيسابورى

(ى)

اليمنى = يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم العلوى	١٧٠	يحيى (عليه السلام)
اليمنى ١٧		يحيى بن حمزة بن على بن ابراهيم العلوى
٢٥ اليهود		يحيى بن على بن الحسن بن محمد بن
يوسف (عليه السلام) ١١٤، ٩٥		موسى بن الخطيب التبريزى : ٨
١٦٩، ١٤١، ١١٥		٣٠٥، ٢٣٨
يوسف قاشفين ١١		يزيد بن الحكم الثقفى ٢٣٨
يوشع (فى موسى عليه السلام) ٢٢٣		يزيد بن معاوية ٢٩٧
يونس (عليه السلام)		يعقوب (عليه السلام) ١٤١، ٩٥
يونس المالكى (شرف الدين) ٨٨		

فهرس مراجع المؤلف

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
أجناس التجنيس	للشعالي	غير موجود
إحياء علوم الدين	للفزالي	مطبوع
أسباب النزول	للواحدي	"
أسرار البلاغة	لعبد القاهر الجرجاني	"
اعجاز القرآن	للبياقلاني	"
الإقناع في العروض	للساحب بن عبا	مخطوط
الأمالي	لشريف المرتضى	مطبوع
الأمثال	لرامهرمزي	غير موجود
الأمثال	لابن سلام	مطبوع
الأمثال	للميداني	"
أمثال القرآن	لابن حبيب	غير موجود
الأمثال والحكم من كلام سيد الأمام	لابن أبي اسر مسكري	مخطوط
البديع	للأجداني	غير موجود
"	للتبريزي	مخطوط
البديع	للتيفاشي	غير موجود
"	لأسامة بن منقذ	مخطوط
"	لابن المعتز	مطبوع
البلاغة	لرمانى	غير موجود
البيان والتبيين	للجاحظ	مطبوع
تزييف نقد قدامة	لابن رشيق	غير موجود
التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام	للسبيل	مخطوط

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
تفسير القرآن	لابن صراح	غير موجود
التشيل والمحاضرة	لابن عطية	مخطوط
تنزيه الأنبياء عليهم السلام	للثعالبي	غير موجود
تنقيح البلاغة	للشريف المرتضى	غير موجود
الجامع الكبير في التفسير	لمحمد بن احمد العميدى	غير موجود
جواهر القرآن	للزمانى	مطبوع
الحديقة	للغزالى	غير موجود
حلية المحاضرة	للحجارى	غير موجود
الخريدة	للحاتمى	غير موجود
الخطب النبانية	للمعاد الاصفهانى	مخطوط
درة التنزيل وغرة التأويل	لابن نباته	مطبوع
دلائل الإعجاز	للخطيب الإسكافى	مطبوع
دلائل النبوة	لمبد القاهر الجرجانى	غير موجود
دمية القصر	للبيهقى	مخطوط
رسالة على شعر أبى تمام	للباخرزى	غير موجود
رسالة على شعر أبى نواس	للصولى	غير موجود
المتنبي	للصولى	غير موجود
رسالة فى البلاغة	للحاتمى	مخطوط
رسالة فى التكميت على المتنبي	للقاضى الفاضل	موجود
رسالة فى الرد على قدامة	لابن عباد	مطبوع
رسائل	للأمدى	غير موجود
الروض الآف	للبيديع الهمدانى	مطبوع
السبيل الى معرفة سبل التنزيل	للسبيل	مطبوع
سر الفصاحة	للشريف المرتضى	غير جود
شرح أسماء الله الحسنى	لابن سنان الخفاجى	مطبوع
	لابن البرجان	غير موجود

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
شرح أسماء الله الحسنى	لفخر الدين بن الخطيب	مخطوط
شرح الأشراق	للبلاذرى	مطبوع (ج ١)
شرح الأشعار الستة	للسكرى	مخطوط
شرح حديث أم زرع	للقاضى عياض	مطبوع
شرح الحامسة	للتبريزى	مطبوع
شرح سقط الزند	للبطليوسى	مخطوط
شرح المقصورة	لابن خالويه	مطبوع
الشفاء فى تعريف حقوق المصطفى	للقاضى عياض	مطبوع
الصناعتين	لابن هلال المسكرى	مطبوع
طيف الخيال	لشريف المرتضى	مطبوع
العقد الفريد	لابن عبد ربه	مطبوع
العمدة	لابن رشيق	مطبوع
الفصل والوصل	لابن البرجان	غير موجود
فوائد القرآن	للقاضى عبد الجبار	مطبوع
قلائد العقيان	لابن خاقان	غير موجود
كتاب الصرقة	لشريف المرتضى	مطبوع
الكشاف	للمختصرى	غير موجود
كشف الظلامه	للموفق البغدادى	مطبوع
المثل السائر	لابن الأثير	مطبوع
المجاز	لابن عبيدة	مطبوع
محاضرات الأدباء	لشريف المرتضى	مطبوع
المحرر الوجيز فى التفسير	للموحدى	مخطوط
المستقصى فى أمثال العرب	للمختصرى	مطبوع
مفاتيح الغيب	لفخر الدين بن الخطيب	مطبوع
المقامات	للبيديع الهمداني	مطبوع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع والخط
القامات	الحري	مطبوع
النصف	لابن وكيع التميمي	مخطوط
الموازاة	الأمدي	مطبوع
نظم القرآن	الباحظ	غير موجود
قد الشعر	لقدامة بن جعفر	مطبوع
نقد النثر	د د د	مطبوع
النكت في إيجاز القرآن	لرمان	مطبوع
نهاية الإيجاز في رواية الأعجاز	لفخر الدين بن الخطيب	مطبوع
نهج البلاغة	للإمام علي بن أبي طالب	مطبوع
الوساطة	لجرجاني	مطبوع
الوشى المرقوم	لابن الأثير	مطبوع
التيمة	لثعالي	مطبوع

فهرس مراجع التحقيق

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
القرآن	—	المطبعة الأميرية ١٣٦٨ هـ
أساس البلاغة	للزحشرى	مصر سنة ١٩٥٣ م
الاستدراك	لابن الأثير ضياء الدين	مخطوط بدار الكتب
أسرار البلاغة	لعبد القاهر الجرجاني	مصر ١٣٦٧ هـ
الأغانى	لابن الفرج الأصفهاني	دار الكتب المصرية
الإفصاح	لعبد الفتاح الصميدى وزميله	مصر ١٩٢٩ م
الأمالى	لابن على القالى	دار الكتب المصرية
أمالى المرتضى	للشريف المرتضى	مصر ١٩٥٥ م
أنوار الريع	لاين معصوم	طبع حجر ١٠٩٣ هـ
أنيس المجالس	لم يعرف شارحه	مطبوع
ذويان الخلساء		
الإيضاح	للقزوينى	مصر ١٩٥٠ م
البداية والنهاية	لابن كثير	مصر ١٣٤٨ هـ
البديع	لابن المعز	مصر ١٩٤٥ م
	لابن منقذ	مخطوط رقم ٥ بلاغة
بلوغ الأرب	لجرمانوس فرحات	١٤٩ بلاغة
البيان والتبيين	للجاحظ	مصر ١٩٤٩ م
ناج العروس	للسيد مرتضى الزبيدى	مصر ١٣٠٦ هـ
تاريخ بغداد	للخطيب البغدادي	مصر ١٩٣١ م
التبيان فى علم البيان	للزملكاني	مخطوط ٣٩٥ بلاغة
تحرير التعبير	لابن أبى الإصبع	مخطوط ٤٦٥ بلاغة
التلخيص	للقزوينى	مصر سنة ١٢٩٧ هـ
تنزيل الآيات على الشواهد	محج الدين (أفندى)	مصر ١٢٨١ هـ
من الايات		
الجامع الصغير	لجلال الدين السيوطى	مصر ١٢٨٦
الجامع الكبير	لابن الأثير	المجمع العلمى العراقى ببغداد ١٩٥٦

} شرح

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي	دار الكتب المصرية
جواهر الألفاظ	إهداء	مصر ١٩٣٢ م
حسن التوسل	لشهاب الدين أبي الشتاء الحلبي	مصر ١٢٩٨ هـ
الحامسة	شرح التبريزي	مدينة بن ١٨٢٨ م
الحامسة البصرية	الحسن علي البصري	مخطوط ٥٢٠ أدب
الحيوان	للجاحظ	مصر ١٩٣٨ م
خزاة الأدب	للبيدادي	مصر ١٢٩٩ هـ
خزاة الأدب	لابن حجة الحموي	مصر ١٢٠٤ هـ
الخطب النبانية	لابن نباته السعدي	بيروت ١٣١١ هـ
دلائل الإعجاز	لعبد القاهر الجرجاني	مصر ١٣٦٧ هـ
ديوان	أبي تمام	بيروت سنة ١٨٨٩ م
"	"	مصر ١٩١٨ هـ
"	أبي نواس	مصر ١٩٥٤ هـ
ديوان	الأخطل	بيروت ١٨٩١ م
"	اعشى ميمون	أوربا ١٩٢٧ م
"	أمرئ القيس	مصر سنة ١٣٠٨ هـ
"	البحري	الجواب ١٣٠٠ هـ
"	جرير	مصر ١٩٣٥ م
"	الخطبة	ليبسك ١٨٩٣ م
ديوان	الخنساء	بيروت ١٨٨٨ م
"	ذو الرمة	أوربا ١٩١٩ م
"	زهير بن أبي سلمى	دار الكتب المصرية
"	سحيم عبد بنى الحساس	"
"	سراقة البارقي	مصر سنة ١٩٤٧ م
"	طفيل الغنوي	أوربا ١٩٢٧ م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
ديوان	(العجاج بن روبة)	مخطوط ٤٥ أدب
"	عمر بن أبي ربيعة	مصر ١٣٣٠ هـ
"	عنيزة العيسى	هندية ١٨٩٨ م
"	الفرزدق	مصر ١٩٣٦ م
"	كثير	أوروبا ١٩٢٨ م
"	المتنبى بشرح العكبري والبرقوقي	سنة ١٢٨٧ هـ ١٩٩٣ م
"	النايفة الذبياني	باريس ١٨٦٩
"	الهذليين	دار الكتب المصرية
رغبة الأمل من كتاب الكامل	لسيد بن علي المرصفي	مصر ١٩٢٨
روح المعاني	للأوسى	مصر ١٣٥٤ هـ
روضة الفصاحة	لزين الدين بن أحمد الرازي	(مخطوط)
زهر الآداب	للجصري القرواني	مصر ١٩٢٦ م
سر الفصاحة	لابن سنان الخفاجي	مصر ١٩٣٢ م
سمط اللالكى	لأبي عبيد البكري (تحقيق المينى)	دار الكتب المصرية
سنن ابن ماجه	للإمام الحافظ القزويني	مصر ١٩١٣ م
سيف بني مروان	للأستاذ عبدالرزاق حميد	مصر ١٩٤٧ م
شرح المعلقات	للتبريزي	كلكتة ١٨٩٤ م
شرح المفصل	لابن يمين	أوروبا ١٨٨٦ م
شعراء النصرانية	جمع الأب لويس شيخو	بيروت ١٨٩٠ م
الشفاء	للقاضي عياض	الاستانة ١٢٩٠ هـ
صبح الأعشى	لأبي العباس القلقشندي	مصر ١٩١٣ م
صحيح مسلم	لمسلم بن الحجاج القشيري	مصر ١٣٣٠ هـ
الصناعتين	لأبي هلال العسكري	مصر ١٩٥٢ م
الطراز	ليحيى بن حمزة العلوي	مصر ١٩١٤ م
عروس الأفراح	لبهاء الدين السبكي	مصر ١٣١٨ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
العقد الفريد	لابن عبدربه	مصر ١٩٤٠ م
العمدة	لابن رشيقي	مصر ١٩٠٧ م
عيان الشعر	لابن طباطباجا	مصر ١٩٥٦ م
عيون الأخبار	لابن قتيبة	دار الكتب المصرية
الفاضل	للبرد	" " "
الفرق في أسماء الفرق	لابن منصور عبدالقاهر البغدادي	مصر ١٣٢٢ هـ
القاموس	لفيروز آبادي	مصر
قواعد الشعر	لثعلب	لندن ١٨٩٠ م
الكامل	للبرد	ليبسك ١٨٨١ م
الكتاب	لسيويه	مصر ١٣١٦ هـ
الكشاف	للزغشري	مصر ١٣١٩ هـ
كشف الخفاء	للمجلوني	مصر ١٣٥٢ هـ
الكثير المدفون والفلك المشحون	ليونس الملكي	مصر ١٣٠٣ هـ
لامية النجم	للفراني	مصر ١٢٩٦ هـ
لامية العرب	لشنفرى	مصر ١٣٢٤ هـ
لسان العرب	لابن منظور المصري	—
المثل السائر	لابن الأثير	مصر ١٢٨٢ هـ
مجاز القرآن	لابن عبيدة معمر بن المثنى	مصر ١٩٥٤ م
المجلة الألمانية الشرقية لسنة ١٨٥٣	—	—
مجمع الأمثال	للميداني	مصر ١٢٨٤ / ١٣٤٢ هـ
محيط المحيط	لبطرس بن بولس	بيروت ١٨٦٩ م
مختار الشعر الجاهلي	لمصطفى السقا	مصر ١٩٤٩ (ج ١)
المختصر	لابن سيده	مصر ١٣١٨
المصباح المنير	للفيومي	—

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطبع مكانه وتاريخه
معاهد التنصيص	لعبد الرحيم احمد العباس	مصر ١٩٤٧
معجم الادباء	اياقوت	مصر ١٩١٨
مفتاح العلوم	لاسكاكي	مصر ١٣١٧
المفصليات	للفضل الضبي	بيروت ١٩١٢
المقصورة	لابن دريد	اوربا ١٨٨٥ م
الملل والنحل	للشهرستاني	الجوانب ١٢٠٠
منتهى الطلب	محمد بن المبارك بن ميمون	ايطاليا ١٧٧٣
الموازنة	للآمدى	مصر ١٢٨٨
المؤتلف والمختلف	للأزدى	مصر ١٩٤٤
الموشح	للبرزبانى	الهند ١٣٢٣ هـ
النشر في القراءات العشر	لابن الجزرى	مصر ١٣٤٣ هـ
التفاضل	لأبى عبيدة	دمشق ١٣٤٥ هـ
نقد الشعر	لقدامة	لندن ١٩٠٨ م
النكت في إعجاز القرآن	للرمانى	الجوانب ١٣٠٢
النهاية	لابن الأثير	مخطوط ٢٩٨ تفسير تيمور
نهاية الأرب	للتويرى	مصر ١٩١١ م
نهاية الإيجاز في داية الإعجاز	لرازى	طبع دار الكتب المصرية
الحوار المعجب في القول بالموجب	للفردى	مصر ١٣٢٧ هـ
الوساطة	لعلى بن عبد العزيز الجرجاني	مخطوط ٤٣٥ بلاغة
يقيمة الدهر	لشعالي	مصر ١٩٥١ م
		دمشق ١٣٠٤ هـ

فهرس الايام

يوم أحد	 ١٤٩
يوم الاحزاب	 ١٤٩
يوم بدر	 ٢٨٣
يوم حنين	 ١٤٩
يوم السقيفة	 ٢٧٧